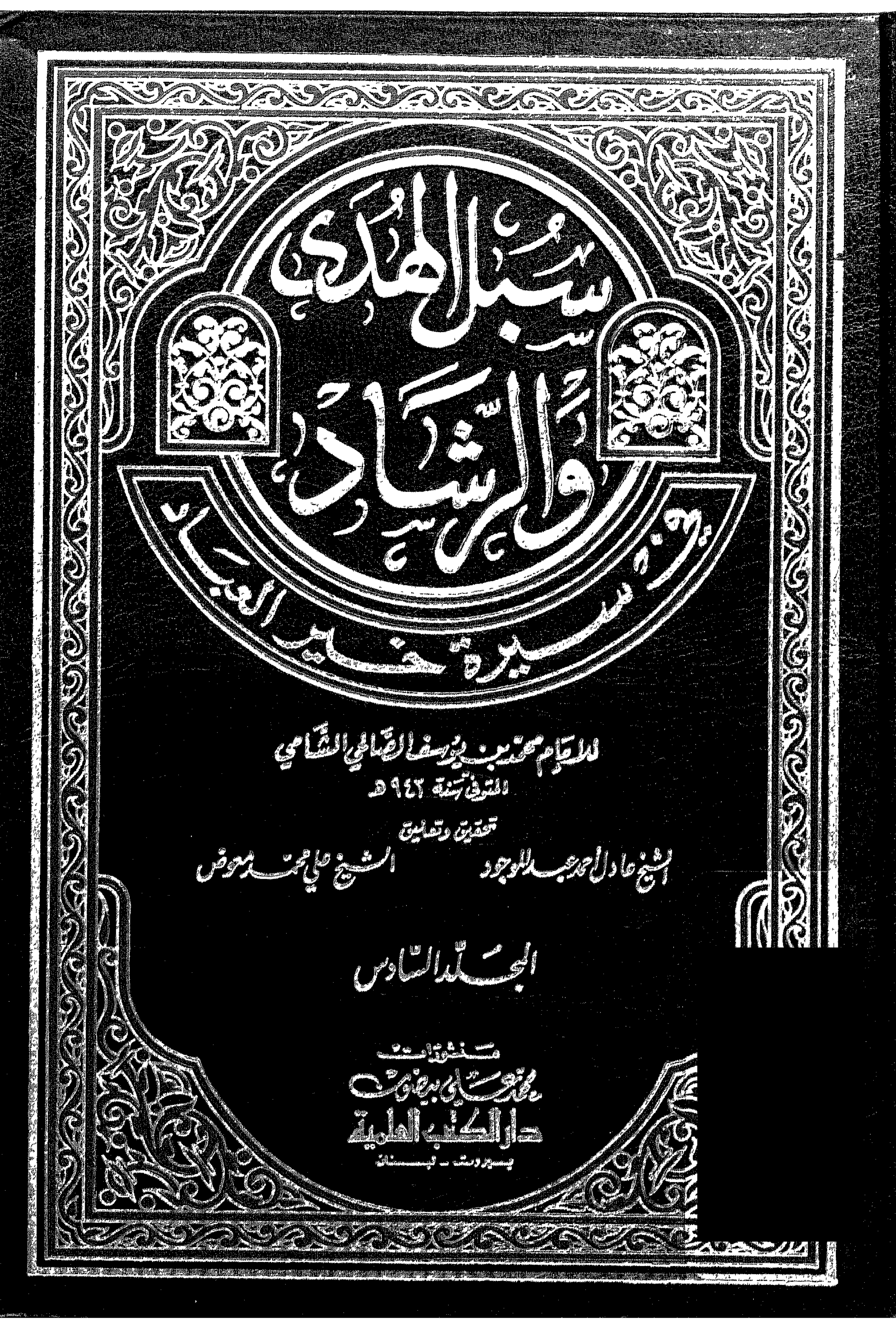

سبل الهدى والرشاد
في سيرة خير العباد
للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي
المتوفى سنة ٩٤٢ هـ
تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الشيخ علي محمد معوض
المجلد السادس
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سُبُل الهُدَى والرَّشَاد
في سِيرة خير العِبَاد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي
المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود — الشيخ علي محمد معوض

الجزء السادس

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢/٠٠ - ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

جماع أبواب سراياه وبعوثه وبعض فتوحاته صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في عدد سراياه وبعوثه ومعنى السرية

وفيه نوعان

الأول: قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: السرايا والبعوث ثمانياً وثلاثين وذكرها أبو عُمَر رحمه الله تعالى في أول الاستيعاب سبعاً وأربعين. وذكرها محمد بن عُمَر رحمه الله تعالى ثمانياً وأربعين، وأبو الفضل ستًّا وخمسين. ونقل المسعودي عن بعضهم أنها ستون. وعلى ذلك جرى الحافظ أبو الفضل العراقي رحمه الله تعالى في ألفية السيرة، وذكر فيها أن الإمام الحافظ محمد بن نصر[1] أوصلها إلى السبعين، وأن الإمام الحافظ أبا عبد الله الحاكم رحمه الله تعالى قال: إنه ذكر في الإكليل أنها فوق المائة. قال العراقي: ولم أجد هذا القول لأحد سواه. قال الحافظ رحمه الله تعالى: لعل الحاكم أراد بضم المغازي إليها.

قلت عبارة الحاكم كما رواها عنه ابن عساكر بعد أن روى عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه كانت ثلاثاً وأربعين. قال الحاكم: هكذا كتبناه. وأظنه أراد السرايا دون الغزوات، فقد ذُكِرت في كتاب الإكليل على الترتيب بعوث رسول الله ﷺ وسراياه زيادة على المائة. قال: «وأخبرني الثقة من أصحابنا ببُخَارَى أنه قرأ في كتاب أبي عبد الله محمد بن نصر السرايا والبعوث دون الحروب بنفسه نَيِّفاً وسبعين». انتهى.

قال في البداية: وهذا الذي ذكره الحاكم غريب جداً، وحَمْلُه كلام قتادة على ما قال، فيه نظر فقد روى الإمام أحمد [عن أزهر بن القاسم الراسبي عن هشام الدستوائي] عن قتادة أن مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون: أربعة وعشرون بعثاً وتسع عشرة غزوة.

قلت والذي وقفت عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد على السبعين كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

---

(١) محمد بن نصر المروزي، أبو عبد الله: إمام في الفقه والحديث. كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم في الأحكام. ولد ببغداد. ونشأ بنيسابور، ورحل رحلة طويلة استوطن بعدها سمرقند وتوفي بها. له كتب كثيرة، منها«القسامة» في الفقه، قال أبو بكر الصيرفي: لو لم يكن له غيره لكان من أفقه الناس، «والمسند» في الحديث، وكتاب «ما خالف به أبو حنيفة علياً وابن مسعود». الأعلام ١٢٥/٧.

الثاني: في معنى السرية. قال ابن الأَثير في النهاية: «السَّرِية: الطائفة من الجيش يبلغ أَقصاها أَربعمائة تُبْعَث إِلى العدو، وجمعها سرايا سُمُّوا بذلك لأَنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السَّرِيّ النفيس. وقيل سموا بذلك لأَنهم ينفذون سِرّاً وخِفْيَة، وليس بالوجه لأَن لام السِّرّ راء وهذه ياء. انتهى.

وقال الإمام شهاب الدين أَحمد بن علي الشهير بابن خطيب الدهشة رحمه الله تعالى في كتابه المصباح[1]: «السَّرِيَّة: قطعة من الجيش، فعيلة بمعنى فاعلة لأَنها تَسْرِي في خِفْيَة والجمع سرايا وسَرِيَّات مثل عطية وعطايا وعطيات» انتهى.

فقوله: «خفية» أَحسن من قول من قال «سِرّاً» لما ذكره ابن الأَثير من أَن لام السر راء وهذه ياء. وقال الحافظ: السرية: قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إِليه وهي من مائة إِلى خمسمائة، فما زاد على خمسمائة يقال له: مَنْسِر بالنون والسين المهملة أَي بفتح الميم وكسر السين وبعكسهما. فإِن زاد على الثمانمائة سُمِّي جيشاً، وما بينهما يسمى هَيْضَلة، فإِن زاد على أَربعة آلاف سمي جَحْفَلاً بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وفتح الفاء، فإِن زاد فجيش جَرَّار، بفتح الجيم وبراءين مهملتين الأُولى مُشَدَّدَة. والخميس أَي بلفظ اليوم: الجيش العظيم. وما افترق من السَّرِيَّة يسمى بعثاً. فالعشرة فما بعدها حَضِيرة. والأَربعون عُصْبة، وإِلى ثلاثمائة مِقْنَب بقاف ونون ومُوَحَّدة أَي بكسر الميم وسكون القاف وفتح النون. فإِن زاد سمي جَمْرَة بجيم مفتوحة وسكون الميم. والكتيبة ـ بفتح الكاف فتاء مكسورة وتحتية ساكنة فموحدة فتاء تأنيث ـ ما اجتمع ولم ينتشر، انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأَصحاب أَربعة. وخير السرايا أَربعمائة، وخير الجيوش، أَربعة آلاف، وما هُزِم قوم بلغوا اثني عشر أَلفاً من قِلَّة إِذا صَدَقوا وصَبَرُوا». رواه أَبو يَعْلَى وابن حبَّان وأَبو داود والترمذي، دون قوله«إِذا صَدَقوا وصَبَروا»[1].

(١) اخرجه أحمد في المسند ٢٩٩/١ والبيهقي في السنن ١٥٦/٩ والدارمي ٢١٥/٢ وذكره الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٥٨.

الباب الثاني

في أي وقت كان يبعث سراياه ووداعه بعضهم ومشيه مع بعضهم وهو راكب إلى خارج المدينة ووصيته صلى الله عليه وسلم لأمراء السرايا وفيه أنواع:

الأول: في أَي وقت كان يبعث سراياه، عن صَخْر - بصاد مهملة فخاء معجمة - ابن وَدَاعة - بفتح الواو والدال المهملة - الغامِدي - بغين معجمة فألف فميم مكسورة فدال مهملة فياء نَسَب - رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لأُمتي في بكورها»[1]. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية بعثها أَول النهار، وكان صخر رجلاً تاجراً وكان لا يبعث غِلْمَانَه إِلا من أَول النهار فكثر ماله حتى لا يدري أَين يَضَع ماله. رواه الإمام أَحمد والثلاثة وحَسَّنه الترمذي.

وعن عمران بن حُصَيْن رضي الله تعالى عنهما أَن رسول الله ﷺ كان إِذا بعث سرية أَغزاها أَول النهار وقال: «اللهم بارك لأُمتي في بكورها». رواه الطبراني.

الثاني: في وَدَاعِه ﷺ بعض سراياه. روى الإمام أَحمد عن البَرَاء بن عازب، والإمام أحمد وأبو يَعْلَى بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهم أَن رسول الله ﷺ مَشَى مع الذين وَجَّههم لقتل كعب بن الأَشرف إِلى بَقِيع الغَرْقَد. ثم وجههم وقال: «انطِلقوا على اسم الله، اللهم أَعِنْهُمْ»[2] ثم رجع. البقيع بفتح الموحدة وكسر القاف وسكون التحتية وبالعين المهملة والغَرْقَد بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح القاف وبالدال المهملة. من شجر العِضَاة أَو العَوْسَج أَو العِظام منه.

وعن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا شَيَّع جيشاً فبلغ عَقَبة الوداع قال: «أَستودع الله تعالى دينكم وأَمانتكم وخواتيم أَعمالكم»[3] الحديث رواه ابن أَبي شيبة رحمه الله.

الثالث: في مشيه ﷺ مع بعض أَمراء سراياه، وذلك البعض راكب. عن مُعَاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله ﷺ لما بعثه إِلى اليمن خرج معه يُوصِيه، ومُعَاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت ظل راحلته، فلما فرغ قال: «يا مُعَاذ إِنَّك عسى أَلاَّ تَلْقَانَي بعد

---

(١) اخرجه الترمذي (١٢١٢) وأبو داود (٢٦٠٦) وابن ماجة(٢٣٦) وأحمد في المسند ٤١٦/٣ - ٤١٧ والطبراني في الكبير ٢٨/٨، ٢٥٧/١٠.

(٢) اخرجه أحمد في المسند ٦٦/١ حاكم ٩/٢ والطبراني في الكبير ٢٢١/١١ وانظر البداية والنهاية ٧/٤.

(٣) اخرجه أبو داود (٢٦٠١) والحاكم ٩٧/٢ وذكره ابن حجر في المطالب (٣١٩٤) والمتقي الهندي في الكنز (١٨١٣٦).

عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري» فبكى معاذ رضي الله عنه جَشِعاً لِفِرَاق رسول الله ﷺ، وذكر الحديث[١]، رواه الإمام أحمد وأبو يعلى برجال ثقات وسيأتي بتمامه في موضعه من السرايا والبعوث.

جَشِعاً بفتح الجيم وكسر الشين المعجمة وبالعين المهملة أي جَزَعاً لفراقه ﷺ.

وروى ابن عساكر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مشى معه ميلاً ومعاذ راكب لأمره ﷺ بذلك.

النوع الرابع: في وصيته ﷺ لأمراء السرايا. عن بُرَيْدَة بالموحدة والتصغير رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصَّته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدِروا [ولا تَمْثُلُوا] ولا تقتلوا وليداً. وإذا لَقِيتَ عدوَّك من المشركين فَادعُهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيَّتُهُنّ ما أجابوك فاقْبَلْ منهم وكُفّ عنهم وادعُهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، ثم ادعهُمْ إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأَخْبِرهُم، أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبَوْا أن يتحولوا منها فَأَخْبِرهُم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفَيْء شيء إلا أن يجاهدوا مع المؤمنين، فإن هم أبَوْا فَسَلْهُم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكُفّ عنهم، فإن هم أَبَوْا فاستعنْ عليهم بالله وقاتِلْهم وإذا حاصرتَ أَهْلَ حصنٍ فأرادوك أن تجعل لهم ذِمَّةَ الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمَّة الله ولا ذمة نبيه. ولكن اجعل لهم ذمتك وذمةَ أصحابك فإنكم وإن تُخْفِروا ذِمَمَكم وذِمَمَ أصحابكم أَهْوَنُ من أن تُخْفِروا ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ رسوله. وإذا حاصرت أهل حِصْنٍ فأرادوك أن تُنْزِلهم على حكم الله فلا تُنْزِلْهُم على حكم الله ولكن أَنْزِلْهُم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حُكْمَ الله فيهم أم لا. ثم اقضوا فيهم بعد ما شئتم»[٢] رواه مسلم وأبو داود والترمذي واللفظ لمسلم ورواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه

---

(١) اخرجه أحمد في المسند ٢٣٥/٥ والبيهقي في السنن ٨٦/٩ والبيهقي في الدلائل ٤٠٤/٥ وابن حبان (٢٥٠٤) وذكره الهيثمي في المجمع ٣٦/٣.

(٢) اخرجه مسلم في كتاب الجهاد (٣) وأبو داود (٢٦١٣) وابن ماجة (٢٨٥٨) والترمذي (١٤٠٨) وأحمد في المسند ٢٤٠/٤ والبيهقي في السنن ٤٩/٩ والحاكم في المستدرك ٥٤١/٤ وعبد الرزاق (٩٤٢٨) وابن أبي شيبة في المصنف ٣٦٢/١٢.

قال:«اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تَغْدِروا ولا تَغُلُّوا ولا تَمْثُلوا ولا تقتلوا الوالدين ولا أَصحاب الصوامع». (١) رواه ابن أَبي شيبة والإمام أَحمد وأَبو يعلى.

وعن عبد الرحمن بن عائذ ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً قال:«تألَّفُوا الناسَ وَتَأَنَّوهم ولا تُغِيرُوا عليهم حتى تدعوهم إلى الإِسلام فما على الأَرض من أَهل بيت مَدَر ولا وَبَر إلا تأتوني بهم مسلمين أَحب إليّ من أَن تقتلوا رجالهم وتأتوني بنسائهم»(٢). رواه مُسَدَّد والحارث بن أَبي أُسامة مُرْسَلاً.

وعن علي رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ بعثه وجهاً، ثم قال لرجل الْحَقْهُ ولا تَدْعُه من خلفه فقل له: إن النبي ﷺ يأمرك أَن تنتظره وقل له:«لا تقاتل قوماً حتى تدعوهم»(٣). رواه إسحاق بن راهويه بسند فيه انقطاع.

وعن أَبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أَحداً من أَصحابه في بعض أَمره قال:«بَشِّروا ولا تُنَفِّروا ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا» (٤) رواه مسلم.

وعن أَنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً قال:«انطلقوا باسم الله لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأَة، ولا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غنائمكم، وأَصْلِحوا وأَحْسِنُوا إن الله يحب المحسنين» (٥) رواه أَبو داود والترمذي.

وعن ابن عصام المزني ـ بالزاي والنون ـ رضي الله عنه عن أَبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أَو سرية يقول:«إذا رأَيتم مسجداً أَو سمعتم مؤذناً فلا تقتلوا أَحداً»(٦). رواه أَبو داود والترمذي.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أَرسل مُعَاذاً وأَبا موسى فقال:«تَشَاوَرَا وَتَطَاوَعا ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا وَبَشِّرا ولا تُنَفِّرا» (٧) رواه البزار.

---

(١) اخرجه أبو يعلى في المسند ٤/ ٤٢٣(٢٢٢ - ٢٥٤٩) وأحمد في المسند ١/٣٠٠ والبيهقي ٩/٩٠ والبزار (١٦٧٧) والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/٢٢٠ وذكره الهيثمي في المجمع ٥/٣١٦ وعزاه لأحمد وأبي يعلى والبزار والطبراني في الكبير والأوسط وقال: وفي رجال البزار وإبراهيم بن إسماعيل بن حبيبة وثقه أحمد وضعفه الجمهور.

(٢) ذكره ابن حجر في المطالب (١٩٦٢ - ١٩٦٣).

(٣) اخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/٣٦٣ والبخاري في التاريخ ٣/٣٧٧ وذكره في المجمع ٥/٣٠٥.

(٤) اخرجه البخاري ١/٢٧ ومسلم في كتاب الجهاد (٦) وأبو داود (٤٨٣٥) وأحمد في المسند ٤/٣٩٩.

(٥) اخرجه أبو داود (٢٦١٤) والبيهقي في السنن ٩/٦٠ وعبد الرزاق (٩٤٣٠).

(٦) اخرجه أبو داود (٢٦٣٥) والترمذي (١٥٤٩) وأحمد في المسند ٣/٤٤٨ وذكره الهيثمي في المجمع ٦/٢١٠.

(٧) ذكره الهيثمي في المجمع ٥/٢٦٠ وعزاه للبزار وقال: وفيه عمرو بن أبي خليفة العبدي ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح، والحديث في مسلم بنحوه.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

لا تَغْدِروا بكسر الدال المهملة.

ذمة الله بكسر المعجمة أَمَانُهُ وعَهْدُه.

الوَليد بفتح الواو الصبي.

على حكم الله قضاؤه.

المَدَر قطع الطين.

الباب الثالث

في اعتذاره عن تخلفه عن صحبة السرايا صلى الله عليه وسلم وإعطائه سلاحه لمن يقاتل به

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«والذي نفسي بيده لولا أن أَشُقَّ على المسلمين ما قعَدْتُ خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سَعَةً فَأَحْمِلَهُم ولا يجدون سَعَةً فيتبعوني، ويَشُقّ عليهم أن يقعدوا بعدي» - وفي لفظ:«ولا تطيب أنفسهم أن يتخلَّفُوا عني - «والذي نفسي بيده لَوَدِدْتُ أني أغزو في سبيل الله وَأُقْتَل ثم أَحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا»[1] بتكريره ست مرات، رواه الإمامان مالك وأحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه.

وعن [جبلة بن حارثة] قال: كان رسول الله ﷺ إذا لم يَغْزُ أعطى سلاحه علياً أو أُسَامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما[2]، رواه أحمد وأبو يَعْلى.

تنبيهات

الأول: الْحِكْمَة في بيان إيراد قوله: «والذي نفسي بيده» مرة ثانية عقب الأولى إرادة تسلية الخارجين في الجهاد عن مرافقته ﷺ، فكأنه قال: الوَجْه الذي تسيرون فيه له من الفضل ما أَتَمَنَّى لأجلِه أن أُقْتَلَ مرات، فمهما فاتكم من مرافقتي والقعود معي من الفضل، يَحْصُل لكم مِثْلُه أو فَوْقَه من فضل الجهاد، فراعى خواطر الجميع. وقد خرج ﷺ في بعض المغازي، وتخلف عن المشار إليهم وكان ذلك حيث [رَجَحَتْ] مَصْلَحةُ خروجه على مراعاة حالهم.

الثاني: اسْتُشْكِل صدور هذا التمني من النبي ﷺ مع علمه بأنه لا يُقْتَل، وأُجِيبَ بأن تَمَنّي الفضل والخير لا يستلزم الوقوع، فقد قال ﷺ: «وَدِدْتُ لو أن موسى صَبَر»[3]، فكأنه ﷺ أراد المبالغة في بيان فضل الجهاد وتحريض المسلمين عليه.

الثالث: قال النووي رحمه الله تعالى: «في هذا الحديث حسن النية وبيان شدة شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واستحباب القتل في سبيل الله تعالى، وجواز قول وَدِدْتُ

(١) اخرجه البخاري ٦/ ٢٠(٢٧٩٧) والبيهقي في السنن ٢٤/٩.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٨٦/٥ وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد ثقات.

(٣) اخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١١٧) واخرجه البخاري بنحوه ١٩٠/٤.

حصول كذا من الخير، وإن عُلِم أنه لا يحصل، وفيه ترك بعض المصالح لمصلحة راجحة أو أرجح، أو لدفع مَفْسَدة، وفيه جواز تَمَنّي ما يَمْتَنِع في العادة».

الرابع: قال الطيبي رحمه الله تعالى ثم في قوله: «ثم أُقْتَل» إلى آخره، وإن حُمِلَت على التراخي في الزمان هنا لكن الحَمْل على التراخي في الرُّتْبَة هو الوَجْه، لأن التمني حصول درجات بعد القتل، والإحياء لم يحصل من قبل، ومن ثمة كررها لنيل مرتبة بعد مرتبة إلى أن ينتهي إلى المقام الأعلى منه.

الباب الرابع

في سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه إلى سيف البحر من ناحية العيص في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة في ثلاثين رجلا من المهاجرين والأنصار

قال ابن سعد: «والمُجْمَع عليه أنهم كانوا جميعاً من المهاجرين، ولم يبعث رسول الله ﷺ أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً، وذلك أنهم كانوا شرطوا له أنهم يمنعونه في دارهم. وهذا الثَّبت عندنا». وصححه في المورد. وعقد له لواءً أبيض حمله أبو مَرْثَد كَنَّاز بن الحُصَين الغَنَويّ، حليف حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما، وهو أول لواء عُقِد في الإسلام كما قال عُرْوَة وابن عُقْبَة ومحمد بن عُمَر وابن سعد وابن عائذ والبيهقي وابن الأثير والدمياطي والقطب وغيرهم وصححه أبو عُمر رحمهم الله تعالى.

وذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى أن أول لواء عقده رسول الله ﷺ لواءُ عُبَيْدَة بن الحارث. ثم قال: «واختلف الناس في راية عبيدة وحمزة فقال بعض الناس كانت راية حمزة قبل راية عبيدة وقال بعض الناس راية عبيدة كانت قبل راية حمزة، وذلك أن رسول الله ﷺ شيَّعهما جميعاً فأُشْكِل ذلك على بعض الناس». انتهى. فخرج حمزة رضي الله تعالى عنه بمن معه يَعْتَرِض عِيرَ قريش التي جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل في ثلثمائة رجل وقيل في مائة وثلاثين، فبلغ سيف البحر ناحية العِيص من أرض جُهَيْنَة. فلما تصَافُّوا حَجَزَ بينهم مَجْدِيّ بن عَمْرو الجُهَني وكان حليفاً للفريقين جميعاً فأطاعوه وانصرفوا ولم يقتتلوا فتوجه أبو جهل في أصحابه وعِيرِه إلى مكة وانصرف حمزة وأصحابه رضي الله تعالى عنهم إلى المدينة. ولما عاد حمزة بمن معه إلى رسول الله ﷺ أخبره بما حَجَزَ بينهم مَجْدِيّ بن عَمْرو وأنهم رأوْا منه نَصَفَة. وقَدِم رَهْطُ مَجْدِيّ على رسول الله ﷺ فكساهم وقال ﷺ فيما ذكره محمد بن عُمَر عن مَجْدِيّ أيضا: «[إنه ـ ما] علمت ـ **ميمون النقيبة مُبَارَك الأمر**» أو قال: «رشيد الأمر».

تنبيهات

الأول: ذكر ابن سعد هذه السرية والتي بعدها قبل غزوة الأبواء، وذكرهما ابن إسحاق قبل غزوة بواط.

الثاني: اختُلِف في أي شهر كانت؟ فقال المدائني: في ربيع الأول سنة اثنتين، وقال أبو عمرو: بعد ربيع الآخر.

الثالث: في بيان غريب ما سبق:

سِيف البحر: بكسر السين المهملة، ساحله العِيص: بكسر العين المهملة وسكون التحتية فصاد مهملة.

عُبَيْدَة: بضم أوله وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالهاء.

جُهَيْنَة: بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتية وبالنون. حَجَزَ: بفتح المهملة والجيم والزاي: فَصَل.

مَجْدِيّ: بفتح الميم وسكون الجيم فدال مهملة فياء كياء النَّسَب، لا يُعْلَم له إسلام.

حليفاً: أي محالفاً ومسالماً. أبو مَرْثَد: بفتح الميم وسكون الراء وفتح الثاء المثلثة، واسمه كَنَّاز بفتح الكاف وتشديد النون وبالزاي.

الغَنَوِيّ: بفتح الغين المعجمة والنون وبالواو.

الحُصَيْن: بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين.

مأمون النقيبة: مُنْجِح الأفعال مُظَفَّر المطالب، والنَّقيبة: بفتح النون وكسر القاف وسكون التحتية وبالهاء. الخليقة والطبيعة أو النفس.

الباب الخامس

في سرية عبيدة بنَ الحارث بن المطلب بن عبد مناف، رضي الله تعالى عنه إلى بطن رابغ في شوال من السنة الأولى في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم أنصاري

وكان لِواؤه أبيض حمله مِسْطَح بن أُثَاثة بن عَبّاد بن المطلب بن عبد مناف رضي الله تعالى عنه. فخرج فَلَقِيَ أبا سفيان بن حرب، في أُنَاس من أصحابه على ماء يقال له أحياء من بطن رابغ [على عشرة أميال من الجُحْفَة وأنت تريد قُدَيْداً على يسار الطريق، وإنما] نَكَبُوا عن الطريق لِيَرعَوْا ركابهم. وأبو سفيان في مائتين وعلى المشركين أبو سفيان، قال محمد بن عُمَر: وهو الثبت عندنا، وقيل مِكْرَز بن حَفْص، وقيل عِكْرِمَة بن أبي جهل. فكان بينهم الرَّمْي، ولم يَسُلُّوا سيفاً ولم يَصْطَفُّوا للقتال، وإنما كانت بينهم المناوشة إلا أن سعد بن أبي وَقّاص رضي الله تعالى عنه رمى بسهم في سبيل الله فكان أول سهم رُمِي به في الإسلام فنَثَر كِنَانته وتَقَدَّم أَمام أصحابه وقد تَتَرَّسُوا عنه فرَمَى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهماً ما منها سهم إلا ويجرح إنساناً أو دابَّة. ولم يكن بينهم يومئذ إلا هذا، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم. وفَرَّ من الكفار إلى المسلمين المِقْداد بن عَمْرو البَهْرَاني حليف بني زُهْرَة، وعُتْبَة بن غَزْوان المازني حليف [بني نوفل] بن عبد مناف، وكانا مُسْلِمَيْن، ولكنهما خرجا ليتوصَّلا بالمشركين.

تنبيهان

الأول: كذا ذكر غير واحد من أهل السير أن هذه السرية كانت في السنة الأولى. وذكر أبو الأسود في مغازيه، ووصله ابن عائذ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ لما وَصَلَ إلى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلا، فذكر القِصَّة، فتكون في السنة الثانية، وصَرَّح به بعض أهل السير، فالله تعالى أعلم.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

بطن رابغ: بالموحدة المكسورة والغين المعجمة.

مِسْطَح: بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء وبالحاء المهملات.

أُثَاثة: بضم أوله وثاءين مثلثتين مخففتين.

عَبّاد: بفتح أوله وتشديد الموحدة.

أحياء: جمع حَيّ ماء أسفل ثنية المِرَّة بكسر الميم وتشديد الراء وخفَّفها يَاقوت.

مِكْرَز: بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء. لا يُعْلَم له إسلام، وانفرد ابن حبّان بذكره في الصحابة، فإنه قال: يقال له صحبة، فإن صَحَّ ذلك فقد أسلم وإلا فلا.

الأَخْيَف: بالخاء المعجمة والتحتية وبالفاء وزن أحمد.

المناوشة في القتال تداني الفريقين وأخذ بعضهم بعضاً.

الكِنانة: بكسر الكاف جُعْبَة السهام من أَدَم.

على حاميتهم: أي جماعتهم، والحامية الرجل يحمي القوم، وهو على حامية القوم أي آخر من يحميهم في مُضِيِّهم.

المِقْداد: بكسر الميم وسكون القاف وبدالين مهملتين.

البَهْرَاني: بفتح الموحدة وسكون الهاء فراء فنون.

بنو زُهْرَة: بضم الزاي وسكون الهاء.

عُتْبَة: بضم العين المهملة وسكون الفوقية وبالموحدة.

غَزْوَان: بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي وبالواو والنون.

المازني: بكسر الزاي والنون.

الباب السادس

في سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه في عشرين رجلا من المهاجرين رضي الله تعالى عنهم

وقيل: في ثمانية إلى الخَرَّاز في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة.

وعُقِد له لواء أبيض حمله المِقْداد بن عمرو البَهْرَاني، وعَهِد إليهِ رسول الله ﷺ ألاّ يجاوز الخَرَّاز، يعترض عِيراً لقريش تَمُرّ بهم، فخرجوا على أقدامهم يَكْمُنون النهار ويسيرون الليل حتى صَبَّحوا صُبْحَ خمس الخَرَّاز من الجُحْفَة قريباً من خُمّ فوجدوا العِير قد مَرَّت بالأمس فانصرفوا إلى المدينة.

تنبيهان

الأول: ذكر محمد بن عُمَر وابن سعد هذه السرايا جميعها في السنة الأولى من الهجرة وجعلها ابن إسحاق في السنة الثانية.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

الخَرَّاز: بفتح الخاء المعجمة وتشديد الزاي الأولى، وادٍ يصب في الجُحْفَة. في ذي القِعْدَة: بكسر القاف وفتحها. يَكْمُنون: بضم الميم: يستترون.

الجُحْفَة: بضم الجيم وسكون الحاء المهملة وبالفاء قرية كبيرة على خمس مراحل من مكة ونحو ثلثي مرحلة من المدينة الشريفة.

خُمّ: بضم الخاء المعجمة اسم غدير أو واد بقرب الجُحْفَة.

الباب السابع

في سرية فيها سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه

روى الإمام أحمد عنه قال: لما قَدِم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جُهَيْنَة فقالوا له: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأَوْثِق لنا حتى نأْتيكَ وقَوْمُنا. فأَوثق لهم فأَسلموا. قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في رَجَب [أي من السنة الثانية] ولا نكمل مائة. وأخبرنا أن نُغِير على حَيّ من كِنانة إلى جَنْب جُهَيْنَة، فَأَغَرْنا عليهم، فكانوا كثيراً، فلجأْنا إلى جهينة فمنعونا، وقالوا: لِمَ تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقال بعضنا لبعض: ما تَرَوْن؟ فقال بعضنا: نأْتي رسول الله ﷺ فنخبره. وقال قوم: لا بل نقيم ههنا. وقُلْتُ أَنا في أُناس معي: لا، بل نأْتي عِيرَ قريش فنقتطعها. فانطلقنا إلى العِير [وكان الفَيْء إذ ذاك من أَخذه فهو له] وانطلق أصحابنا إلى رسول الله ﷺ، فأُخبروه الخبَرَ، فقام غضبان مُحْمَرّاً وَجْهُه فقال: «أَذهبتم من عندي جميعاً وقمتم متفرقين وإنما أهلك من كان قَبْلَكم الفُرْقَة، لأبعثنَّ عليكم رجلاً ليس بخيركم، أَصْبَرَكم على الجوع والعطش»(١). فبعث علينا عبد الله بن جحش أميراً فكان أول أمير في الإسلام.

الباب الثامن

في سرية أمير المؤمنين المجدَّع في الله تعالى عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه في رجب من السنة الثانية إلى بطن نخلة

دعاه رسول الله ﷺ حين صلى العِشاء فقال: «وافِ مع الصبح، مَعَكَ سِلاَحُك، أَبْعَثْكَ وجها». قال: فوافَيْتُ الصبح وعَلَيّ قوسي وسيفي وجعبتي ومعي دَرَقَتِي. فصلى رسول الله ﷺ الصبح بالناس، ثم انصرف، فيجدني قد سَبَقْتُ واقفاً عند بابه، وأَجد نَفَراً من قريش. فدعا رسول الله ﷺ أُبَيّ بن كَعْب، فدخل عليه، فَأَمَرَهُ فكتب كتاباً، ثم دعاني فأعطاني صحيفة من أَدِيم خَوْلاَنِيّ وقال: «قد استعملتك على هؤلاء النَّفَر، فامْضِ حتى إذا سِرْتَ ليلتين فانظر كتابي هذا ثم امْضِ لما فيه». قلت: يا رسول الله: أي ناحية؟ قال: «اسْلُكْ النجدية تؤم رُكْبَة». قال ابن إسحاق وأبو عمرو: وأرسل معه ثمانية رهط من المهاجرين، ليس فيهم أنصاري وهم: أبو حُذَيْفَة بن عُتْبَة، وسعد بن أبي وقاص، وعُكَّاشة بن مِحْصَن، وعُتْبَة بن غَزْوَان، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله الليثي، وخالد بن البُكَيْر، وسُهَيْل بن بيضاء.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٦/٦٩ وعزاه لأحمد وقال: ورواه ابنه عنه وجادة ووصلة عن غير أبيه ورواه البزار وفيه المجالد بن سعيد وهو ضعيف عند الجمهور ووثقه النسائي في رواية وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

وذكر ابن عائذ فيهم: سهل بن بيضاء ولم يذكر سهيلاً ولا خالداً ولا عُكّاشة. وذكر ابن سعد فيهم المِقْداد بن عمرو - وهو الذي أسر الحَكَم بن كيسان - وقال ابن سعد: كانوا اثني عشر [من المهاجرين] كل اثنين يَعْتَقِبَان بعيراً. وروى الطبراني بسند حَسَن عن زِرّ [بن حُبَيْش] رحمه الله تعالى قال: «أول راية رُفِعت في الإسلام راية عبد الله بن جحش».

فانطلق عبد الله بن جحش حتى إذا كان مسيرة يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «سِرْ باسم الله وبركاته ولا تُكْرِهَنّ أحداً من أصحابك على السير معك، وامْضِ لأمري فيمن تَبِعك حتى تأتي بطن نخلة فتَرَصَّد عِيرَ قريش وتَعَلَّم لنا أَخبارهم». فلما نظر في الكتاب قال: سمعاً وطاعة. وقرأه على أصحابه وقال: «[قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة أَرْصُد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر] وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كَرِه ذلك فليرجع. [فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ]» فقالوا أجمعون: «نحن سامعون مطيعون لله تعالى ولرسوله ﷺ ولَك، فَسِرْ على بركة الله».

فسار ومعه أصحابه لم يتخلف منهم أحد، وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمكان بمَعْدِن فوق الفُرع يقال له بحران أَضَلَّ سعد بن أبي وقاص وعُتْبَة بن غَزْوَان بعيراً لهما كانا يعتقبانه، فَتَخَلَّفَا في طلبه يومين، ولم يشهدا الموقعة، وقَدِما المدينة بعدهم بأيام. ومضى عبد الله بن جحش في بقية أصحابه حتى نزل بنخلة. فمَرَّت به عِيرٌ لقريش تحمل زبيباً وَأَدَماً وتجارةً من تجارة قريش جاؤوا بها من الطائف، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وأخوه نوفل بن عبد الله، وقيل بل أخوهما المغيرة، والحَكَم بن كَيْسَان مولى هشام بن المغيرة.

فلما رآهم أصحاب العِير هابوهم وأنكروا أمرهم، وقد نزلوا قريباً منهم. فحَلَق عُكّاشة بن مِحْصَن رأسه، وقيل واقد بن عبد الله، ثم وافى ليُطَمْئِن القوم. فلما رَآوْه قالوا: لا بأْسَ عليكم منهم، قَوْمٌ عُمَّار. فأَمِنُوا وقَيَّدوا ركابهم وسرحوها وصَنَعُوا طعاماً.

فاشتور المسلمون في أمرهم وذلك في آخر يوم من رجب ويقال أول يوم من شعبان وقيل في آخر يوم من جمادى الآخرة. فشكُّوا في ذلك اليوم أهو من الشهر الحرام؟ أم لا. فقالوا: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة لَيَدْخُلُنَّ الحَرَم فَلَيَمْتَنِعُنَّ منكم به ولئن قتلتموهم لَتَقْتُلُنَّهُم في الشهر الحرام. فَتَرَدَّدَ القوم وهابوا [الإقدام عليهم]. ثم شجَّعوا أنفسهم. وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأَخْذِ ما معهم.

فرمى واقد بن عبد الله [التميمي] عَمْرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وشَدَّ المسلمون عليهم فأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة، والحَكَم بن كَيْسان، أسره المقداد بن عَمْرو،

وأعجز القوم نَوْفل بن عبد الله بن المغيرة، عند من يقول إنه كان معهم، ومن قال إن نوفلاً لم يكن معهم جعل الهارب المغيرة.

وحاز المسلمون العِير، وعَزَل عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ خُمُس تلك الغنيمة، وقَسَّم سائرها بين أصحابه، فكان أَوَّلَ خُمُس خُمِّس في الإسلام، وأَوَّل غنيمة، وَأَوَّل قتيل بأيدي المسلمين عمرو بن الحضرمي، وَأَوَّل أسير كان في الإسلام عثمان بن عبد الله، والحَكَم بن كيسان.

وذلك قبل أن [يُفْرَض الخُمُس من المغانم، فلما أَحَلَّ الله تعالى الفَيْء بعد ذلك وأَمرَ بِقَسْمه وفَرْض الخُمُس فيه] وقع على ما كان صَنَع عبد الله بن جحش في تلك العِير، وقال بعضهم: بل قَدِموا بالغنيمة كلها. وروى الطبراني بسند حَسَن عن زِرّ [بن حُبَيْش] رضي الله تعالى عنه قال: أول مالٍ خُمِّس في الإسلام مال عبد الله بن جحش.

ثم سار عبد الله بالعِير والأسيرين إلى المدينة، فلما قَدِم على رسول الله ﷺ قال: «ما أَمَرْتكُم بقتالٍ في الشهر الحرام». فأوقف العير والأسيرين وأَبَى أن يأخذ من ذلك شيئاً. وَيُقَال إن رسول الله ﷺ أَوْقَف غنائم، أهل نَخْلَة حتى رجع من بدر فقَسَمها مع غنائم أهل بدر، وأعطى كل قوم حَقَّهم. فلما قال رسول الله ﷺ ذلك سُقِط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعَنَّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا.

وقالت قريش: «قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال». فقال: «من يَرُدّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة، إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان»؟ وقال يهود تفاءل بذلك على رسول الله ﷺ: «عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله: عَمْرو، عُمِرَتْ الحرب، والحضرمي حَضَرَتْ الحرب، وواقد بن عبد الله، وَقَدَتْ الحرب».

فجعل الله تعالى ذلك عليهم لا لهم. فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿**يَسأَلُونَكَ عَنِ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَال فِيه، قُلْ قِتَالٌ فِيه كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَكُفرٌ به والمَسْجِدِ الحَرَامِ وإِخراجُ أَهْلِهِ منه أَكْبَرُ عند الله والفِتْنَةُ أَكْبَرُ من القَتْلِ**﴾ [البقرة ٢١٧]. أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صَدُّوكم عن سبيل الله مع الكُفْر به وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم أَهْلُه أكبر عند الله من قَتْلِ من قَتَلْتُم منهم. ﴿**والفِتْنَةُ أَكْبَرُ من القَتْلِ**﴾ وقد كانوا يَفْتِنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه فذلك أكبر عند الله من القتل. فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفَرَّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق قبض رسول الله ﷺ الغنيمة أو خُمُسَها والأسيرين.

وبعثت إليه قريش في فِداء الأسيرين فقال رسول الله ﷺ: «لا نُفْدِيكموها حتى يَقْدُم صاحبانا ـ يعني سعد بن أبي وقاص وعُتْبَة بن غَزْوَان ـ فإنا نخشاكم عليهما فإن تقتلوهما نَقْتُلْ صاحبيكم». فقَدِم سعد وعُتْبَة، فَأَفْدَى رسول الله ﷺ الأسيرين عند ذلك بأربعين أوقية كل أسِير، فأما الحَكَم بن كيسان فأسلم وحَسُن إسلامه وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتِل يوم بئر معونة شهيداً. وأما عثمان بن عبد الله فلَحِق بمكة فمات كافراً.

فلما تَجَلَّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طَمِعوا في الأجر فقالوا: «يا رسول الله أَنَطْمَعُ أن تكون لنا غزوة نُعْطَى فيها أَجْرَ المجاهدين»؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [البقرة ٢١٨] فَوَضَعَهُم الله تعالى من ذلك على أعظم الرجاء.

تنبيهات

الأول: في هذه الغزوة سُمِّي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين كما ذكره ابن سعد، والقطب وجزم أبو نُعَيْم بأنه أول أمير أَمَّره رسول الله ﷺ، ويؤيده ما سبق عن سَعْد [بن أبي وقاص] في الباب قبله.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

بطن نخلة.

الأَدِيم: بوزن عظيم الجلْد.

خَوْلاَني: بفتح الخاء المعجمة.

أَنْشُرْ كتابي: افْتَحْه.

النَّجْدِيَّة: منسوبة إلى نَجْد، وهو ما ارتفع من أرض تهامة إلى العراق، وهو مُذَكَّر. يَؤُمّ: يَقْصُد.

رُكْبَة: بضم الراء وسكون الكاف وبالموحدة.

ابن عُتْبَة: بضم العين المهملة وسكون الفوقية وبالموحدة.

عُكَّاشة: بضم العين المهملة وتشديد الكاف أفصح من تخفيفها.

مِحْصَن: بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين وبالنون.

البُكَيْر بالتصغير.

سُهَيْل: بالتصغير ووقع في بعض نسخ العيون مُكَبّراً والصواب الأول.

تَعَلَّم بمعنى اعْلَمْ.

الحِجَاز ما بين نجد والسَّرَاة.

الفُرْع: بضم الفاء وسكون الراء وبالعين المهملة من أضخم أَعْرَاض المدينة.

بُحْرَان: بضم الموحدة وسكون الحاء المهملة وبالراء والنون.

الحَضْرَمي: بالحاء المهملة والضاد المعجمة.

وافِ: أَشْرِفْ.

واقد: بالقاف والدال المهملة بلفظ اسم الفاعل.

كَيْسَان: بفتح الكاف وسكون التحتية وبالسين المهملة وبالنون.

أَمِنُوا: بفتح أوله وكسر الميم.

أَفْلَتَ: بفتح الهمزة، القَوْمَ بالنصب مفعول أَفْلَتَ.

نَوْفَلٌ: مرفوع فاعل.

عُمَّار: بضم العين المهملة وتشديد الميم.

سُقِط في أيديهم: بالبناء للمفعول، أي نَدِموا، يقال ذلك لكل مَنْ نَدِم.

وقال يهود تَفَاءل بذلك: بالفوقية المفتوحة وحذفت التاء الثانية، وبالفاء والهمزة من الفأل.

عُمِّرت الحرب: بضم العين المهملة وكسر الميم [المشددة وبالراء والتاء المفتوحة تاء الخطاب]. والله تعالى أعلم.

الباب التاسع

في بعث عمير بن عدي الخطمي رضي الله تعالى عنه لخمس ليال بقين من رمضان من السنة الثانية إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، زوجة يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه وتعيب الإسلام وتقول الشعر

وكانت تَطْرَح المحايض في مسجد بني خطْمة. فأهْدَرَ رسول الله ﷺ دَمَها فنذر عُمَيْر بن عَدِيّ لئن رجع رسول الله ﷺ من بَدْر إلى المدينة لَيَقْتُلَنَّها فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر، جاء عُمَيْر ليلاً حتى دخل عليها بَيْتَها، وحولها نَفَرٌ من وُلْدِها نيام، منهم من ترضعه في صدرها، فَجَسَّها بيده وكان ضرير البَصر، فنَحَّى الصَّبِيَّ عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أَنْفَذَه من ظهرها. وروى ابن عساكر في ترجمة أحمد بن أحمد البلخي، من تاريخه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ألاَ رَجُلٌ يَكْفِينَا هذه». فقال رجل من قومها: أنا، فأتاها وكانت تَمَّارة. فقال لها: أَعِنْدَك أَجْوَدُ من هذا التَّمْر؟ قالت: نعم، «فَدَخَلْتُ إلى بيت لها، وانْكَبَّتْ لتأخذ شيئاً فَالْتَفَتُّ يميناً وشمالاً فلم أَرَ أحداً فضربتُ رأسها حتى قتلتُها». انتهى.

ثم أتى المسجد فصلى الصبح مع رسول الله ﷺ، فلما انصرف نظر إليه رسول الله ﷺ وقال: «أقتلتَ ابنة مروان؟» قال: نعم فهل عَلَيّ في ذلك شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا ينتطح فيها عنزان» فكانت هذه الكلمة أول ما سُمِعت من رسول الله ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نَصَر اللهَ عز وجل ورسوله فانظروا إلى عُمَيْر بن عَدِيّ». فقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «انظروا إلى هذا الأعمى الذي يَسْرِي في طاعة الله تعالى». فقال رسول الله ﷺ: «لا تَقُلْ الأعمى ولكن البصير». فسَمَّى رسول الله ﷺ عُمَيْراً البصير. فلما رجع عُمَيْر وجد بنيها في جماعة يدفنونها. فقالوا: يا عُمَيْر أنت قتلتها؟ قال: «نعم، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنْظِرون، فوالذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم». فيومئذ ظهر الإسلام في بني خَطْمَة وكان يستخفي بإسلامه فيهم من أسلم فكان أول من أسلم من بني خَطْمَة عُمَيْر بن عَدِيّ، وهو الذي يدعى القارئ.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الخَطْمِيّ: بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة [وبالميم وياء النسب].

عَصْمَاء: بفتح العين وسكون الصاد المهملتين.

جَسَّها: لمَسَها بيده.

تَمَّارة: أي تبيع التمر.

لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزَان: [لا يُعَارِض فيها مُعَارِض] يعني أن قتلها هَيِّنٌ.

الباب العاشر

في بعثه صلى الله عليه وسلم سالم بن عمير رضي الله تعالى عنه في شوال من السنة الثانية إلى أبي عفك اليهودي من بني عمرو بن عوف وكان شيخاً كبيراً قد بلغ مائة وعشرين سنة

وكان يُحَرِّض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لي بهذا الخبيث»[(١)]. فقال سالم بن عُمَيْر، وكان قد شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأحد البكائين وتوفي في خلافة معاوية: «عَلَيّ نَذْر أن أَقتل أبا عَفَك أو أموت دونه».

فأَمْهَلَ يطلب له غِرّة. فلما كانت ليلة صائفة نام أبو عَفَك بفِنَاءِ مَنْزِله وعَلِمَ به سالم بن عُمَيْر، فأقبل ووضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى خَشَّ في الفِرَاشِ وصاح عدو الله فثاب إليه ناسٌ ممن نَجَم نفاقهم وهم على قوله، فأَدخلوه منزله وقبروه، فقالت أُمَامة المُريديَّة في ذلك:

تُكَذِّبُ دِينَ اللهِ والمَرْءِ أَحمدا ... لَعَمْرُ الذي أَمْنَاكَ أن بِئْسَ ما يُمْنِي

حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً ... أَبا عَفَكٍ خُذْهَا على كِبَرِ السِّنِّ

تنبيهات

الأول: ذكر هذه القصة محمد بن عُمَر وابن سعد، وتبعهما في المورد والإمتاع بعد التي قبلها. وقَدَّمها ابن إسحاق وأبو الربيع.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

أبو عَفَك: بفتح العين المهملة والفاء الخفيفة وبالكاف، يقال رجل أعفك بَيِّنُ العَفَك أي أحمق.

أحد البَكَّائين: تَقَدَّم الكلام عليهم في أوائل غزوة تبوك.

الغِرَّة: بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء المفتوحة: الغَفْلَة.

بفِنَاء المنزل: بكسر الفاء وبالنون والمَدّ، ما امتَّد من جوانبه.

صائفة: حَارَّة.

(١) انظر البداية والنهاية ٢٢١/٥.

خَشّ في الفراش: دخل فيه.

ثاب: بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة: أي اجتمع.

نَجَمَ: بفتح النون والجيم أي ظَهَر وطَلع.

أُمَامَة: بضم أوله ويقال فيه أُسَامة.

المُرِيدية: بضم الميم وكسر الراء كذا في التبصير تبعاً للذهبي، وقال في الأنساب بفتحها، وعليه جرى ابن الأثير، وبسكون التحتية وبالدال المهملة بعدها تحتية مُشَدَّدَة، بَطْنٌ من بَلِيّ.

لَعَمْرُ زيد: أي وحياته.

حَبَاكَ: بفتح المهملة والموحدة أي أعطاك.

حنيف: مسلم.

على كِبَر السِّنّ: تقدم أنه بلغ مائة وعشرين سنة.

الباب الحادي عشر

في سرية محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه إلى كعب بن الأشرف وذلك لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في السنة الثالثة

كَانَ كَعْبٌ يَهُودِيّاً.

قال ابن عُقْبَة هو من بني النضير، يُكْنَى أبا نَائِلَة. وقال ابن إسحاق وأبو عُمَر هو من بني نَبْهَان من طيئ، وأمه من بني النضير. وكان شاعراً يُؤْذي رسول الله ﷺ، ويهجو الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ويُحَرِّض عليهم الكُفَّار.

وروى ابن سعد عن الزهري في قوله تعالى: ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ من الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ من قَبْلِكُم وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كثيراً**﴾ [آل عمران ١٨٦] قال هو كعب بن الأشرف فإنه كان يُحَرِّض المشركين على رسول الله ﷺ وأصحابه يعني في شعره يهجو النبي ﷺ وأصحابه.

ولما قَدِم زَيْدُ بن حارثة وعبد الله بن رَوَاحة بالبشارة من بدر بقتل المشركين وأسْر مَنْ أُسِر منهم، قال كَعْب: «أَحَقٌّ هذا؟ أَتَرَونَ محمداً قتل هؤلاء الذين يُسَمِّي هذان الرجلان؟ - يعني زيداً وعبد الله بن رواحة - فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبَطْنُ الأرضِ خَيْرٌ من ظهرها». فلما تَيَقَّن عَدُوّ الله الخَبَر، ورأى الأَسْرَى مُقَرَّنين كُبِت وذَلّ.

ثم قال لقومه: «ما عندكم؟» قالوا: «عداوته ما حيينا». قال: «وما أنتم وقد وَطِئ قَوْمَه وأصابهم. ولكن أخرج إلى قريش فأُحَرِّضها وأبكي قتلاها لعلهم ينتدبون فأخرج معهم». فخرج حتى قَدِم مكة، فوضع رَحْلَه عند المطلب بن أبي وَدَاعة [بن ضُبَيْرَة] السَّهْمِي، وعنده عاتِكة بنت أُسَيْد بن أبي العِيص، وأسلمت هي وزوجها بعد ذلك. فأنزلته وأكرمته، وجعل يُحَرِّض على رسول الله ﷺ، ويُنْشِد الأشعار ويبكي أصحاب القَلِيب من قريش الذين أُصِيبوا ببدر.

قال محمد بن عُمَر رضي الله تعالى عنه: ودعا رسول الله ﷺ حَسَّان بن ثابت وأخبره بنزول كعب على من نزل عليه فقال حَسَّان:

أَلاَ أَبْلِغَنْ عَنِّي أَسِيداً رِسَالَةً ... فَخَالُكَ عَبْدٌ بالشراب مُجَرَّبُ
لَعَمْرُكَ ما أَوْفَى أَسِيدٌ لِجَارِهِ ... ولا خَالِدٌ وَابْنُ المُفَاضَةِ زَيْنَبُ
وعَتَّابُ عَبْدٌ غَيْرُ مُوفٍ بِذِمَّةٍ ... كَذُوبٌ شُئُونِ الرَّأْسِ قِرْدٌ مُدَرَّبُ

وذكر ابن عائذ أن كعباً حالف قريشاً عند أستار الكعبة على قتال المسلمين. ورُوِيَ عن عُرْوَة أن قريشاً قالت لكعب: أَدِيننا أَهْدَى أم دين محمد؟ قال: دينكم.

فلما بلغها هجاؤه نبذت رَحْلَه وقالت: مالنا ولهذا اليهودي ألا ترى ما يصنع بنا حَسَّان؟ فتَحَوَّل، فكلما تحول عند قوم دعا رسول الله ﷺ حَسَّاناً فقال: «ابن الأشرف نزل على فلان». فلا يزال يهجوهم حتى ينبذ رَحْلَه. فلما لم يجد مَأْوىً قَدِمَ المدينة. انتهى.

قال ابن إسحاق: ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشَبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم.

وروى عبد الله بن إسحاق الخراساني في فوائده عن عِكْرِمَة أن كعباً صنع طعاماً وَواطَأَ جماعة من اليهود أن يدعو النبي ﷺ إلى وليمة، فإذا حَضَر فَتَكُوا به. ثم دَعَاهُ فجاء ومعه بعض أصحابه. فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه فرجع فلما فقدوه تَفَرَّقُوا. انتهى.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكْفِنِي بن الأشرف بما شئت في إعلانه الشَّرّ»(١). وقال ﷺ، كما في الصحيح: «مَنْ لي بكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله»(٢). وفي رواية: «فقد آذانا بِشِعْرِه وقَوَّى المشركين علينا». فقال محمد بن مَسْلَمة: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله. قال: «أنت له فافْعَل إن قَدَرْتَ على ذلك». [وفي رواية عُرْوَة عند ابن عائذ فسكت رسول الله ﷺ، فإن قلت (بهذا) احْتُمِل أَن يكون سَكَت أَولاً ثم أَذِن]. فرجع محمد بن مسلمة، فمكث ثلاثاً لا يأْكل ولا يشرب إلا ما تَعْلَقُ به نَفْسُه. فذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاه فقال له: «لِمَ تَرَكتَ الطعام والشراب؟» فقال: يا رسول الله قلتُ لك قولاً لا أدري هل أَفِيَنَّ لك به أم لا. فقال: «إنما عليك الجَهْد». وقال رسول الله ﷺ: «شاوِرْ سعد بن مُعَاذ في أمره» فشاوره فقال له: تَوَجَّه إليه واذكر له الحاجة وسَلْهُ أَن يُسْلِفَكُمْ طَعَاماً.

فاجتمع [في قتله] محمد بن مسلمة، وعَبَّاد بن بِشْر، وأبو نائلة سِلْكان بن سلامة، والحارث بن أوس بن مُعَاذ، بعثه عَمُّه سعد بن مُعَاذ، وأبو عَبْس بن جَبْر، فقالوا: «يا رسول الله نحن نقتله فَأْذَنْ لنا فَلْنَقُلْ شيئاً فإنه لا بُدَّ لنا من أن نقول». فقال رسول الله ﷺ: «قولوا ما بدا لكم فأنتم في حِلٍّ من ذلك». فخرج أبو نائلة كما قال جُلّ أئمة المغازي وكان أخا كعب من الرَّضَاعة. وفي الصحيح خرج إليه محمد بن مسلمة.

فلما رآه كعب أنكر شأْنه وذُعِر منه. فقال أبو نائلة أو محمد بن مسلمة: حدثت حاجة.

---

(١) اخرجه البيهقي في الدلائل ١٩١/٣.

(٢) اخرجه البخاري ٧/ ٣٩٠(٤٠٣٧) ومسلم في كتاب الجهاد (١١٩) وأبو داود (٢٧٦٨).

فقال كعب وهو في نادي قومه وجماعتهم: ادْنُ إليّ فَخبِّرْني بحاجتك. فتحدثنا ساعة، وأبو نائلة أو محمد بن مسلمة يناشده الشعر. فقال كعب: ما حاجتك، لعلك تحب أن تقوم من عندنا. فلما سمع القوم قاموا.

فقال محمد بن مسلمة أو أبو نائلة: «إن هذا الرجل قد سألنا صَدَقة، ونحن لا نجد ما نأْكل، وإنه قد عَنَّانا». قال كعب: «وأيضاً والله لَتَمَلُّنَّه». وفي غير الصحيح: فقال أبو نائلة: «إني قد جئتك في حاجة أريد أن أذكرها لك فاكتُمْ عَنِّي». قال: «أفعل». قال: «كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء، عَادَتْنَا العرب ورَمَوْنا عن قَوْسٍ واحدة، وقُطِعت عنا السُبُل، حتى ضاع العيال وجُهِدت الأنفس، وأصبحنا قد جُهِدْنا وجُهِدَ عِيَالُنا». فقال كعب بن الأشرف: «أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمْرَ سَيَصِيرُ إلى ما أقول، ولكن اصْدُقْنِي ما الذي تريدون من أمره؟» قال: «خِذْلانه والتنحي عنه».

قال: «سَرَرْتَني ألم يَأْن لكم أن تعرفوا ما عليه من الباطل؟». فقال له أبو نائلة أو محمد بن مسلمة: «معي رجال من أصحابي على مثل رأْيي، وقد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك تمراً وطعاماً وتحسن إلينا، ونرهنك ما يكون ذلك فيه ثقة». وفي صحيح مسلم[1]: «وواعده أن يأْتيه بالحارث وأبي عَبْس بن جَبْر، وعَبَّاد بن بِشْر. قال [كعب]: «أما والله ما كنت أُحب يا أبا نائلة أن أرى بك هذه الخَصَاصة وإن كنت من أكرم الناس، على ماذا ترهنوني؟ [أترهنوني] أبناءكم؟» قال: «إنا نستحي أن يُعَيَّر أبناؤُنا فيُقَال؛ هذا رهينة وسَقٌ، وهذا رهينة وَسْقَيْنِ». قال: «فارهنوني نساءكم». قال: «لقد أردت أن تَفْضَحَنا وتُظْهِرَ أَمْرَنا، أنت أجمل الناس ولا نأْمنك، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك، ولكنا نرهنك من السلاح والحَلْقة ما ترضى به، ولقد علمت حاجتنا إلى السلاح اليوم». قال كعب: «إن في السلاح لَوَفاء». وأراد أبو نائلة ألاَّ يُنكَر السلاح إذا جاؤوا به. فسَكَن إلى قوله وقال: «جِئْ به متى شئت».

فرجع أبو نائلة من عنده على ميعاد. فأتى أصحابه فأخبرهم، فأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى لميعاده. ثم أَتَوا رسول الله ﷺ عِشَاءً فأخبروه فمشى [معهم].

وروى ابن إسحاق والإمام أحمد بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ مشى معهم إلى بقيع الفَرْقَد، ثم وَجَّههم وقال:«انطلقوا على اسم الله، اللهم أَعِنْهُم» وعند ابن سعد:«امْضوا على بركة الله وعَوْنِه». ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته في ليلة مُقْمرة مثل النهار، ليلة أربع عشرة من شهر ربيع الأول.

---

(١) اخرجه مسلم في الموضع السابق في باب قتل كعب بن الأشرف.

فمضوا حتى انتهوا إلى حصن ابن الأشرف. وفي الصحيح: فقال محمد بن مسلمة - وفي كتب المغازي أبو نائلة - لأصحابه: «إذا ما رآكم كعب فإني قائل بِشعَره فَأَشُمُّه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه».

فهتف أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهد بِعُرْس، فوثب في مِلْحَفَة، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: «إنك امرؤ مُحَارِب وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة». فقال: «إنه ميعاد عَلَيّ وإنما هو أخي أبو نائلة لو وجدني نائماً لما أيقظني». فقالت: «والله إني لأعرف في صوته الشَّرّ». فكلَّمهم من فوق البيت. وفي رواية: «أسمع صوتاً كأنه يَقْطُر منه الدَّمُ».

قال: فقال لها كعب: «إن الكريم لو دُعِي إلى طعنة ليلاً لأجاب». ثم نزل إليهم مُتَوَشِّحاً بمِلْحَفَةٍ وهو يَنْفَح منه ريح الطيب. فجاءهم ثم جلس فتحدث معهم ساعة حتى انبسط إليهم. فقالوا: «هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شِعْب العجوز فنتحدث فيه بقية ليلتنا هذه؟» فقال: «إن شئتم». فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة. فقال أبو نائلة: «نَجِدُ منك ريح الطِّيب». قال: «نعم تحتي فلانة من أعطر نساء العرب». قال: «أفتأذن لي أن أَشم [رأسك]؟» قال: نعم. فأدخل أبو نائلة يده في رأس كعب ثم شَمَّ يده فقال: «ما رأيت كالليلة طيباً أعْطَرَ قط».

وإنما كان كعب يدهن بالمِسْك الفَتِيت بالماء والعَنْبَر حتى يَتَلَبَّد في صِدْغَيه وكان جعداً جميلاً. ثم مشى أبو نائلة ساعة ثم عاد لمثلها [حتى اطمأن إليه وسُلْسِلَتْ يده في شعره] فأخذ بقرون رأسه وقال لأصحابه: «اضربوا عدوَّ الله». فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئاً ورَدَّ بعضها بعضاً. ولصق بأبي نائلة. قال محمد بن مسلمة: «فذكرت مِغْوَلاً كان في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تُغْنِي شيئاً، فأخذته وقد صاح عدو الله عند أول ضربة صيحة لم يبق حولنا حِصْنٌ من حصون يهود إلا أوقدت عليه نار». قال: «فوضعته في ثُنَّته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله».

وعند ابن سعد: فطعنه أبو عَبْس في خاصرته وعلاه محمد بن مسلمة [بالسيف] وقد أُصيب الحارث بن أوس بن مُعَاذ فجُرِح في رِجْله، أصابه بعض أسياف القوم. فلما فَرَغوا حَزُّوا رأس كعب ثم خرجوا يَتَستَّرون، وهم يخافون من يهود، الإرصاد حتى سلكوا على بني أمية بن زيد، ثم على قُرَيظَة، وإن نيرانهم في الحصون لَعَالية، ثم على بُعَاث، حتى إذا كانوا بِحَرَّة العُرَيْض تَخَلَّف الحارث فأبطأ عليهم فناداهم: «أَقْرِئوا رسول الله ﷺ مني السلام». فعطفوا عليه فاحتملوه حتى أَتوْا رسول الله ﷺ. فلما بلغوا بقيع الفَرْقَد كَبَّروا.

وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يُصَلِّي، فلما سَمِع رسول الله ﷺ تكبيرهم بالبقيع

كَبَّر وعرف أن قد قتلوه. ثم أَتَوْه يَغْدون حتى وجدوا رسول الله ﷺ واقفاً على باب المسجد. فقال رسول الله ﷺ: «أفلحت الوجوه». فقالوا: «ووجهُكَ يا رسول الله». ورَمَوا برأسه بين يديه. فحمد الله تعالى على قتله. ثم أتوا بصاحبهم الحارث، فتفل رسول الله ﷺ على جُرْحه فلم يُؤْذه، فرجعوا إلى منازلهم.

فلما أصبح رسول الله ﷺ قال: «من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه»(١). فخافت اليهود، فلم يطلع عظيم من عظمائهم وخافوا أن يُبَيَّتُوا كما بُيِّت ابن الأشرف.

وعند ابن سعد: فأصبحت اليهود مذعورين فجاؤوا رسول الله ﷺ فقالوا: قُتِل سيدنا غَيْلَة، فذَكَّرهم رسول الله ﷺ صَنِيعَه، وما كان يَحُضّ عليهم ويُحَرِّض في قتالهم ويؤذيهم. ثم دعاهم إلى أن يكتبوا بينه وبينهم صلحاً [أحسبه]. فكان ذلك الكتاب مع عليّ رضي الله تعالى عنه بَعْد.

تنبيهات

الأول: قال العلماء ورحمهم الله تعالى «في حديث كعب بن الأشرف دليل على جواز قتل من سَبَّ سيدنا محمد رسول الله ﷺ أو انْتَقَصَه أو آذاه، سواء أكان بِعَهْد أم بغير عهد، ولا يجوز أن يقال إن هذا كان غَدْراً وقد قال ذلك رجلٌ كان في مجلس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فَضَرب عنقه. وإنما يكون الغَدْر بعد أمان، وهذا نَقَضَ العهد، وهَجا رسول الله ﷺ وسَبَّه. وقد كان رسول الله ﷺ عاهده ألاّ يُعِين عليه أحداً، فنقض كَعب العهد، ولم يُؤَمِّنْه محمد بن مسلمة ولا رُفْقَتُه بحال، وإنما كَلَّمه في أمر البيع والرهن إلى أن تمكّن منه.

الثاني: وقع في صحيح مسلم في قول كعب بن الأشرف: «إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة»(٢). قال القاضي [عياض] قال لنا شيخنا القاضي الشهيد: صوابه أن يقول: «إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه أبو نائلة» أي بإسقاط الواو، كذا ذكر أهل السِّيَر أن أبا نائلة كان رضيعاً لمحمد بن مسلمة». ووقع في صحيح البخاري: «ورضيعي أبو نائلة»(٣). قال: «وهذا له عندي وجه إن صَحَّ أنه كان رضيعاً لكعب.

الثالث: وقع في الصحيح أن الذي خاطب كعباً هو محمد بن مسلمة وجُلّ أهل المغازي على أنه أبو نائلة وأومأ الدمياطي إلى ترجيحه، قال الحافظ: ويُحْتَمل بِجَمْع أن يكون

---

(١) اخرجه البيهقي ٢٥٦/٣ والحاكم ٤٣٤/٣ وعبد الرزاق (٥٣٨٢) وانظر البداية والنهاية ١٣٩/٤.
(٢) اخرجه مسلم في باب قتل كعب بن الأشرف في الموضع السابق.
(٣) في البخاري في كتاب المغازي باب قتل كعب بن الأشرف (٤٠٣٧).

كل منهما كَلَّمه في ذلك لأن أبا نائلة أخوه من الرضاعة، ومحمد بن مسلمة هو ابن أخت كعب كما رواه عبد الله بن إسحاق الخراساني في فوائده.

الرابع: وقع في الصحيح عن سفيان بن عُيَيْنَة عن عَمْرو بن دينار أن محمد بن مسلمة جاء معه برجلين، قال سفيان. وقال غير عَمْرو: وأبو عَبْس بن جَبْر، والحارث بن أوس، وعَبَّاد بن بِشْر. قال الحافظ: فعلى هذا كانوا خمسة وهو أَوْلَى من رواية من رَوَى أنهم كانوا ثلاثة فقط ويمكن الجمع بأنهم كانوا مرة ثلاثة وفي أخرى خمسة.

الخامس: في بيان غريب ما سبق:

الأشرف: بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الراء وبالفاء.

النُّضِير: بالضاد المعجمة وزن عليم.

نائِلة: بنون وبعد الألف تحتية.

طَيِّئ: بفتح الطاء وتشديد التحتية وآخر همزة.

اليَقِين: العلم وزوال الشَّكّ.

مقرونين: مجعولين قَرَناً بالشَّدّ والإثبات، يقال قَرَّنهما تقريناً أي جعلهما قَرَنَيْن.

كُبِتَ: بضم أوله وكسر الموحدة: أَذَلَّه الله وَصَرَفَهُ عن مُرَادِه.

أبو وَدَاعَة: اسمه الحارث بن صُبَيْرَة بضم الصاد المهملة.

السَّهْمِي: بفتح السين المهملة وسكون الهاء.

العِيص: بكسر العين المهملة وسكون التحتية وبالصاد المهملة، واد من ناحية ذي المَرْوَة على أربع ليال من المدينة.

القَلِيب: البئر.

فشَبَّب بنساء المسلمين: تَقَوَّل فيهن وذكرهُنَّ بسوء.

مَنْ لِكَعْب؟: أي من الذي يُنْتَدَب لقتله؟.

يَعْلَق به نفسه: مأخوذ من العُلْقَة والعَلاَق أي بُلْغَةٌ من الطعام إلى وقت الغذاء يعني ما يَشدّ به رَمَقَه من الغِذَاء.. ذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ بالبناء للمفعول. الجُهْد: بفتح الجيم وضمها: الطاقة.

عَبَّاد: بفتح العين المهملة وتشديد الموحدة.

ابن بِشْر: بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة.

سِلْكان: بكسر السين المهملة وإسكان اللام.

أبو عَبْس: بفتح العين المهملة وبعد الموحدة الساكنة سين مهملة واسمه: عبد الرحمن ابن جَبْر، بفتح الجيم وسكون الموحدة والجَبْر ضد الكَسْر.

من أن نقول: حَقُّه أن يقول، يريد نفتعل قولاً نَحْتَال به، قال السهيلي: يعني الكذب أَبَاحَهُ له لأنه من خُدَع الحرب.

ما بدا لكم، بلا همز. أي ظهر.

عَنَّاناً: بمهملة وتشديد النون الأولى من العَنَاء وهو التعَب.

وأيضاً: أي وزيادة على ذلك وقد فَسَّره بقوله ولَتَمَلُّنَّه: بفتح الفوقية والميم وتشديد اللام من المَلاَل وهو السآمة.

الوِسْق: بفتح الواو وكسرها.

ارهنوني: ادفعوا إليّ شيئاً يكون رَهْناً على الشيء الذي تريدونه.

نَرْهَنُكَ: بفتح أوله وثالثه من الثلاثي، ويجوز من الرباعي نُرْهِنُكَ فيُضَم أوله ويُكْسَر ثالثه.

قائل: باللام.

بِشَعَرِهِ: بفتحتين من إطلاق القول على الفعل.

هَتَفَ: صاح.

مُحَارِب: بفتح الراء وكسرها.

يَنْفَح: بالفاء والحاء المهملة.

المِغْوَل: بميم مكسورة فغين معجمة ساكنة فواو مفتوحة قال في الإملاء.

الحَلْقَة: السلاح كله وأصله في الدِّرْع، ثم سُمِّي السلاح كله حَلْقَة.

الَّلأْمَة: بتشديد اللام وسكون الهمزة. قال ابن عيينة كما في الصحيح: يعني السلاح، وقال أهل اللغة الدِّرْع.

بُعَاث: بضم الموحدة وبالعين المهملة وبثاء مثلثة.

العُرَيْض: بعين مهملة فتحتية فضاد معجمة تصغير عرض اسم وادٍ شاميّ بالحَرَّة الشرقية قرب قناة أَبْطَا بفتح همز أوله وآخره.

الباب الثاني عشر

في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه إلى القردة في أول جمادى الآخرة سنة ثلاث

وهي أول سرية خرج فيه زيد أميراً. وسببها أن قريشاً لما كانت وقعة بَدْر خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكونه إلى الشام، فسلكوا طريق العراق. فخرج منهم تُجَّار فيهم أبو سفيان بن حرب، ومعه فِضَّة كثيرة، وهي عُظْم تجارتهم، وخرج صَفْوَان بن أُمية بمال كثير نُقَر فِضَّة وآنية فضَّة وزن ثلاثين ألف دِرْهم، وأرسل معه أبو زَمْعَة ثلاثمائة مثقال ذهب ونُقَر فضَّة، وبعث معه رجال من قريش ببضائع، وخرج معه عبد الله بن أبي ربيعة، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى في رجال من قريش. واستأجروا فُرَات بن حَيَّان. قال ابن إسحاق: من بني بكر بن وائل. وقال محمد بن عُمَر، وابن سعد، وابن هشام: من بني عِجْل وزاد ابن هشام حليف لبني سَهْم.

فخرج بهم على طريق ذات عِرْق. فبلغ رسول الله ﷺ أمْرُهم، فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب فاعترضوا لها بالقردة، فأصابوا العِير، وأفلت أعيان القوم، وأسروا رجلين أو ثلاثة، وقَدِموا بالعِير على رسول الله ﷺ فَخمسَّها، فبلغ الخُمُس قيمة عشرين ألف دِرْهَم، وقَسَّم الباقي على أهل السريَّة. وكان في الأُسَارَى فُرَات بن حَيَّان، وكان أُسِر يوم بدر، فأَفْلَتَ على قَدَمَيْه، فكان الناس عليه أَحْنَقَ شيء. وكان الذي بينه وبين أبي بكر حَسَناً، فقال له: «أما آنَ لك أن تُقْصِر؟. قال: «إن أَفْلَتُّ من محمد هذه المَرَّة لم أُفْلِت أبداً». فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه: «فأَسْلِم». فأتى به رسول الله ﷺ، فأسلم فتركه رسول الله ﷺ.

تنبيهان

الأول: ذكر ابن إسحاق هذه السرية قبل سرية كعب بن الأشرف، وذكرها محمد بن عُمَر، وابن سعد، والقطب بعدها.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

حارثة: بالحاء المهملة والثاء المثلثة.

القَرْدَة كَمَسْجَدَة بالقاف ويقال بالفاء، ماءٌ من مياه نجد.

تِجَار: بكسر الفوقية وتخفيف الجيم، وبضم الفوقية وتشديد الجيم.

عُظْم تجارتهم: بضم العين المهملة وإسكان الظاء المعجمة المُشَالة أي أكثرها.

نُقْر فِضَّة: جمع نُقْرَة بنون مضمومة فقاف ساكنة فراء: القطعة المُذَابة من الذهب أو الفِضَّة.

حُوَيْطِب: بضم الحاء المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وكسر الطاء المهملة وبالموحدة.

فُرَات: بضم الفاء وبالفوقية.

ابن حَيَّان: بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية.

وأَيِل: بكسر التحتية.

حَليف: مُعَاهِد.

سَهْم: بلفظ واحد السهام.

ذات عِرْق: بكسر العين المهملة وسكون الراء وبالقاف.

أَفْلَتُّ: بالبناء للفاعل.

الباب الثالث عشر

في سرية أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد رضي الله تعالى عنه إلى قطن في أول المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسببها أن رجلاً من طيئ اسمه الوليد بن زُهير بن طريف قَدِم المدينة زائراً ابنة أخيه زينب، وكانت تحت طُلَيْب بن عُمَيْر بن وهب، فأخبر أن طُلَيْحَة، وسَلَمة ابني خَوَيْلد تركهما قد سارا في قومهما ومَنْ أطاعهما يدعوانهم لحرب رسول الله ﷺ. فنهاهم قيس بن الحارث بن عُمَيْر. فقال: «يا قوم والله ما هذا برأي، مالنا قِبَلَهُم وِتْر، وما هم نُهْبَة لِمُنْتَهِب [إن دارنا لبعيدة من يَثْرِب، ومالنا جَمْعٌ كجَمْع قريش، مكثت قريش دهراً تسير في العَرَب تستنصرها، ولهم وِتْر يطلبونه، ثم ساروا قد امتطوا الإبل وقادوا الخَيْل وحملوا السلاح مع العدد الكثير، ثلاثة آلاف مقاتل سوى أتباعهم] وإنما جهدكم أن تخرجوا في ثلاثمائة رجل إن كملوا فتُغَرِّون بأنفسكم وتخرجون من بلادكم [ولا آمن من أن تكون الدَّبَرَة عليكم] فَعَصَوْه. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ دعا أبا سَلَمة رضي الله تعالى عنه وقال:«اخرج في هذه السرية فقد استعملتُك عليها». وعَقَد له لواءً، وقال: «سِرْ حتى تَرِدَ أَرْضَ بني أَسَد بن خُزَيْمَة، فأَغِرْ عليهم قبل أن تَلاَقى عليكم جموعهم». وأوصاه بتقوى الله تعالى وبمن معه من المسلمين خيراً. فخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة رجل، ومعه الرجل الطائي دليلاً، فأَغَذَّ السير ونَكَبَ بهم عن سَنَن الطريق، وسار بهم ليلاً ونهاراً فسبقوا الأخبار وانتهوا إلى ذي قَطن: ماء من مياه بني أسد وهو الذي كان عليه جَمْعُهم. فأَغاروا على سَرْح لهم فَضَمُّوه وأخذوا رِعَاءً لهم مماليك ثلاثة وأفلت سائرهم. فجاؤوا جَمْعَهُم فأخبروهم الخبر وحَذَّروهم جمع أبي سلمة، وكَثَّروه عندهم، فتفرّق الجمع في كل وجه، وورد أبو سلمة الماء، فوجد الجمع قد تَفَرّق. فَعَسْكَر وفَرّق أصحابه في طَلَب النَّعَم والشَّاء. فجعلهم ثلاث فِرَق. فِرقة أقامت معه وفرقتان أغارتا في ناحيتين شَتَّى وأوعز إليهما ألا يُمْعِنوا في الطلب وألا يُبَيِّتوا إلا عنده إن سلموا، وأمرهم ألا يفترقوا واستعمل على كل فرقة عاملاً منهم فآبوا إليه جميعاً سالمين قد أصابوا إبلاً وشاءً ولم يَلْقَوْا أحدا. فانحدر أبو سلمة بذلك كله راجعاً إلى المدينة ورجع معه الطائي.

فلما ساروا ليلة قَسَّم أبو سلمة الغنائم وأخرج صَفِيَّ رسول الله ﷺ عبداً وأخرج الخُمُس وأعطى الطائي الدليل رضاه من المغنم ثم قسم ما بقي بين أصحابه فأصاب كل إنسان سبعة أبعرة، وقَدِم بذلك إلى المدينة ولم يلق كيداً. وذكر أبو عمر، وأبو عُبيدة أن مسعود بن عُرْوَة قُتِل في هذه السرية.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

عبد الأسد: بسين مهملة. قَطَن: بفتح القاف والطاء المهملة وبالنون جبل أو ماء بنجد.

فَيْد: بفتح الفاء وسكون التحتية وبالدال المهملة.

طُلَيْب: بضم الطاء المهملة وفتح اللام وسكون التحتية وبالموحدة، وأبوه عُمَيْر بوزنه وعين وراء مهملتين.

طُلَيْحَة: بالتصغير وأسلم بعد ذلك.

وسَلَمة: لم يُسْلِم.

قَيْس بن الحارث: لا أعلم له إسلاماً.

عَمِيرة: بفتح العين المهملة وكسر الميم.

الوِتْر: بكسر الواو وسكون الفوقية: الجناية التي يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نهب أو سبْي.

النُّهْبَة: بضم النون وسكون الهاء وبالموحدة وتاء التأْنيث والنُّهْبَى بألف التأْنيث المقصورة اسم للمنهوب.

أَغَذَّ السَّيْر: بفتح الهمزة والغين والذال المُشَدَّدة المعجمتين أي أسرع.

نَكَب عن الطريق بالنون والكاف المُخَففة وزن نَصَر وفَرِح نَكْباً بالفتح والسكون عَدَل عنه.

السَّنَن: هنا بفتح السين المهملة وبضمها وبضم أوله وفتح ثانيه جهة الطريق ونهجه.

السَّرْح: بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات: المال السائم.

أَفْلَتُّ: بالبناء للفاعل.

سائرهم: أي باقيهم.

شَتَّى: أي متفرقون يقال شَتَّ الشيء إذا تفرق.

الباب الرابع عشر

في بعثه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس بن أسعد الجهني القضاعي الأنصاري السلمي، بفتحتين حليف بني سلمة، من الأنصار، رضي الله تعالى عنه إلى سفيان بن خالد [بن نبيح] بعرنة

روى أبو داود بإسناد حسن، والبيهقي[1] وأبو نُعَيْم عن عبد الله بن أُنَيْس رضي الله تعالى عنه، ومحمد بن عُمَر عن شيوخه، والبيهقي وأبو نعيم عن موسى بن عُقْبَة عن ابن شهاب، وعن عُرْوَة قال شيوخ محمد بن عُمَر: خرج عبد الله بن أُنَيْس من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجَر رسول الله ﷺ قالوا ـ واللفظ لمحمد بن عُمَر ـ «بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نُبَيْح الهُذَلي ثم اللِّحياني، وكان ينزل عُرَنة وما والاها في أُناس من قومه، وغيرهم يريد أن يجمع الجموع إلى رسول الله ﷺ فَضَوَى إليه بَشَرٌ كثير من أَفْنَاء الناس». قال عبد الله بن أُنَيْس رضي الله تعالى عنه: «دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إنه بلغني أن سفيان بن خالد بن نُبَيْح يجمع لي الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعُرَنة فأْتِهِ فاقتله». فقلت: يا رسول الله صِفْه لي حتى أعرفه فقال: «آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته هِبْتَه وفَرِقْتَ منه ووجدتَ له قُشَعْريرة وذكرت الشيطان». قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال فقلت: يا رسول الله، ما فَرِقْتُ من شيء قط. فقال: «بلى آية ما بينك وبينه ذلك أن تجد له قُشَعْريرة إذا رأيته». قال: واستأذنت رسول الله ﷺ أن أقول. فقال: «قُلْ ما بَدَا لك». وقال: «انْتَسِبْ لخُزَاعة». فأخذت سيفي ولم أزِد عليه وخرجت أَعْتَزِي لخُزاعة حتى إذا كنت ببطن عُرَنَة لَقِيتُه يمشي ووراءه الأحابيش. فلما رأيته هِبْتُه وعرفته بالنعت الذي نعت لي رسول الله ﷺ. فقلت: صَدَقَ الله ورسوله، وقد دخل وقت العصر حين رأيته، فصليت وأنا أمشي أُوْمِى برأسي إيماءً. فلما دنوت منه قال: «من الرجل؟».

فقلت: «رجل من خُزَاعة سمعت بجَمْعك لمحمد فجئتك لأكون معك عليه». قال: «أجل إني لفي الجمع له». فمشيت معه وحدَّثته فاستحلى حديثي وأنشدته وقلت: «عجباً لما أَحْدث محمد من هذا الدين المُحْدَث، فارَقَ الآباء وسَفَّه أحلامهم». قال: «لم أَلْقَ أحداً يشبهني ولا يُحْسِنُ قتاله». وهو يتوكَّأُ على عصا يَهُدّ الأرض». حتى انتهى إلى خِبَائه وتفرّق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه، وهم يُطِيفون به. فقال: «هَلُمَّ يا أخا خُزَاعة فدنوت منه. فقال: «اجلس» فجلست معه حتى إذا هَدَأ الناس ونام اغتررته. وفي أكثر الروايات أنه قال: «فمشيت

---

(١) اخرجه البيهقي في السنن ٣/٢٥٦ وفي الدلائل ٤/٤٢ وابن حبان (٥٩١).

معه حتى إذا أمكنني حَمَلْتُ عليه السيف فقتلته وأخذت رأسه. ثم أقبلت فصعدت جبلا. فدخلت غاراً وأقبل الطلب من الخيل والرجال تَمْعَج في كل وجه وأنا مكتمن في الغار، وضربت العنكبوت على الغار.

وأقبل رجل معه إداوته ونعله في يده وكنت خائفاً. فوضع إداوته ونعله وجلس يبول قريباً من فم الغار، ثم قال لأصحابه: ليس في الغار أحد، فانصرفوا راجعين، وخرجت إلى الإداوة فشربت ما فيها وأخذت النعلين فلبستهما. فكنت أسير الليل وأكمن النهار حتى جئت المدينة، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد، فلما رآني قال:«أفلح الوجه». فقلت: وأَفْلَح وَجْهُك يا رسول الله». فوضعت الرأس بين يديه وأخبرته خَبَرِي، فدفع إليّ عصاً وقال: «تَخَصَّر بها في الجنة فإن المُتَخَصِّرين في الجنة قليل». فكانت العصا عند عبد الله بن أُنَيْس حتى إذا حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدرجوا العصا في أكفانه. ففعلوا ذلك. قال ابن عُقْبَة: فيزعمون أن رسول الله ﷺ أخبر بقتل عبد الله بن أُنَيْس، سفيان بن خالد، قبل قدوم عبد الله بن أُنَيْس رضي الله تعالى عنه.

تنبيهان

الأول: تَرَدُّد الإمام محب الدين الطبري رحمه الله تعالى في عبد الله بن أُنَيْس قاتل سفيان بن خالد لا معنى له، لأنه هو الجُهَني بلا تردد، وهو أشهر ذكراً من الخمسة الذين وافقوه في الاسم واسم الأب من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

أُنَيْس: بضم أوله وفتح النون وسكون التحتية.

الجُهَنِيّ: بضم الجيم وفتح الهاء وبالنون، القضاعي: بضم القاف وبالضاد المعجمة الساقطة وبالعين المهملة، وجهينة في قضاعة.

الحليف: كأمير المُحَالف.

بنو سَلِمَة: بكسر اللام.

سُفْيَان: بالحركات الثلاث بعدها فاء.

نُبَيْح: بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالحاء المهملة.

الهُذَلِيّ: بضم الهاء وفتح الذال المعجمة.

عُرَنَة: بضم العين المهملة وفتح الراء والنون فتاء تأنيث موضع بقُرْب عَرَفَة موقف الحجيج.

ضَوَى إليه: بالضاد المعجمة يَضْوِي. الماضي بالفتح والمستقبل بالكسر ضُوِيًّا أَوَى إليه.

أَفْنَاء الناس: كأحمال: أَخلاَطُهم، يقال للرجل إذا لم يُعْرَف من أي قبيلة هو: من أَفْنَاء القبائل.

نَخْلَة: بفتح النون وسكون الخاء المعجمة وباللام وتاء التأنيث اسم مكان.

الآية: العَلاَمة.

فَرِقْتَ: بفتح الفاء وكسر الراء فَزِعتَ.

القُشَعْرِيرة: انقباض الجلد واجتماعه.

أن أقول: بَسَطْتُ الكلام عليه في سَرِيَّة كعب بن الأشرف.

بَدَا لك: بلا همز أي ظهر لك.

اعْتَزَى: بالزاى انتمى.

خُزَاعَة: بضم الخاء المعجمة والزاي والعين المهملة: قبيلة كبيرة من العرب.

الأحابيش: أَحْيَاء من القَارَة انضموا إلى بني لَيْث في محاربتهم قريشاً، وتقدم في أُحُد مبسوطاً.

أَجَلْ: بالجيم واللام كنَعَم وزناً ومعنى.

الخِبَاء: بكسر الخاء المعجمة وبالموحدة والمَدّ: بيت من بيوت الأعراب، قال أبو عُبَيْد رحمه الله تعالى لا يكون إلا من صوف أو وَبَر ولا يكون من شَعْر.

هَلُمَّ: اسم فعل بمعنى الدعاء إلى الشيء كما يقال تعَالَ.

يا أخا خزاعة: يا واحداً منهم.

هَدَأَ الناس: بهمزة مفتوحة في آخره: ناموا وسكنوا.

اغْتَرَرْتُه: بالغين المعجمة، أي أخذته في غَفْلَة والغِرَّة الغَفْلَة.

يَمْعَج: بفتح الفوقية وسكون الميم وفتح العين المهملة وبالجيم، قال في الصحاح المَعْج سرعة السير.

الإداوة: بكسر أوله المِطْهَرَة.

التَّخَصُّر: بفتح الفوقية والخاء المعجمة وتشديد الصاد المهملة الاتكاء على قصب ونحوه.

الباب الخامس عشر

في سرية الرجيع

كانت في صفر سنة ثلاث. واختُلِف في سببها وفي عدد رجالها فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كما في الصحيح وعُرْوَة، وابن عُقْبَة كما رواه البيهقي عنهما أن رسول الله ﷺ بعث عشرة عيوناً إلى مكة ليأتوه بخبر قريش وجَزَم ابن سعد بأنهم عشرة وسمى منهم سبعة:

١ـ عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح.

٢ـ ومرثد بن أبي مرْثد[1] كَنَّاز بن [حُصَيْن بن يربوع بن طريف الغنوي].

٣ـ وعبد الله بن طارق [حليف بني ظَفَر].

٤ـ وخُبَيْب بن عَدِيّ[2] [أحد بني جَحْجَبَي بن كُلْفَة بن عمرو بن عوف].

٥ـ وزيد بن الدَّثِنَة[3] [بن معاوية أخو بني بياضة بن عمرو بن زُرَيْق].

٦ـ وخالد بن البُكَيْر[4] [الليثي].

٧ـ ومُعتِّب بن عُبَيْد ويقال ابن عَوْف.

وذكرهم محمد بن عمر رحمه الله تعالى ثم قال: «ويقال كانوا عشرة». انتهى. والظاهر أن الثلاثة كانوا تبعاً فلم يحصل الاعتناء بتسميتهم. وذكر ابن إسحاق أنهم كانوا ستة وهم [من ذكرنا] ما عدا مُعَتِّب. وذكر ابن عقبة، وابن إسحاق، ومحمد بن عُمَر، وابن سعد وغيرهم، ولفظ محمد بن عمر أحسن سياقاً.

---

(١) (مرثد) بن أبي مرثد الغنوي.. صحابي وأبوه صحابي واسمه كناز ـ بنون ثقيلة وزاي ـ ابن الحصين وهما ممن شهد بدراً قال ابن إسحاق: استشهد مرثد في صفر سنة ثلاث في غزاة الرجيع وجاءت عنه رواية عند أحمد بن سنان القطان في مسنده والبغوي والحاكم في مستدركه والطبراني في الأوسط من طريق القاسم بن أبي عبد الرحمن السامي عن مرثد بن أبي مرثد وكان بدرياً قال رسول الله ﷺ «ان سركم أن تقبل منكم صلاتكم فليؤمكم خياركم» وفي رواية الطبراني: فليؤمكم علماؤكم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم» قال ابن عبد البر قال القاسم السامي في حديثه: حدثني أبو مرثد وهو وهم لأن من يقتل في حياة رسول الله ﷺ لا يدركه القاسم وإنما هو مرسل قلت: الوهم ممن قال عن القاسم حدثني مرثد وإنما الصواب أنه قال عن مرثد كذا عند جمهور من أخرج الحديث المذكور بالعنعنة والله تعالى أعلم قاله الحافظ في الإصابة ٧٨/٦.

(٢) خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبي بن عوف بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي شهد بدراً واستشهد في عهد النبي ﷺ وذكر القيرواني من حلى العلي أن خبيباً لما قتل جعلوا وجهه إلى غير القبلة فوجدوه مستقبل القبلة فأدركوه مراراً ثم عجزوا فتركوه. الإصابة ١٠٣/٢.

(٣) زيد بن الدثنة ـ بفتح الدال وكسر المثلثة بعدها نون ـ ابن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري البياضي.. شهد بدراً وأحداً وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته قريش بالتنعيم انظر الإصابة ٢٧/٣.

(٤) خالد بن البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن بكر بن ليث بن عبد مناة الليثي.. حليف بن عدي بن كعب مشهور من السابقين وشهد بدراً وهو أحد الإخوة الإصابة ٨٦/٢.

قال نقلاً عن شيوخه: «مَشَتْ بنو لِحْيَان من هُذَيْل، بعد قتل سفيان [بن خالد] بن نُبَيْح الهُذَلي إلى عَضَل والقَارَة، وهما حَيَّان، فجعلوا لهم فرائض أن يَقْدمُوا على رسول الله ﷺ فَيُكَلِّموه فيُخْرِج إليهم نفراً من أصحابه يدعونهم إلى الإسلام. قالوا: فنقتل من أردنا ونسير بهم إلى قريش بمكة، فنُصِيب بهم ثمناً، فإنه ليس شيء أحب إليهم من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدْر. فقَدِم سبعة نفر من عَضَل والقَارَة [وهما حَيَّان إلى خُزَيْمة] مُقرِّين بالإسلام. فقالوا: (يا رسول الله، إن فينا إسلاماً فاشياً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يُقْرِئوننا القرآن ويُفَقِّهوننا في الإسلام). فبعث معهم رسول الله ﷺ سبعة نفر، وأمَّر عليهم مَرْثَد بن أبي مَرْثَد، ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح. قلت وهو الصحيح، فقد رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا بالهَدَّة ـ وفي رواية بالهَدْأَة بين عُسْفَان ومكة.

قال أبو هريرة وعُرْوَة وابن عُقْبَة: فغدروا بهم فنفروا لهم، وفي لفظ: فاستصرخوا عليهم قريباً من مائة رام، وفي رواية في الصحيح في الجهاد: «فنفروا لهم قريباً من مائتي رجل». والجمع واضح بأن تكون المائة الأخرى غير رُمَاة. وذكر أبو مَعْشَر في مغازيه أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم نزلوا بالرجيع سَحَراً، فأكلوا تَمْر عجوة فسقط نَوَاةٌ في الأرض وكانوا يسيرون بالليل ويَكْمُنُون النهار. فجاءت امرأة من هُذَيْل ترعى غَنَماً فرأت النُّوِيّ فأنكرت صِغرَهن، وقالت هذا تَمْر يَثْرِب، فصاحت في قومها: «قد أُتِيتُم، فاقْتَصّوا آثارهم حتى نزلوا منزلاً فوجدوا فيه نَوَى تمر تزَوَّدُوه من المدينة فجاءوا في طلبهم فوجدوهم قد رَكَنوا في الجبل، انتهى. فلم يُرَع القوم إلا بالرجال بأيديهم السيوف قد غَشَوْهُمْ. فلما أَحَسَّ بهم عاصم وأصحابه لجأُوا إلى فَدْفَد، وفي لفظ قَرْدَد، بوادٍ يقال له غُرَان.

وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: «لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألاَّ نقتل منكم رجلا، إنَّا والله لا نريد قتلكم، إنما نريد أن نُصِيب منكم شيئاً من أهل مكة». فقال عاصم: «أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم إني أحمي لك اليوم دينك فاحْمِ لحمي، اللهم أَخْبِر عنا رسولك».

قال إبراهيم بن سعد كما رواه أبو داود الطيالسي: «فاستجاب الله تعالى لعاصم فأخبر رسول الله ﷺ خبره وخبر أصحابه بذلك يوم أُصِيبوا». وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كما في الصحيح:(١) وأُخْبِر رسول الله ﷺ يوم أصيبوا خبرهم، فقاتلوهم فرَمَوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة [نفر بالنَّبْل]. وبقي خُبَيْب، وزَيْد، وعبد الله بن طارق كما عند ابن

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ٤٣٧(٤٠٨٦).

إسحاق. قال ابن إسحاق وغيره: «فلما قُتِل عاصم أرادت هُذَيْل أخذ رأسه ليبيعوه من سُلاَفَة بنت سعد [بن شُهَيْد]، وأسلمت بعد ذلك،وكانت قد نَذَرَتْ حين قَتَل ابنيها مُسَافِع والجُلاَس ابني طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان عاصم قتلهما يوم أحد، لئن قدرت على رأس عاصم لتشْرَبَنَّ الخَمْر في قِحْفه، وجعلت لمن جاء به مائة ناقة، فمنعته الدَّبْر. وفي حديث أبي هريرة في الصحيح: «وبعثت قريش إلى عاصم لِيُؤْتَوْا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر»، قال الحافظ: «لعله عُقْبَة بن أبي مُعَيْط فإن عاصماً قتله صَبْراً بإذن رسول الله ﷺ، بعد أن انصرفوا من بدر، وكأن قريشاً لم تشعر بما جرى لهُذَيْل من منع الدَّبْر لها من أخذ رأس عاصم، فأرسلت من يأخذه أو عرفوا بذلك ورَجَوْا أن تكون الدَّبْر تركته فيتمكنوا من أخذه». انتهى.

فبعث الله عليه مثل الظُلَّة من الدَّبْر يطير في وجوههم ويَلْدَغُهُم فَحَمَتْه من رُسُلهم فلم يَقْدروا منه على شيء. انتهى. فلما حالت بينهم وبينه، قالوا دَعُوه حتى يُمْسِي فتذهب عنه فنأخذه، فبعث الله تبارك وتعالى الوادي فاحتمله فذهب به. وكان عاصم رضي الله تعالى عنه قد أعطى الله عهداً ألاَّ يَمَسَّ مُشْرِكاً ولا يَمَسَّه مُشْرك، فَبَرَّ الله عزوجل قسمه، فلم يَرَوْه ولا وصلوا منه إلى شيء.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول حين بلغه خبره: «يحفظ الله تبارك وتعالى العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته». وصعد خُبَيْب، وزَيْد، وعبد الله الجبل، فلم يقدروا عليهم حتى أَعْطَوْهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسيِّهم فربطوهم بها فقال عبد الله بن طارق: «هذا أول الغَدْر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء القتلى أُسْوة» فَجَرَّرُوه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه، كذا في الصحيح[1].

وعند ابن إسحاق: وأما زيد بن الدَّثِنة وخُبَيْب بن عَدِيّ وعبد الله بن طارق فلانوا ورقُّوا ورغبوا في الحياة فأَعْطوا بأيديهم فأسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظَّهْران انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبروه بالظَّهْران، وانطلقوا بزيد وخبيب فباعوهما بمكة، قال والذي باعهما زُهَيْر، وجامع الهُذَلِيَّان. قال ابن هشام باعوهما بأسيرين من هُذَيْل [كانا بمكة] وقال محمد بن عمر: بيع الأول بمثقال ذهباً ويقال بخمسين فريضة، وبيع الثاني بخمسين فريضة ويقال اشترك فيه ناس من قريش ودخلوا بهما في شهر حرام في ذي القعدة فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحُرُم.

---

(١) أخرجه البخاري في الموضع السابق.

ذكر قتل زيد بن الدثنة رضي الله تعالى عنه

قال ابن إسحاق وابن سعد: فاشترى زيداً صفوان بن أُمية، وأسلم بعد ذلك ليقتله بأبيه أمية بن خَلَف وحبسه عند ناس من بني جُمَح ويقال عند نِسطاس غلامه. فلما انسلخت الأشهر الحرم بعثه صفوان مع غلامه نسطاس إلى التنعيم وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع رهط من قريش، منهم أبو سفيان بن حرب. فقال أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتل: «أَنْشُدُك الله يا زيد أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟» قال: «والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي». فقال أبو سفيان: «ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً». ثم قتله نسطاس، وأسلم بعد ذلك. وذكر ابن عُقْبَة أن زيداً وخُبَيْباً قُتلا في يوم واحد وأن رسول الله ﷺ سُمِع يوم قُتلا وهو يقول: «وعليكما السلام».

ذكر قصة قتل خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنه وما وقع في ذلك من الآيات

قال أبو هريرة كما في الصحيح(١): «فاشترى خُبَيْباً بنو الحارث بن عامر بن نَوْفل». وقال ابن عُقْبَة: «واشترك في ابتياع خُبَيْب، زعموا أبا إهاب بن عزيز، وعِكْرِمة بن أبي جهل، والأَخْنَس بن شريق(٢)، وعُبَيْدة بن حكيم بن الأَوْقَص، وأمية بن أبي عُتْبَة، وصفوان بن أمية وبنو الحضرمي، وهم أبناء من قُتِل من المشركين يوم بدر» وقال ابن إسحاق: «فابتاع خُبَيْباً حُجَيْر بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل، وكان أخا الحارث بن عامر لأمه». وقال ابن هشام: كان ابن أخته لا ابن أخيه عُقْبَة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه الحارث. قال أبو هريرة كما في الصحيح: «وكان خُبَيْب بن عدي قتل الحارث يوم بدر». انتهى. فجلس خبيب في بيت امرأة يقال لها مَاوِيَّة مولاة حُجَيْر بن أبي إهاب، واسلمت بعد ذلك فأساؤوا إساءة. فقال لهم: «ما يصنع القوم الكرام هنا بأسيرهم» فأحسنوا إليه بعد.

وروى ابن سعد عن مَوْهب مولى الحارث أنهم جعلوا خُبَيْباً عنده، فكأنه كان زوج ماويَّة. قالت ماوية كما عند محمد بن عُمَر، ومَوْهب كما عند ابن سعد أنهما قالا لخبيب: «أَلَكَ حاجة؟» فقال: «نعم لا تسقوني إلا العَذْب ولا تُطعموني ما ذُبِح على النُّصُب وتخبروني إذا أرادوا قتلي».

---

(١) أخرجه البخاري في الموضع السابق (٤٠٨٦).

(٢) الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيق الثقفي أبو ثعلبة حليف بني زهرة.. اسمه أبي وإنما لقب الأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة فسمي بذلك ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة وشهد حنيناً ومات في أول خلافة عمر ذكره أبو موسى عن ابن شاهين. الإصابة ٢٣/١.

وروى البخاري عن بعض بنات الحارث بن عامر، قال خَلَف في الأطراف: اسمها زينب، وابن إسحاق ومحمد بن عمر عن ماويَّة قالت زينب: «ما رأيت أسيراً قط خيراً من خُبيب، لقد رأيته يأكل من قِطْف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة، وإنه لَمُوثَق في الحديد، وما كان إلا رزقاً رزقه الله تعالى خبيباً».

وقالت ماويَّة: «اطلعت عليه من صِير الباب وإنه لفي الحديد وإن في يده لَقِطْفاً من عنب مثل رأس الرَّجُل يأكل منه وما أعلم في أرض الله تعالى عنباً يُؤكل». زاد محمد بن عمر: كان خبيب يتهجَّد بالقرآن فكان يسمعه النساء فيبكين ويرْقُقْن عليه.

فلما انسلخت الأشهر الحرم، وأجمعوا على قتله قالت ماوية كما عند محمد بن عمر: «فأتيته فأخبرته فوالله ما اكترث بذلك». وقال: «ابعثي بحديدة أستصلح بها». قالت: «فبعثت إليه بموسى مع أبي حسين بن الحارث». قال محمد بن عمر: وكانت تحضنه ولم يكن ابنها. فلما وَلَّى الغلام قلت: «والله أدرك الرجل ثأره، أيَّ شيء صنعت؟ بعثت هذا الغلام بهذه الحديدة، فيقتله ويقول: رجل برجل». فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: «لعمرك أما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة؟» ثم خَلَّى سبيله. فقلت: «يا خبيب إنما أَمِنْتُك بأمانة الله» فقال خبيب: «ما كنت لأقتله وما نَسْتَحِلُّ في ديننا الغَدْر».

وفي الصحيح عن أبي هريرة(١): «[فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله] استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستَحِدّ بها فأعارته، قالت فغفلت عن صبي لي حتى أتاه، فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك منّي، وفي يده الموسى. فقال: «أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله». قال الحافظ: والجمع بين الروايتين أنه طلب الموسى من كل منهما، وكان الذي أوصله إليه ابن أحدهما. وأما ابن الذي خشيت عليه حين درج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فهذا غير الذي أحضر إليه الحديدة. والله تعالى أعلم.

فأخرجوه في الحديد حتى انتهوا به إلى التنعيم، وخرج معه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكة. فلم يتخلَّف أحدٌ إمَّا مَوْتُور فهو يريد أن يتشفَّى بالنظر من وتره، وإما غير موتور فهو مخالف للإسلام وأهله. فلما انتهوا به إلى التنعيم أمروا بخشبة طويلة فحفروا لها. فلما انتهوا بخبيب إليها قال: «هل أنتم تاركي فأُصَلِّي ركعتين؟» قالوا: نعم. فركع ركعتين أَتَمَّهما من غير أن يُطَوِّل فيهما. ثم أقبل على القوم فقال: «أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طَوَّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

وذكر ابن عُقْبَة رحمه الله تعالى أنه صلى الركعتين في موضع مسجد التنعيم. قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، كما في الصحيح[1]: «فكان خبيب رضي الله تعالى عنه أول من سَنَّ هاتين الركعتين عند القتل» انتهى. ثمّ قال خبيب: «اللهم أَحْصِهِم عدداً واقْتُلهم بِدَداً ولا تغادر منهم أحداً». قال معاوية بن أبي سفيان: «لقد حضرت مع أبي سفيان، فلقد رأيتني وإن أبا سفيان ليضجعني إلى الأرض فَرَقاً من دعوة خبيب». وكانوا يقولون إن الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه. وقال حُوَيْطِب بن عبد العِزَّى: وأسلم بعد ذلك: «لقد رأيتُني أدخلت إصبعي في أُذُنَيّ وعَدَوْتُ هارباً فرقاً أن أسمع دُعَاءه»، وكذلك قال جماعة منهم.

فلما صلى الركعتين جعلوه على الخشبة ثم وَجَّهوه إلى المدينة وأوثقوه رباطاً، ثم قالوا له: «ارجع عن الإسلام نُخْلِ سبيلك». قال: «لا والله ما أُحب أني رجعت عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعاً». قالوا: «أفتحب أن محمداً في مكانك وأنت جالس في بيتك؟» قال: «لا والله ماأحب أن يُشَاك محمد شوكة وأنا جالس في بيتي». فجعلوا يقولون: «ارجع يا خبيب». فقال: «لا أرجع أبداً». قالوا: «أما واللات والعُزَّى» لئن لم تفعل لَنَقْتُلَنَّك. فقال: «إن قتلي في الله لقليل». ثم قال: «اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، الله إنه ليس هنا أحد يبلِّغ رسولك عني السلام، فبلِّغه أنت عني السلام». فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء. وروى محمد بن عمر عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان جالساً في أصحابه فأخذته غمية كما كانت تأخذه فلما نزل عليه الوحي سمعناه يقول: «وعليه السلام ورحمة الله وبركاته». ثم قال: «هذا جبريل يُقْرِئني من خُبَيْب السلام».

وفي رواية أبي الأسود عن عُرْوَة: «فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره فأخبر أصحابه بذلك». قال ابن عُقْبَة رحمه الله تعالى: فزعموا أن رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم وهو جالس: «وعليك السلام، خبيب قتلته قريش».

ثم دعا المشركون أربعين ولداً ممن قُتِل آباؤهم ببدر كُفَّاراً، فأعطوا كل غلام رمحاً وقالوا: هذا الذي قتل آباءكم، فطعنوه برماحهم طعناً خفيفاً فاضطرب على الخشبة، فانقلب فصار وجهه إلى الكعبة، فقال: «الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه» ثم قتلوه رحمه الله تعالى.

وفي حديث أبي هريرة: «ثم قام إليه أبو سِرْوَعَة» - واسمه كما في الصحيح في غزوة بدر عن أبي هريرة، وجزم جماعة من أهل النسب أنه أبو سِرْوعَة أخو عُقْبَة بن الحارث، وأسلم

(١)أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

بعد ذلك، ـ (فقتله) وذكر أبو عمر في الاستيعاب أن أبا صُبَيرة بن العبدري قتل خبيباً مع عُقْبَة وصوابه أبو مَيْسَرة كما عند ابن إسحاق رحمه الله تعالى. وروى ابن إسحاق بسند صحيح عن عُقْبَة بن الحارث قال: «لأنا كنتُ أضعف من ذلك، ولكن أبا مَيْسَرة العبدري أخذ الحَرْبة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة. ثم طعنته بها حتى قتلته» وذكر محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر وغيرهما أن خبيباً رضي الله تعالى عنه حين رأى ما صنعوا به قال:

لَقَدْ جَمَّعَ الأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا ... قَبَائِلَهُمْ واسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
وَكُلُّهُمُ مُبْدِي العَدَاوَةَ جَاهِدٌ ... عَلَيَّ لأَنِّي فِي وِثَاقٍ مُضَيَّعِ
وَقَدْ جَمَّعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ... وَقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ
وَقَدْ خَيَّرُونِي الكُفْرَ وَالمَوْتُ دُونَهُ ... وَقَدْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ
وَمَا بِي حِذَارُ المَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ ... وَلَكِنْ حِذَارِي حَرُّ نَارٍ تَلَفَّعُ
إِلَى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي ... وَمَا أَرْصَدَ الأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَذَا العَرْشِ صَبِّرْنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي ... فَقَدْ بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ
لَعَمْرُكَ مَا آسِي إِذَا مِتُّ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخَشُّعاً ... وَلاَ جَزِعاً إِنِّي إِلَى اللهِ مَرْجِعِي

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن خبيباً رضي الله تعالى عنه قال:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وروى الإمام أحمد بن عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش قال: «فجئت خشبة خبيب وأنا أتخوَّف العيون فرَقَيْتُ ـ وفي لفظ فصعدت فيها ـ فحلَلْتُ خبيباً فوقع إلى الأرض فانتبذت غير بعيد، فسمعت وَجْبَةً خلفي فالتفتُّ فلم أر خبيباً، وكأنما ابتلعته الأرض فلم أر لخبيب أثراً حتى الساعة» وذكر أبو يوسف رحمه الله تعالى في كتاب اللطائف عن الضَّحَّاك رحمه الله تعالى أن رسول الله ﷺ أرسل المقداد والزبير في إنزال خبيب عن خشبته ودخلا إلى التنعيم فوجدا حوله أربعين رجلاً نَشَاوَى فأنزلاه فحمله الزبير على فرسه وهو رَطْب لم يتغير منه شيء، فنذِر بهم المشركون فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعته الأرض فسُمّي بليع الأرض.

وذكر القيرواني في حُلَى العَلِيّ أن خبيباً لما قُتِل جعلوا وجهه إلى غير القبلة فوجدوه مستقبِلاً لها فأداروه مراراً ثم عجزوا فتركوه. وروى ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله تعالى

وذكر ابن عُقْبَة رحمه الله تعالى أنه صلى الركعتين في موضع مسجد التنعيم. قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، كما في الصحيح[1]: «فكان خبيب رضي الله تعالى عنه أول من سَنَّ هاتين الركعتين عند القتل» انتهى. ثم قال خبيب: «اللهم أَحْصِهِم عدداً واقْتُلهم بِدَداً ولا تغادر منهم أحداً». قال معاوية بن أبي سفيان: «لقد حضرت مع أبي سفيان، فلقد رأيتني وإن أبا سفيان ليضجعني إلى الأرض فَرَقاً من دعوة خبيب». وكانوا يقولون إن الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه. وقال حُوَيْطِب بن عبد العِزَّى: وأسلم بعد ذلك: «لقد رأيتُني أدخلت إصبعي في أُذُنَيّ وعَدَوْتُ هارباً فرقاً أن أسمع دُعَاءه»، وكذلك قال جماعة منهم.

فلما صلى الركعتين جعلوه على الخشبة ثم وَجَّهوه إلى المدينة وأوثقوه رباطاً، ثم قالوا له: «ارجع عن الإسلام نُخْلِ سبيلك». قال: «لا والله ما أُحب أني رجعت عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعاً». قالوا: «أفتحب أن محمداً في مكانك وأنت جالس في بيتك؟» قال: «لا والله ماأحب أن يُشَاك محمد شوكة وأنا جالس في بيتي». فجعلوا يقولون: «ارجع يا خبيب». فقال: «لا أرجع أبداً». قالوا: «أما واللات والعُزّى» لئن لم تفعل لَنَقْتُلَنَّك. فقال: «إن قتلي في الله لقليل». ثم قال: «اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، الله إنه ليس هنا أحد يبلِّغ رسولك عني السلام، فبلِّغه أنت عني السلام». فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء. وروى محمد بن عمر عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان جالساً في أصحابه فأخذته غمية كما كانت تأخذه فلما نزل عليه الوحي سمعناه يقول: «وعليه السلام ورحمة الله وبركاته». ثم قال: «هذا جبريل يُقْرِئني من خُبَيْب السلام».

وفي رواية أبي الأسود عن عُرْوَة: «فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره فأخبر أصحابه بذلك». قال ابن عُقْبَة رحمه الله تعالى: فزعموا أن رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم وهو جالس: «وعليك السلام، خبيب قتلته قريش».

ثم دعا المشركون أربعين ولداً ممن قُتِل آباؤهم ببدر كُفَّاراً، فأعطوا كل غلام رمحاً وقالوا: هذا الذي قتل آباءكم، فطعنوه برماحهم طعناً خفيفاً فاضطرب على الخشبة، فانقلب فصار وجهه إلى الكعبة، فقال: «الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه» ثم قتلوه رحمه الله تعالى.

وفي حديث أبي هريرة: «ثم قام إليه أبو سِرْوَعَة» ـ واسمه كما في الصحيح في غزوة بدر عن أبي هريرة، وجزم جماعة من أهل النسب أنه أبو سِرْوعَة أخو عُقْبَة بن الحارث، وأسلم

(١)أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

بعد ذلك، ـ (فقتله) وذكر أبو عمر في الاستيعاب أن أبا صُبَيرة بن العبدري قتل خبيباً مع عُقْبَة وصوابه أبو مَيْسَرة كما عند ابن إسحاق رحمه الله تعالى. وروى ابن إسحاق بسند صحيح عن عُقْبَة بن الحارث قال: «لأنا كنتُ أضعف من ذلك، ولكن أبا مَيْسَرة العبدري أخذ الحَرْبة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة. ثم طعنته بها حتى قتلته» وذكر محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر وغيرهما أن خبيباً رضي الله تعالى عنه حين رأى ما صنعوا به قال:

لَقَدْ جَمَّعَ الأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوا ... قَبَائِلَهُمْ واسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
وَكُلُّهُمُ مُبْدِي العَدَاوَةَ جَاهِدٌ ... عَلَيَّ لأَنِّي فِي وِثَاقٍ مُضَيَّعِ
وَقَدْ جَمَّعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ ... وَقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ
وَقَدْ خَيَّرُونِي الكُفْرَ وَالمَوْتُ دُونَهُ ... وَقَدْ هَمَلَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعِ
وَمَا بِي حِذَارُ المَوْتِ إِنِّي لَمَيِّتٌ ... وَلَكِنْ حِذَارِي حَرُّ نَارٍ تَلَفَّعُ
إِلَى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي ... وَمَا أَرْصَدَ الأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَذَا العَرْشِ صَبِّرْنِي عَلَى مَا يُرَادُ بِي ... فَقَدْ بَضَعُوا لَحْمِي وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ
لَعَمْرُكَ مَا آسِي إِذَا مِتُّ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخَشُّعاً ... وَلاَ جَزِعاً إِنِّي إِلَى اللهِ مَرْجِعِي

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن خبيباً رضي الله تعالى عنه قال:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وروى الإمام أحمد بن عمرو بن أمية رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش قال: «فجئت خشبة خبيب وأنا أتخوَّف العيون فرَقَّيتُ ـ وفي لفظ فصعدت فيها ـ فحلَلْتُ خبيباً فوقع إلى الأرض فانتبذت غير بعيد، فسمعت وَجْبَةً خلفي فالتفتُّ فلم أر خبيباً، وكأنما ابتلعته الأرض فلم أر لخبيب أثراً حتى الساعة» وذكر أبو يوسف رحمه الله تعالى في كتاب اللطائف عن الضَّحَّاك رحمه الله تعالى أن رسول الله ﷺ أرسل المقداد والزبير في إنزال خبيب عن خشبته ودخلا إلى التنعيم فوجدا حوله أربعين رجلاً نَشَاوَى فأنزلاه فحمله الزبير على فرسه وهو رَطْب لم يتغير منه شيء، فنذِر بهم المشركون فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعته الأرض فسُمِّي بليع الأرض.

وذكر القيرواني في حُلَى العَلِيّ أن خبيباً لما قُتِل جعلوا وجهه إلى غير القبلة فوجدوه مستقبِلاً لها فأداروه مراراً ثم عجزوا فتركوه. وروى ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما قال: «لما أُصيبت السريَّة التي كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرجيع قال رجال من المنافقين: يا وَيْحَ هؤلاء المقتولين الذين هلكوا هكذا، لا هم قَعَدوا في أهليهم ولا هم أَدَّوْا رسالة صاحبهم». فأنزل الله عز وجل في ذلك من قول المنافقين: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُه في الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويُشْهِدُ اللهَ على مَا فِي قَلْبِهِ**﴾ [البقرة ٢٠٤] وهو مخالف لما يقوله بلسانه، ﴿**وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ**﴾ [البقرة ٢٠٤]، أي ذو جدال إذا كلمك وراجعك ﴿**وإذا تَوَلَّى**﴾ أي خرج من عندك ﴿**سَعَى في الأرْضِ لِيُفْسِدَ فيها ويُهْلِكَ الحرْثَ والنَّسْلَ واللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ**﴾ [البقرة ٢٠٥] أي لا يحب عمله ولا يرضاه. ﴿**وإذَا قِيلَ له اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ولَبِئْسَ المِهَادُ**﴾ [البقرة ٢٠٦]. كذا ذكر ابن إسحاق أن هذه الآيات نزلت في شأن هذه السرية، وذكر غيره أنها نزلت في الأَخْنَس بن شَرِيق والله تعالى أعلم. ﴿**وَمِنَ الناس منْ يَشْرِي نَفْسَهُ**﴾ أي يبيع نفسه في الجهاد ﴿**إبْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ واللهُ رؤُوفٌ بالعِبَادِ**﴾ [البقرة ٢٠٧] قالوا نزلت هذه الآية في صُهَيْب رضي الله تعالى عنه.

تنبيهات

الأول: وقع في الصحيح في حديث: «وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر». واعتمد على ذلك البخاري، فذكر خبيب بن عَدِيّ فيمن شهد بدراً قال في الفتح وهو اعتماد متجه. وتعقب الحافظ أبو محمد الدمياطي، وتبعه في العيون بأن أهل المغازي لم يذكر أحد منهم أن خبيب بن عديّ ممن شهد بدراً ولا قتل الحارث بن عامر، إنما ذكروا أن الذي قتل الحارث بن عامر ببدر هو خبيب بن إساف، وهو غير خبيب بن عديّ وهو خزرجي، وخبيب بن عديّ أوسي. قال الحافظ: «ويلزم من الذي قال ذلك رَدّ هذا الحديث الصحيح، فلو لم يَقْتُل خبيب بن عديّ الحارث بن عامر، ما كان لاعتناء آل الحارث بن عامر بأسر خبيب معنى، ولا بقتله مع التصريح في الحديث الصحيح أنهم قتلوه به. ولكن يحتمل أن يكونوا قتلوا خبيب بن عديّ لكون خبيب بن إساف ـ بهمزة مكسورة وقد تُبْدَل تحتية وبسين مهملة ـ قتل الحارث بن عامر، على عادتهم في الجاهلية بقتل بعض القبيلة عن بعض، ويحتمل أن يكون خبيب بن عديّ شرك في قتل الحارث والعلم عند الله.

الثاني: قال أبو هريرة كما في الصحيح: «فكان أول من سَنَّ الركعتين عند القتل» وجَزَم بذلك خلائق لا يُحْصَون. وقدَّمه في الإشارة ثم قال: وقيل أُسامة بن زيد حين أراد المُكْرِي الغَدْر به، قلت كذا في نسختين من الإشارة: أُسامة، وصوابه زيد بن حارثة والد أُسامة كما في الروض: «قال أبو بكر بن أبي خيثمة حدثنا يحيى بن مَعِين قال أخبرنا يحيى [بن عبد الله] بن بكير قال حدثنا الليث بن سعد رحمه الله تعالى قال: «بلغني أن زيد بن حارثة اكترى من رجل

بغلاً إلى الطائف واشترط عليه المُكْرِي أن يُنزله حيث شاء قال فَمَال به إلى خَرِبة فقال له انزل، فنزل فإذا في الخَرِبة قَتْلَى كثيرة. قال فلما أراد أن يقتله قال له: دَعْني أُصَلِّي ركعتين. قال: صلِّ، فقد صلَّى هؤلاء قبلك فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً. قال فلما صلَّيت أتاني ليقتلني. قال فقلت: «يا أرحم الراحمين». قال فسمع صوتاً قال: لا تقتله. قال: فهاب ذلك فخرج يطلب أحداً فلم ير شيئاً، فرجع إليَّ، فناديت: يا أرحم الراحمين، ففعل ذلك ثلاثاً. فإذا أنا بفارس على فرس في يده حربة من حديد في رأسها شعلة من نار فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتاً. ثم قال لي: «لما دَعَوْت المرَّة الأولى يا أرحم الراحمين كنتُ في السماء السابعة. فلما دعَوْت المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنتُ في السماء الدنيا فلما دَعَوْتَ المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أَتَيْتُك». انتهى فهذا كما ترى غير متصل فلا يقاوم ما في الصحيح.

الثالث: قال السهيلي رحمه الله تعالى: «وإنما صار فِعْلُ خبيب رضي الله تعالى عنه سُنَّة [حسنة]. والسنَّة إنما هي أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وإقراره غَيْرَه على قول أو فِعْل لأن خبيباً فعلهما في حياة رسول الله ﷺ فاسْتُحِسن ذلك من فعله.

الرابع: قال في الروض: «فإن قيل: فهل أُجيبت فيهم دعوة خبيب؟ والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مستجابة. قلنا: أصابت منهم من سبق في علم الله أن يموت كافراً، ومن أسلم منهم فلم يَعْنِهِ خبيب ولا قصده بدعائه، ومن قُتِل منهم كافراً بعد هذه الدعوة فإنما قُتِلوا بِدَداً غير مُعَسْكِرين ولا مُجْتَمِعين كاجتماعهم في أُحُد، وقبل ذلك في بدر، وإن كانت الخندق بعد قصة خبيب فقد قتل فيها منهم آحاد مُتَبَدِّدُون، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جَمْع ولا مُعَسْكر غَزَوْا فيه فنفذت الدعوة على صورتها وفيمن أراد خبيب رحمه الله تعالى وحاشا له أن يكره إيمانهم وإسلامهم.

الخامس: قول سيدنا خبيب: «ذلك في ذات الإله» إلى آخره قال أبو القاسم الراغب: «الذات تأنيث ذو وهي كلمة يُتَوَصَّل بها إلى الوصف بأسماء الأجناس و الأنواع وتضاف إلى الظاهر دون المُضْمَر وتُثَنَّى وتجمع ولا يُستعمل شيء منها إلا مضافاً وقد يسبقها لفظ الذات لعين الشيء، واستعملوها مفردة ومضافة وأدخلوا عليها الألف واللام وأَجْرَوهَا مجرى النفس والخاصة [فقالوا ذاته ونفسه وخاصته] وليس ذلك من كلام العرب». وقال القاضي: ذات الشيء نفسه وحقيقته. وقد استعمل أهل الكلام «الذات» بالألف واللام وغلَّطهم أكثر النُحاة وجَوَّزه بعضهم لأنها ترد بمعنى النفس وحقيقة الشيء، وجاء في الشعر لكنه شاذّ. وقال ابن برهان ـ بفتح الباء الموحدة ـ «إطلاق المتكلمين الذات في حق الله تعالى من جهلهم لأن ذات تأنيث ذو، وهو جَلَّت عظمته لا يصح له إلحاق تأنيث، ولهذا امتنع أن يُقال عَلاَّمة وإن كان

أعلم العالمين». قال: «وقولهم الصفات الذاتية جهل منهم أيضاً لأن النسب إلى ذات دَوْر».

وقال التاج الكِنْدي في الرد على الخطيب ابن نُبَاتَة[١] في قوله: كنه ذاته، ذات بمعنى صاحبة تأنيث ذو، وليس لها في اللغة مدلول غير ذلك، وإطلاق المتكلمين وغيرهم الذات بمعنى النفس خطأ عند المحققين. وتَعَقَّب بأن الممتَنِع استعمالها بمعنى صاحبة، أما إذا قُطِعت عن هذا المعنى واستعملت بمعنى الاسمية فلا محذور كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران ١١٩] أي بنفس الصدور.

وقد حكى المطرزي[٢] رحمه الله تعالى أن كل ذات شيء وكل شيء ذات. وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى في تهذيبه: «مُراد الفقهاءِ بالذات الحقيقية» وهذا اصطلاح المتكلمين وقد أنكره بعض الأدباء عليهم وقال إنه لا يُعرف في لغة العرب ذات بمعنى الحقيقة [وإنما ذات بمعنى صاحبة] وهذا الإنكار منكر بل الذي قاله الفقهاء والمتكلمون صحيح فقد قال الإمام أبو الحسن الواحدي [في أول سورة الأنفال] في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ قال:[أبو العباس أحمد بن يحيى] ثعلب: معنى ذات بينكم أي الحالة التي بينكم فالتأنيث عنده للحالة [وهو قول الكوفيين] وقال الزُّجَّاج: معنى ذات بينكم حقيقة وَصْلِكم والمراد بالبَيْن الوصل فالتقدير: فأَصْلحوا حقيقة وصلكم. قال الواحدي: فذات عنده بمعنى النفس [كما يقال ذات الشيء ونفسه]. انتهى.

وعلى جواز ذلك مشى الإمام البخاري فقال في كتاب التوحيد من صحيحه: (باب ما يُذْكر في الذات والنعوت)[٣]. فاستعملها على نحو ما تقدم من أن المراد بها نفس الشيء وحقيقته على طريقة المتكلمين في حق الله تعالى، ففرّق بين النعوت والذات واستدل البخاري على ذلك بقول خبيب السابق. وتعقبه السبكي رحمه الله تعالى بأن خبيباً لم يُرِد بالذات الحقيقة التي هي مراد البخاري، وإنما مراده: في سبيل الله أو في طاعته.

---

(١) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي، أبو يحيى: صاحب الخطب المنبرية. كان مقدماً في علوم الأدب، وأجمعوا على أن خطبه لم يُعمل مثلها في موضوعها وسكن حلب فكان خطيبها. واجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة الحمداني. وكان سيف الدولة كثير الغزوات، فأكثر ابن نباتة من خطب الجهاد والحث عليه. وكان تقياً صالحاً. توفي بحلب. له «ديوان خطب» الأعلام ٣/٣٤٧،٣٤٨.

(٢) ناصر عبد السيد أبي المكارم بن علي، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرزي: أديب، عالم باللغة، من فقهاء الحنفية. ولد في جرجانية خوارزم سنة ٥٢٨ هجرة ودخل بغداد حاجا سنة ٦٠١ وتوفي في خوارزم سنة ٦١٠ هجرة كان رأساً في الاعتزال ولما توفي دثي بأكثير من ٣٠٠ قصيدة من كتبه الإيضاح في شرح مقامات الحريري والمصباح في النحو والمعرب في اللغة شرحه ورتبه في كتابه «المغرب في ترتيب المعرب» وغير ذلك... انظر الأعلام ٧/٣٤٨.

(٣) البخاري ١٣/٣٩٣.

قال الكرماني: وقد يُجاب بأن غرضه إطلاق الذات في الجملة، قال في الفتح: والاعتراض أقوى من الجواب. واستدل غيره بقوله ﷺ: «لم يَكْذِب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كَذِبات ثِنْتَيْن منهن في ذات الله عز وجل»(١). وفي رواية «كل ذلك في ذات الله تعالى». وبحديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه: «لا يفقه كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله تعالى»(٢). رواه برجال ثقات إلا أن فيه انقطاعاً. يقول حسّان بن ثابت:

وإِنَّ أَخَا الأَحْقَافِ إِذْ قَامَ فِيهِمُ يُجَاهِدُ فِي ذاتِ الإِلَهِ وَيَعْدِلُ

ونعقب بما تعقب به البخاري بأن المراد بالذات هنا الطاعة أو بمعنى حق أو من أجل فهي كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتَا على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ﴾ [الزمر ٥٦].

وأَصْرَح من ذلك كله حديث ابن عباس مرفوعاً: «تفكَّروا في كل شيء ولا تفكَّروا في ذات الله»(٣). فإن الطاعة وما ذُكر معها لا تأتي هنا. قال في الفتح: «فالذي يظهر جواز إطلاق ذات لا بالمعنى الذي أحدثه المتكلمون ولكنه غير مردود إذا عُرِف أن المُرَاد به النفس لثبوت لفظ النفس في الكتاب العزيز». قلت حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صريح بما ذهب إليه المتكلمون.

السادس: في بيان غريب ما سبق:.

الرَّجِيعِ: بفتح الراء وكسر الجيم وسكون التحتية وبالعين المهملة: وهو ماء لهُذَيْل.

العيون: جمع عَيْن، وهو هنا الجاسوس.

ثابت: بالثاء المثلثة والموحدة والفوقية.

الأقلح: بالقاف والحاء المهملة.

مَرْثَد: بفتح الميم وسكون الراء. وفتح المثلثة وبالدال المهملة ابن أبي مرثد اسمه.

خُبَيْب: بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالموحدة.

الدَّثِنَة: بفتح الدال المهملة وكسر الثاء المثلثة وتسكن فنون فتاء تأنيث من قولهم دَثَّن الطائر إذا طاف حول وَكْره ولم يسقط.

ابن البُكَيْر: بضم الموحدة وفتح الكاف وسكون التحتية وبالراء.

مُعَتِّب: بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة، ويقال بدله مُغيث بغين معجمة فتحتية فثاء مثلثة، والأول أصح.

---

(١) أخرجه البخاري ١٧١/٤ ومسلم في كتاب الفضائل (١٥٤).

(٢) انظر إتحاف السادة ٥٢٧/٤.

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفا ٣٧١/١ وعزاه للأصبهاني في ترغيبه وأبي نعيم.

لِحْيَان: بفتح اللام وكسرها وبالحاء المهملة وبالنون، وهو ابن هُذَيْل بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية وباللام وهو ابن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر. وذكر الهَمْذَانِيّ النسَّابة أن أصل بني لِحْيَان من بقايا جُرْهُم دخلوا في هُذَيْل فنُسِبوا إليهم.

عَضَل: بفتح العين المهملة والضاد المعجمة وباللام بطن من بني الهون.

القَارَة: بالقاف والراء المخفَّفة بعد الألف فتاء تأنيث بطن من بني الهون أيضاً وينسبون إلى الدِّشّ أيضاً بدال وسين مهملتين.

الفرائض: جمع فريضة وهو البعير المأخوذ في الزكاة، سُمِّي فريضة لأنه فرض واجب على رَبِّ المال، ثم اتُّسِع فيه حتى سُمِّي البعير فريضة في غير الزكاة.

مَثَلْتُ بالقتيل: مَثْلاً من بَاب قَتَل وضرب إذا جَدَعتَه وظهر آثار فِعْلِك عليه تنكيلاً، والتشديد مبالغة.

البَعْث: اسم للمبعوث إليه أي المُرْسَل والمُوَجَّه من باب تسمية المفعول بالمصدر.

النَّفَر: بفتح النون والفاء جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة أو إلى تسعة.

الهَدَّة: بفتح الهاء والدال المهملة تُشَدَّد وتخفف، المفتوحتين، موضع بين عُسْفَان ومكة. والهَدْأَة لأكثر رواة الصحيح بسكون الدال بعدها همزة مفتوحة، وللكُشْمَيْهَنِيّ بفتح الدال وتسهيل الهمزة.

عُسْفَان: بضم العين وسكون السين المهملتين وبالفاء قرية جامعة على نحو أربعة بُرُد من مكة.

نَفَرُوا لهم: خرجوا لقتالهم.

استصرخوا عليهم: استغاثوا.

أبو مَعْشَر: بفتح الميم وسكون العين المهملة وفتح الشين المعجمة وبالراء.

وظَلُّوا يَكْمُنُون: يستترون.

أُتِيتُم: بالبناء للمفعول.

اقتصَّ أثره وتَقَصَّصَه: تتبَّعه.

ركنوا في الجبل: من الركون وهو السكون إلى الشيء والميل إليه.

لم يَرُعْهم إلا بالرجال: لم يَبْغَتْهُم ويَفْجَأهم.

غَشَوْهُم: بغين فشين معجمتين.

أحَسَّ بهم: علِم، هذه لغة القرآن، ووقع في بعض نُسَخ السيرة حَسّ.

لجأوا إليه: بالهمزة في آخره: تحرَّزوا واعتصموا.

الفَدْفَد: بفاءين مفتوحتين ودالين مهملتين الأولى ساكنة: وهي الرابية الـمُشرفة.

القَرْدَد: بقاف فاء ودالين مهملتين وهو المَوْضِع المرتفع.

غُرَّان: بضم الغين المعجمة وتشديد الراء والنون: واد بين أَمَج وعُسْفَان منازل بني لحيان.

في ذِمَّة كافر: بكسر الذال المعجمة وتشديد الميم أمانته وعهده.

حَمَى: زَيْدٌ عَمْراً إذا أجاره ومنعه.

سُلافَة: بضم السين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء بنت سعد بن شُهَيْد بضم الشين المعجمة وفتح الهاء،وصَحَّف من قال سَلاَمَة بالميم بدل الفاء.

مُسَافِع: بضم الميم وسين مهملة وفاء مكسورة.

الجُلاَس: بضم الجيم وتخفيف اللام وبالسين المهملة.

العَبْدَرِيّ: بفتح العين المهملة وسكون الموحدة وفتح الدال المهملة وبالراء.

قِحْف الرأس: بكسر القاف وسكون الحاء المهملة وبالفاء أعَلَى الدِّمَاغ.

الدَّبْر: بفتح الدال المهملة وسكون الموحدة وبالراء، وهو هنا الزَّنَابير والنَّحْل.

الظُّلَّة: بضم الظاء المعجمة المُشَالة وتشديد اللام المفتوحة هي السحابة.

حَمَتْه: بفتح الحاء المهملة والميم منعته منهم. بعث الله تعالى الوادي أي السَّيْل.

صعد الجبل: علاه.

الغدر: هو ترك الوفاء بالعهد.

الأُسْوَة: بكسر الهمزة وضمها القُدْوَة.

القِران: بكسر القاف وتخفيف الراء الحَبْل وهو القَرَن بفتح القاف والراء.

الظَّهْرَان: بفتح الظاء المعجمة المُشَالة وسكون الهاء، وهو مَرّ الظهران وهو الذي تسميه العامة بَطْن مَرّ.

دُخِل بهما: في شهر حرام بالبناء للمفعول.

ذو القِعْدَة: بفتح القاف وتُكْسر شهر كانوا يَقْعُدون فيه عن الأسفار.

شرح غريب ذكر قتل زيد وخبيب رضي الله تعالى عنهما

جَمَح: بجيم فميم فحاء مهملة مفتوحات، اغتر وغلب.

نَشطَاس: [بنون مفتوحة وسين وطاء مهملتين وألف وسين مهملة].

التنعيم: بفتح أوله والفوقية وسكون النون وكسر العين المهملة وسكون التحتية وبالميم وهو المكان الذي يقال له الآن مساجد عائشة سُمِّي بذلك لأن عن يمينه جَبلاً يقال له نُعَيْم وعن شماله جبل يقال له ناعم والوادي نَعْمَان، وهو من الحِل بين مَرّ وسَرِف على فرسخين من مكة نحو المدينة.

الرَّهْط: بفتح الراء وسكون الهاء وفتحها وبالطاء المهملة، دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة ومنها إلى الأربعين رجلاً.

أَنْشُدُك بالله تعالى: بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة أي أَسْألك به.

حُجَيْر: بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وسكون التحتية وبالراء.

إهاب: بكسر أوله وبالموحدة.

ابن عزيز: ضد ذليل.

الحَلِيف: بفتح الحاء المهملة المُعَاهِد بكسر الهاء.

نَوْفَل: بنون مفتوحة فواو ساكنة ففاء مفتوحة فلام.

مَاوِيَّة: بواو مكسورة وتشديد التحتية في رواية يونس بن بُكَيْر عن ابن إسحاق، وفي رواية غيره عنه بالراء والتخفيف.

تسقوني العَذْب: أي الماء العذب.

النَّصْب: بفتح النون والصاد المهملة والموحدة.

القِطْف: بكسر القاف العُنْقود.

الثَّمَرة: بفتح الثاء المثلثة والميم.

صِير الباب: بكسر الصاد المهملة وسكون التحتية وبالراء أى شَقّ الباب.

يتهجَّد بالقرآن: أي يصلِّي به في الليل.

يَرْقِقْنِي: بتحتية مفتوحة فراء ساكنة فقافين الأولى مكسورة عليه أي برحمه.

انسلخت: أي الأشهر الحُرُم فرغت وخرجت.

أجمعوا على قتله: أي عزموا عليه.

ما اكترث بذلك: بفوقية فراء فثاء مثلثة أي ما بالى به ولا يستعمل إلا في النفي.

بنو الحَضْرَمي: العَلاَء وعامر وعمرو، وقُتِل عَمْرو كافراً في سَرِيَّة عبد الله بن جحش قتله واقد بن عبد الله.

الاستحداد: حَلْق العانة بالحديد.

المُوسَى: يُذَكَّر ويُؤَنَّث ويجوز تنوينه وعدم تنوينه.

أبو حسين: هو ابن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف.

تحضنه: تضمُّه إليها.

أدرك ثأره: لحقه والثأر بالثاء المثلثة وسكون الهمزة يقال ثأرت القتيل وثأرت به إذا قتلت قاتله.

لعَمْرك: بفتح اللام والعين المهملة أي وحَيَاتك.

غَفَل: عن كذا بغين معجمة ففاء مفتوحتين شُغِل عنه وتَلَهَّى.

دَرَج الصبي: هو أبو حسين بن الحارث بن عامر.

المَوْتُور: بالفوقية الذي قُتِل له قتيل.

وَتَر وِتْراً: بكسر الواو وفتحها ومعناه هنا قتلتُ له قتيلاً.

أَمَا والله: بفتح أوله وتخفيف الميم.

الجَزَع: كالتَّعب ضد الصبر.

أَحْصِهم عدداً: بفتح الهمزة وبالحاء والصاد المهملتين أي أَهْلِكهم بحيث لا تُبقي من عددهم أحداً.

بَدَداً: بفتح الموحدة ودالين مهملتين مفتوحتين أي متباعدين متفرقين عن أهليهم وأوطانهم ويحتمل أن يكون من قولهم بايعته بدداً أي معارضة والمعنى عارِضْهم بقتلهم كما فعلوا بنا، ومن قولهم: مالك به بِدَّة أي طاقة والمعنى خُذْهم بحولك أَخذةً رابية، لكنه إنما أورده اللغويون مَنْفِيًا. قال في النهاية: «ويُرْوَى بكسر الباء جمع بِدَّة وهي الحِصَّة والنصيب أي اقتلهم حِصَصاً مُقَسَّمة لكل واحد منهم حصته ونصيبه [ويروى بالفتح أي متفرقين في القتل واحداً بعد واحد من التبديد]».

قال ولا طائل تحت هذا المعنى. وقال في الروض: «فمن رواه بكسر الباء فهو جمع بِدَّة وهي الفرقة والقطعة من الشيء المتبدد ونصبه على الحال من المدعو عليهم، ومن رواه بفتح

الموحدة فهو مصدر بمعنى التبدد أي ذوي بدد أي أصابت دعوة خُبيب رضي الله تعالى عنه مَنْ سبق في علم الله تعالى أن يموت كافراً بعد هذه الدعوة، فإنما قُتِلوا بدداً غير معسكرين ولا مجتمعين، وإن كانت قصة الخندق بعد قصة خُبيب رضي الله تعالى عنه وحاشا لله أن يُنْكِر إيمانهم وإسلامهم».

لا تغادر: لا تترك.

الفَرَق: بالفاء والراء والقاف: الفَزَع بلفظه ومعناه.

رُعِي عليهم: بالبناء للمفعول.

حُوَيْطِب: بضم الحاء المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وكسر الطاء المهملة وبالموحدة.

أخذته غَمْيَة: كما كان يأخذه إذا أُنزل عليه الوحي.

أبو سَرْوَعَة: بفتح السين المهملة أكثر من كسرها وبسكون الراء وفتح الواو وبالعين المهملة.

الأحزاب: جمع حِزْب وهي الطائفة. والأحزاب الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ألَّبوا: أجمعوا.

القبائل: جمع قبيلة.

مَجْمَع: مكان الاجتماع.

مَجْزَع: بالجيم والزاي والعين المهملة من الجَزَع ضد الصَّبْر.

وما بي حِذارُ الموت: أي ليس كلامي هذا خوفاً من الموت.

تلمع: أي تضيء.

الكُرْبَة: بالضم اسم من كَرَبَهُ الأمر يَكْرُبُه بالضم كَرْباً إذا أخذ بنفسه والجمع كُرَب مثل غُرْفَة وغُرَف.

أَرْصَدَ: أَعَدَّ.

بَضَّعُوا: بتشديد الضاد المعجمة وبالعين المهملة قَطَّعوه، ويجوز بالتخفيف.

يَاسَ: [لغة في يَئِس] انقطع رجاؤه.

مَطْمَعِي: أملي.

الذات: هنا بمعنى الطاعة أو السبيل كما ذكره السبكي والكرماني لا بمعنى الحقيقة كما تقدم بَسْطُه.

الأَوْصَال: بالصاد المهملة واللام. الأعضاء.

الشِّلْو: بكسر الشين المعجمة وإسكان اللام وبالواو: العضو من اللحم، قاله أبو عُبيدة. وقال الخليل رحمه الله تعالى هو الجسد لقوله في أوصال يعني أعضاء جسد إذ لا يقال أعضاء عضو.

المُمزَّع: بضم الميم الأولى وفتح الثانية والزاي المشددة وبالعين المهملة: المُقَطَّع.

ما آسى: أي ما أحزن.

صعِدت: بكسر العين في الماضي وبفتحها في المستقبل.

انتبذت: انفردت.

الوجْبة: بفتح الواو وسكون الجيم وتاء التأنيث المربوطة.

حسْبُه جهنم: كافيه.

المِهاد: أي بِئْس ما مهَّد لنفسه في معاده، يقال مَهَّد لنفسه بالتخفيف والتشديد أي جعل لها مكاناً ووطناً مُمَهَّداً.

يَشْرِي نفسه: أي يبيعها بالجنة يبذلها بالجهاد.

الحَرْث: بحاء فراء مهملتين فمثلثة: الزَّرْع.

النَّسْل: بنون فسين مهملة فلام: الوَلَد.

العِزَّة: بعين مهملة مكسورة فزاي: القوة.

شرح غريب شعر حسان رضي الله تعالى عنه

وَافَاه: أشرف عليه.

ثَمَّ: بفتح المثلثة بمعنى هناك.

الحِمَام: بكسر الحاء وتخفيف الميم نُذُر الموت.

المُنْسَكِب: المُرْسَل السائب.

لم يَؤُب: لم يَرْجع.

الصَّقْر: من الجوارح جَمْعُه أَصْقُر [وصقور] وصُقُورَة وقال بعضهم الصقر ما يصيد من الجوارح كالشَّاهِين وغيره. وقال الزَّجَّاج يقع الصقر على كل صائد من البُزَاة والشواهين، وشُبِّه الرجل الشجاع به.

السَّجِيَّة: بفتح السين المهملة وكسر الجيم وسكون التحتية: الغريزة والجمع سجايا.

المَحْض: بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وبالضاد المعجمة: بالخالص، وأراده هنا.

المُؤْتَشِب: بضم الميم وسكون الهمزة وفتح الفوقية وكسر الشين المعجمة وبالموحدة: المختلط؛ والأشواب من الناس الأوباش، قال في التقريب وهم الضروب المتفرقون وقال في النهاية الأخلاط من الناس والرُّعَاع بضم الراء. قال في المجمل هم السُّفْلة من الناس الحَمْقَى.

هاج: تحرَّك.

عِلاَّت: مَشَقَّات.

العَبْرَة: الدَّمَعَة.

النَّصّ: بفتح النون وبالصاد المهملة المشددة من النَّصّ في السير وهو أَرْفَعُه.

كُهَيْبَة: بضم الكاف وفتح الهاء وسكون التحتية وفتح الموحدة وبتاء تأنيث. قال في الإملاء قبيلة. وفي الروض: «جعل كُهَيْبَة كأنه اسم عَلَم لأُمِّهم وهذا كما يقال بنو ضَوْطَرَى وبنو الغَبْرَاء وبنو دَرْزَة وهذا كله اسم لمن يُسَبّ وعبارة عن السُّفْلَة من الناس، وكُهَيْبَة من الكُهْبَة وهي الغَبْرَة».

الطِيَّة: بطاء مهملة مكسورة فتحتية مُشَدَّدة ما انطوت عليه نِيَّتُك من الجهة التي تتوجَّه إليها.

الوعيد: التهديد.

لَقِحَتْ الحرب: ازداد شرُّها.

محلوبها: لَبَنُها.

الصَّابّ: العَلْقَم.

تُمْرَى: تُمْسَح لِتُحْلَب.

المُعْصَوْصِب: بميم مضمومة فعين فصادين بينهما واو مهملات فموحدة وهو هنا الجيش الكثير الشديد.

اللَّجِب: بالجيم: الكثير الأصوات.

الباب السادس عشر

في سرية المنذر بن عمرو [الساعدي] رضي الله تعالى عنه إلى بئر معونة وهي سرية القراء رضي الله تعالى عنهم، في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة

روى الشيخان والبيهقي عن أنس، والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم، والبخاري عن عروة بن الزبير، ومحمد بن إسحاق عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم وغيرهما، ومحمد بن عمر عن شيوخه، قال أنس في رواية قَتَادة كما في الصحيح أنَّ رِعْلاً وذَكْوَان وعُصَيَّة وبني لِحْيَان أتوا رسول الله ﷺ فزعموا أنهم قد أسلموا واستمدوه على عَدوِّهم. ورواه البخاري والإسماعيلي في مستخرجه في كتاب الوِتْر، واللفظ للإسماعيلي أن رسول الله ﷺ بعَث ناساً يقال لهم القُرَّاء وهم سبعون رجلاً إلى أُناس من المشركين بينهم وبين رسول الله ﷺ عَهْد فقتلهم قوم مشركون دون أولئك. وقال ابن إسحاق عن مشايخه، وموسى بن عُقْبَة عن ابن شهاب أسماء الطائفتين وإن أصحاب العهد بنو عامر، ورأسهم أبو بَرَاء عامر بن مالك، وإن الطائفة الأُخرى من بني سُلَيْم وكان رأسهم عامر بن الطُّفَيل العامري، وهو ابن أخي أبو بَرَاء.

فروى ابن إسحاق عن المغيرة بن عبد الرحمن، وعبد الله بن أبي بكر وغيرهما، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: قدم عامر بن مالك بن جعفر أبو بَرَاء مُلاَعِب الأسنة العامري على رسول الله ﷺ فأهدى إليه فَرسين وراحلتين، فقال رسول الله ﷺ: «لا أقبل هدية من مُشْرِك»(١). وفي رواية: «إني نُهِيتُ عن زَبْد المشركين»(٢). وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فلم يُسلم ولم يَبْعُد، وقال: «يا محمد إني أرى أَمْرَك هذا حسناً شريفاً وقومي خَلْفي، فلو أنك بعثت معي نفراً من أصحابك لرجوتُ أن يَتَّبِعوا أَمْرَك فإنهم إن اتَّبَعُوك فما أَعَزَّ أَمْرَك».

فقال رسول الله ﷺ: «إني أخاف عليهم أهل نَجْد». فقال عامر: لا تخف إني لهم جار إن يَعْرِض لهم أحدٌ من أهل نجد. وخرج عامر بن مالك إلى ناحية نجد فأخبرهم أنه قد أَجار أصحاب محمد ﷺ فلا تَعْرِضوا لهم. وكان من الأنصار سبعون رجلاً شَبَبة يُسَمَّوْن القُرَّاء. كانوا إذا أَمْسوا أَتوا ناحية من المدينة إلى مُعَلِّم لهم فتدارسوا القرآن وصلَّوا حتى إذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء وحطبوا من الحطب فجاءوا به إلى حُجَر أزواج رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الطبراني ٢١٦/٣ والبخاري في التاريخ ٣٠٤/٥ وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (١٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج (٣٠٥٧) والترمذي (١٥٧٧) والطبراني في الكبير ٣٦٤/١٧ وابن عبد البر في التمهيد ١٢/٢.

وفي رواية يحتطبون فيبيعونه ويشترون به [الطعام] لأهل الصُّفَّة وللفقراء. وفي رواية: ومن كان عنده سَعَة اجتمعوا واشتروا الشاة فأصلحوها فيصبح ذلك مُعَلَّقاً بحُجَر أزواج رسول الله ﷺ. فكان أهلوهم يظنون أنهم في المسجد، وكان أهل المسجد يظنون أنهم في أهليهم[١].

وذكر ابن عُقْبَة رحمه الله تعالى أنهم أربعون. وقال أنس كما في الصحيح أنهم سبعون كما سيأتي بيان ذلك. فبعثهم رسول الله ﷺ وبعث معهم كتاباً، وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي. فخرج المنذر بن عمرو بدليل من بني سُلَيْم يقال له المُطَّلِب [السُّلَمِي] فخرجوا حتى إذا كانوا على بئر معونة عسكروا بها وسرحوا ظَهْرَهم مع عمرو بن أُمية الضَّمْري، والحارث بن الصِّمَّة فيما ذكره أبو عمر، وذكر ابن إسحاق وتَبِعَه ابن هشام بَدَل الحارث المُنْذِر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحَة بن الجُلاَح.

وبعثوا حَرَام بن مِلْحَان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر، فلما انتهى عامر إليهم لم يقرأوا الكتاب، ووثب عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر على حَرَام فقتلوه. وفي الصحيح عن أنس[٢]: «فتقدمهم خالي حَرَام بن مِلْحَان ورجل أعرج قال ابن هشام اسمه كعب بن زيد، زاد البيهقي ورجل آخر من بني فلان. فقال لهما خالي حَرَام بن مِلْحَان: «إذا تقدَّمَكم فكونا قريباً مني فإن أمنتوني حين أُبلغهم عن رسول الله ﷺ فَأْتِيا، وإن قتلوني لحقتما بأصحابكما».

فتقدم فأمَّنوه فبينما هو يحدِّثهم عن رسول الله ﷺ إذ أَومأوا إلى رجل منهم، فأتى من خلفه فطعنه فأنفذه فقال: «الله أكبر فُزْت وربِّ الكعبة». ثم قال: «بالدم هكذا» فنضحه على وجهه[٣]. ونجا كعب بن زيد لأنه كان في جبل. واستصرخ عامر بن الطفيل عليهم ببني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم وقالوا: لن نُخْفِر جُوَارَ أبي بَرَاء وقد عقد لهم عَقْداً وجِوَاراً.

فلما أبت بنو عامر أن تنفر مع عامر بن الطُفيل استصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيْم: عُصَيَّة ورِعْل وذكوان وزِعْب. فنفروا معه ورأَّسوه عليهم. فقال عامر بن الطفيل: أحلف بالله ما أقبل هذا وحده. فاتبعوا أثره حتى وجدوا القوم. فلما استبطأوا صاحبهم أقبلوا في أثرهم فلقيهم القوم. والمنذر بن عمرو معهم فأحاطوا بهم في رحالهم. فلما رآهم المسلمون أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم. وفي رواية قتادة عن أنس: فلما كانوا ببئر معونة قتلوهم

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٦/١/٢.

(١) انظر صحيح البخاري مع الفتح ٤٤٦/٧.

(٢) انظر البخاري الموضع السابق (٤٠٩٢).

وغدروا بهم. قال ابن إسحاق: «إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجّار فإنهم تركوه وبه رَمَق فارْتُثَّ من بين القتلى فعاش حتى قُتِل يوم الخندق شهيداً».

وقال محمد بن عمر: وبقي المنذر بن عمرو فقالوا له: إن شئت آمنّاك. فقال: لن أُعطي بيدي ولن أقبل لكم أماناً حتى آتي مقتل حرام [ثم بَرِئ مني جواركم، فآمنوه حتى أتى مصرع حرام] ثم بَرِئوا إليه من جوارهم. ثم قاتلهم حتى قُتِل. فذلك قول رسول الله ﷺ: «أَعْنَقَ لِيَمُوت». وأقبل المنذر بن محمد بن عُقْبَة كما ذكره ابن إسحاق وغيره. وقال ابن عمر: الحارث ابن الصِّمَّة، وعمرو بن أُمية بالسَّرْح، وقد ارتابا بعكوف الطير على منزلهم [أو قريب من منزلهم] فجعلا يقولان: «قُتِل والله أصحابنا» فأوفيا على نَشَزٍ من الأرض، فإذا أصحابهما مقتولون وإذا الخيل واقفة. فقال المنذر بن محمد بن عُقْبَة أو الحارث بن الصِّمَّة [لعَمْرو بن أُمية]: «ما ترى؟» قال: «أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر». فقال الآخر: «ما كنت لأتأخر عن موطن قُتِل فيه المنذر، ما كنت لتخبرني عنه الرجال». فأقبلا فلقيا القوم فقاتلهم الحارث حتى قتل منهم اثنين، ثم أخذوه فأسروه وأسروا عمرو بن أمية. وقالوا للحارث: «ما تحب أن نصنع بك؟ فإنا لا نحب قتلك». قال: «أبْلِغُوني مصرع المنذر بن عمرو، وحرام بن ملحان ثم برئت مني ذمتكم». قالوا: «نفعل». فبلغوا به ثم أرسلوه فقاتلهم، فقتل منهم اثنين، ثم قُتِل، وما قتلوه حتى شَرَعوا له الرماح فنظموه فيها. وأخبرهم عمرو بن أمية وهو أسير في أيديهم إنه من مُضَر ولم يقاتل، فقال عامر بن الطفيل: «إنه قد كان على أُمّي نَسَمَة فأنت حُرٌ عنها». وجَزَّ ناصيته.

ذكر مقتل عامر بن فهيرة وما وقع في ذلك من الآيات

روى البخاري من طريق هشام بن عُرْوَة قال أخبرني أبي قال: «لما قُتِل الذين قتلوا ببئر معونة وأُسر عمرو بن أمية، قال عامر بن الطفيل لعمرو من هذا؟ وأشار إلى قتيل فقال هذا عامر بن فُهَيْرة فقال: لقد رأيته بعد ما قُتِل رُفِع إلى السماء حتى أني لانظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وُضِع».

وروى محمد بن عمر عن أبي الأسود عن عروة أن عامر بن الطفيل قال لعمرو بن أمية: هل تعرف أصحابك؟ قال: نعم، قال فطاف في القتلى وجعل يسأله عن أنسابهم. فقال: هل تفقد منهم أحدا؟ قال: أفقد مولى لأبي بكر يقال له عامر بن فهيرة فقال: كيف كان فيكم؟ قال: قلت: كان من أفضلنا ومن أول أصحاب نبينا فقال: ألا أخبرك خبره؟ وأشار إلى رجل فقال هذا طعنه برمحه ثم انتزع رمحه فذهب بالرجل علواً في السماء حتى ما أراه. وكان الذي طعنه رجل من بني كلاب يقال له جَبّار بن سَلْمَى وأسلم بعد ذلك. وذكر أبو عمر في الاستيعاب

في ترجمة عامر بن فهيرة أن عامر بن الطفيل قتله، مع ذكره في ترجمة جَبَّار أنه هو الذي قتل ابن فهيرة والله أعلم.

وروى البيهقي عنه أنه قال لما طعنته: فُزْتُ ورب الكعبة، قلت في قلبي: ما معنى قوله: «فزت»، أليس قد قتلته؟ قال: فأتيت الضحاك بن سفيان الكلابي، فأخبرته بما كان وسألته عن قوله فزت، فقال بالجنة. فقلت ففاز لَعَمْرُ الله. قال وعرض عليّ الإسلام فأسلمت ودعاني إلى الإسلام ما رأيت من مقتل عامر بن فهيرة من رفعه إلى السماء علواً. وكتب الضحاك بن سفيان إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلامي وما رأيت من مقتل عامر بن فهيرة فقال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة وارت جثته وأُنْزِل عِلِّيِّين»[١] قال البيهقي رحمه الله تعالى: يحتمل أنه رُفِع ثم وُضِع ثم فُقِد بعد ذلك، ليجتمع مع رواية البخاري السابقة عن عروة، فإن فيها ثم وُضِع، فقد رويناه في مغازي موسى بن عُقْبَة في هذه القصة. قال فقال عروة لم يوجد جسد عامر، يروون أن الملائكة وَارتْه. ثم رواه البيهقي عن عائشة موصولاً بلفظ (لقد رأيته بعد ما قُتِل رُفِع إلى السماء حتى أني لانظر إلى السماء بينه وبين الأرض)[٢] ولم يُذْكَر فيها ثم وُضِع. قال الشيخ رحمه الله تعالى: فقويت الطرق وتعددت لمواراته في السماء.

وقال ابن سعد: أخبرنا الواقدي حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنهم: قالت: «رُفِع عامر بن فهيرة إلى السماء ثم لم توجد جثته يروون أن الملائكة وارته ورواه ابن المبارك عن يونس عن ابن شهاب الزهري عن عروة.

ذكر إعلام الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ بخبر أصحابه وما نزل في ذلك من القرآن ووجد رسول الله ﷺ عليهم.

روى الشيخان والإمام أحمد والبيهقي عن أنس، والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم، والبخاري عن عروة أن ناساً جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلِّمونا القرآن والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لها القُرّاء، فتعرضوا لهم وقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان. قالوا: «اللهم بَلِّغ عنا نبينا - وفي لفظ إخواننا - إنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا» فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه فقال: «إن إخوانكم قد لَقوا المشركين واقتطعوهم فلم يَبْقَ منهم أحد، وإنهم قالوا: ربنا بلِّغ قومنا إنا قد رضينا ورُضِي عنا وأنا رسولهم إليكم أنهم قد رضوا ورُضِيَ عنهم». قال أنس: فكنا نقرأ أن بَلِّغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربَّنا فرضي عنا وأرضانا ثم نُسِخ بعد،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٧/١/٢.

(٢) أخرجه البخاري في الموضع السابق من كتاب المغازي باب غزوة الرجيع.

فدعا رسول الله ﷺ أربعين صباحاً على رِعْل وذَكْوان وبني لِحيان وبني عُصَيَّة الذين عصوا الله ورسوله. وفي رواية عن أنس في الصحيح: «فدعا عليهم رسول الله ﷺ شهراً في صلاة الغداة بعد القراءة، وفي رواية بعد الركوع، وذلك بعد القنوت وما كنا نَقْنُت». وفي رواية الإمام أحمد قال أنس رضي الله تعالى عنه: فما رأيت رسول الله ﷺ وجد على شيء وَجْدَه عليهم، فلقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يده فدعا عليهم. فلما كان بعد ذلك، إذا أبو طلحة يقول: «هل لك في قاتل حرام؟» قلت: ما له؟ فعل الله تعالى به وفعل. قال: مَهْلاً فإنه قد أسلم.

ذكر من استشهد يوم بئر معونة رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **عامر بن فُهَيْرة**[1]: بضم الفاء وفتح الهاء وسكون التحتية وبالراء وتاء التأنيث، [مولى أبي بكر الصديق، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم].

٢ ـ **الحَكَم بن كَيْسَان**[2]: الحَكَم بفتحتين وكَيْسان بفتح الكاف وسكون التحتية وبالسين المهملة وبالنون مولى بني مخزوم.

٣ ـ **المُنْذِر بن محمد بن عُقْبَة بن أُحَيْحَة بن الجُلاَح**: المنذر بلفظ اسم الفاعل والدال المعجمة، وأُحَيْحَة بمهملتين مُصَغَّر. وذكر ابن عائذ أنه استشهد ببني قُرَيْظَة.

٤ ـ **أبو عُبَيْدة بن عَمْرو بن مِحْصَن**: مِحْصَن بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين وبالنون.

٥ ـ **الحارث بن الصِّمَّة**: [بن عَمْرو بن عتيك الأنصاري الخزرجي ثم النجَّاري ولقبه مبذول بن مالك] والصِّمَّة بكسر الصاد المهملة وتشديد الميم.

٦ ـ **أُبَيّ بن مُعَاذ بن أنس بن قيس**: أُبَيّ بضم أوله وفتح الموحدة وتشديد التحتية.

٧ ـ **وأخوه أَنَس**: وابن إسحاق وابن عُقْبَة يُسَمِّيَانه أَوْساً ومحمد بن عُمَر يقول إن أَنَساً هذا مات في خلافة عثمان.

٨ ـ **أبو شيخ بن أُبَي ثابت**: عند ابن إسحاق، وقال ابن هشام أبو شيخ اسمه أُبَيّ بن ثابت فعلى قول ابن إسحاق هو ابن أخي حَسَّان بن ثابت وعلى قول ابن هشام هو أخوه.

---

(١) عامر بن فهيرة التيمي مولى أبي بكر الصديق أحد السابقين.. وكان ممن يعذب في الله له ذكر في الصحيح الإصابة ٤/١٤.

(٢) الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي والد أبي جهل.. أسر في أول سرية جهزها رسول الله ﷺ من المدينة وأميرها عبد الله بن جحش فأسر الحكم المذكور فقدموا به على رسول الله ﷺ. الإصابة ٢/٣٠.

٩ - ١٠ ـ **حَرَام بن مِلْحَان:** حَرَام بفتح الحاء والراء المهملتين **وسُلَيْم بن مِلْحَان:** سُلَيْم بالتصغير ابنا ملحان بفتح الميم وكسرها وهو أشهر، واسمه مالك، وهما خالا أنس بن مالك.

١١ - ١٢ ـ **سفيان بن ثابت:** سفيان بالحركات الثلاث في السين المهملة وبالفاء **ومالك بن ثابت وهما ابنا ثابت** من بني النَّبِيت بفتح النون وكسر الموحدة وسكون التحتية انفرد بذكرهما محمد بن عمر.

١٣ ـ **عُرْوَة بن أسماء بن الصلت:** عُرْوَة بضم العين المهملة والصَّلْت بفتح الصاد المهملة وسكون اللام والفوقية.

١٤ ـ **قُطْبة بن عبد عَمْرو بن مسعود بن عبد الأشْهَل:** قُطْبَة بضم القاف وسكون الطاء المهملة وبالموحدة والأَشْهَل بالشين المعجمة.

١٥ ـ **المنذر بن عمرو بن خُنَيْس:** بضم الخاء المعجمة وفتح النون وسكون التحتية وبالسين المهملة.

١٦ ـ **مُعَاذ بن مَاعِص بن قَيْس:** مَاعِص بعين فصاد مهملتين وزن عالم، ذكره محمد بن عمر فيهم. وغيره يقول جُرِح معاذ ببدر ومات بالمدينة.

١٧ ـ **وأخوه عائذ:** بالتحتية والذال المعجمة وقيل مات باليمامة.

١٨ ـ **مسعود بن سعد بن قَيْس**(١): ذكره محمد بن عمر، وأما ابن القَدَّاح فقال مات بخَيْبَر.

١٩ ـ **خالد بن ثابت بن النعمان**(٢): وقيل استشهد بمؤتة.

٢٠ ـ **سُفْيَان بن حَاطِب بن أُمية:** حاطب بالحاء والطاء المكسورة المهملتين وبالموحدة.

٢١ ـ **سعد بن عَمْرو بن ثَقْف:** بفتح الثاء المثلثة فقاف ساكنة ففاء، واسمه كعب بن مالك.

٢٢ـ ٢٣ ـ **وابنه الطفيل، وابن أخيه:** سَهْل بن عامر بن سعد بن عَمْرو بن ثقْف.

٢٤ ـ **عبد الله بن قيس بن صِرْمة بن أبي أَنَس:** صِرْمة بكسر الصاد المهملة والراء والميم وتاء مربوطة.

---

(١) مسعود بن عبد سعد بن عامر هو مسعود بن عامر.. جعله أبو عمر اثنين وهو واحد واختلف في تسمية أبيه. الإصابة ٢٠٢/٦.

(٢) خالد بن ثابت بن النعمان بن الحارث بن عبد رزاح بن ظفر الأنصاري الظفري.. الإصابة ٨٧/٢.

٢٥ ـ **نافع بن بُدَيْل بن وَرْقاء الـخُزَاعي:** وفيه يقول عبد الله بن رَوَاحة يرثيه:

رَحِمَ اللهُ نَافِعَ بنَ بُدَيْلٍ   رَحْمَةَ المُبْتَغِي ثَوابَ الجِهادِ
صابِراً صادِقَ اللِّقاءِ إذا ما   أَكْثَرَ القومُ قالَ قَوْلَ السَّدادِ

ووقع في بعض نُسَخ العيون فوات الجهاد بالفاء أخت القاف وهو تصحيف من الناسخ.

وهذا ما ذكره أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتابه ذيل المُذَيَّل. وزاد ابن سعد الضحَّاك ابن عبد عَمْرو بن مسعود، وهو أخو قُطْبَة. وزاد ابن القَدَّاح عُمَيْر بن مَعْبَد بن الأَزْعَر، بالزاي والعين المهملة وسماه ابن إسحاق عَمْراً. وزاد ابن الكلبي: خالد بن كعب بن عَمْرو بن عَوْف. وزاد أبو عمر [النمري في الاستيعاب] سُهَيْل بن عامر بن سعد، قال في العيون: «وأظنه سَهْل بن عامر الذي ذكرناه [على أنه ذكر ذلك في ترجمتين إحداهما في باب سهل والأخرى في باب سهيل] والمُخْتَلف في قتله [في هذه الواقعة مختلف في حضوره] فأرباب المغازي متفقون على أن الكل قُتِلوا إلا عَمْرو بن أُمية الضَّمْرِيّ، وكعب بن زيد بن قيس فإنه جُرِح يوم بئر معونة ومات بالخندق». انتهى. ونُقِل في الإصابة عن عروة أن سهيلاً عم سهل أو أخوه. فصَحَّ ما قاله أبو عمر النَّمَرِيّ.

ذكر رجوع عمرو بن أمية الضمري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليخبره خبر أصحابه

ورجع عمرو بن أمية إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بالقَرْقَرة من صدْر قناة أقبل رجلان من بني عامر ثم من بني كلاب أو من بني سلمة، حتى نزلا معه في ظل هو فيه. وكان مع العامريين عقْد من رسول الله ﷺ وجِوار، ولم يعلم به عمرو. فسألهما حين نزلا: مِمَّن أنتما؟ فقالا من بني عامر. فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرةً من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

فلما قَدِم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ أخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ: «لقد قَتَلْتَ قتيلَيْن لأَدِيَنَّهما» ثم قال رسول الله ﷺ: «هذا عمل أبي براء قد كنتُ لهذا كارهاً متخوِّفاً». فبلغ ذلك أبا براء، فشَقَّ عليه إخفار عامر بن الطُفيل إياه وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجِواره. وقال حسَّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه يُحرِّض بني أبي براء على عامر بن الطفيل:

بَنِي أُمِّ البنين أَلَمْ يرُعْكُمْ   وأنتم من ذوائب أهل نجد
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبي براءٍ   لِيُخْفِرهُ وما خطأٌ كَعمْدِ
أَلا أَبْلِغْ ربيعة ذا المساعِي   فما أَحْدثْتَ في الحَدَثَانِ بَعْدِي

أبـوك أبـو الـحـروب أبـو بَـرَاءٍ ... وخَـالُـكَ مَـاجِـدٌ حَكَـمُ بنُ سَعْـدِ

قال ابن هشام: أم البنين[1] بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة. وهي أم أبي براء وحكم بن سعد من القين بن جَسْر. قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك، على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح، فوقع في فخذه فأشْوَاهُ ووقع عن فرسه، فقال: هذا عَمَل أبي براء، إن أمُتْ فدمي لعَمّي فلا يُتْبَعَنَّ به وإن أعِشْ فسأرى رَأيي فيما أتى إليّ.

وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة:

عـلـى قـتـلـى معـونـة فـاشـتـهـلّـي ... بـدمـع الـعـين سَـحّـاً غـيـر نَـزْرِ

عـلـى خـيـل الـرسـول غَـدَاةَ لاقـوا ... وَلاَقَـتْـهُـمْ مَـنَـايَـاهُـمْ بِـقَـدْرِ

أصـابـهـم الـفـنـاءُ بـعـقـد قـومٍ ... تُـخُـوِّنَ عـقـد حـبـلـهـمُ بِـغَـدْرِ

فـيـالـهـفـي لِـمُـنْـذِرٍ إذ تـولّـى ... وأعـنـق فـي مَـنِـيَّـتِـهِ بِـصَـبْـرِ

فـكـائـن قـد أُصـيـب غَـدَاةَ ذَاكُـمْ ... من ابيضَ مـاجـدٍ مـن سِرّ عـمـرِو

تنبيهات

الأول: ذكر أبا براء في الصحابة خليفة بن خيّاط ـ بالخاء المعجمة والتحتية المشددة ـ والبغوي وابن البرّقي، والعسكري، وابن نافع، والباوَرْدِي ـ بالموحده ـ وابن شاهين، وابن السَّكَن، وقال الدارقطني[2]: له صُحْبَة. وروى عُمر بن شَبَّة[3] ـ بفتح الشين المعجمة وتشديد الموحدة ـ في كتاب الصحابة له عن مشيخة من بني عامر، قالوا: قدم على رسول الله ﷺ خمسة وعشرون رجلاً من بني جعفر، ومن بني بكر، فيهم عامر بن مالك الجعفري، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «قد استَعْمَلْتُ عليكم هذا» وأشار إلى الضحّاك بن سفيان الكلابي وقال لعامر بن مالك بن جعفر: «أنت على بني جعفر» وقال للضحّاك: «إستوصِ به خيراً» قال الحافظ رحمه الله تعالى: «فهذا يدل على أنه وفد بعد ذلك مسلماً». إذا علمت ذلك فقول الذهبي في التجريد الصحيح: إنه لم يُسلم، فيه نظر.

---

(١) أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزاري لوالدها صحبة ولها إدراك وتزوجها عثمان وله معها قصة. من طبقات ابن سعد الإصابة ٨/٢١٦.

(٢) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقطني الشافعي: إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراءات وعقد لها أبواباً من تصانيفه كتاب «السنن» و«العلل الواردة في الأحاديث النبوية» و«المجتبى من السنن المأثورة» و«المؤتلف والمختلف» و«الضعفاء» توفي ٣٨٥ . الأعلام ٤/٣١٤.

(٣) عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريسطة النميري البصري أبو زيد: شاعر، راوية مؤرخ، حافظ للحديث من أهل البصرة توفي بسامراء له تصانيف منها «كتاب الكتاب» والنسب وأخبار بني نمير وغير ذلك توفي ٢٦٢ هجرة الأعلام ٥/٤٧،٤٨.

الثاني: في الصحيح أن القُرّاء كانوا سبعين رجلاً وعند ابن إسحاق أربعين قال الحافظ: ووهم من قال إنهم ثلاثون، وما في الصحيح هو الصحيح. ويمكن الجمع بأن الأربعين كانوا رؤساء، وبقيّة العدَّة كانوا أتباعاً وجرى على ذلك في الغُرر وزاد أن رواية القليل لا تُنافي رواية الكثير وهو من باب مفهوم العدد وكذا قول من قال ثلاثين.

الثالث: انفرد المستغفري[١] بذكر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي في الصحابة رضي الله تعالى عنهم. قال الحافظ: (وهو خطأٌ صريح فإن عامراً مات كافراً وقصته معروفة[٢] أي كما سيأتي بيان ذلك. وقال في النور: أجمع أهل النقل على أن عامر بن الطفيل مات كافراً وما ذكره المستغفري خطأ). انتهى.

الرابع: قول أنس: «ثم نُسِخ بعد» قال السهيلي: «فثبت هذا في الصحيح وليس عليه رونق الإعجاز. فيقال إنه لم ينزل بهذا النظم مُعجز كنظم القرآن، فإن هذا خبر، والخبر لايدخله النّسخ. قلنا لم يُنسخ منه الخبر وإنما نُسخ منه الحكم فإن حكم القرآن أن يُتلى به في الصلاة وألاّ يمسّه إلا طاهر، وأن يُكتب بين اللوحين، وأن يكون تَعَلُّمهُ من فروض الكفاية. فكل ما نُسِخ ورفعت منه هذه الأحكام وإن بَقِي محفوظاً فإنه منسوخ [فإن تضمَّن حكماً جاز أن يبقى ذلك الحكم معمولاً به]، وإن تضمَّن خبراً جاز أن يبقى ذلك الخبر مُصَدَّقاً به وأحكام التلاوة منسوخة عنه».

الخامس: وقع في الصحيح في رواية أنس: «دعا رسول الله ﷺ على الذين قَتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً، على رِعْل ولحيان وعُصَيَّة»[٣] إلى آخره. قال الحافظ أبو محمد الدمياطي وتبعه في العيون كذا وقع في هذه الرواية، وهو يوهم أن بني لِحيان كانوا ممن أصاب القُرّاء يوم بئر معونة وليس كذلك، وإنما أصاب هؤلاء رعل وذكوان وعُصَيَّة ومن صحبهم من سُلَيم. وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع. وإنما أتى الخبر إلى رسول الله ﷺ عنهم كلهم في وقت واحد، فدعا على الذين أصابوا الصحابة في الموضِعين دُعاءً واحداً. وذكر محمد بن عمر أن خبر بئر معونة وخبر أصحاب الرجيع جاء إلى رسول الله ﷺ في ليلة واحدة.

---

(١) جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي أبو العباس فقيه له اشتغال بالتاريخ من رجال الحديث كان خطيب نسف (من بلاد ما وراء النهر) وتوفي بها له «الدعوات» في الحديث والتمهيد في التجويد وغير ذلك ورجال الحديث يأخذونه عليه رواية الموضوعات من غير تنبيه. الأعلام ١٢٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٦/٧ عن أنس رضي الله تعالى عنه... كان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خيّر النبي ﷺ - بين ثلاث خصال فقال: «يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف» فطُعن عامر في بيت فلان فقال: «غدة كغدة البكر...».

(٣) أخرجه البخاري ٧/ ٤٤٦(٤٠٩١).

السادس: في بيان غريب ما سبق:

بئر معونة: بميم مفتوحة فعين مهملة مضمومة فواو ساكنة فنون فتاء تأنيث، موضع في بلاد هُذيل بين مكة وعُسْفَان.

رِعْل: بكسر الراء وسكون العين المهملة وباللام، بطن من بني سُليم يُنسبون إلى رعل بن عَوف ـ بالفاء ـ ابن مالك بن إمرئ القيس بن بُهثة بضم الموحدة وسكون الهاء وبالثاء المثلثة فتاء تأنيث.

ذَكْوان: بفتح الذال المعجمة وسكون الكاف وبالواو والألف، بطن من بني سُليم أيضاً.

عُصيَّة: بضم العين وفتح الصاد المهملتين وتشديد التحتية فتاء تأنيث: قبيلة.

لحيان: بفتح اللام وكسرها وسكون الحاء المهملة وبالتحتية والنون.

إسْتَمَدَّه: طلب منه مدَّةً.

أبو براء: بفتح الموحدة وبالراء والمدِّ مُلاعِب الأسنة: وهي الرماح لُقِّب بذلك مبالغةً في وصفه بالشجاعة.

زبْد المشركين: الزَّبْد بفتح الزاي وسكون الباء الرِّفد والعطاء يقال منه زبدهُ يزبِدُه بالكسر فأما يَزْبُدُهُ بالضم فهو إطعام الزُّبد. قال الخطَّابي: يشبه أن يكون هذا الحديث «إنا لا نقبل زبد المشركين» منسوخاً لأنه قد قبل هدية غير واحد من المشركين [أهدى له المقوقِس مارية والبغلة وأهدى له أُكَيْدِر دومة فقَبِل منهما] وقيل إنما ردَّ هديته ليغيظه بردِّها فيحمله ذلك على الإسلام، وقيل ردَّها لأن للهديَّة موضعاً من القلب ولا يجوز عليه أن يميل بقلبه إلى مُشرِك، فردَّها قطعاً لسبب المَيل، وليس ذلك مُناقضاً لقبوله هدية النجاشي والمُقوقس وأُكَيْدِر لأنهم أهل كتاب».

وقال السهيلي في غزوة تبوك: قال ﷺ:«إني نُهيتُ عن زبْد المشركين» ولم يقل عن هديتهم. لأنه إنما كَره ملاينتهم ومداهنتهم إذا كانوا حرباً له لأن الزَّبْد مُشتقٌّ من الزُّبد كما أن المُداهنة مشتقَّة من الدُّهن فعاد المعنى إلى معنى اللين والملاينة ووجوب الجدّ في حربهم والمُخَاشَنَة وسيأْتي في سيرته ﷺ في الهدِّية زيادة على ذلك.

ولم يبعُد: بفتح أوله وضم العين.

رجوْتُ: بضم التاء على المتكلم.

نَجْد: ما أشرف من الأرض.

أنا لهم جار: أي هم في ذمامي وعهدي وجُواري.

أن يعرض: بفتح الهمزة.

شَبَبَةً: بفتح الشين المعجمة والموحدتين، جمع شاب وهو من دون الكهولة.

إستعذبوا الماء: إستقوه عذباً.

الحُجر: بضم الحاء المهملة وفتح الجيم جمع حُجرة وهي البيت.

المُنذر: بالذال المعجمة بلفظ اسم الفاعل.

السّاعدي: بسين وعين ودال مهملات.

من بني سُلَيْم: بضم السين المهملة وفتح اللام.

عسكَرُوا بها: جمعوا عسكرهم أي جيشهم بها.

سرحوا: أرسلوا.

الظَّهر: أي الركاب التي تحمل الأثقال في السفر.

حرام: ضد حلال.

ملحان: بفتح الميم وكسرها وهو أشهر.

عامر بن الطفيل: بن مالك ابن أخي أبي براء مات كافراً.

أومأُوا: الإيماء الإشارة ببعض الأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب، يقال أومأت إليه بالهمز أُومئ إيماءً ووميتُ لغة فيه ولا يقال أَوْمَيْت.

أنفذهُ: أي الرمح حتى خرج منه من الجانب الآخر.

الفوز: بفاء فواو فزاي: النجاة والظَّفر بالخير أي فاز بالشهادة.

ثم قال بالدم: من إطلاق القول على الفعل وفسّرهُ بأنه نضحه على وجهه بنون فضاد معجمة فحاء مهملة مفتوحات أي رشّه عليه.

إستصرخ عليه: إستغاث.

لن نُخْفِرَ: بضم النون وكسر الفاء، يقال أخفره إذا نقض عهده وذِمامه، رُباعي. وخَفَره ثلاثي إذا أوفى بعهده وحفظه.

الجوار: بضم الجيم وكسرها الأمان.

زِعْب: بكسر الزاي وسكون العين المهملة وبالموحدة، بطن من سُليم ينتسبون إلى زِعْب.

رأَّسُوه: عليهم براء مفتوحة فهمزة مشددة فسين مهملة مضمومة أي شرَّفوه وعظَّموا قدره.

حتى قُتِلوا: بالبناء للمفعول.

الرمق: بفتح الراء والميم وبالقاف: بقية الحياة.

ارتُثَّ: بهمزة وصل فإن ابتدأت بها ضممتها فثاء وبالبناء للمفعول أي حُمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق.

بَرِيء من كذا: بفتح الموحدة وكسر الراء وبالهمز، تخلَّص وتَنَزَّه وتباعد.

المعنق ليموت: بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر النون وبالقاف: أي المتقدم أو المُسرع وإنما لُقِّب بذلك لتقدمه أو لإسراعه إلى الشهادة.

السَّرْح: بسين مفتوحة وحاء مهملتين بينهما راء ساكنة: المال السَّائم.

ارتابا: خافا.

عكوف الطير: إقامتها.

أوفيا: بفتح أوله وسكون الواو وفتح التحتية: أشرفا.

النَّشز: بفتح النون والشين المعجمة وقد تسكَّن وبالزاي: المرتفع من الأرض.

مصرع حرام: مكان صرعه أي قتله.

أشرعوا الرماح: أمالوها إليه.

نظموه بها: اختلعوه بالرماح.

من مُضر: بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وبالراء: حيٌّ من العرب.

النَّسمة: بفتح النون والميم والسين المهملة بينهما: المُراد به الإنسان هنا.

جزَّ: قطع الناصية والناصية منبت الشعر من مقدَّم الرأس ويطلق على الشعر وهو المراد هنا.

شرح غريب ذكر مقتل عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه وإعلامه تبارك وتعالى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم علواً في السماء

جبار: بفتح الجيم والموحدة المشدَّدة وبالراء.

سُلمى: بضم السين المهملة وسكون اللام وبالقصر.

لعمرُ الله: أي بقاؤه ودوامه، وهو رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره لعمرُ الله قَسَمي

أو ماأُقسم به. واللام للتوكيد. فإن لم تأت اللام نصبته نصب المصادر: عمر الله وعمرك اللهُ أي بإقرارك لله وتعميرك له بالبقاء.

وارت: أخفت وسترت.

الجُثَّة: الجسد قال في المصباح المنير: «الجثة للإنسان إذا كان قاعداً أو نائماً فإن كان منتصباً فهو طَلَل».

عِلِّيُّون: إسم لأعلى الجنَّة.

اقتطعوهم: أي حالوا بينهم وبين النجاة.

وَجَدَ عليه: حزن عليه.

الغَدَاة: صلاة الصبح.

هل لك في كذا تقدَّم تفسيره.

مهلاً: بفتح الميم وسكون الهاء منصوب بفعل محذوف أي اتَّئد في أمرك ولا تعجل.

شرح غريب ذكر رجوع عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه

القرقرة: بقافين مفتوحتين بعد كل منهما راء، الأُولى ساكنة.

قناة: بضم القاف وبالنون واد بأرض المدينة الشريفة.

سُليم بضم السين المهملة.

معه عَقْد: بفتح العين المهملة أي عهد.

جِوار: بضم الجيم وكسرها: الذِّمام والعهد.

أمهله: سكَّنه وأخَّر أمره.

عدا عليه: بالعين المهملة عدواً وعُدُوّاً وعَدَاءً وعدواناً ظلم وتجاوز الحد.

يُرى: بضم التحتية يُظنّ.

الثُّؤْرَة: بضم الثاء المثلثة فهمزة ساكنة والثَّأر بالهمز ويجوز تخفيفه.

الذَّحْل: بفتح الذال المعجمة وبالحاء المهملة واللام الحقد بكسر الحاء المهملة ويجمع أذحال مثل سبب وأسباب ويسكن فيجمع على ذحول مثل فلس وفلوس، يقال ثأرت القتيل إذا قتلت قاتله.

أُم البنين: هي أم أبي براء واسمها ليلى بنت عامر قاله في الروض. وقال في الإملاء يريد

قول لبيد: (نحن بني أم البنين الأربعة) وكانوا نجباء فرساناً. ويقال إنهم كانوا خمسة لكن لبيد جعلهم أربعة لإقامة الوزن.

يَرُعْكُم: بمثنَّاة تحتية مفتوحة فراء مضمومة مهملة يُفزعكم.

الذوائب: بالذال المعجمة وهي هنا الأعالي.

التهكم: الاستهزاء.

عامر بن الطفيل بضم الطاء المهلة وكسر الفاء وسكون التحتية ثم لام.

ليُخفره: بضم التحتية[وتسكين الخاء المعجمة وكسر الفاء] أي لينقض عهده.

ربيعة: هو ابن أبي براء ذكره الحافظ في الإصابة وذكر ما يدل على إسلامه.

المساعي: جمع مسعاة وهي السعي في طلب المجد والمكارم.

الحِدْثان: بكسر الحاء وسكون الدال المهملتين مصدر حَدَث حدثاناً كالوجدان وهو قريب العهد.

حكم بن سعد: بحاء مهملة وكاف مفتوحتين لا يعلم له إسلام.

القين: بفتح القاف وسكون التحتية وبالنون الحدَّاد والقينة الأمة مُغَنِّيَةً كانت أم لا والماشطة وكثيراً ما تطلق على المغنية من الإماء.

جسر: بفتح الجيم وسكون السين وبالراء المهملتين.

أشواه: بهمزة مفتوحة فشين معجمة أي لم يصب المقتل.

فلا يتبعنَّ به: بالبناء للمفعول.

أُتِيَ إليّ: بالبناء للمفعول.

الباب السابع عشر

في سرية محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه إلى القرطاء

[وهي بطون من بني بكر من قيس عَيْلان] وكانوا ينزلون البَكْرات بناحية ضَرِيَّة، على رأس تسعة وخمسين شهراً من الهجرة.

روى محمد بن عمر بن جعفر بن محمود قال: قال محمد بن مسلمة: خرجت لعشر ليالٍ خَلَوْن من المحرم فغبت عشرين ليلة إلا ليلة وقدمتُ المدينة لليلة بقيت من المحرم. وروى محمد بن عمر عن شيوخه، وابن عائذ عن عُرْوَة أن رسول الله ﷺ بعث محمد بن مسلمة في ثلاثين رجلاً رُكْباناً، فيهم عَبَّاد بن بِشْر، وسَلَمَة بن سلامة بن وَقْش، والحارث بن خُزَيْمَة إلى بني بكر بن كلاب، وأَمَرَه أن يسير الليل ويَكْمُن النهار، وأن يَشُنَّ الغارة عليهم حتى إذا كان بالشَّرَبَّة لقيَ ظَعْناً فأرسل رجلاً من أصحابه يسأل: من هم؟ فذهب الرجل ثم رجع إليه فقال: قومٌ من مُحَارب. فنزلوا قريباً منه وحلُّوا ورَوَّحوا ماشيتهم فأمهلهم حتى إذا عَطَنوا أغار عليهم فقتل نفراً منهم وهرب سائرهم، فلم يطلب مَنْ هرب واستاق نَعَماً وشاءً ولم يتعرَّض للظُّعُن. ثم انطلق حتى إذا كان بموضع يُطْلِعُهُ على بني بكر بعث عائذ بن بسر إليهم فأوفى على الحاضِر فأقام. وخرج محمد في أصحابه فشنَّ عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاقوا النَّعَم والشاء، ثم انحدر إلى المدينة فما أصبح إلا بِضَرِيَّة مسيرة ليلة أو ليلتين، ثم حَدَرَ بالنَّعَم وخاف الطلب فطرد الشاء أشد الطرد فكانت تجري معهم كأنها الخيل حتى بلغ العَدَّاسَة فأبطأ عليهم الشاء بالرَّبَذَة فخلَّفَه مع نفرٍ من أصحابه وطرد النَّعَم، فقدم المدينة على رسول الله ﷺ، ووصل بعده الشاء فخمَّسَ رسول الله ﷺ ما جاء به ثم فَضَّ على أصحابه ما بَقِي فعَدَلوا الجزور بَعَشْرٍ من الغَنَم. وذكر البلاذري والحاكم أنها كانت في المحرم سنة ست وأن ثُمَامة بن أُثَال الحنفي أُخِذ فيها، وذكر حديث إسلامه.

روى الشيخان والبخاري مختصراً ومسلم مُطَوّلاً وابن إسحاق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً قِبَل نَجْد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثُمَامة بن أُثَال سيِّد أهل اليمامة ولا يشعرون مَنْ هو حتى أتوا به رسول الله ﷺ، فقال:«أتدرون من أخذتم؟ هذا ثُمَامة بن أُثَال الحنفي، أحْسِنوا إسارَه». فربطوه بسارية من سواري المسجد».

وروى البيهقي عن ابن إسحاق أن ثُمَامة كان رسول مسيلمة إلى رسول الله ﷺ قبل ذلك وأراد اغتياله، فدعا رسول الله ﷺ رَبَّه تبارك وتعالى أن يُمَكِّنه منه، فدخل المدينة مُعْتَمِراً وهو مُشْرِكٌ فدخل المدينة حتى تَحَيَّر فيها فأُخِذ، انتهى. ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: «اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به إليه». وأمر بِلِقْحتِه أن يُغْدَى عليه بها ويُراح، فجعل

لا يقع من ثُمَامة مَوْقِعاً ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول: «ما عندك يا ثُمامة؟» فيقول: «عندي خير يا محمد». وفي لفظ: «أَسْلِمْ يا ثُمَامة». فيقول: «إيهاً يا محمد، إن تَقْتُلْ تقتل ذا دَمٍ وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكر وإن تُرِد الفِداء فَسَلْ منه ما شئت». فتركه رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد فقال: «ما عندك يا ثُمَامة؟» قال: عندي ما قلت لك. وذكر مثله: فقال رسول الله ﷺ: «أَطْلِقوا ثُمَامة» فأطلقوه فانطلق إلى نَخْلٍ قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: «أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على الأرض وَجْهٌ أَبْغَضَ إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحبَّ الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دِينِك فأصبح دينك أحبَّ الدين كله إليّ، والله ما كان من بلدٍ أبغض إليّ من بلدك فأصبح بلدك أحبَّ البلاد كُلها إليّ، وإن خَيْلَك أخذتني وأنا أريد العُمْرَة فماذا ترى؟» فبشَّره رسول الله ﷺ وأمره أن يَعْتمر. فلما أسلم جاءوه بما كانوا يأتونه به من الطعام وباللِّقْحَة فلم يُصِبْ من حِلاَبها إلا يسيراً فعَجِب المسلمون من ذلك. فقال رسول الله ﷺ [حين بلغه ذلك]: «ممَّ تَعْجَبُون؟ أَمِنْ رجل أكل أوَّل النهار في مِعَى كافِر وأكل في آخر النهار في مِعَى مسلم؟ إنَّ الكافر يأكل في سبعة أَمْعَاء وإن المسلم يأكل في مِعًى واحد».

قال ابن هشام رحمه الله تعالى: فبلغني أنه خرج مُعْتَمراً حتى إذا كان ببطن مكة لَبَّى فكان أوَّل من دخل مكة يُلَبِّي. فأخذته قريش فقالوا: لقد اجترأت علينا. فلما قدَّموه ليضربوا عنقه قال قائل منهم: دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم فخلُّوه. فقال الحنفي في ذلك:

وَمِنَّا الذي لَبَّى بِمَكَّة مُعْلِناً   بِرَغْمِ أبي سُفْيَان في الأَشْهُرِ الحُرُمْ

وقالوا: أصبَوْت يا ثُمَامة؟ فقال: لا ولكنني أسلمت مع رسول الله ﷺ اتَّبعت خير دين، دين محمد، ووالله لا تصل إليكم من اليمامة حَبَّة حِنْطَة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ. ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا منها شيئاً إلى مكة حتى أكلت قريش العِلْهِز.

فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ، وفي رواية قال: «أَلَسْت تَزْعُم أنك بُعثت رحمةً للعالمين؟» قال: «بلى». قال: «فقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع». وفي رواية: فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: «إنك تأمر بِصِلة الرَّحِم وإنك قد قطعت أرحامنا». فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يُخَلِّي بينهم وبين الحَمْل، وأنزل الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وما يَتَضَرَّعُون**﴾ [المؤمنون ٧٦].

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

القُرْطاء: بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة وهم قُرْط بضم القاف وسكون الراء

وقُرَيْط بفتح الراء وقُرِيط بكسرها بنو عَبْد بغير إضافة [ابن عبيد] وهو أبو بكر ابن كلاب من قيس عَيْلان ـ بعين مهملة وسكون التحتية ذكره أبو محمد الرُشَاطي رحمه الله تعالى.

البَكْرَات: بفتح الموحدة وسكون الكاف فراء فألف فمُثَنَّاة فوقية جمع بَكْرَة، كذا فيما وقفتُ عليه من كتب المغازي قال الصفاني رحمه الله تعالى: «البَكْرَة ماء لبني ذُؤَيْب من الضِّبَاب وعندها جبال شُمَّخ يقال لها البَكْرات». وذكر شيئاً آخر، والبَكْرَان يعني بالموحدة وسكون الكاف وآخره نون بلفظ التثنية موضع بناحية ضَرِيَّة ـ بفتح الضاد المعجمة وكسر الراء وفتح التحتية المشددة فتاء ـ قرية لبني كلاب، وتبعه في المراصد. قال في النور: ولعل ما في العيون بلفظ التثنية وتَصَحَّف على الناسخ فذكرها بلفظ الجمع. انتهى ولم يذكر أبو عبيد البكري في معجمه بِحِمَى ضَرِيَّة إلا بَكْرَة بالإفراد. قلت وهو بعيد جداً لتوارد ما وقفت عليه من كتب المغازي.

ضَرِيَّة: بفتح الضاد المعجمة الساقطة وكسر الراء وفتح التحتية المشددة فتاء تأنيث، قرية لبني كِلاب.

بِشْر: بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة.

وَقَش: بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة.

خَزْمَة: بفتح الخاء المعجمة وسكون الزاي وقيل بفتحها وبه جزم في الإصابة وقيل بالتصغير.

يَكْمُن النهار: يستتر فيه ويختفي.

وَيَشُنّ: بفتح التحتية وضم الشين المعجمة وبالنون، يُفَرِّق.

الغَارَة: وهي الخَيْل المُغِيرة، والغارة الاسم من الإغارة على العدو.

الشَّرَبَّة: بشين معجمة فراء فموحدة مشددة مفتوحات فتاء تأنيث، اسم موضع.

الظُّعُن: بضمتين ويُسَكَّن، والظعائن جمع ظعينة قال في النهاية وهي المرأة في الهَوْدَج ثم قيل للمرأة بلا هَوْدَج ثم قيل للهَوْدَج بلا امرأة.

مُحَارِب: بميم مضمومة فحاء مهملة فألف فراء مكسورة فموحدة، بطن من قريش ومن عبد القَيْس.

حَلُّوا: بفتح الحاء المهملة وضم المشددة: نزلوا.

رَوَّحوا ماشيتهم: بفتح الراء والواو المشددة، أرسلوها للمَرْعَى.

أَمْهَلَهُم: تركهم.

عَطَّنوا: بفتح العين والطاء المشددة المهملتين وبالنون، أناخوا الإبل وبَرَّكوها حول الماء.

النَّعَم: بفتح النون والعين المهملة.

والشَّاء: عطف الأخصّ على الأعَمّ.

يَعْرِض: بكسر الراء.

أَوْفَى: أَشْرَف.

الحَاضِر: بالحاء المهملة والضاد المعجمة الساقطة المكسورة: القَوم النُّزُول على ماءٍ يقيمون به ولا يرحلون عنه.

العَدَّاسَة: بفتح العين والدال المشددة بعد الألف سين مهملات، كذا في نسخة صحيحة من مغازي محمد بن عمر الأسلمي، ولم أر لها ذِكراً فيما وقعت عليه من كتب الأماكن والبلدان.

الرَّبَذَة(١): بفتح الراء والموحدة وبالذال المعجمة اسم بلد.

البَلاَذُرِي(٢): بفتح الموحدة والذال المعجمة نسبة إلى البلاذر المعروف.

ثُمَامة: بضم الثاء المثلثة وميمين.

أُثَال: بهمزة مضمومة فثاء مثلثة مُخففة وبالصَّرْف.

الحَنَفِي: من بني حنيفة.

نَجْد(٣): بفتح النون وسكون الجيم موضع مُشْرِف، وهو ضِدّ تِهَامَة(٤).

لا يشعرون: أي لا يعلمون.

اليَمَامة(٥): بفتح التحتية مدينة معروفة باليمن.

---

(١) الربذة بفتح أوله وثانيه، ودال معجمة مفتوحة: من قرى المدينة، على ثلاثة أميال منها قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز وثلاثمائة بالقرامطة مراصد الاطلاع ٢/٦٠١.

(٢) البلاذري بفتح الباء الموحدة وبعدها لام ألف وضم الذال المعجمة وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى البلاذر وهو معروف الأنساب ١/٤٢٣.

(٣) نجد بفتح أوله وسكون ثانيه قال النضر: النجد قفاف الأرض وصلابيها وما غلظ منها وأشرف، والجماعة النجاد، ولا يكون إلا قفًا أو صلابة من الأرض من ارتفاع من الجبل معترضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه معجم البلدان ٥/ ٣٠٣.

(٤) انظر مراصد الاطلاع ١٤/٢٨٣.

(٥) اليمامة واحد اليمام، وهو طائِرٌ، وهو بَلَدٌ كبير، فيه قرى وحصون ونخل، وكان اسمها أوّلاً جوّاً.
واليمامة هي الزرقاء التي يُضْرَبُ بها المثل في النظر البعيد. قلع تُبَّعُ عينيها وصلبها على باب جوّ، فسمّيت بها. مراصد الاطلاع ٣/١٤٨٣.

الإسار: بكسر الهمزة: القيد.

السارية: الأسطوانة بضم الهمزة والطاء المهملة.

الاغتيال: أن يُوَصَّل إليه الشَّرّ أو القتل من حيث لا يعلم.

تَحَيَّر: بفتح الفوقية والحاء المهملة والتحتية المشددة وبالراء.

اللِّقْحَة: بكسر اللام وفتحها الناقة ذات اللَّبَن.

يَغْدو: يُصْبِح.

يُرَاح: يُمْسِي.

الحِلاَب: بكسر الحاء المهملة وهو هنا اللَّبَن.

إن تَقْتُلْ تَقْتُل ذا دم: بدال مهملة على الصحيح أي صاحب يُشْتَفَى بقتله ويُدْرِك به قاتِلُه ثأرَه، فاختصر اعتماداً على مفهوم الكلام. ورواه بعضهم: ذا ذَمّ بذال معجمة وفَسَّره بالذِّمام والحُرْمَة في قومه إذا عَقَد ذِمَّةً وُفِّيَ له ولم يُخْفِرْه. وقال القاضي: وَكَوْنُه بالمهملة أصح لكونه ذا ذِمام لم يَجُزْ قتله. قال في المطالع: وكان شيخنا القاضي حمله على الذِّمَّة أي انتقل من عُقِدَت له ذمة وهذا لا يليق بالحديث.

إن تُنْعِم: بضم أوله وكسر ثالثه.

الفِدَاء: بكسر الفاء وبالمدّ وبالفتح والقصْر وهو أن تشتري الرجل أو تُنْقِذَهُ بمال.

أطلقوا: بفتح الهمزة وكسر اللام.

نَخْل: بفتح النون وسكون الخاء المعجمة، هكذا الرواية أي إلى نَخْلٍ فيه ماء فاغتسل منه، وذكره ابن دُرَيْد بالجيم وهو الماء الجاري.

مِمَّ تَعْجَبون؟ أصله مِمَّا، حُذِفت ألف ما الاستفهامية لدخول الجار.

المِعَى كعِنَب ويُمَدّ، المُصْرَان [مذكر وقد يؤنث] وتذكيره أكثر. وقوله: والكافر يأكل (في سبعة أمعاء). قال في النهاية والتقريب: هو مثل ضربه لزهد المؤمن وحِرْص الكافر. وهو خاصٌ في رجل بعينه كان يأكل كثيراً فأسلم فقَلَّ أكله.

بَطْن مكة: قِبَل الحديبية، وقيل وادي مكة، وقيل التنعيم.

اجترأ عليه: مُعْلِناً: بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر اللام: مُظْهِراً.

بَرْغم فلان: بفتح الموحدة وتثليث الراء [في المصدر] يقال رَغِم أنفه، كذلك التصق

بالرَّغام وهو [التراب]. هذا هو الأصل ثم استُعْمِل في الذُّلّ والعجز عن الانتصاف والانقياد على كُرْه.

صَبَأَ: بالهمز.

العِلْهِز: بكسر العين المهملة وسكون اللام وكسر الهاء وبالزاي، شيء كانوا يتخذونه في سني المجاعة يخلطون فيه الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه بالنار ويأكلونه وقيل كانوا يخلطون فيه القِرْدَان ويقال للقُرَاد الضَّخْم عِلْهِز.

إستكان: خضَع.

تَضَرَّعوا: ذَلُّوا وخشعوا.

الباب الثامن عشر

في سرية عكاشة بن محصن [ابن حرثان الأسدي] رضي الله تعالى عنه إلى غمر مرزوق(١)، ماء لبني أسد في شهر ربيع الأول سنة ست

روى محمد بن عمر رحمه الله تعالى عن القاسم بن محمد رحمه الله تعالى قال: بعث رسول الله ﷺ عُكَّاشة بن مِحْصَن في أربعين رجلاً منهم ثابت بن أَقْرَم(٢)، وذكر ابن عائذ أنه كان الأمير، وشُجَاع بن وَهْب(٣)، ويزيد بن رُقَيْش [ابن رئاب بن يَعْمُر] زاد ابن عائذ: ولَقِيط بن أَعْصَم حليف بني عمرو بن عُزوَة، ثم من بني مُعَاوية بن مالك بن بَلِيّ. فخرج سريعاً يُغِذُّ السَّيْر، ونذِر القوم بهم، فهربوا من مالهم، فنزلوا عُلْيَا بلادهم، فانتهوا إلى الماء. فوجد الدار خلوفاً. فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلبون خَبراً، أو يرون أثرا، فرجع شُجاع بن وهب فأخبره أنه رأى أثر نَعَم قريباً، فتحملوا فأصابوا ربيئة لهم قد نظروا ليلة يسمع الصوت، فلما أصبح قام، فأخذوه وهو نائم، فقالوا: أتُخْبِر عن الناس؟ قال: وأين الناس؟ قد لحقوا بعُلْيَا بلادهم. قالوا: فالنَّعَم؟ قال: ما معهم. فضربه أحدهم بسوط في يده فقال: أتؤمنوني على دمي وأُطْلِعكم على نَعَم لبني عَمٍّ له لم يَعْلَموا بمسيركم إليهم. قالوا: نعم. فآمنوه فانطلقوا معه فأمعن حتى خافوا أن يكون ذلك غدْراً منه لهم فقالوا: والله لتَصْدِقَنَّا أو لنَضْرِبَنَّ عُنُقَك. فقال: تطلعون عليهم من هذا الظُّرَيْب فدنوا فإذا نَعَم رواتع فأغاروا عليها وأصابوها وهربت الأعراب في كل وجه، ونهى عكَّاشة عن الطلب. واستاقوا مائتي بعير، فحدروها إلى المدينة، وأرسلوا الرجل. وقدموا على رسول الله ﷺ، ولم يُصَب منهم أحد ولم يَلْقوا كَيْداً.

تنبيهات

الأول: قول من قال إن ثابت بن أقرم أصيب فيها ليس بشيء فإنه استشهد أيام الرِّدَّة.

الثاني: وقع في نسخة أبي الفتح من الإكليل للحاكم بَعْث سِبَاع بن وَهْب طليعة،

---

(١) وردت بلفظ غمرة. قال في المراصد: غمرة منهل من مناهل طريقة مكة فصل ما بين تهامة ونجد. انظر المراصد الاطلاع ١٠٠١/٢٤ .

(٢) (ثابت) بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي حليف الأنصار.. ذكره موسى بن عقبة في البدريين وقال ابن إسحاق في المغازي: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن مروة قال: ثم أخذ الراية يعني في غزاة مؤتة ثابت بن أقرم بعد قتل ابن رواحة فدفعها إلى خالد بن الوليد وكذا رواه ابن مندة من حديث أبي اليسر بإسناد ضعيف الإصابة ١٩٧/١،١٩٨.

(٣) شجاع بن وهب ويقال: ابن أبي وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي ذكره ابن إسحاق في السابقين الأولين وفيمن هاجر إلى الحبشة وفيمن شهد بدراً وكذا ذكره موسى بن عقبة وابن الكلبي وعروة وقال ابن أبي حاتم: شجاع بن وهب أخو عقبة من المهاجرين الأولين استشهد باليمامة وكنيته أبو وهب. الإصابة ١٩٤/٣.

والذي في النسخ منه شُجاع بن وَهْب، ولا وجود لسِبَاع بن وَهْب في الصحابة.

الثالث: في بيان غريب ما سبق:

عُكّاشة: بضم العين المهملة وتشديد الكاف وقد تُخفَّف.

مِحْصَن: بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين وبالنون.

الغَمْر: بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالراء.

مَرْزُوق: بلفظ اسم المفعول.

ثابت: بالثاء المثلثة والموحدة والفوقية.

ابن أَقْرَم: بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الراء وبالميم.

ابن عايذ: بتحتية وذال معجمة.

لَقِيط بن أَعْصَم: بألف فعين فصاد مهملتين فميم كذا في العيون عن ابن عائذ ولم أر فيما وقفت عليه من كتب الصحابة من اسمه لقيط واسم أبيه أعصم والذي رأيته لقيط بن عصر.

يُغِذّ: بضم التحتية وكسر الغين وبالذال المشددة المعجمتين: يُسْرِع.

نَذِر به القوم: بفتح النون وكسر الذال المعجمة وبالراء عَلِموا.

عُلْيَا الشيء: بضم العين المهملة أعلاه.

الدار: المحل، مجمع البناء.

والعَرْصة: الدارة وقد يُذَكَّر.

الخلوف: بخاء معجمة فلام مضمومة ففاء الغُيَّب. وفي الكلام حذف تقديره وَجَد أصحاب الدار خلوفاً.

طليعة القوم: يبعثون أمام الجيش يتعرفون طلع العدو، وبالكسر أي خبره.

الرَّبيئة: براء مفتوحة فموحدة مكسورة فهمزة مفتوحة ممدودة فتاء تأنيث.

فآمنوه: بمَدّ الهمزة وفتح الميم المخففة من الأمان.

أمعن في الطلب: بالغ في الاستقصاء.

الظُّرَيْب: بظاء معجمة مُشَالة مضمومة فراء مفتوحة فتحتية ساكنة فموحدة، تصغير ظَرِب بفتح الظاء وكسر الراء وهو ما نَتَأ من الحجارة وحُدِّد طَرَفُه أو الجبل المنبسط أو الصغير.

رواتع: جمع رتوع وهي الدَّابة الراعية كيف شاءت.

لم يَلْقَ كيداً: حَرْباً.

الباب التاسع عشر

في سرية محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه إلى بني معوية وبني عوال بذي القصة[1] طريق الربذة في أول ربيع الآخر سنة ست

روى محمد بن عمر رضي الله تعالى عنه عن شيوخه قالوا: بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة في عشرة نفر منهم: أبو نائلة، والحارث بن أوس، وأبو عَبْس بن جَبْر[2]، ونُعْمَان بن عَصْر، ومُحَيِّصة بن مسعود، وحُوَيِّصة أخوه، وأبو بُرْدَة بن نِيار[3]، ورجلان من مُزَيْنَة، [ورجل] من غَطَفَان، فوردوا عليهم ليلاً. فكمن القوم لمحمد بن مسلمة وأصحابه حتى ناموا، فأحدقوا بهم وهم مائة رجل، فما شعر المسلمون إلا بالنَّبْل قد حاطهم، فوثب محمد بن مَسْلَمة ومعه قَوْس فصاح في أصحابه [السِّلاح]، فوثبوا فتراموا ساعة من الليل. ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوا مَنْ بَقِيَ. ووقع محمد بن مسلمة جريحاً، يُضْرَب كَعْبُه فلا يتحرك، وجرّدوهم الثياب وانطلقوا. فمرَّ رجل [من المسلمين] على القتلى فاسترجع. فلما سمعه محمد بن مسلمة تحرّك له، فعرض عليه طعاماً وشراباً وحمله حتى ورد به المدينة. فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجَرّاح إلى مصارعهم فلم يجد أحداً، ووجد نَعَماً وشاءً فساقه ورجع فَخَمَّسه وقَسَّم أربعة أخماسه فيهم. قال محمد بن مسلمة: فلما كانت غزوة خيبر نظرتُ إلى أحد النفر الذين كانوا وُلُّوا ضربي يوم ذي القَصَّة فلما رآني قال إني أسلمت وجهي، فقلت: أولى.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

مَسْلَمة: بفتح الميم وسكون السين المهملة وفتح اللام المخففة وبالميم وبتاء تأنيث.

مَعَوِية: بفتح الميم والعين المهملة وكسر الواو وسكون التحتية وبتاء تأنيث.

بنو عُوَال: بعين مهملة مضمومة فواو مخففة، هم من العرب من بني عبد الله بن غطفان، ووقع في بعض نسخ العيون غزال وهو تصحيف.

ذو القَصَّة: بفتح القاف والصاد المهملة وحكى في العيون إعجام الصاد، موضع قريب

---

(١) ينظر معجم البلدان ٤/٤١٦.

(٢) أبو عبيس بن جبر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي.. قيل: كان اسمه في الجاهلية عبد العزى وقيل: معبد فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن الإصابة ٧/١٢٦.

(٣) (هانئ) بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن بلي البلوي أبو بردة بن نيار حليف الأنصار خال البراء بن عازب مشهور بكنيته.. الإصابة ٦/٢٧٨.

من المدينة، بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا.

الرَّبَذَة: بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة وبتاء التأنيث موضع قريب من المدينة الشريفة.

أبو نائلة: بالنون وهمزة بعد الألف على صورة التحتية وباللام.

أبو عَبْس: بفتح العين والسين المهملتين وسكون الموحدة بينهما.

ابن جَبْر: بجيم مفتوحة فموحدة ساكنة فراء.

عَصْر: بفتح العين والصاد والراء المهملات، وقيل بكسر العين وقيل بفتحها وسكون الصاد بينهما.

مُحَيِّصَة: بميم مضمومة فحاء مهملة فتحتية مشددة فصاد مهملة مفتوحات فتاء تأنيث.

حُوَيِّصَة: بالحاء المهملة وزن الذي قبله.

أبو بُرْدَة: بضم الموحدة.

ابن نيار: بنون وتخفيف التحتية وبالراء.

مُزَيْنَة: بضم الميم وفتح الزاي وسكون التحتية وبالنون.

غَطَفان: بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة والنون بعد الألف.

كَمَن: استتر.

أحدقوا بهم: أحاطوا.

ما شَعَر: ما عَلِم.

النَّبْل: بفتح النون وسكون الموحدة: السهام العربية، وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها. بل الواحد سهم فهي مُفْرَدُ اللَّفظ مجموعة المعنى.

انحاز إلى القوم: تَحَيَّز إليهم أي مال.

الكَعْب: كل مَفْصِل للعظام، والعَظْم الناتئ فوق القدم والناشز من جانبها مباشرة.

الباب العشرون

في سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه إلى ذي القصة أيضا

روى محمد بن عمر عن شيوخه رحمهم الله تعالى قالوا: أَجْدَبَتْ بلاد بني ثَعْلَبَة وأَنْمار.. ووقعت سحابة بالمَرَاض إلى تَغْلِمين. فسارت بنو مُحارب وبنو ثَعْلَبة وأَنْمار إلى تلك السحابة، وكانوا قد أجمعوا أن يغيروا على سَرْح المدينة، وسَرْحُها يرعى يومئذ ببطن هَيْفاء. فبعث رسول الله ﷺ أبا عُبَيْدة بن الجَرّاح في أربعين رجلاً، صلُّوا المغرب ليلة السبت لليلتين بقيتا من ربيع الآخر سنة ست. فباتوا ليلتهم يمشون حتى وافوا ذا القَصَّة مع عَمَاية الصبح، فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأخذ رجلاً واحداً، ووجد نَعَماً من نَعَمِهم فاستاقه ورِثَّة من مَتَاع القوم، فقدم به المدينة. وغاب ليلتين، وأسلم الرجل فتركه رسول الله ﷺ وخمَّس رسول الله ﷺ ما قدم به أبو عُبيدة وقَسَّم الباقي عليهم.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الجَدْب: بفتح الجيم وسكون الدال المهملة نقيض الخِصب.

المَرَاض: بضاد معجمة كسحاب.

تَغْلمين: بفتح الفوقية وسكون الغين المعجمة وفتح اللام والميم وسكون التحتية وبالنون، كذا أَلْفَيْتُه مضبوطاً في نسخة صحيحة من مغازي محمد بن عمر الواقدي ولم أجد له ذكراً فيما وقفتُ عليه من الكتب الأماكن والجبال والمياه.

مُحَارِب: بضم الميم وكسر الراء وبالموحدة.

أجمعوا: اتفقوا.

أن يغيروا: يدفعوا الخيل.

على السَّرْح: بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات: المال الراعي.

وافوا: أشرفوا.

عماية الصبح: بفتح العين المهملة وتخفيف الميم وبالقصر.

هَرَباً: بفتح الهاء والراء وبالموحدة.

رِثَّة: بكسر الراء وتشديد الثاء المثلثة وبتاء تأنيث - السَّقَط من متاع البيت من الخُلْقَان.

الباب الحادي والعشرون

في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى بني سليم بالجموم في شهر ربيع الآخر سنة ست

روى محمد بن عُمَر عن الزهري رحمه الله تعالى قال: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بني سُلَيْم في سرية حتى ورد الجَمُوم فأصابوا امرأة من مُزَينة يقال لها حليمة، فَدَلَّتهم على مَحَلَّة من مَحَالّ بني سُلَيْم فأصابوا في تلك المَحَلَّة نَعَماً وشاءً وأسْرَى، فكان فيه زوج حليمة المزنية. فأقبل زيد بن حارثة بما أصاب، ووهب رسول الله ﷺ للمُزَنِيَّة نفسها وزوجها.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

سُلَيْم: بضم السين المهملة وفتح اللام وسكون التحتية.

الجَمُوم: بفتح الجيم وضم الميم المخففة ناحية ببطن نخلة من المدينة على أربعة بُرُد.

مُزَيْنَة: بضم الميم وفتح الزاي وسكون التحتية.

مَحَلَّة: بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام وتاء تأنيث: منزل القوم.

الباب الثاني والعشرون

في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما في سبعين ومائة راكب إلى العيص فأخذوا العير وما فيها وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسروا ناسا منهم أبو العاص بن الربيع

قال ابن إسحاق: لما كان قبل الفتح خرج أبو العاص بن الربيع تاجراً بمال له وأموال لرجال من قريش أبضعوها معه. فلما فَرَغ من تجارته وأقبل قافلاً لَقِيته سَرِيَّة لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه. وذكر الزُّهْري وتبعه ابن عُقْبَة أن الذين أخذوا هذه العير وأسروا مَنْ فيها أبو بَصِير وأبو جَنْدل وأصحابهما بمنزلهم بسيف البحر، وأنهما لم يقتلا منهم أحداً لصهر أبي العاص.

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: إنه هرب منهم من السرية. فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر: فلما صلَّى رسول الله ﷺ الصبح فكبَّر وكبَّر الناس معه صرخت زينب من صُفَّة النساء، وعند محمد بن عمر: قامت على بابها فنادت بأعلى صوتها وقالت: أيها الناس إني قد أَجَرْتُ أبا العاص بن الربيع.

قال: فلما سَلَّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم. قال: «أَمَا والذي نَفْسُ محمد بيده ما عَلِمْتُ بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم، المؤمنون يَدٌ على مَنْ سِوَاهم يُجِير عليهم أدناهم» زاد محمد بن عمر: «وقد أَجَرْنا مَنْ أَجَارَتْه». انتهى. قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر: ثم دخل رسول الله ﷺ إلى منزله، فدخلت عليه زينب فسألته أن يَرُدَّ على أبي العاص ما أُخِذ منه فقَبِل. وقال لها رسول الله ﷺ: «أَيْ بُنَيَّة أَكْرِمي مَثْوَاه ولا يَخْلُصَنَّ إليكِ فإنك لا تَحِلِّين له».

وبعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: «إن هذا الرجل منا حيث عَلِمْتم وقد أصبتُم له مالاً، فإن تُحْسِنوا وتَرُدّوا عليه الذي له فإنا نُحِب ذلك، وإن أَبَيْتُم فهو فَيْءُ الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحقُّ به». فقالوا: يا رسول الله بل نَرُدُّه عليه.

وعند ابن عُقْبَة: فكَلَّمها أبو العاص في أصحابه الذين أسرهم أبو جَنْدَل وأبو بَصِير وما أخذا لهم. فكلمتْ رسول الله ﷺ في ذلك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قام، فخطب الناس وقال: «إِنَّا صَاهَرْنا ناساً وصاهَرْنا أبا العاص فنِعْمَ الصِّهْر وجدناه وإنه أقبل من الشام في أصحاب له من قريش فأخذهم أبو جندل وأبو بصير فأسروهم وأخذوا ما كان معهم ولم يقتلوا منهم أحداً وإن زينب بنت رسول الله سألتني أن أُجِيرهم فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه؟» فقال

الناس: نعم. فلما بلغ أبا جندل وأصحابه قول رسول الله ﷺ في أبي العاص وأصحابه الذين كانوا عنده من الأسرى، رَدّ إليهم كل شيء حتى العِقَال. قال ابن إسحاق ومحمد بن عمر: فَرَدُّوا عليه كل شيء حتى إن الرجل ليأتي بالدَّلْو ويأتي الرجل بالشَّنَّة والإداوة حتى إن أحدهم ليأتي بالشِّظَاظ حتى رَدّوا عليه ماله بأسْره لا يفقد منه شيئاً.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن أبا العاص بن الربيع لمَّا قدم من الشام ومعه أموال المشركين قيل له: هل لك أن تُسْلِم وتأخذ هذه الأموال فإنها أموال المشركين؟ فقال أبو العاص: بِئْس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي. قال ابن هشام: وحدثني عبد الوارث بن سعيد التَّنُّوري(١) عن [داود] بن أبي هِنْد(٢)، عن أبي عَمْرو وعامر بن شراحيل الشعبي بنحو من حديث أبي عُبَيْدة عن أبي العاص قلت: هذا سَنَد صحيح، رواه أبو عبد الله الحاكم في الكُنَى بسند صحيح عن الشعبي رحمه الله تعالى أن المسلمين قالوا لأبي العاص: يا أبا العاص إنك في شَرَف من قريش وأنت ابن عَمّ رسول الله ﷺ وصهره، فهل لك أن تُسْلِم وتَغْنَم ما معك من أموال أهل مكة؟ فقال: بئس ما أمرتموني به أن أفتتح ديني بِغَدْرَة.

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، والشعبي: ثم احتمل أبو العاص إلى مكة فأدَّى إلى كل ذي حق حقه. ثم قام فقال: «يا أهل مكة هل بَقِيَ لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ يا أهل مكة هل أَوْفَيت ذِمَّتي؟» قالوا: اللهم نعم، فجزاك الله خيراً فقد وجدناك وَفِيّاً كريماً. قال: «فإني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا أني خشيت أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أدَّاها الله إليكم وفَرَغْتُ منها أسلمت». ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة. قال ابن عباس: ردَّ رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأول لم يُحْدِث شيئاً. وفي رواية عنه ردَّها رسول الله ﷺ بعد ست سنين. وفي رواية بعدها: ستة بالنكاح الأول وفي الرواية: ولم يُحْدِث نكاحاً. رواه ابن جرير.

تنبيهات

الأول: كذا ذكر محمد بن عمر، وابن سعد، والبلاذري، والقطب، والعراقي، وجرى عليه في العيون أن رسول الله ﷺ أرسل زيد بن حارثة لأهل هذه العِير. واقتضى كلام ابن

---

(١) عبد الوارث بن سعيد أبو عبيدة التنوري، مولى بني العَنْبَر، أحد الحفاظ. روى عن أيوب، ويزيد الرِّشْك، وطبقتهما. وعنه مسدّد، وحميد بن مسعدة، وأبو معمر المقعد، وخلق. وكان يضرب المثلُ بفصاحته، وإليه المنتهى في التثبت. إلاّ أنه قدَري متعصِّب لعَمْرو بن عُبيد. وكان حماد بن زيد ينهى المحدثين عن الحمل عنه للقدر. وقال يزيد بن زُرَيع: من أتى مجلس عبد الوارث فلا يقربني. ميزان الاعتدال ٦٧٧/٢.

(٢) داود بن أبي هند، القشيري مولاهم، أبو بكر أو أبو محمد البصري ثقة متقن، كان يهم بآخره من الخامسة مات سنة أربعين وقيل قبلها. التقريب ٢٣٥/١.

إسحاق أن سَريَّة من السرايا صادفت هذه العير لأن رسول الله ﷺ أرسل السرية لأجلها.

الثاني: صرَّح محمد بن عمر ومَنْ ذُكِر معه أن هذه السرية كانت سنة ست قبل الحديبية، وإلا فبعد الهُدْنة لم تتعرض سرايا رسول الله ﷺ لقريش أصلاً، وجزم به الزهري وتبعه موسى بن عُقْبَة كما رواه البيهقي عنهما بأن الذي أخذ هذه العير أبو جندل وأبو بصير وأصحابهما الذين كانوا بسيف البحر لما وقع صلح الحُدَيْبِيَة، ولم يكن ذلك بأمر رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا منحازين عنه بسيف البحر، وكان لا يمُرّ بهم عير لقريش إلا أخذوها، كما سبق ذلك في غزوة الحُدَيْبِيَة. وقول ابن إسحاق إن هذه السرية كانت قبل الفتح يُشْعِر بما ذهب إليه الزهري وصَوَّبه في زاد المعاد واستظهر في النور.

قلت: ويؤيد قول الزهري قوله ﷺ فيما ذكره محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر، وغيرهما لزينب: «لا يَخْلُصْ إليك فإنك لا تَحِلِّين له». فإن تحريم المؤمنات على المشركين إنما نزل بعد صلح الحديبية.

الثالث: قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «ردَّ رسول الله ﷺ زينب على أبي العاص بالنكاح». يأتي الكلام عليه في ترجمة السيدة زينب رضي الله تعالى عنها.

الرابع: في بيان غريب ما سبق:

العِيص: بكسر العين المهملة وسكون التحتية وبالصاد المهملة: واد من ناحية ذي المروة على ليلة منه وعلى أربع من المدينة.

الغابة: بفتح الغين المعجمة فألف فموحدة فتاء تأنيث وادٍ في أسفل سافلة المدينة.

العِير: بكسر العين المهملة: الإبل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة، وهي مؤنثة.

أَبْضَعُوَها معه: بفتح أوله وسكون الموحدة وفتح الضاد المعجمة وضم العين المهملة: دفعوها.

قَفَل: بفتح القاف والفاء واللام: رجع.

أبو بَصِير: بموحدة مفتوحة فصاد مهملة مكسورة فتحتية ساكنة فراء.

أبو جَنْدَل: بجيم مفتوحة فنون ساكنة فدال مهملة مفتوحة فلام.

سِيف البحر: بكسر السين المهملة: سَاحِلُه.

صُفَّة النساء: بضم الصاد المهملة وبالفاء، الموضع المُظَلَّل للجلوس.

المؤمنون يدٌ على مَنْ سواهم يُجير عليهم أدناهم.

يُجِير: بضم الياء وكسر الجيم وسكون التحتية وبالراء، يَحْمِي ويَمْنع.

أدناهم: أقلهم.

الـمَثْوَى: بفتح الـميم وسكون الثاء الـمثلثة وفتح الواو: الإقامة.

لا يَخْلُص إليك: لا يَطَؤُكِ.

العِقَال: بكسر العين الـمهملة وبالقاف ما يُعْقَل به البعير.

الشَّنَّة: بشين معجمة مفتوحة فنون مشددة السُقاء البالي.

الإداوة: بكسر الهمزة وبالدال الـمهملة: الـمِطْهَرَة التي يتطهر بها.

الشِّظاظ: بشين معجمة مكسورة فظاءيْن معجمتين مُشَالَيْن بينهما ألف، عود مُعَقَّف في عروة الغرارة.

بأسره: بجميعه.

التَّنُّور: بفتح الفوقية وتشديد النون وبالراء.

وأنت ابن عم رسول الله ﷺ: أراد بهذين العمومة إذ أن جَدَّه عبد شمس بن عبد مناف، فيلتقي معه النبي ﷺ في عبد مناف.

الغُدْرَة: بضم الغين الـمعجمة: الغَدْر وهو نقض العهد وعدم الوفاء.

احتمل: ارتحل.

الباب الثالث والعشرون

في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى الطرف في جمادى الآخرة سنة ست

روى محمد بن عمر قال: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى الطَّرِف إلى بني ثعلبة بن سعد فخرج في خمسة عشر رجلاً، حتى إذا كان بالطَّرِف أصاب نَعَماً وشاءً، وهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد سار إليهم. فانحدر زيد بن حارثة بالنَّعَم حتى أصبح في المدينة، وخرجوا في طلبه فأعجزهم فقدم بعشرين بعيراً وغاب أربع ليال، ولم يَلْقَ كيداً وكان شعارهم أَمِتْ أَمِتْ.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الطَّرِف: بفتح الطاء وبالراء المكسورة وبالفاء: ماء قريب من المَرَاض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة كما في ذيل الصَّغَاني وقال: هو بطريق العراق على خمسة وعشرين ميلاً من المدينة، والراضة بالراء والضاد المعجمة كسحاب.

الشِّعَار: بكسر الشين المعجمة وبالعين المهملة وبالراء: العلامة التي يتعارفون بها عند القتال.

أَمِتْ أَمِتْ: أَمْر بالموت والمراد القتال بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغرض للشِّعار فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل.

الباب الرابع والعشرون

في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى جذام من أرض حسمى وراء وادي القرى في جمادى الآخرة سنة ست

روى ابن إسحاق عَمَّنْ لا يتهم عن رجال من جُذَام كانوا عُلَمَاء بها، ومحمد بن عمر عن شيوخه وموسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن شيخ من بني سعد هُذَيْم كان قديماً يُخْبِر عن أبيه، قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى إن رِفَاعة بن زَيْد الجُذَامِيّ لما قدم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام فاستجابوا له. ثم لم يلبث أن قدم دِحْيَة بن خليفة الكَلْبِيّ من عند قَيْصر صاحب الروم حين بعثه رسول الله ﷺ إليه وقد أجازه وكساه. فَلَقِيَهُ الهُنَيْد بن عُوص وابنه عُوص [بن الهُنَيْد] كما عند ابن إسحاق فيهما، وقال ابن سعد عارِض فيهما: [الهُنَيْد بن عارض وابنه عارض بن الهُنَيْد] الصُّلَعِيَّان - والصُّلَيْع بَطْنٌ من جُذَام - فأصابا كل شيء كان مع دِحْيَة ولم يتركوا عليه إلا سَمَل ثوب. فبلغ ذلك قوماً من بني الضُّبَيْب رَهْط رِفاعة بن زيد مِمَّن كان أَسْلَم وأجاب، فنفروا إلى الهُنَيْد وابنه فاقتتلوا واستنقذوا لدِحْيَة متاعه. وقدم دِحْيَة على رسول الله ﷺ فأخبره خبره، واستسقاه دَمَ الهُنَيْد وابنه فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورَدَّ معه دِحْيَة. فكان زيد يسير الليل وَيَكْمُنُ النهار، ومعه دليل له من بني عُذْرَة.

وقد اجتمعت بطون، منهم: غَطَفان كلها ووائل ومن كان من سلامان وسَعْد بن هُذَيْم حين جاءهم رِفاعة بن زيد بكتاب رسول الله ﷺ، حتى نزلوا حَرَّة الرَّجْلاَء ورِفاعة بكُرَاع رَبَّة لم يُعْلَم. وأقبل الدليل العُذْرِيّ بزيد بن حارثة وأصحابه حتى هجم بهم مع الصّبح على الهُنَيْد وابنه ومن كان في محلَّتِهم فأغاروا عليهم وقتلوا فيهم. فأوجعوا وقتلوا الهُنَيْد وابنه. وأغاروا على ماشيتهم ونَعَمِهم ونسائهم فأصابوا من النَّعَم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السَّبْي مائة من النساء والصبيان.

فلما سمع بنو الضُّبَيْب بما صنع زيد بن حارثة ركبوا فيمن ركب. فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حَسَّان بن مِلَّة: «إنا قوم مسلمون». فقال زيد بن حارثة: «فاقرأ أم الكتاب». فقرأها حَسَّان فقال زيد: نادوا في الجيش أن يهبطوا إلى ورائهم الذي جاءوا منه فأَمَسوا في ناديهم.

فلما أمسكوا ركبوا إلى رفاعة بن زيد فصبَّحوه وقال له حَسَّان بن ملَّة: «إنك لجالس تَحْلُب المِعْزَى ونساء جُذَام أُسارى قد غَرَّك كتابك الذي جئت به». فدعا رِفاعة بجمل فشدَّ عليه رَحْلَه وخرج معه أبو زيد [بن عمرو] - وعند ابن سعد أبو يزيد بن عمرو - وجماعة، فساروا

ثلاث ليال، فلما دخلوا المدينة وانتهوا إلى المسجد دخلوا على رسول الله ﷺ. فلما رآهم ألاح لهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة بن زيد المَنْطِق، فقام رجل من الناس فقال: «يا رسول الله، إن هؤلاء قوم سَحَرَة» فردَّدها مرتين فقال رفاعة بن زيد: رَحِمَ الله من لم يُحْذِنَا في يومه هذا إلاَّ خَيْراً».

ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ الذي كان كتبه له، فقال: دونك يا رسول الله [قديماً كتابه حديثاً غَدْرُه] فقال رسول الله ﷺ: «إقْرَأْهُ يا غلام وَأَعْلِنْ». فلما قرأ كتابه استخبرهم فأخبروه بما صنع زيد بن حارثة. فقال رسول الله ﷺ:«كيف أَصنع بالقَتْلى؟» ثلاث مِرَار. فقال رفاعة: «أنت يا رسول الله أعلم، لا نُحَرِّم عليك حلالاً ولا نُحِلّ لك حراماً». فقال أبو زيد بن عمرو: «أطلِق لنا يا رسول الله مَنْ كان حيّاً، ومن قُتل فهو تحت قَدَمي هذه». فقال رسول الله ﷺ:«صدق أبو زيد». فقال القوم: فابعث معنا يا رسول الله رجلاً يُخْلِي بيننا وبين حُرَمنا وأموالنا. فقال رسول الله ﷺ:«انطلقْ معهم يا عليّ». فقال عليّ: «يا رسول الله إن زيداً لا يُطيعني» قال: «فخُذْ سيفي هذا». فأخذه. فقال له عليّ: «ليس لي راحلة يا رسول الله». فحملوه على بعير لثَعْلَبة بن عمرو ويقال له مِكْحَال. فخرجوا حتى لقوا رافع بن مَكِيث الجُهَنِيّ، بشير زيد بن حارثة يسير على ناقة من إبل القوم، فردها عليّ على القوم. ورجع رافع بن مَكِيث مع عليّ رديفاً حتى لقوا زيد بن حارثة بِفَيْفَاء الفَحْلَتَيْن فقال عليّ: «إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تَرُدَّ على هؤلاء القوم ما كان بيدك من أسير أو سَبْي أو مال». فقال زيد: «علامة من رسول الله» فقال عليّ: «هذا سيفه» فعرفه زيد، فنزل وصاح في الناس، فاجتمعوا فقال: «من كان معه شيء من سَبْي أو مال فليردّه، فهذا [رسول] رسول الله ﷺ. فردّ على الناس كافَّة كل ما كان أُخِذ لهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل».

وروى محمد بن عمر رحمه الله تعالى عن مِحْجَن الديلي رضي الله تعالى عنه قال: «كنت في تلك السرية، فصار لكل رجل سبعة أبعرة أو سبعون شاة وصار له من السَّبْي المرأة والمرأتان حتى ردَّ رسول الله ﷺ ذلك كله إلى أهله». قال في زاد المعاد: «وهذه السرية كانت بعد الحديبية بلا شك».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

جُذَام: بجيم مضمومة فذال معجمة فميم، قبيلة بجبال حِسْمَى من مَعَدّ.

حِسْمَى: بحاء مكسورة فسين ساكنة مهملتين، أرض بالبادية غليظة لا خَيْر فيها ينزلها جُذَام، ويقال آخرما نَضَبَ من ماء الطوفان حِسْمَى فبقيت منه بقية إلى اليوم وفيها جبال

شواهق مُلْس الجوانب لا يكاد القَتَام يفارقها قاله الجوهري في الصحاح.

وادي القُرَى: وادٍ كثير القُرَى.

رِفاعة: بكسر الراء وبالفاء وبالعين المهملة.

يَلْبَث: يَمْكُث.

دحية: بفتح الدال المهملة.

قَيْصر: لقب لكل من ملك الروم، واسمه هرقل.

هُنَيْهة: بضم الهاء وفتح النون وسكون التحتية.

عِوَض: بكسر العين المهملة وفتح الواو وبالضاد المعجمة.

الصُّلَيْع: بضم الصاد المهملة وفتح اللام وسكون التحتية وبالعين المهملة.

سَمَل ثوب: بسين مهملة فميم فلام ثَوْب خَلَق بال.

الضُّبَيْب: بضاد معجمة فموحدتين الأولى مفتوحة بينهما تحتية ساكنة.

استنقذوه: خَلَّصوه ونَجُّوه.

استسقاه دَمَه: طلب منه الإذن في قتله.

يَكْمُن: يستتر.

عُذْرَة: بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة، بطن من قُضَاعة.

غَطَفان: اسم قبيلة.

بَهْرَاء: بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالراء والمَدّ وقد تُقْصَر، قبيلة.

الحَرَّة: بفتح الحاء المهملة والراء: أرض ذات حجارة سود نَخِرَة كأنها أُحْرِقت بالنار.

الرَّجْلَى: بالجيم كسَكْرَى ويُمَدّ، الرَّجْلاَء أرض خشنة يُتَرجَّلُ فيها أو كثيرة الحجارة.

كُرَاع رِبَّة: مكان، ورِبَّة بفتح الراء وتشديد الموحدة.

مَلَّة: باللام ورُوِي مكة بالبيت الحرام.

خَتَر: بخاء معجمة فمثناة فوقية فراء مفتوحات: غَدَى.

أَلاح له بيده: لَمَع بها.

سَحَرَة: أي عندهم فصاحة لسان وبيان.

يُحْذِنا: [يقال أحذيته أي أعطيته].

دُونَك: [أمامَك].

أَطْلِق لنا: بهمزة مفتوحة فطاء مهملة فلام مكسورة فقاف.

مِكْحَال: بميم مكسورة فكاف ساكنة فحاء مهملة فألف فلام.

مَكِيث: بفتح الميم وكسر الكاف وسكون التحتية وبالثاء المثلثة.

فَيْفَاء: بفاءيْن مفتوحتين بينهما تحتية ساكنة.

الفَحْلَتَيْن: بفتح الفاء وسكون الحاء المهملة وفتح اللام والفوقية وسكون التحتية وبالنون.

لُبَيْد: بضم اللام وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالدال المهملة تصغير لَبَد.

مِحْجَن: بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم وبالنون.

الدِّيلي: بكسر الدال المهملة وسكون التحتية وباللام.

الباب الخامس والعشرون

في سرية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقيل زيد بن حارثة إلى بني فزارة بوادي القرى

روى الإمام أحمد ومُسْلِم وابن سعد والأربعة والطبراني عن سَلَمَة بن الأكْوَع رضي الله تعالى عنه قال: غَزونا فَزَارة وعلينا أبو بكر أمَّره علينا رسول الله ﷺ، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أمرنا أبو بكر فعَرَّسنا، ثم شَنَّ الغارة فورد الماء فقَتل مَنْ قَتل عليه فأنظر إلى عُنُق من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قِشْع من أَدَم معها ابنة لها من أحسن العرب. فسُقْتُهم حتى أتيت أبا بكر. فَنَفَّلَنِي أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كَشَفْتُ لها ثوباً. فلقيني رسول الله ﷺ في السوق فقال: «يا سلمة هبْ لي المرأة». فقلت: «يا رسول الله قد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً». فسكت، حتى إذا كان من الغد لقيني رسول الله ﷺ في السوق ولم أكشف لها ثوباً فقال: «يا سلمة هَبْ لي المرأة لله أبوك». فقلت: هي لك يا رسول الله، قال: فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ففَدَا بها أَسْرَى [من المسلمين] كانوا في أيدي المشركين. وفي رواية عند أحمد، وابن سعد: وكان شِعَارُنا: أَمِتْ أَمِتْ قال: فقتلت بيدي سبعة ـ وعند الطبراني تسعة بتقديم الفوقية ـ أهل أبيات من المشركين.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

فَزَارة: بفتح الفاء وبالزاي والراء.

أَمَّره: بتشديد الراء، جعله أميراً.

التَّعْريس: النزول آخر الليل [للنوم] والاستراحة.

شَنَّ الغارة: فرّقها في كل وجه.

العُنُق من الناس: الطائفة منهم.

الذَّراري: بالذال المعجمة جمع ذُرِّية وهي الأولاد الصغار، وفيها ثلاث لغات أفصحها ضم الذال والثانية كسرها والثالثة فتح الذال مع تخفيف الراء وتجمع على ذُرِّيَّات.

القَشْع: بفتح القاف وكسرها وسكون الشين المعجمة وبالعين المهملة.

لله أبوك: إذا أُضيف الشيء إلى عظيم شريف اكتسب عِظَماً وشَرَفاً كما يقال: بَيْتُ الله، وناقة الله، فإذا وُجِد من الولد ما يُحْسِن مَوْقِفه ويُحْمَد فِعْلُه قيل: لله أبوك في مَعْرِض المدح والتعجب، أي أبوك لله خالصاً حيث أَنْجَبَ بك وأتى بمِثْلِك.

الباب السادس والعشرون

في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى وادي القرى في رجب، كما ذكره ابن إسحاق والبلاذري وزاد وقد تجمع بها قوم من مذحج وقضاعة ويقال بل تجمع بها قوم من أفناء مضر، فلم يلق كيداً.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

وادي القُرَى: بضم القاف وفتح الراء، تقدمٌ.

البَلاَذُرِي: بفتح الموحدة وضم الذال المعجمة.

مَذْحِج: بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة، وبالجيم: قبيلة من اليمن.

الأَفْنَاء: بالفاء والنون كأحمال. الأخلاط: للرجل إذا لم يُعْرَف من أي قبيلة.

الباب السابع والعشرون

في سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما إلى دومة الجندل في شعبان سنة ست

روى ابن إسحاق، ومحمد بن عمر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ دعا عبد الرحمن بن عوف فقال له: «تجهَّز فإني باعثك في سرية من يومك هذا أو من الغد إن شاء الله تعالى»[1]. قال عبد الله: فسمعت ذلك فقلت لأَدْخُلَنَّ فَلأُصَلِّيَنَّ مع رسول الله ﷺ الغداة ولأسمعنَّ وصيته لعبد الرحمن بن عوف قال: كنت عاشر عشرة رَهْط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومُعَاذ بن جَبَل، وحُذَيْفة بن اليَمَان، وأبو سعيد الخُدْرِيّ [رضي الله تعالى عنهم، وأنا مع رسول الله ﷺ] إذ أقبل فتىً من الأنصار فسلَّم على رسول الله ﷺ ثم جلس، فقال: يا رسول الله أيُّ المؤمنين أفضل؟ فقال: «أَحسَنُهُم خُلُقاً». قال: فأيُّ المؤمنين أَكْيَس؟ قال: «أكثرهم ذِكْراً للموت وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل بهم، أولئك الأكياس». ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين: خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تُدركوهنَّ إنه لم تَظْهَر الفاحشة في قوم قط حتى يُعْلِنوا بها إلاّ ظهر فيهم الطاعون والأوْجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٨٦/٣ وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٢٨٩).

المِكْيال والميزان إلاّ أُخِذوا بالسِّنين وشِدَّة المؤنة وجَوْر السلطان، ولم يَمْنَعوا الزَّكاة من أموالهم إلاّ أمسك الله عنهم قَطْر السماء ولولا البهائم لم يُسْقوا، وما نَقَضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سُلِّط عليهم عدوٌّ من غيرهم فأخذ بعضهم ما كان في أيديهم وما حَكَم قومٌ بغير كتاب الله إلاّ جعل بَأْسَهم بينهم». وفي رواية:«إلاّ ألبسهم شِيعاً وأذاق بعضهم بأس بعض».

ثم قال: قد كان رسول الله ﷺ أمره أن يسير من الليل إلى دُوَمة الجَنْدَل. وكان رجاله مُعَسْكرين بالجُرْف وكانوا سبعمائة. فقال عبد الرحمن: «أُحِبُّ يا رسول الله أن يكون آخر عهدي بك وَعَلَيّ ثياب سفري». فأقعده بين يديه ثم نفض عمامته بيده ثم عَمَّمَه بعمام [من كرابيس] سوداء. فأرخى بين كتفيه منها أربع أصابع أو نحو ذلك. ثم قال:«هكذا يا ابن عَوْف فاعتمّ فإنه أَحْسَن وأَعْرَف»(١).

ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللِّواء فدفعه إليه، فحمد الله تعالى وصلَّى على نفسه، ثم قال: «خُذه يا ابن عَوْف اغْزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله لا تَغُلُّوا ولا تغدروا ولا تَنْكُثوا ولا تُمَثِّلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسُنَّة نبيكم فيكم».

فأخذ عبد الرحمن اللواء وخرج حتى لحق بأصحابه، فسار حتى قدم دُوَمة الجَنْدَل. فلما حَلَّ بها دعاهم إلى الإسلام فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام. وقد كانوا أَبَوْا أول ما قدم أَلاّ يُعْطوا إلا السيف. فلما كان اليوم الثالث أَسْلَم الأَصْبَغ بن عمرو الكَلْبِي. وكان نصرانياً وكان رئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية.

فكتب عبد الرحمن إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك وأنه أراد أن يتزوج فيهم. وبعث الكتاب مع رافع بن مَكِيث الجُهَنِيّ فكتب إليه رسول الله ﷺ أن يتزوج بنت الأَصْبَغ تُمَاضِر، فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها، ثم أقبل بها وهي أم أبي سَلَمة بن عبد الرحمن.

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث أبا عُبَيْدة بن الجراح في سرية إلى دومة الجندل كما سيأتي.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

دُومة: بدال مهملة مضمومة وتُفتح فواو ساكنة فميم فتاء تأنيث ويُقال دوماء بالمَدّ.

الجَنْدَل: بفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام: حِصْن وقُرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خَمْس ليالٍ وبينها وبين المدينة الشريفة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة.

أَكْيَس: يُقال كاس الرجل في عمله لدُنيا أو آخرة كَيْساً جاد عقله.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٢٣/٥ وعزاه للطبراني في الأوسط وقال: إسناده حسن وانظر البداية والنهاية ٢٢٠/٥.

السنين: جمع سَنَة وهي الجَدْب.

البَأْس: بالموحدة والهمز: الحرب.

ألبسَهم شيَعاً: خلط أمرهم خَلْطَ اختلاف واضطراب لا خلط اتفاق.

أذاق بعضهم بأس بعض: ابتلاهم وعرَّفهم شدته.

مُعسكرون: مُجتمِعون.

الجُرف: بجيم مضمومة فراء ـ قال أبو عبيد البكري، والقاضي، والحازمي ـ مضمومة أيضاً. قال صاحب القاموس بالضم ثم السكون. على ثلاثة أميال من المدينة.

الكَرَابيس: بفتح الكاف جمع كِرباس وهي الثوب الخَشِن، فارسي مُعَرَّب.

أحسن وأعرف: [أفضل وأظهر].

غَلَّ من المغنم: خان.

الغَدْر: تركُ الوفاء.

الوليد: بفتح الواو: الصبِي.

الأصبغ: بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الموحدة وبالغين المعجمة.

مَكِيث: بميم فكاف فتحتية فثاء مثلثة وزن عظيم.

تُماضِر: بفوقية مضمومة وتخفيف الميم وبعد الألف ضاد معجمة مكسورة فراء، لا ينصرف للعَلَمية والتأنيث.

بنى بها: دخل عليها. وقال ابن السِكِّيت: زُفَّت إليه، وأصله أن الرجل كان إذا تَزَوَّج بنى للعُرس خِباءً جديداً وعمره بما يحتاج إليه وبنى له تكريماً، ثم كَثُر حتى كُني به عن الجماع وهو لُغَةً قال ابن دُرَيْد: بنى عليها وبنى بها والأول أصحّ.

الباب الثامن والعشرون

في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى مدين

روى ابن إسحاق عن فاطمة بنت الحسن بن علي رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مَدْيَن ومعه ضُمَيْرة مَوْلَى عليّ بن أبي طالب وأخٌ له، قالت: فأصاب سبياً من أهل ميناء وهي السواحل وفيها جُمَّاع من الناس فبيعُوا فَفُرِّقَ بينهم. فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون فقال: «ما لهم؟» فقيل: يا رسول الله فُرِّق بينهم فقال: «لا تبيعوهم إلا جميعاً». قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

مَدْيَن: بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح التحتية وآخره نون مدينة قوم شُعيب ﷺ وهي تجاه تبوك على بحر القُلْزُم بينهما ست مراحل وهي أكبر من تبوك.

ضُمَيْرَة: بضم الضاد المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وبالراء وتاء التأنيث، كذا في سيرة ابن هشام مَوْلَى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم أر له ذِكْراً فيما وقفت عليه من كتب الصحابة.

ميناء: بكسر الميم وسكون التحتية وبالنون. والمَدّ والقَصْر.

جُمَّاع الناس: بضم الجيم وتشديد الميم: أخلاطهم وهم الفرق المختلفة من قبائل شَتَّى.

فُرِّق: بضم الفاء وكسر الراء المشددة.

الباب التاسع والعشرون

في سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى بني سعد بن بكر بفدك في شعبان سنة ست

روى محمد بن عمر عن يعقوب بن زمعة رحمهم الله تعالى قال: بعث رسول الله ﷺ علياً في مائة رجل إلى حَيٍّ بن سَعْد بن بَكْر بفَدَك. قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدُّوا يهود خبير. فسار عليٌّ الليل وكمن النهار حتى انتهى إلى الغَمِج، وهو ماء بين خيبر وفدك. فوجدوا به رجلاً فقالوا: «ما أنت؟» فقال: «باغٍ»، فقالوا: «هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد؟» قال: «لا علم لي به». فشدَّدوا عليه، فأقرَّ أنه عينٌ لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهودها نصرَهُم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقومون عليهم فقالوا له: «فأين القوم؟» قال: «تركتهم قد تجمَّع منهم مائتا رجل ورأسُهم وَبْر بن عُليم». قالوا: «فَسِرْ بنا حتى تدُلَّنا» قال: «على أن تُؤمِّنوني». قالوا: (إن دللتنا عليهم أو على سَرْحِهم آمنَّاك وإلا فلا أمان لك). قال: «فذاك». فخرج بهم دليلاً حتى ساء ظنُّهم به وأوفى على فدفدٍ وآكام ثم أفضى بهم إلى أرض مستوية فإذا نعمٌ كثيرة وشاء فقال: «هذه نعمُهم وشاؤهم». فأغاروا عليها. فقال: «أرسِلوني». فقالوا: حتى نأمن الطلب. ونذر بهم رعاء النعم والشاء فهربوا في جمعهم [وتفرقوا][1] فقال الدليل: «عَلامَ تحبسني؟ قد تفرقت الأعراب». قال علي: «حتى نبلغ معسكرهم» فانتهى بهم إليه فلم ير أحداً. فأرسلوه وساقوا النعم والشاء وكانت النعم خمسمائة بعير والشاء أَلْفَيْ شاة. وعزل عليّ صَفِيّ رسول الله ﷺ لقوحاً تدعى الحَفِدة ثم عزل الخُمُس وقسم سائر الغنائم على أصحابه وقدم عليّ ومن معه المدينة.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

فَدَك: بفتح الفاء والدال المهملة وبالكاف، قال المجد اللغوي إنها على يومين من المدينة وقال القاضي [عياض] يومين وقيل ثلاثة وقال ابن سعد على ست ليال من المدينة قال السيد وأظنه الصواب واستبعد صحته في النور وقال إنه سأل بعض أهل المدينة عنها فقال بينهما يومان.

يُمِدُّوا: بضم التحتية وكسر الميم.

الغَمِج: من المياه ما لم يكن عذباً، وهي بغين معجمة وميم مكسورة وبالجيم.

العَيْن: هنا الجاسوس.

آمنوه: بمدّ الهمزة وفتح الميم من الإيمان.

وَبْر: بفتح الواو وسكون الموحدة وبالراء.

عُلَيْم: بضم العين المهملة.

أوفَى على كذا: أشرف.

الفَدْفَد: بفاء ودال ثم فاء ودال مهملة: المكان الصلب الغليظ المرتفع من الأرض، والأرض المستوية.

لَقُوحاً: بفتح اللام وضمّ القاف المخففة وبالحاء المهملة واحدة اللقاح وهي الحلوب.

الحَفِدة: بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء وفتح الدال المهملة وتاء التأنيث وهي السريعة السَّيْر.

الباب الثلاثون

في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما إلى وادي القرى أيضاً في رمضان سنة ست

قال موسى بن عائذ رحمه الله تعالى: أخبرني الوليد بن مسلم عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة رضي الله تعالى عنه قال: ارتُثَّ زيد بن حارثة من وسط القتلى. وقال محمد بن عمر: حدثنا عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسين بن حسن علي بن أبي طالب قال: خرج زيد بن حارثة رضي الله عنهما في تجارة إلى الشام وأبضع معه جماعة من أصحاب النبي ﷺ، فلما كان دون وادي القُرى ومعه ناس من أصحابه لَقِيه ناس كثيرون من بني فَزَارة من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه حتى ظنُّوا أنهم قد قُتِلوا، وأخذوا ما معهم. فقدموا المدينة ونَذَر زيد بن حارثة ألا يَمُسّ رأسه غُسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة. فلما استبَلَّ من جِراحته بعثه رسول الله ﷺفي سَرِيَّة وقال لهم:«أكمنوا النهار وسيروا الليل». فخرج بهم دليل من بني فزارة وقد نذِرتْ بنو بدر، فكانوا يجعلون ناظوراً لهم حين يصبحون فينظر على جبل مشرف وجه الطريق الذي يرون أنهم يُؤْتَون منه، فينظر قدر مسيرة يوم، فيقول أسرحوا فلا بأس عليكم. فإذا أمسوا وكان العشاء أوفى على منظره ذلك فينظر مسيرة ليلة فيقول: ناموا فلا بأس عليكم هذه الليلة.

فما كان زيد بن حارثة وأصحابه على نحو مسيرة ليلة، أخطأ بهم الطريق دليلهم فأخذ بهم طريقاً أُخرى حتى أمسوا وهو على خطأ ففرجوا خطاهم، ثم صمدُوا لهم في الليل حتى صَبَّحوهم، فأحاطوا بالحاضر، ثم كبَّر وكَبَّر أصحابه. وخرج سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يطلب رجلاً منهم حتى قتله وقد كان أمعن في طلبه. وقتل قيس بن المُسَحَّر النعمان [وعبيد الله] ابني مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وأُسر عبد الله بن مسعدة، وأُخذت جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وأمها أم قِرْفَة واسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر وكانت عند حذيفة بن بدر، وهي عجوز كبيرة كانت في بيت شرف من قومها. وكانت العرب تقول: «لو كنت أعزَّ من أم قرفة[ما زدت] لأنها كانت تعلق في بيتها خمسين سيفاً كلهم لها ذو محرم. وكان لها اثنا عشر ولداً كما في الزهر، كُنِّيَت بابنها قرفة قتله النبي ﷺ، وسائر بنيها قُتلوا مع طُلَيحة في الرِدَّة فلا خير فيها ولا في بنيها. فأمر زيد بن حارثة بقتل أم قرفة لسَبِّها سيدنا رسول الله ﷺ فقُتلت قتلاً عنيفاً.

قال محمد بن عمر، وابن سعد: ولما قَدِم زيد بن حارثة من وجهه ذلك قرع باب النبي ﷺ فقام إليه عرياناً يجُرّ ثوبه حتى اعتنقه وقبّله فأخبره زيد بما ظفَّره الله تعالى به.

وقدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبعبد الله بن مسعدة، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ وذُكر له جمالها فقال: «يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك». فقال: يا رسول الله جارية رجوت أن أفتدي بها امرأة منّا في بني فزارة فأعاد رسول الله ﷺ الكلام مرتين أو ثلاثاً حتى عرف سلمة أنه يريدها فوهبها له، فوهبها النبي ﷺ لخاله حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن [عمران] بن مخزوم، فولدت له [عبد الرحمن بن حَزْن].

تنبيهان

الأول: ذكر ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد، وابن عائذ هذه السرية وأن أميرها زيد بن حارثة رضي الله عنهما وتقدم في سرية أبي بكر أن رسول الله ﷺ بعث بها إلى مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين ولم أرَ من تعرضَّ لتحرير ذلك.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

ابن عائذ: بالتحتية والذال المعجمة.

الوليد بن مسلم: أحد الأعلام، عالم أهل الشام.

ابن لهيعة: عالم مصر وقاضيها.

أبو الأَسْوَد: اسمه محمد بن عبد الرحمن بن نوفل.

وَرْد: بلفظ الرَّيحان المشموم.

مِردَاس: بكسر الميم وسكون الراء وبالسين المهملة نسبُ ورد إلى جدِّه وهو ورد بن عمرو بن مرداس أحد بني سعد بن هُذيم، ذكره أبو جعفر بن جرير الطبري فيمن استُشهد مع زيد بن حارثة في بعض سراياه إلى وادي القُرى.

أُرْتُثَّ: بضم أوله وسكون الراء وضم الفوقية وبالثاء المثلثة، أي حُمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رَمَق.

وسط: بسكون السين المهملة وفتحها.

أبضع معه: [من أبضع الشيء جعله بضاعة].

دُونَ: وادي القرى بالقرب منه.

فزارة: بفتح الفاء وبالزاي وبعد الألف تاء تأنيث.

بدر: بفتح الموحدة وسكون الدال المهملة وبالراء.

نذر: ألا يمس رأسه غُسل من جنابة إلخ. أي لا يأتي امرأته فكني بالغسل عن ذلك.

استبلَّ: بكسر أوله وسكون السين المهملة وفتح الفوقية والموحدة واللام المشددة، يقال بلَّ من مرضه يبِلُّ بالكسر بلاً وبللاً وبلولاً أي صحَّ منه وكذلك أبلَّ واستبلَّ.

نَذِرتْ: بفتح النون وكسر الذال المعجمة وفتح الراء: علِمت.

الناظور: بظاء معجمة مُشالة.

أوفى: أشرف.

صمد له: بفتح الصاد المهملة والميم [أي ثبت واستمر].

مسعدة: بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والدال المهملات وبتاء تأنيث.

حكمة: بفتح الحاء المهملة والكاف والميم وبتاء تأنيث.

قَيسُ: بالرفع فاعل.

قَتَل المُسَحَّر: بتقديم السين المهملة عند الطبري وبتقديم الحاء المهملة عند غيره وفتح السين ومن الناس من يكسرها.

قرفة: بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء تأنيث.

قتلها قتلاً عنيفاً: أي لم يرفُق بها.

لخاله حزن: بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبالنون.

عايذ: بالتحتية والذال المعجمة، وأم فاطمة جدة النبي ﷺ أم أبيه هي بنت عايذ بن عمرو بن مخزوم. فهذه الخؤولة التي ذكرت.

الباب الحادي والثلاثون

في سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع عبد الله ويقال سلام بن أبي الحقيق بخيبر ويقال بحصن له بأرض الحجاز وهو الثابت في الصحيح عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما.

قال ابن إسحاق: لما انقضى شأن الخندق وأمر بني قُرَيْظَة، وكان سَلام بن أبي الحُقَيْق - وهو أبو رافع - فيمن حَزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوْس قبل أُحُد قد قتلت كَعْب بن الأشْرَف في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه استأذنت الخَزْرَج رسول الله ﷺ في قتل سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق. وهو بخَيْبَر فأذِن لهم. وكان مما صَنَع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحَيَّيْن من الأنصار: الأوس والخزرج كانا يَتَصَاوَلاَن مع رسول الله ﷺ تَصَاوُلَ الفَحْلين، لا تصنعُ الأوْس شيئاً فيه عن رسول الله ﷺ غَنَاء إلا قالت الخزرج: والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. فلا ينتهون حتى يُوقِعوا مثلها. وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك. ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف لعداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً - وكانوا رضي الله عنهم يتنافسون فيما يُزْلِف إلى الله تعالى ورسوله ﷺ - فتذاكروا مَنْ رَجُلٌ لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحُقَيْق وهو بخيبر أو بأرض الحجاز.

قال ابن سعد: «قالوا: كان أبو رَافِع بن أبي الحُقَيْق قد أَجْلَب في غَطَفان ومَنْ حَوْلَه من مشركي العرب وجعل لهم الجُعْل العظيم لحرب رسول الله ﷺ.

فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتله فأذِن لهم. فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عَتِيك، ومسعود بن سِنَان، وعبد الله بن أُنَيْس الجُهَني حليف الأنصار، وأبو قَتَادة الحَرْث بن رِبْعِيّ، وخُزَاعي بن أَسْوَد. وعند محمد بن عمر، ومحمد بن سعد أسود بن خُزَاعِي، حليف لهم من أَسْلَم. زاد البَرَاءُ بن عازب رضي الله تعالى عنهما - كما في الصحيح[1] - عَبْدَ الله بن عُتْبَة - بضم العين المهملة وسكون الفوقية - فيكونون ستة. وزاد موسى بن عُقْبَة والسُّهَيْلي أسعد بن حَرَام - بالراء - فيكونون سبعة. وأَمَّر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عَتِيك ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة.

فخرجوا حتى إذا قدموا خَيْبَر أتوا دار ابن أبي الحُقَيْق ليلاً - وفي الصحيح من حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه: «وكان أبو رافع يُؤذي رسول الله ﷺ ويُعين عليه، وكان

(١) في البخاري ٧/٣٩٥ كتاب المغازي باب قتل أبي رافع.

في حِصْن له بأرض الحجاز. فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بِسَرْحِهم قال عبد الله بن عَتِيك لأصحابه: امكثوا أنتم مكانكم فإني مُنْطَلِق ومُتَلَطِّف للبَوَّاب لعلِّي أن ـخل فأتبل حتى دنا من الباب».

قال ابن عتيك: فتلطَّفْتُ أن أدخل الحصن ففقدوا حماراً لهم فخرجوا بِقَبَسٍ يطلبونه فخشيت أن أُعرف فغطَّيت رأسي ورجليّ فتقنَّعت وجلستُ كأني أقضي حاجة. ثم ـ ف صاحب الباب، فدخلت ثم اختبأت، وفي لفظ: فكمنت في مَرْبِط حمار ورأيت صا ـب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في كوَّة. وفي رواية: فلما دخل الناس أغلق الباب ثم ع ق الأغاليق على وتد. وكان أبو رافع يُسْمَر عنده، وكان في عَلاَلِيّ له. فتعشُّوا عنده وتحدَّثوا حتى ذهبت ساعة من الليل ثم رجعوا إلى بيوتهم. وفي رواية فلما ذهب عنه أهل سَمَرِهِ وهدأت الأصوات فلا أسمع حركة خرجت وقمت إلى الأقاليد ففتحت باب الحصن. وقلت إن نَذِر بي القوم انطلقت على مَهَل ثم عَمَدْت إلى أبواب بيوتهم فأقفلتها من ظاهر. ثم صعدت إلى أبي رافع فجعلت كُلَّما فتحت باباً أغلقته عَلَيّ مِنْ داخل.

قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلُصوا إليّ حتى أقتله. فانتهيت إليه فإذا هو في بيتٍ مُظْلم قد طَفِئ سِرَاجه [وهو] في وَسْط عياله لا أدري أين هو من البيت. فقلت: يا أبا رافع فقال: من هذا؟ فعمدت ـ وفي لفظ ـ فَأَجْوَيْتُ نحو الصَّوْت فأَضْرِبُه ضَرْبَةً بالسيف وأنا دَهِش ـ أو قال: داهِش فلم تُغْنِ شيئاً، وصاح فخرجت من البيت فما مكثت غير بعيد ثم جئت فقلت: مالك يا أبا رافع؟ وغَيَّرت صوتي. فقال: «ألا أُعْجِبك؟ لأُمِّك الوَيْل، دخل عَلَيّ رجل فضربني بالسيف».

قال ابن عتيك: فعمدت له أيضاً فأضربه أخرى فلم تُغْنِ شيئاً. فصاح وقام أهله. ثم جئت وغَيَّرت صوتي كهيئة المُغِيث فإذا هو مُسْتَلقٍ على ظهره فأضع ظُبَةَ السيف في بطنه ثم انكفئ عليها حتى سمعت صوت العظم فعرفتُ أني قتلته، ثم خرجت دَهِشاً فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له. وفي لفظ: حتى أتيت السُّلَّم أريد أن أنزل. فوضعت رِجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مُقْمِرة فانكسرت ساقي ـ وفي رواية فانخلعت رجلي ـ فعصبتُها بعمامة ثم أتيت أصحابي أَحْجُل فقلت: «النَّجَاء فقد قتل الله أبا رافع». وفي رواية: فقلت لهم: انطلقوا فبشِّروا رسول الله ﷺ فإني لا أبرح حتى أسمع الناعية فجلست على الباب حتى صاح الديك. وفي لفظ: فلما كان وجه الصبح صَعِد الناعية على السور فقال: أَنْعَى أبا رافع تاجر أهل الحجاز. فقُمْت أَمْشي ما بي قَلَبَة، فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا النبي ﷺ فبشَّرته. وفي رواية فحدَّثْته فقال لي: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فبسطت

رجلي فمسها فكأنها لم أَشْتكيها قط. هذا ما ذكره البخاري في الصحيح من حديث البَرَاء بن عازب، وصَرَّح فيه بأن عبد الله بن عَتِيك انْفَرَد بقتله.

وذكر ابن عُقْبَة وابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد، وغيرهم خلاف ذلك، أَدْخَلْتُ حديث بعضهم في بعض، قالوا: إن عبد الله بن عتيك وأصحابه قدموا خَيْبَر ليلاً حين نام أهلها، وأتوا دار ابن أبي الحقيق فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله [وكان في عِلِّيَّةٍ له فأسندوا فيها] حتى قاموا على بابه فاستأذنوا عليه. قال ابن سعد: وقدَّموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يَرْطُنُ باليهودية ـ وكانت أمه يهودية أرضعته بخيبر ـ فخرجت إليهم امرأته فقالت: من أنتم؟ فقالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة ـ وفي لفظ: فقال عبد الله بن عتيك ورطن باليهودية: جئت أبا رافع بهديَّة ـ ففتحت لهم وقالت: ذاكم صاحبكم. فأُدْخِلوا عليه. قال: فما دخلنا أغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوُّفاً أن تكون دونه مُجادلة تحول بيننا وبينه. قالت: فصاحت امرأته فَنَوَّهَتْ بنا.

ولفظ ابن سعد: «فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشاروا إليها بالسيف فسكتت» وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قُبْطِيَّة مُلْقَاة. قال: ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نَهْيَ رسول الله ﷺ، فيَكُفّ يده ولولا ذلك لفَرَغْنا منها بِلَيْل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أُنَيْس [بسيفه] في بطنه حتى أنْفَذَه وهو يقول: قَطْنِي قَطْنِي، أي حَسْبِي حَسْبي.

قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر، فوقع من الدرجة فوُثِئَت يده وَثْأً شديداً ـ ويقال رِجْله فيما قال ابن هشام ـ وحملناه حتى نأتي به مَنْهَراً من عيونهم فندخل فيه. وصاحت امرأته فتصايح أهل الدار بعد قتله، فأوقدوا النيران واشْتَدُّوا في كل وجه يطلبوننا. وعند ابن سعد أن «الحارث أبا زينب اليهودية التي سَمَّت رسول الله ﷺ خرج في آثار الصحابة في ثلاثة آلاف يطلبونهم بالنيران فلم يروهم فرجعوا، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سَكَن الطلب. ثم خرجوا مقبلين إلى المدينة». فلما أَيس اليهود رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يفيض بينهم.

قال عبد الله بن أُنَيْس: فقلنا كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ فقال رجل منا ـ قال محمد بن عمر: هو الأسود بن خُزَاعي ـ أنا أذهب فانظر لكم. قال: فانطلق حتى دخل في الناس. قال: فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول: «أَمَا والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت: أَنَّى ابن عتيك بهذه البلاد»؟ ثم أَقْبَلَتْ عليه تنظر في وجهه وتحدثهم ثم قالت: «فَاظَ وإله يهود». فما سَمِعْتُ كلمة كانت أَلَذّ إلى نفسي منها.

ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ - زاد بن عُقبة، ومحمد بن عمر: وهو على المنبر - فقال: «أفلحت الوجوه» فقالوا: أفلح وجهك يا رسول الله. فأخبرناه بقتل عدو الله. واختلفنا عنده في قتله، كُلُّنا يَدَّعيه. فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا أسيافكم». فجئناه بها، فنظر إلى سيف عبد الله بن أُنَيْس فقال: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام» فقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه يذكر بقتل كعب بن الأشرف وقتل سَلاَّم بن أبي الحُقَيْق:

لله دَرُّ عِصَابَةٍ لاَقَيْتَهُمْ ... يَا ابْنَ الحُقَيْقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبِيضِ الخِفَافِ إِلَيْكُمْ ... مَرَحاً كَأُسْدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفِ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلاَدِكُمْ ... فَسَقَوْكُمُ حَتْفاً بِبِيضٍ ذُفَّفِ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ ... مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْحِفِ

تنبيهات

الأول: اختلفوا في وقت خروجهم متى كان فذكرها البخاري قبل غزوة أُحُد، وقال الزهري: كانت بعد قتل كعب بن الأشرف، ووصله يعقوب بن سفيان في تاريخه. قال ابن سعد: كانت في رمضان سنة ست. وقيل من ذي الحجة سنة خمس، وقدَّمه في الإشارة. وقيل في ذي الحجة سنة أربع. وقيل في رجب سنة ثلاث والله أعلم.

الثاني: وقع في الصحيح: وهو بِخَيْبَر، ويقال في حصن له بأرض الحجاز، فيُحْمَل أن حصنه كان قريباً من خَيْبَر في طرف أرضَ الحجاز. وقال في النور: خَيْبَر من الحجاز.

الثالث: في حديث البراء رضي الله تعالى عنه في الصحيح أن عبد الله بن عُتْبَة كان فيهم كما تقدم ذكره. قال الحافظ الدمياطي صوابه: عبد الله بن أُنَيْس. وقال في الزُّهَر: زعم البخاري أن عبد الله بن عُتْبَة كان معهم ولم أر مَنْ قاله غير البخاري حتى قال بعض العلماء في الصحابة: عبد الله بن عُتْبَة اثنان لا ثالث لهما. الأول الذَّكْواني وليس من هؤلاء بشيء لأنهم قالوا إن كلهم من الأنصار.

الرابع: عبد الله بن عُتبة ذكره بعضهم في الصحابة والأكثرون على أنه تابعي. قلت: ظاهر كلام صاحب الزُّهَر أن البخاري ذكره من عند نفسه، وليس كذلك بل الذي قاله هو البَرَاء بن عازب كما روى البخاري عنه، وكون عبد الله بن عُتْبَة ذَكْواني لا يخالف قول من قال إنهم من الأنصار لاحتمال أنه كان حليفاً للأنصار. وفي الحديث: «وحليفنا منّا»، وعبد الله بن أُنَيْس كان معهم وليس هو من الأنصار قَطْعاً بل هو جُهَنِي حالفهم. ولم يَعْرُج في الفتح

والإصابة على ما ذكره الدمياطي ومُغَلْطَاي والصحيح ما في الصحيح لصحة سنده والله تعالى أعلم.

وقال ابن الأثير في جامع الأصول إنه عبد الله بن عِنَبة بكسر العين المهملة وفتح النون. قال الحافظ في الفتح: «وهو غلط منه فإنه خَوْلاَنِّي لا أنصاري ومُتَأخر الإسلام، وهذه القصة متقدمة. والرواية بضم العين المهملة وسكون التاء الفوقية لا بالنون».

الخامس: في حديث عبد الله بن عتيك: فانكسرت ساقي، وفي الرواية عنه فانخلعت رِجْلي ويُجْمَع بينهما بأنها انخلعت من المفصل وانكسرت من الساق.

السادس: قول عبد الله بن عتيك: «فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا النبي ﷺ فبشَّرته» يُحْمَل على أنه لما سَقَط من الدَّرَجة وقع له جميع ما تقدم، لكنه من شدة ما كان فيه من الاهتمام بالأمر ما أَحَسَّ بالألم وأُعِين على المَشْي أولاً وعليه ينزل قوله: «فقُمْتُ أمشي ما بي قَلَبَة». ثم لما تمادى عليه المشي أحسَّ بالألم فحمله أصحابه فلما أتى رسول الله ﷺ مسح على رجله فزال عنه جميع الألم ببركته ﷺ.

السابع: ذكر ابن عُقْبَة فيمن توجه لقتل ابن أبي الحُقَيْق أسعد بن حَرَام. قال في الروض: ولا نعرف أحداً ذكره غيره. وفي الإكليل للحاكم عن الزهري أنه ذُكِر فيهم أَسْعَد بن حَرَام. قال في الزَّهْر: ولما ذكر ابن الكلبي عبد الله بن أُنَيْس قال هو أسعد بن حرام، فيُحْتَمل أن يكون اشتبه على بعض الرواة عن هذين الإمامين يعني الزهري وابن عُقْبَة. قلت الزهري شيخ ابن عُقْبَة فهو مُتَابِعٌ له.

الثامن: في بيان غريب ما سبق:.

سَلاَّم: اختلف في تشديد لامه وتخفيفها وجزم في الفتح بالتشديد.

الحُقَيْق: بضم الحاء المهملة وفتح القاف وسكون التحتية وبقاف أخرى.

خَيْبَر: تقدم الكلام عليها في غزوتها.

الحِجاز: بكسر الحاء المهملة: مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها قال الإمام الشافعي. وقال غَيْرُه ما بين نَجْد والسَّرَاة. وقال الكلبي: ما حجز بين اليمامة والعروض، وما بين نَجْد والسَّرَاة.

حَزَّب: بفتحتين والزاي مشددة: جمع.

الأَحْزَاب: الطوائف التي تجتمع على محاربة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم.

يتصاولان: يُقَال تصاوَل الفَحْلان إذا حمل كل منهما على الآخر، وأراد بهذا الكلام أن

كل واحد من الأوس والخزرج كان يدفع عن رسول الله ﷺ، ويتفاخران بذلك، فإذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مثله.

الفَحْل: بفتح الفاء وسكون الحاء المهملة وباللام: الذَّكَر من الإبل.

الغَنَاء: بغين معجمة فنون كسحاب: النفقة.

يُزْلِف: يُقَرِّب.

أَجْلَب عليه: بفتح أوله وسكون الجيم وفتح اللام والموحدة: جمع ما قَدِر عليه مِمَّن أطاعه.

غَطَفان: بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة وبالفاء وبعد الألف نون: قبيلة نُسِبَت إلى جَدِّها.

بنو سَلِمَة: بكسر اللام.

عَتِيك: بفتح العين المهملة وكسر الفوقية وسكون التحتية وبالكاف.

سِنَان: بكسر السين المهملة وبالنون.

أُنَيْس: بضم أوله وفتح النون وسكون التحتية وسين مهملة.

رِبْعِيّ: بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة.

خُزَاعِيّ: بضم الخاء المعجمة وبالزاى وبعد الألف عين مهملة مكسورة فتحتية مُشَدَّدة.

البَرَاء: بفتح الموحدة المخففة وبالمَدّ على المشهور، وحكى أبو عمر الزاهد القَصْر.

الوَلِيد: بفتح الواو وكسر اللام وسكون التحتية والدال المهملة، وهو هنا الصَّبِي.

دَنوا: قَرُبوا.

رَاحَ: براء فألف فحاء مهملة: رجع هنا.

السَّرْح: بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات: المال السَّائم من إبل وبقر وغنم.

القَبَس: بفتح القاف والموحدة وبالسين المهملة: الشُّعْلَة من النار.

تَقَنَّع ثَوْبَه: بفتح الفوقية والقاف والنون المشددة وبالعين المهملة: تَغَطَّى به لِيُخْفِيَ شَخْصَه لئلا يُعْرَف.

هَتَف: بفتح الهاء والفوقية والفاء: ناداه.

يا عبد الله: لم يرد اسمه لأنه لو كان كذلك لكان قد عرفه، والواقع أنه كان مُسْتَخْفِياً منه، فالذي يظهر أنه أراد معناه الحقيقي لأن الجميع عباد الله تعالى.

كَمَنْتُ: فتح الكاف والميم: اخْتَبَأْتُ.

الكُوَّة: بفتح الكاف وتُضَمّ النَّقْب في الحائط. وقيل بالفتح غير النافذة وبالضم النافذة.

الأغاليق: بغين معجمة بفتح أوله ما يُغْلَق به الباب والمراد هنا المفاتيح لأنه يُفْتَح بها ويُغْلَق وفي رواية في الصحيح بالعين المهملة وهو المفتاح.

الوَتَد: بفتح الواو ويقال فيه الوَدّ بفتح الواو وتشديد الدال المهملة.

يُسْمَر عنده: بالبناء للمفعول أي يُتَحدثُ عنده ليلاً.

العَلالِيّ: بفتح العين المهملة جمع عُلِّيَّة بضم العين وفتح اللام. وتشديد التحتية: الغُرْفَة.

هَدَأَت الأصوات: بالهمز: سَكَتَتْ.

الأقاليد: بالقاف جمع إقْلِيد وهو المفتاح.

نَذِر: بفتح النون وكسر الذال المعجمة والراء: عَلِم.

المَهْل: بفتح الميم وسكون الهاء وباللام خلاف العَجَلة.

عَمَدْتُ: بفتح العين المهملة والميم: قَصَدْتُ.

إن القوم: بتخفيف إنْ وهي شرطية دخلت على فِعْل محذوف يُفَسّره ما بعده مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ من المُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ [التوبة ٦].

لم يَخْلُصوا: بضم اللام.

إليّ: بتشديد التحتية.

أَهْوَيْتُ نحو الصوت: قَصَدْتُ صاحب الصَّوْت.

الدَّهِش: بفتح الدال المهملة وكسر الهاء وبالشين المعجمة: الحَيْران.

لأُمّه الوَيْل: أتى بالوَيْل هنا للتعجب.

فأضربه: ذكره بلفظ المضارع مُبَالَغَةً لاستحضاره صورة الحال وإن كان ذلك قد مضى.

لم تُغْنِ شيئاً: أي لم تقتله.

ظُبَةُ السيف: بضم الظاء المعجمة المُشَالة وفتح الموحدة المخففة: حَدُّهُ ووقع في غير رواية أبي ذَرّ في الصحيح.

ضَبِيب: بضاد معجمة وموحدتين وزن رغيف. قال الخَطَّابي: هكذا يُرْوَى وما أراه محفوظاً وإنما هو ظُبَةُ السيف وهو حَدُّه، لأن الضَبِيب لا معنى له هنا لأنه سيلان الدم من الفم.

قال القاضي عياض: هو في رواية أبي ذَرّ بالصاد المهملة.

أُرَى: بضم أوله: أَظُنّ.

انْخَلَعَتْ رِجْلُه: انقلبت.

الحَجْل: بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وباللام: أن يَرْفَع رِجْلاً ويَقْفِز على الأخرى، وقد يكون بالرِجْلَين إلا أنه قَفْز، وقيل الحَجْل مَشْيُ المُقَيَّد.

النَّجَاء: بالنصب أي أسْرعوا.

لا أَبْرَح: لا أذهب.

الناعية: مؤنثة.

أَنْعى أبا رافع: كذا ثَبَت في روايات البخاري. قال ابن التين هي لُغَيَّة والمعروف أَنْعو، والنَّعْي خَبَرُ الموت والاسم النَّاعِي.

القَلَبَة: بقاف فلام فباء موحدة مفتوحات فتاء تأنيث الداء.

يَدَعوا: بفتح الفوقية والدال المهملة: يَتْرُكوا.

المِيرَة: بكسر الميم: طعام يمتاره الإنسان.

الحُجْرَة: بضم الحاء المهملة وسكون الجيم [الغُرْفَة].

نَوَّه به: رفع ذِكْرَه.

القُبْطِيَّة: بضم القاف وسكون الموحدة وكسر الطاء المهملة: ثوب من كتَّان حرير يُعْمل بمصر نِسْبَةً إلى القِبْط على غير قياس فرقاً بينه وبين الإنسان. قال الخليل إذا جعلت ذلك اسماً قلت قُبْطِيَّة وأنت تريد الثَّوْب بضم القاف وكسرها.

قَطْنِي: بفتح القاف وسكون الطاء المهملة فنون فتحتية: ومعناه حَسْبِي أي كفايتي.

وَثِئَتْ يَدُه: بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة فهمزة مفتوحة ففوقية. قال الحافظ: الصواب: وثئت رِجْلُه. قال في الإملاء: يقال وَثِئَتْ يَدُه إذا أصابه شيء ليس بكسر. وقال بعض اللغويين الوَثْء إنما هو توجُّع في اللحم لا في العَظْم. وقال في القاموس: الوَثْء والوَثَاءة وَصْمٌ يصيب اللحم لا يبلغ العظم أو تَوَجُّع في العظم بلا كسر أو هو الفكّ.

المَنْهَر: بفتح الميم والهاء وسكون النون بينهما.

اشْتَدُّوا: بالشين المعجمة والفوقية: عَدُوا. وفي رواية بالمهملة والنون أي عَلَوْا.

يفيض بينهم: بتحتية ففاء مكسورة فتحتية ساكنة فضاد معجمة ساقطة، في لغة تميم،

وفي لغة غيرهم بظاء معجمة مُشَالة: أي يموت.

أَكْذَبْتُ نفسي: بالهمزة والكاف والذال المعجمة والفوقية [ألفاها كاذبة].

أَنَّى: بفتح أوله والنون المشددة.

فاظ: بفاء فألف فظاء معجمة مُشَالة في لغة غير تميم وتقدم.

اليهود: بفتح الدال المهملة لأنه لا ينصرف للعَلَمية والتأنيث لأنه اسم للقبيلة وفيه أيضاً وزن الفعل.

أَلَذّ: بفتح أوله واللام والذال المعجمة المشددة.

أَرَى: بفتح الهمزة من رؤية العين.

العِصَابة: الجماعة من الناس.

البِيض الرِقاق: وفي لفظ الخِفَاف والمراد بذلك السيوف.

مَرَحاً: المرح بفتح الميم والراء وبالحاء المهملة: النشاط هنا.

الأُسْد: بضم أوله وسكون السين والدال المهملتين.

العَرِين والعَرِينة: بعين فراء مهملتين فتحتية ساكنة فنون مأوى الأسد يقال لَيْثُ عَرِينةٍ ولَيْثُ غَابَةٍ وأصل العَرِين جماعة الشجر.

المُغْرِف: بضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الراء وبالفاء: الشجر الملتف الأغصان.

ذُفَّف: بذال معجمة مضمومة ففاء مفتوحة مشددة وفاء أخرى: سريعة القتل.

المُجْحِف: بضم الميم وسكون الجيم وكسر الحاء المهملة وبالفاء.

الباب الثاني والثلاثون

في سرية عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه إلى أسير أو يسير بن رزام بخيبر في شوال سنة ست.

لمَّا قُتل أبو رافع سلاَّم بن أبي الحُقيق أَمَّرت يهود عليهم أُسَيْر بن رزَام. فقام في يهود فقال: «والله ما سار محمد إلى أحد من يهود ولا بعث أحداً من أصحابه إلا أصاب منهم ما أراد، ولكني أصنع ما لم يصنع أصحابي». فقالوا: وما عسيت أن تصنع؟ قال: (أَسِيرُ في غَطَفان فأَجمعهم ونسير إلى محمد في عُقْر داره فإنه لم يُغْزَ أَحدٌ في عُقْر داره إلا أَدْرك منه عدُوّه بعْضَ ما يُرِيد). قالوا له: نِعْم ما رأَيت. فسار في غَطَفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فوجّه عبد الله بن رواحة في شهر رمضان ومعه ثلاثة نفر سِرّاً ليكشف له الخبر. فأتى ناحية خيبر فدخل في الحوائط وفرّق أصحابه في النَّطاة والشَّق والكتِيبة، فوعُوا ما سمعوا من أُسيْر بن رِزام أو غيره، ثم خرجوا بعد مُقَام ثلاثة أيام. فرجع إلى النبي ﷺ لليال بقين من شهر رمضان فأخبره بكل ما رأى وسمع، وقدم عليه أيضاً خارجة بن حُسيْل الأشجعي فاستخبره رسول الله ﷺ ما وراءه. فقال: تركت أُسيْر بن رزام يسير إليك في كتائب يهود، فندب النبي ﷺ الناس فانتُدِب له ثلاثون رجلاً.

وذكر ابن عائذ أن عبد الله بن عتيك كان فيهم. وروى محمد بن عمر عن عبد الله بن أُنَيْس قال: «كنت فيهم فاستعمل رسول الله ﷺ علينا عبد الله بن رواحة». قال: «فخرجنا حتى قدمنا خيبر فأرسلنا إلى أُسيْر إنَّا آمنون حتى نأتيك فنَعْرِض عليك ما جئنا له. قال: نعم ولي مثل ذلك منكم. قلنا: نعم. فدخلنا عليه فقلنا: «إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبر ويُحْسِن إليك». فلم يزالوا به حتى خرج معهم. وطَمِعَ في ذلك. وشاور يهود فخالفوه في الخروج وقالوا: «ما كان محمد ليستعمل رجلاً من بني إسرائيل». قال: «بلى قد مَلِلْنا الحرب».

فخرج معه ثلاثون رجلاً من يهود مع كل رجل رديف من المسلمين. قال ابن إسحاق: وحمل عبد الله بن أُنَيْس أُسيْر بن رزام على بعيره. قال عبد الله بن أُنَيْس: «فسِرنا حتى إذا كنّا بقَرْقَرة ثِبار ونَدِم أُسيْر وأَهْوى بيده إلى سيفي ففَطِنْتُ له ودفعت بعيري. وقلت: «أغدراً أي عدوَّ الله؟» فدنوت منه لانظر ما يصنع، فتناول سيفي فغمزت بعيري وقلت: «هل من رجل ينزل يسوق بنا؟» فلم ينزل أحد، فنزلت عن بعيري فسُقْت بالقوم حتى انفرد لي أُسيْر، فضربته

بالسيف فقطعت مؤخرة الرِجْل وأندرت عامة فخذه وساقه، وسقط عن بعيره وفي يده مِخْرش من شَوْحط فضربني فَشَجَّني مأمُومة، ومِلْنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدّاً. ولم يُصب من المسلمين أحد. ثم أقبلنا إلى رسول الله ﷺ».

وبينا رسول الله ﷺ يُحدِّث أصحابه إذ قالوا: «تمشّوا بنا إلى الثَّنِيَّة لنبحث عن أصحابنا»، فخرجوا معه. فلما أشرفوا على الثَّنِيَّة إذ هم بسرعان أصحابنا فجلس رسول الله ﷺ في أصحابه فانتهينا إليه فحدثناه الحديث فقال: «قد نَجَّاكم الله من القوم الظالمين».

قال عبد الله بن أُنَيْس: «فدنوت من النبي ﷺ فنفث في شَجَّتي فلم تَقِحْ بعد ذلك اليوم ولم تُؤْذني، وكان العظم قد نَغِل. ومسح وجهي ودعا لي، وقطع لي قطعة من عصاه فقال: «أَمْسِكْ هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فإنك تأتي يوم القيامة مُتَحصِّراً». فلما دُفِن عبد الله بن أُنَيْس جُعِلت معه على جلْدِه دون ثيابه[1].

تنبيهان

الأول: ذكر البيهقي وتبعه في زاد المعاد: هذه السرية بعد خيبر. قال في النور: «وهو الذي يظهر فإنهم قالوا إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك ليستعملك على خيبر، وهذا الكلام لا يناسب أن يقال إنها قبل الفتح والله أعلم». قلت: كونها قبل خيبر أظهر، قال في القصة إنه سار في غَطَفان وغيرهم لحرب رسول الله ﷺ بموافقة يهود ذلك، وذلك قبل فتح خيبر قطعاً إذ لم يصْدُر من يهود بعد فتح خيبر شيء من ذلك. وقول الصحابة لأُسير بن رِزام إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك ليستعملك على خيبر لا ينافي ذلك لأن مرادهم باستعماله المصالحة وترك القتال والاتفاق على أمْر يحصل له بذلك والله أعلم.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:.

أَمَّرَتْ: بفتح أوله والميم المشددة والراء وسكون حرف التأنيث.

أُسيْر: بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء.

يُسَيْر: بضم التحتية وفتح السين المهملة وسكون التحتية والراء.

رِزَام: براء مكسورة فزاي مخففة وبعد الألف ميم.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦٧/١/٢.

يُغْزَ: بتحتية مضمومة فغين معجمة فزاي.

عُقْرُ الدَّار: بفتح العين المهملة وضمِّها: أصلَها.

غَطَفان: بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة وبالفاء فألِف فنون: قبيلة من مُضَر.

الحوائط: جمع حائط وهو هنا البستان.

النَطاة: بفتح النون وبالطاء المهملة.

الشِّق: بفتح الشين المعجمة أو بكسرها وبالقاف: من حصون خيبر أو موضع لها به حصون من حصونها.

الكَتِيبة: بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية. وقال أبو عبيدة بالثاء المثلثة حصن بخيبر.

وَعوا ما سمعوا: حفظوه.

المُقَام: بضم الميم.

خارجة: بخاء معجمة وبالراء والجيم، ولم أقف له على ذكر فيما وقفتُ عليه من كتب الصحابة.

حُسيْل: بضم الحاء وفتح السين المهملتين وسكون التحتية وباللام.

الأَشْجَعي: بفتح أوله وسكون السين المعجمة وفتح الجيم وبالعين المهملة.

الكتائب: بالمثناة الفوقية.

نَدب الناس: دعاهم.

عَتِيك: بعين مهملة مفتوحة ففوقية مكسورة وتحتية ساكنة وبالكاف.

القَرْقَرة: بفتح القافين وبعد كل منهما راء الأولى ساكنة والثانية مفتوحة بعدها تاء تأنيث، وهي في الأصل الضَّحِك إذا اسْتُغْرِب فيه ورُجِّع وهدير البعير.

فَطَنْتُ له: بفتح الطاء المهملة كما في الصحاح.

دفَعْتُ بعيري: حثَثْتُه على سرعة المشي.

أَغَدْراً: منصوب بفعل محذوف أي أتريد غَدْراً؟ أو أَتَغْدِر غدراً؟.

مُؤْخَّرة الرَّجْلِ: بضم الميم وسكون الهمزة وتخفيف الخاء المعجمة وشَدَّدها بعضهم.

وأَنْدَرْتُ عامة فخذه وساقَه: ساقه بالنصب قال في النور ولا يجوز جرُّه لأنه لا يصِحّ المعنى.

المِخْرش: بميم مكسورة فخاء معجمة ساكنة فراء مفتوحة: عصا مُعْوجَّة الرأس.

شَوْحط: بفتح الشين المعجمة وسكون الواو وفتح الحاء وبالطاء المهملتين، وهو نوع من شجر الجبال تُتَّخَذ منه القِسِيّ.

المأْمُومة: الشَّجَّة التي بلغت أُمّ الرأس وهي الجِلْدة التي تجمع الدماغ.

أَعْجزَنا: بفتح الجيم والزاي.

تَقِحْ: بفتح الفوقية وكسر القاف وبالحاء المهملة يقال قَاح الجُرْح يقِيح، وقَيَّح بالتضعيف وتَقَيَّح. والقَيْح مِدةٌ يخالطها دم.

نَغِل العظْم: من باب تَعِب فهو نَغِل بالكسر وقد تُسكَّن للتخفيف.

المُخْتَصِر: اسم فاعل من اختصر العصا إذا أمسكها بيده. واتَّكَأَ عليها.

الباب الثالث والثلاثون

في سرية كرز بن جابر أو سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنهما إلى العرنـيـين.

ذكر الإمام أحمد والشيخان، وابن جرير، وابن عوانة، وأبو يَعْلَى، والإسماعيلي عن أَنَس، والبيهقي عن جابر [وروى البخاري والبيهقي] عن ابن عمر، وأبو جعفر الطبري عن جرير بن عبد الله، والطبراني بإسناده عن صالح، ومحمد بن عمر عن سلمة بن الأَكْوع رضي الله تعالى عنهم، ومحمد بن عمر عن يزيد بن رومان، وابن إسحاق عن عثمان بن عبد الرحمن رحمهم الله تعالى: أن رسول الله ﷺ أصاب في غزوة بني مُحَارِب وبني ثَعْلَبة عبداً يقال له يسار، فرآه رسول الله ﷺ يُحْسِنُ الصلاة فأعتقه وبعثه في لِقاح له كانت ترعى في ناحية الحِمى فقدم على رسول الله ﷺ نفر، وفي حديث أنس عند البخاري في الجهاد[(١)] وفي الديات[(٢)] أن ثمانية من عُكْل وعُرَيْنَة وعند ابن جرير وأبي عوانة كانوا أربعة من عُرَيْنَة وثلاثة من عُكْل فكان الثامن ليس من القبيلتين فلم يُنْسب. فقدموا على رسول الله ﷺ وتكلموا بالإسلام. وفي رواية: فبايعوه على الإسلام وكان بهم سقَم. وعند أبي عوانة أنه كان بهم هُزَال شديد وصُفْرَة شديدة وعظمت بطونهم. فقالوا يا رسول الله آوِنا وأَطْعِمْنا. فكانوا في الصُّفَّة. فلما صَلُحوا اجْتَوَوا - وفي لفظ - اسْتَوْخَموا المدينة. وعند ابن إسحاق فاسْتَوْبأوا وطُحِلوا. وفي رواية: ووقع بالمدينة المُوم وهو البِرْسام وقالوا: «هذا الوجع قد وقع وإن المدينة وخمة وإنا كنا أَهْل ضَرْع ولم نكن أهل ريف فابْغِنَا رِسْلاً». قال: «ما أَجِدُ لكم إلا أن تَلْحقوا بالذَّوْد». وفي رواية: «نَعَم لنا» فأُخْرِجوا فيها. وفي رواية: «فأمرهم أن يُلْحَقوا بِرعاء فَيْفَاء الخَبار» وفي رواية: «فأمر لهم رسول الله ﷺ بِذَوْد». وفي رواية: «فرخّص لهم رسول الله ﷺ أن يأتوا إِبِلَ الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوالها». فخرجوا فشربوا من ألبانها وأبوالها فلما صحّوا ورجعت إليهم أبدانهم وانطوت بطونهم كفروا بعد إسلامهم عدوْا على اللِّقاح فاستاقوها. فأدركهم مَوْلَى رسول الله ﷺ يسار ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات. وفي رواية عبد العزيز بن صُهَيْب عن أنس عند مُسلم: «ثم مالوا على الرِّعاء فقتلوهم»[(٣)] بصيغة الجمع. ونحوه لابن حِبّان من رواية يحيى بن سعيد عن أنس، وانطلقوا بالسَّرْح، وفي لفظ: الصَّريخ عند أبي عوانة، فقتلوا الراعييْن وجاء الآخر فقال: قد قتلوا صاحبي وذهبوا بالإبل. وعند محمد بن عمر: فأَقبلت امرأة من بني عمرو بن عوف على حمار لها

(١) أخرجه البخاري ١٧٧/٦ باب إذا حرق المشرك المسلم (٣٠١٨).

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٩/١٢ باب القسامة (٦٨٩٩).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب القسامة ٣/ ١٢٩٦(٩- ١٦٧١).

فمرَّت بِيَسَار تحت شجرة، فلما رأته ومرَّت به وقد مات رجعت إلى قومها فأخبرتهم الخبر، فخرجوا حتى جاءوا بيسار إلى قُباء ميتاً. وعند مسلم: «وكان عند رسول الله ﷺ شباب من الأنصار قريب من عشرين فأرسلهم». وفي رواية: «فبعث رسول الله ﷺ في أثرهم عشرين فارساً سُمِّي منهم: سلَمة بن الأكوع كما عند محمد بن عمر، وأبو رُهْم وأبو ذَرّ الغِفاريَّان، وبُرَيْدة بن الحُصَيْب، ورافع بن مَكِيث وأخوه جُنْدب، وبلاَل بن الحارث، وعبد الله بن عمرو ابن عوف المُزَنِيَّان، وجُعال بن سُراقة الثعلبي، وسُوَيْد بن صخْر الجُهَني، وهؤلاء من المهاجرين.

فيُحتَمل أن يكون مَنْ لم يُسَمِّه محمد بن عمر من الأنصار، فأطلق في رواية الأنصار تغليباً، أو قيل للجميع أنصار بالمعنى الأعم. واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفِهْري. وروى الطبراني وغيره من حديث جرير بن عبد الله البَجَلِيّ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ بعثه في آثارهم، وسنده ضعيف. والمعروف أن جريراً تأخَّر قدومه عن هذا الوقت بنحو أربعة أعوام. وبعث معهم قائفاً يَقُوف أثرهم ودعا عليهم فقال: «أَعْمِ عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مَسْك جَمَل». فعَمَّى الله عليهم السُّبُل، فأُدْرِكوا في ذلك اليوم فأُخِذوا. فلما ارتفع النهار جيء بهم إلى رسول الله ﷺ.

وقال محمد بن عمر: فخرج كُرْز وأصحابه في طلبهم حتى أدركهم الليل فباتوا بالحَرَّة ثم أصبحوا ولا يدْرون أين سلكوا فإذا بامرأة تحمل كَتِف بعير فأخذوها فقالوا: ما هذا؟ قالت: مررْتُ بقوم قد نحروا بعيراً فأعطوني هذه الكَتِف وهم بتلك المفازة إذا وافتيم عليها رأيتم دُخانهم. فساروا حتى أتوهم حين فرغوا من طعامهم. فسألوهم أن يستأْسِروا فاستأسروا بأجمعهم لم يُفلِت منهم أحد.

فربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة فوجدوا رسول الله ﷺ بالرغابة. فخرجوا بهم نحو رسول الله ﷺ. قال أنس كما عند ابن عمر: خرجت أسعى في آثارهم مع الغلمان حتى لَقِي بهم رسول الله ﷺ بالرغابة بمجتمع السيول، فأمر بمسامير فأُحْمِيتْ فكحلهم بها. وفي رواية فسمرهم. وفي رواية فسمر أعينهم. قال أنس كما عند مسلم: «إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرِّعاء». وفي رواية: «فأُتِي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم وتركهم في الحرَّة حتى ماتوا». وفي رواية: «وسُمِرتْ أعينهم وأُلْقوا في الحرَّة يستسقون فلا يُسْقَوْن». قال أنس: «فلقد رأيت أحدهم يكْدُم الأرض بِفِيه من العطش». وفي رواية: «ليجِد بَرْدها مما يجِد من الحرِّ والشدة حتى ماتوا ولم يحْسِمْهم» قال أبو قِلاَبة: «فهؤلاء قَتَلوا وسرقوا وكَفَروا بعد إسلامهم وحاربوا الله ورسوله».

قال ابن سيرين: كانت هذه القصة العُرنيِّين قبل أن تنزل الحدود. وعند ابن عوانة عن ابن عقيل عن أنس أنه صلَب اثنين وسمل اثنين قال الحافظ: كذا ذكر ستة فقط فإن كان محفوظاً فعقوبتهم كانت مُوزَّعة. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّما جَزَاءُ الَّذِينَ يُحارِبون الله ورسُولَهُ ويسعوْنَ في الأرضِ فَساداً أَن يُقتَّلوا أو يُصَلَّبوا أَو تُقَطَّعَ أَيْدِيهِم وأَرْجُلُهُمْ من خِلاَفٍ أَو يُنفَوْا مِنَ الأرضِ ذلك لهم خِزيٌ في الدُّنيا ولهم في الآخِرَةِ عذَابٌ عظيمٌ**﴾ [المائدة ٣٣]. فلم يَسْمُل رسول الله ﷺ عيناً ولم يقطع لساناً ولم يَزِدْ على قطع اليد والرِّجْل ولم يبعث رسول الله ﷺ بعثاً بعد ذلك إلا نهاهم عن المُثْلَة. وكان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المُثْلَة. قال محمد بن عمر وابن سعد: كانت اللِّقاح خمس عشرة لِقْحة ذهبوا منها بالحناء.

تنبيهات

الأول: تقدم أن نفراً من عُكْل وعُرينة بالواو العاطفة من غير شك. قال الحافظ: «وهو الصواب. وهي رواية البخاري في المغازي وإن وقع غيرها بأَوْ»، وزعم ابن التين تبعاً للداودي أن عُرَيْنة هم عُكْل». قال الحافظ: «وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان: عُكل قبيلة من تَيْم الرِّباب بكسر الراء وتخفيف الموحدة: الأولى من عدْنان، وعُرَيْنة من قَحطان في بَجِيلة وقُضَاعة. فالذي في بَجيلة ـ وهو المراد هنا ـ عُرَيْنة بن نَذِير ـ بفتح النون وكسر الذال المعجمة ـ ابن قَسْر ـ بقاف مفتوحة فسين مهملة ساكنة فراء ـ ابن عبْقَر، وعبْقَر أُمُّهُ بجيلة. والعَرَن حِكَّة تُصيب الخَيْل والإِبِل في قوائمها.

ووقع عند عبد الرزَّاق بسند ساقط أن عُكْلاً وعُرَيْنَة من بني فَزَارة وهو غلط لأن بني فزارة من مُضَر، لا يجتمعون مع عُكْل وعُرَيْنَة أصلاً.

الثاني: ذكر ابن إسحاق أن قدومهم كان بعد غزوة ذي قَرد، وكانت في جُمادى الآخرة سنة ست. وذكرها البخاري بعد الحُدَيْبية، وكانت في ذي القعدة منها. وذكر محمد بن عمر أنها كانت في شوال منها، وتبعه ابن سعد، وابن حِبَّان وغيرهما.

الثالث: اختُلِف في أمير هذه السرية فقال ابن إسحاق والأكثرون: كُرز ـ بضم الكاف وسكون الراء وزاي ـ ابن جابر الفِهْري ـ بكسر الفاء. وقال موسى بن عُقْبَة إن أميرها سعيد ـ كذا عنده بزيادة ياء تحتية ـ والذي ذكره غيرُه سعْد ـ بسكون العين ـ ابن زيد الأنصاري الأشهلي. قال الحافظ: فيُحتمل أنه كان رأس الأنصار، وكان كُرز أمير الجماعة. وذكر بعضهم أن أمير هذه السرية جرير بن عبد الله البجلِيّ، وتعقب بأن إسلامه كان بعد هذه السرية بنحو أربع سنين.

الرابع: ظاهر بعض الروايات أن اللّقاح كانت لرسول الله ﷺ، وصُرّح بذلك في رواية البخاري في المحاربين فقال: إلا أن تلحقوا بإبل رسول الله ﷺ. وفي رواية: «فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة». والجمع بينهم أن إبل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة، وصادف بعْثُ رسول الله ﷺ بلِقاحه إلى المرعى طلب هؤلاء النَّفر الخروج إلى الصحراء لشُرْب ألبان الإبل، فأمرهم أن يخرجوا مع راعيه، فخرجوا معه إلى الإبل ففعلوا ما فعلوا، وظهر مِصْداق رسول الله ﷺ أن المدينة تَنْفِي خَبَثَها.

الخامس: احتج من قال بطهارة بوْل ما أُكِل لَحْمُه بما في قصة العُرنِيِّين من أَمْرِه لهم بشُرْب ألبانها وأبوالها، وهو قول الإمام مالك وأحمد، ووافقهم من الشافعية ابن خُزَيْمة وابن المنذر وابن حِبَّان والاصطخري والروياني. وذهب الإمام الشافعي والجمهور إلى القَوْل بنجاسة الأبوال والأرواث كلها من مأكول اللحم وغيره. واحتج ابن المنذر بقوله توزن الأشياء على الطهارة حتى تثبت النجاسة. قال: ومن زعم أن هذا خاصّ بأُولئك الأقوام لم يُصِبْ إذ الخصائص لا تثبت إلا بدليل. قال: وفي تَرْك أهل العلم بيع الناس أَبْعار الغَنَم في أسواقهم واستعمال أبوال الإبل في أدويتهم قديماً وحديثاً من غير نكير دليل ظاهر قال الحافظ: وهو استدلال ضعيف لأن المُخْتَلَف فيه لا يجب إنكاره فلا يدل تَرْك إنكاره على جوازه فضلاً عن طهارته. وقد دلَّ على نجاسة الأبوال حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «[دعُوهُ وهرِيقوا على بوْلِهِ سجْلاً من ماء أو ذَنُوباً من ماء فإنما بُعِثْتُم مُيسِّرين ولم تبعثوا مُعسِّرين»]. وكان القاضي أبو بكر بن العربي الذي تعلق بهذا الحديث ممن قال بطهارة أبوال الإبل، وعُورِض بأنه أُذِن لهم في شربها للتداوي. وتعقب بأن التداوي ليس حال ضرورة بدليل أنه لا يجب، فكيف يباح الحرام بما لا يجب؟ وأُجيب بمعنى أنه ليس بحال ضرورة،بل هو حال ضرورة إذا أخبره بذلك من يُعْتَمد على خبره، وما أُبيح للضرورة لا يسمى حراماً وقد تأوَّله لقوله تعالى: ﴿وقَدْ فَصَّل لَكُمْ ما حرَّم علَيْكُمْ إلاَّ ما اضْطُرِرْتُم إلَيْهِ﴾ [الأنعام ١١٩] فما اضْطُرَّ إليه المرء فهو غير مُحَرَّم عليه كالمَيْتَة للمضطر، والله تعالى أعلم. قال الحافظ وما تضمنه كلامه من أن الحرام لا يباح ولا الأمر واجب غير مُسلَّم فإن الفِطْر في رمضان حرام، ومع ذلك فيباح لأمر جائز كالسَّفَر مثلاً. وأما قول غيره: ولو كان نَجِساً ما جاز التداوي به لقوله ﷺ: «إن الله تعالى لم يجعل شِفَاء أُمتي فيما حُرِّم عليها». رواه أبو داود من حديث أم سلمة، فجوابه أن الحديث محمول على حالة الاختيار. وأما في حالة الضرورة فلا يكون حراماً كالميتة للمضطر، ولا يردّ قوله ﷺ في الخبر إنها ليست بدواء، إنها داء في سؤال من سأل من التداوي بها فيما رواه مسلم فإن ذلك خاص بالخَمْر ويلتحق بها غيرها من المُسْكِر. والفرق بين المُسْكِر وغيره من النجاسات أن الحديث باستعماله في حالة الاختيار دون غيره

ولأن شُرْبه يجُرّ إلى مفاسد كثيرة لأنهم كانوا في الجاهلية يعتقدون أن في الخمر شفاءً فجاء الشرع بخلاف معتقدهم. قاله الطحاوي بمعناه.

قال الشيخ تقي الدين السبكي: كان في الخمر منفعة في التداوي بها فلما حُرِّمت نزع الله الدواء منها، وأما أبوال الإبل فقد روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن في أبوال الإبِل شِفاءً للذَّرِبة بطونُهم». والذَّرب بذال معجمة فساء المعدة. فلا يقاس ما ثبت أن فيه دواء على ما ثبت نَفْيُ الدواء عنه، وبهذا الطريق يحصل الجمع بين الأدلة والعمل بمقتضاها.

السادس: لم تختلف روايات البخاري في أن المقتول راعي رسول الله ﷺ في ذكره في الإفراد، وكذا مسلم لكن عنده من رواية عبد العزيز بن صُهَيْب عن أنس: «ثم مالوا على الرِّعاء فقتلوهم» بصيغة الجمع، ونحوه لابن حِبان من رواية يحيى بن سعيد عن أنس. فيُحْتمل أن إبل الصدقة كان لها رُعاة فقُتِل بعضهم مع راعي اللِّقاح، فاقتصر بعض الرواة على راعي رسول الله ﷺ، وذكر بعضهم معه غَيْرَه. ويُحْتَمل أن يكون بعض الرواة ذكره بالمعنى فتَجوَّز في الإتيان بصيغة الجمع. قال الحافظ: وهو الراجح لأن أصحاب المغازي لم يؤكد أحدٌ منهم أنهم قتلوا غير يسار والله تعالى أعلم.

السابع: في صحيح مسلم فيمن أرسلهم رسول الله ﷺ في طلب العُرنِيِّين أنهم من الأنصار، فأطلق الأنصار تغليباً، وقيل للجميع أنصار بالمعنى الأعمّ.

الثامن: استشكل القاضي عدم سقْيِهم بالماء بالإجماع على أن من وجب عليه القتل فاستسقى لا يُمْنَع. وأجاب بأن ذلك لم يقع عن أمر النبي ﷺ، ولا وقع منه نَهْي عن سقْيِهم. قال الحافظ: وهو ضعيف جداً لأن النبي ﷺ اطلع على ذلك وسكوته كان في ثبوت الحكم. وأجاب النووي بأن المحارب المرتد لا حُرْمَة له في سقي الماء ولا غيره، ويدل عليه أن من ليس معه إلا ماء لطهارته ليس له أن يسقيه للمرتد ويتَيمّمُ بل يستعمله ولو مات مطلقاً. وقيل إن الحكمة في تعطيشهم لكونهم كفروا نعمة سقْيِ ألبان الإبل التي حصل لهم بها الشفاء من الجوع والوخَم، ولأن النبي ﷺ دعا بالعطش على من عطَّش آل بيته، في قصة رواها النَّسائي، فيُحْتَمل أنهم تلك الليلة منعوا إرسال ما جرت به العادة من اللبن الذي كان يُراح به إلى النبي ﷺ كل ليلة كما ذكر ابن سعد.

التاسع: في رواية: «سمَّر أَعْيُنَهم»، بتشديد الميم. وفي رواية بالتخفيف. ولم تختلف روايات البخاري في أنها بالراء ووقع عند مسلم: «فسملَ» باللام. قال الخَطَّابي: «السَّمْل» هو فَقْءُ العيْن بأي شيء كان. والسَّمْر لغة في السَّمْل ومخْرجُهما متقارب وقد يكون من المِسمَار

يريد أنهم كُحِلوا بأمْيال قد أُحْمِيتْ كما في رواية الصحيح: فكَحلَهم بها. فهذا يُوضِّح ما تقدم ولا يخالف رواية السَّمْل لأنه فَقْءُ العين بأي شيء كان.

العاشر: في بيان غريب ما سبق:

مُحارِب: بضم الميم وبالحاء المهملة وكسر الراء وبالموحدة.

يسار: بفتح التحتية والسين المهملة وبالراء.

اللِّقاح: بكسر اللام جمْع لِقْحَة بفتح اللام وكسرها وسكون القاف: الناقة ذات اللَّبن. قال أبو عمر: ويقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر.

الحِمى: بكسر الحاء المهملة وفتح الميم المخففة.

عُكْل: بضم العين المهملة وسكون الكاف بعدها لام.

عُرَيْنَة: بعين مهملة فراء فتحتية فنون فهاء تأنيث مُصغَّر.

السَّقَم: بفتح السين المهملة وضمها طول مدة المرض.

الهُزَال: بضم الهاء وتخفيف الزاي ضِدُّ السِّمن.

عظُمت بطونهم: انتفخت.

الصُّفَّة: بضم الصاد المهملة وتشديد الفاء والمراد ههنا موضع مُظَلَّل في آخر المسجد النبوي في شماليِّه يسكنه الغُرباء ممن ليس لهم موضع يأوون إليه ولا أهل.

اجْتَوُوا المدينة: قال الفزاري لم يوافقهم طعامها وقال أبو بكر بن العربي: هو بمعنى استوخموا. وقال غيره: داء يُصيب الجوف.

استوخموا المدينة: لم يوافق هواؤها أبدانهم.

طُحِلوا: بضم الطاء وكسر المهملتين وباللام: أَعْيوا وهُزِلوا.

المُوم: بضم الميم وسكون الواو [وهو] البِرْسام بكسر الموحدة سِرْياني مُعرَّب، يُطْلَق على اختلال العقل وعلى ورم الرأس وورم الصدر والمراد هنا الأخير.

الضَّرْع: بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء وبالعين المهملة وهو لِذَات الظِّلْف كالثَّدْي للمرأة.

ابْغِنَا: اطْلُب.

الرِّسْل: بكسر الراء وسكون السين المهملة وباللام: اللَّبن.

الذَّوْد: بفتح الذال المعجمة وسكون الواو وبالدال المهملة وهو [الإبل إذا كانت] ما

بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل غير ذلك.

فَيْفَاء: بفاءيْن الأولى مفتوحة بينهما تحتية ساكنة وبالألف الممدودة موضع ويقال له فيفاء الخَبار كغزال وفَيْف من غير إضافة.

والخَبار: بخاء معجمة مفتوحة فموحدة مخففة. وبعد الألف راء. قال في النهاية: وبعضهم يقول بالحاء المهملة والتحتية المشددة.

عَدَوا عليه: ظلموه.

استاقوا: من السَّوْق وهو السير العنيف.

السَّرْح: بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة: المال السائم، وسرحتُها أرسلتها تَرْعى.

الصَّرِيخ: بفتح الصاد وكسر الراء المهملتين وبالخاء المعجمة، فعيل بمعنى فاعل أي صرخ بالإعلام بما وقع منهم. وهذا الصارخ أحد الراعِييْن.

آثارهم: جمع أثر أي: بقية الشيء أي في طلبهم.

الأَكْوع: بفتح أوله وسكون الكاف وفتح الواو وبعين مهملة.

أبو رُهْم: بضم الراء وسكون الهاء.

الغِفَاري: بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء.

أبو ذَرّ: بفتح الذال المعجمة.

بُرَيْدة: بضم الموحدة وفتح الراء وسكون التحتية وبالدال المهملة.

مَكِيث: بفتح الميم وكسر الكاف وسكون التحتية وبالثاء المثلثة.

جِعال: بجيم مكسورة فعين مهملة فلام ككتاب.

سُوَيْد: بضم السين المهملة وفتح الواو وسكون التحتية وبالدال المهملة.

كُرْز: بضم الكاف وسكون الراء فزاي.

القايف: بالقاف والتحتية والفاء: الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شِبْه الرجل بأخيه وأبيه والجمع القافة، يقال: قاف الرجلُ الأثَر قَوْفاً من باب قال..

المَسْك: بفتح الميم وسكون السين المهملة: الجِلْد.

أُدْرِكوا: بالبناء للمفعول.

الحَرَّة: أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة وإنما أُلقوا فيها لأنها أقرب إلى المكان

الذي فعلوا فيه ما فعلوا.

الكَتِف: بفتح الكاف وكسر الفوقية والفاء: وهو عَظْم عريض يكون في أصل كتِف الحيوان من الناس والدواب.

الرِّغَابَة: بكسر الراء وبالغين المعجمة والموحدة: أرض متصلة بالجُرُف بضم الجيم والراء كما قاله أبو عُبَيْد البكري والقاضي والحازمي؛ وقال المجد اللغوي: «واد رغِيب ضَخْم كثير الأَخْذ واسع كَرُغُب بضمتين» مجتمع الأسيال.

سمَّر: بفتح السين والميم المشددة وبتخفيفها ثم راء.

كسَمَل: بفتح السين المهملة والميم وباللام: فقأ أعينهم بأي شيء كان.

قَطَع يده ورِجْلَه من خلاف: أي إحداهما من جانب والأخرى من جانب آخر.

نبذَ الشيء: طَرحه.

كَدم يكْدُمُ: بكسر الدال المهملة وضَمِّها عضّ بمقدم أسنانه.

لم يَحْسِمْهُم: لم يقطع سيلان دمائهم بالكَيّ.

أبو قِلاَبة: بكسر القاف والموحدة.

سيرين: بكسر السين المهملة وسكون التحتية وكسر الراء وتحتية وبالنون.

المُثْلَة: بضم الميم وسكون المثلثة ويُرْوى بفتح أوله ويُرْوى بضمهما معاً: وهي ما يُفْعل من التشويه بالقتلى وجمعه مُثُلات بضمتين. وقال أبو عمر: المُثْلة بالضم فالسكون والمثْل بفتح أوله وسكون ثانيه قطع أنف القتيل وأُذنه.

الحنَّاء: بحاء مهملة فنون مشددة.

الباب الرابع والثلاثون

في بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه ليفتك بأبي سفيان بن حرب قبل إسلامه.

روى البيهقي عن عبد الواحد بن عوْف وغيره قالوا إن أبا سُفيان قال لنفر من قريش: ألاَ أحدٌ يغْترّ محمداً فإنه يمشي في الأسواق. فأتاه رجل من الأعراب فدخل عليه منزله فقال: «قد وجدْتَ أَجْمع الرجال قلباً وأَشَدَّهم بطشاً وأسرعهم شَداً فإن أنت قَوَّيْتَني خرجت إليه حتى أغتاله ومعي خنجر مثل خافية النَّسْر، فأسوره ثم آخذ في عير فأسير وأسْبق القوم عدْواً فإني هادِ بالطريق خِرّيت». قال: «أنت صاحبنا».

فأعطاه بعيراً ونفقة وقال: «اطْو أَمْرك». فخرج ليلاً فسار على راحلته خمساً وصبَّح ظَهْر الحرَّة صُبْح سادسة. ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى دُلّ عليه، فعقل راحلته ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ وهو في مسجد بني عبد الأشهل. فلما رآه النبي ﷺ قال: «إنَّ هذا ليُريد غَدْراً. والله تعالى حائل بينه وبين ما يريد». فذهب ليجني على رسول الله ﷺ، فجذبه أُسَيْد بن الحُضَيْر بداخلة إزاره، فإذا بالخنجر فسُقِط في يديْه وقال: دمِي دمِي فأخذ أُسَيْد بِلَببه فَدَعته، فقال رسول الله ﷺ: «اصدُقْني ما أنت؟» قال: «وأنا آمن». قال: «نعم». فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان. فخَلَّى عنه رسول الله ﷺ، فأسلم وقال: «يا محمد والله ما كنت أفْرَق الرجال فما هو إلاَّ أن رأيتُك فذهب عقْلي وضَعُفَت نفسي، ثم اطلعتُ على ما همَمْتُ به مما سبقت به الرُّكْبان ولم يعْلَمْه أحد فعرفت أنك ممنوع وأنك على حق وأن حزب أبي سفيان حزب الشيطان». فجعل رسول الله ﷺ يتبسَّم. فأقام الرجل أياماً يستأذن رسول الله ﷺ فخرج ولم يُسْمع له بذِكْر(١).

وروى الإمام إسحاق بن راهويه عن عمرو بن أُميَّة رضي الله تعالى عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ وبعث معي رجلاً من الأنصار» ـ قال ابن هشام هو سلمة بن أسلم بن حرِيس الله إلى أبي سفيان بن حرب وقال: «إن أصبتما فيه غِرَّة فاقتلاه». وقال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ عمراً بعد مقتل خُبيب بن عدِيّ وأصحابه وبعث معه جبَّار بن صخْر الأنصاري فخرجا حتى قدما مكة وحبسا جمليهما بشِعْب من شعاب يأْجج. ثم دخلا مكة ليلاً فقال جُبَّار ـ أو سلمة ـ لعمرو: «لو أنَّا طُفْنا بالبيت وصلينا ركعتين». فقال عمرو: «إن القوم إذا تعشَّوا جلسوا بأَفْنيتهم وإنهم إن رأوني عرفوني فإني أعرف بمكَّة من الفرس الأَبْلَق». فقال: «كلا إن

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦٨/١/٢.

شاء الله». فقال عمرو: «فأبى أن يُطيعني». [قال عمرو]: «فطُفْنا بالبيت وصلَّينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إليّ رجل من أهل مكة فعرفني. قال ابن سعد: هو معاوية بن أبي سفيان. فقال معاوية: «عمرو بن أمية فوالله إنْ قَدِمَها إلا لِشَرّ». فأخبر قريشاً بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكاً في الجاهلية وقالوا: «لم يأت عمرو بخير». فحشدوا له وتجمعُّوا. قال عمرو: «فقلت لصاحبي: «النجاء». فخرجنا نشتد حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا حتى إذا علَوْنا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفاً في الجبل فبِتْنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضَمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجلٌ من قريش. قال ابن سعد هو عُبَيْد الله بن مالك بن عُبَيْد الله التَّيْمي. قلت قال ابن إسحاق هو عثمان بن مالك أو عبد الله. يقود فرساً له ويُخْلِي عليها فغَشِينا ونحن في الغار، فقلت إن رآنا صاح بنا فأُخِذْنا فقُتِلنا. قال: ومعي خِنْجر قد أَعْددْته لأبي سفيان فأخرج إليه فأضربه على ثديه ضربة وصاح صيحة فأسمع أهل مكة، وأرجع فأدخل مكاني. وجاءه الناس يشتدُّون وهو بآخر رمق فقالوا: من ضربك؟ فقال عمرو بن أمية: وغَلَبه الموت فمات مكانه ولم يدْلُل على مكاننا. ولفظ رواية إسحاق بن راهويه: فما أدركوا منه ما استطاع أن يخبرهم بمكاننا. فاحتملوه فقلت لصاحبي لما أَمْسَيْنا: النَّجاء. فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خُبَيب بن عَدِيّ، فقال أحدهم: «والله ما رأيت كالليلة أشْبه بمِشْية عمرو بن أمية لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية». قال: فلما حاذَى الخشبة شَدَّ عليها فاحتملها وخرجا شَدّاً، وخرجوا وراءه حتى أتى جُرُفاً بمهْبِط مسيل يأْجَج، فرمى بالخشبة في الجُرْف فغَيَّبَه الله تعالى عنهم فلم يقْدِروا عليه.

ولفظ رواية ابن إسحاق: ثم خرجنا فإذا نحن بِخُبَيْب على خشبة فقال لي صاحبي: «هل لك أن تُنْزِل خُبَيْباً عن خشبته؟» قلت: «نعم فَتَنَحَّ عني فإن أَبطأْت فخُذْ الطريق» فعمدتُ لخُبَيْب فأنزلته عن خشبته، فحملته على ظهري، فما مشَيْتُ به عشرين ذراعاً حتى نَذِر بي الحرس.

ولفظ ابن أبي شَيْبَة، وأحمد بن عمرو: «فَخَلَّيْتُ خُبَيْباً، فوقع إلى الأرض فانتبذت غير بعيد فالتفَتُّ فلم أر خُبيباً وكأنما الأرض ابتلعته فما رُئِي لخُبيب رِمَّة حتى الساعة». قال: «وقلت لصاحبي: «النجاء النجاء حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه وكان الأنصاري لا رَجْلَة له». قال: «ومضَيْتُ حتى أخرج على ضَجْنَان، ثم أَوِيْتُ إلى جبل فأدخل كهفاً فبينا أنا فيه إذ دخل عليّ شيخ من بني الدِّيل أعور في غُنَيْمة له فقال: «مَنْ الرجل؟» فقلت: «من بني بكر فمن أنت؟» قال: «من بني بكْر». فقلت: «مرحباً» فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال:

وَلَسْتُ بِمُسْلِمٍ مَا دُمْتُ حَيّاً ... وَلاَ دَانٍ بِدِينِ الْمُسْلِمِينَا

فقلت في نفسي: سيعلم. فأمهلته حتى إذا نام أخذت قوسي فجعلت سَيتها في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظْم، ثم خرجت النجاء حتى جئت العرْج، ثم سلكت ركُوبة حتى إذا هبطْت النَّقِيع إذا رجلان من مشركي قريش كانت قريش بعثتهما عيْناً إلى المدينة ينظران ويتجسَّسان، فقلت: «اسْتَأْسِرا». فأبيا فأرمي أحدهما بسهم فأقتله، واستأسر الآخر، فأوْثَقْتُه رباطاً وقدمت به المدينة. وجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره ورسول الله ﷺ يضحك، ثم دعا له بخير.

تبنيه: في بيان غريب ما سبق:

فَتَك به: يفْتِك بكسر الفوقية وضَمِّها فَتْكاً بتثليث الفاء وسكون الفوقية قتله على غَفْلَة.

يغْتَرّ: بفتح التحتية وسكون الغين المعجمة وفتح الفوقية وتشديد الراء: يأخذه غفلة.

الشَّدّ: بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة: هنا العدْو والجرْي.

اغتاله: أخذه من حيث لا يدري وكذلك غَالَه.

الخِنْجَر: بفتح الخاء المعجمة وكسرها وسكون النون وفتح الجيم وبالراء.

خافية النَّسْر: بخاء معجمة وبعد الألف فاء مكسورة فتحتية ساكنة فتاء تأنيث: ريشة صغيرة في جناحه، يريد أنه خِنْجر صغير.

النَّسْر: بفتح النون وسكون السين المهملة فراء: طائر معروف والجمع أَنْسُر ونُسُور.

أُسَوِّرُهُ: بضم الهمزة وفتح السين المهملة وكسر الواو المشددة وبالراء فضمير غائب.

عيْر: بفتح العين المهملة وسكون التحتية وبالراء: جبل بالمدينة كما أخبر بذلك منْ عرفَه، ولا يُلْتَفت لقول من أنكر وجوده بالمدينة.

الخِرِّيت: بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة وسكون التحتية ففوقية مُثَنَّاة.

الحرَّة: بفتح الحاء المهملة والراء المشددة فتاء تأنيث: أرض ذات حجارة سود نَخِرة كأنها أحرقت بالنار والجمع حِرار كَكِلاب وحرَّتا المدينة لأَبَتاها من جانبيها.

دُلَّ عليه: بضم الدال المهملة وتشديد اللام مبني للمفعول.

عبد الأَشْهَل: بشين معجمة.

الغَدْر: بغين معجمة مفتوحة فدال مهملة ساكنة فراء: ضد الوفاء.

يجني عليه: يكْسِب.

أُسَيْد: بضم أوله وفتح السين المهملة وسكون التحتية وبالدال المهملة.

الحُضَيْر: بحاء مهملة مضمومة فضاد معجمة مفتوحة فتحتية ساكنة فراء.

داخِلة الإزار: طَرفه وحاشيته من داخل.

بِلَبيه: بموحدتين الأولى مفتوحة.

فدعته: بدال مهملة وتُعْجم فعين مهملة ففوقية مفتوحات: خَنَقه أشدّ الخَنْق.

ما أنت؟ ما صفتك؟ أو خاطبه خطاب ما لا يعْقِل لأن هذا فِعْل ما لا يعْقِل.

آمِن: بمدّ الهمزة وكسر الميم.

أَفْرَقُ الرجال: أَخَافُهُم.

حرِيس: بحاء مهملة فراء فتحتية ساكنة فسين مهملة: قال الزمخشري في المُشْتَبه: كل ما في الأنصار حريس فهو بالسين المهملة إلا حرِيش بن جَحْجَبى بجيم مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فجيم مفتوحة فموحدة.

غِرّة: بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء فتاء تأنيث: غَفْلَة.

جبّار: بفتح الجيم وتشديد الموحدة.

الشِّعْب: بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة فموحدة: الطريق في الجبل.

يأجج: بتحتية فهمزة فجيمين الأولى مفتوحة وقد تُكْسر: مكان قُرْب مكة.

الأَفْنِية: جمع فِنَاء ككتاب.

الوصِيلة: بفتح الواو وكسر الصاد المهملة وهو سَعَة أمام البيت وقيل ما امتد من جوانبه.

حشَدوا: بالحاء المهملة والشين المعجمة: جمعوا له.

النَّجاء: بالمدّ وقد تُقْصر: الإسراع في الذهاب.

يُخْلَى عليها: يُجزّ لها الخَلاَ بالخاء المعجمة والقَصْر: النبات الرَّطْب الرقيق ما دام رطْباً.

الرَّمق: بفتح الراء والميم وبالقاف: بقية الحياة، وقد تُطْلَق على القوة.

الجُرُف: بضم الجيم والراء وسكونها: مكان يأكله السَّيْل.

انْتَبذْتُ: بفتح أوله وسكون النون وفتح الفوقية والموحدة وسكون الذال المعجمة: تَنَحَّيْتُ.

ضَجْنَان: بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم فنون فألف فنون: مكان قُرْب مكة.

الدِّيل: بكسر الدال المهملة وسكون التحتية وباللام.

العقيرة: بفتح العين المهملة وكسر القاف وسكون التحتية وبالراء: وأصله أن رجلاً قُطِعت رِجْلُه فكان يرفع المقطوعة على الصحيحة ويصيح من شدة وجعها بأعلى صوته فقيل لكل رافع صوته رفع عقيرته.

سِية القَوْس: بكسرالسين المهملة وفتح التحتية: ما عُطِف من طَرفها والهاء عِوض من الواو.

العرْج: بفتح العين المهملة وسكون الراء والجيم: قرية جامعة على نحو ثلاث من المدينة بطريق مكة.

ركُوبة: بفتح الراء وضم الكاف وسكون الواو وبالموحدة فتاء تأنيث.

النَّقِيع: بفتح النون وكسر القاف وسكون التحتية وبالعين المهملة.

العيْن: الجاسوس.

يتجسّسان الأخبار: يتعرفانها.

الباب الخامس والثلاثون

في سرية أبان بن سعيد بن العاص بن أمية رضي الله تعالى عنه قبل نجد في جمادى الآخرة سنة سبع

روى أبو داود في سُنَنِهِ وأبو نُعَيْم في مُسْتَخْرجه وتمام الرازي في فوائده: موصولات البخاري في صحيحه تعليقاً عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ أبان بن سعيد على سريَّة من المدينة قِبَل نجد، فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بِخَيْبَر بعدما افتتحها. وإن حُزُم خَيْلهم لَلِيف. وفي رواية الليف قال أبو هريْرة: «قلت يا رسول الله: لا تَقْسِم لهم» قال أبان: «وأنت بهذا يا وبْر تَحدَّر من رأس ضَأْن» - وفي رواية «من رأس ضال». فقال النبي ﷺ: «يا أبان اجْلِس»، فلم يقْسِم لهم[١].

تنبيهات

الأول: قال الحافظ: لا أعرف هذه السريَّة.

الثاني: وقع في الصحيحين[٢] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو بخَيْبَر بعدما فتحها، فقلت: يا رسول الله أَسْهِمْ لي». فقال بعض وُلْد سعيد بن العاص: «لا تُسْهِم له يا رسول الله». فقلت: «هذا قاتل ابن قَوْقَل». فقال أبان بن سعيد بن العاص: «واعجباً لِوبْرٍ تَدلَّى علينا». - وفي رواية: «واعجباً لك وبْرٌ تَدأْدأَ من قَدُوم ضأْن ينْعي علَيّ قَتْل رجل أكرمه الله على يدي ومنعه أن يُهينني بيده» الحديث.

وابن سعيد هذا هو أبان بلا شك ففي هذه الرواية أن أبا هريرة سأل رسول الله ﷺ أن يُسْهِم له. وفي الرواية الأولى أن أبان هو السائل وأن أبا هريرة أشار بمنعه فلذلك قيل وقع في إحدى الروايتين ما يدخل في قَسْم المقلوب. ورجَّح الإمام محمد بن يحيى الذُّهْلي الرواية السابقة ويريد وقوع التصريح فيها بقول رسول الله ﷺ: «يا أبان اجلس» ولم يقسم له. ويحتمل الجمع بينهما بأن يكون أبان نُعِي عليه بأنه قاتل ابن قَوْقل وأن أبان احتج على أبي هريرة بأنه ليس ممن له في الحرب يد ليستحق بها النَّفْل فلا يكون فيه قلب.

الثالث: في بيان غريب ما سبق:

نَجْد: بفتح النون وسكون الجيم.

أبان: بالصرف وعدمه ورجَّحه ابن مالك.

---

(١) انظر البداية والنهاية ٢٠٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٩/٧ كتاب المغازي.

خَيْبَر: تقدم الكلام عليها في غزوتها.

حُزُم: بضم الحاء والزاي كما في الفتح وفي اليونينية بسكون الزاي جمع حزام.

اللّيف: بتشديد اللام معروف.

المسد: بفتح الميم وبالسين والدال المهملتين: حبل ليف أو من جلود [الإبل] والأول هو المراد هنا.

وأنت بهذا المكان: المنزلة مع رسول الله ﷺ مع أنك لست من أهله ولا من قومه ولا من بلاده.

يا وبْر: بفتح الواو وسكون الموحدة دابّة صغيرة كالسُّنَّوْر وحْشِيَّة تسمى غَنَم بني إسرائيل، ونقل أبو علي القالي ـ بالقاف واللام ـ عن أبي حاتم أن بعض العرب يسمي كل دابة من حشرات الجبال وبْراً.

تَحدَّر: تَدلّى بلفظ الماضي على طريق الالتفات من الخِطاب إلى الغَيْبة.

من رأس ضَأْن: بضاد معجمة ساقطة وبعد الهمزة نون: اسم جبل في أرض دوْس قوم أبي هريرة، وقيل هو رأس الجبل لأنه في الغالب مرْعى الغنم.

ضال: بضاد معجمة ساقطة ولام مخففة بدل النون من غير هَمْز. قال الخطابي أراد تحقير أبي هريرة وأنه ليس في قَدْر من يشير بعطاء ولا منع وأنه قليل القُدْرة على القتال.

ابن قَوْقَل: اسمه النُّعْمان بن مالك بن ثعلبة بن أَصْرم بصاد مهملة وزن أحمد، وقَوْقَل: بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة وآخره لام وزن جعْفَر، لقب ثعلبة أو أَصْرَم.

واعجباه: بفتح العين المهملة والجيم وبالموحدة والهاء الساكنة: اسم فعل بمعنى أعْجب.

تَدأْدأ: بفوقية ودالين مهملتين مفتوحتين بعد كل همزة الأولى ساكنة والثانية مفتوحة أي هجم علينا بغْتَة. وفي رواية تَدارى براء بدل الدال الثانية بغير همز.

قَدُوم: بفتح القاف لأكثر رواة الصحيح وضم الدال المهملة المخففة وسكون الواو، وبالميم: الطّرف ـ بالفاء ـ ووقع في رواية الأُصيلي بضم القاف.

تَنْعى: بفتح الفوقية وسكون النون فعين مهملة مفتوحة: تعيب، يقال نَعا فلان على فلان أَمْراً إذ عابه ووبَّخه عليه. يُهِنيّ: بالتشديد، أصله يُهْنِيني بنونين فَأُدْغِمت إحداهما في الأخرى أي لم يُقدِّر موتي كافراً.

الباب السادس والثلاثون

في سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى تربة في شعبان سنة سبع

قال محمد بن عمر، وابن سعد: بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ثلاثين رجلاً إلى عجُز هوازن بِتُربة، فخرج عمر معه دليل من بني هلال فكانوا يسيرون الليل ويكْمُنُون النهار، فأتى الخبر إلى هوازن فهربوا وجاء عمر إلى محالّهم فلم يلْق منهم أحداً. فانصرف راجعاً إلى المدينة حين سلك النَّجْدِيَّة، فلما كان بذي الجدْر قال الهلالي لعمر: «هل لك في جمع آخر تركته من خَثْعم جاءوا سائرين قد أجدبت بلادهم؟» فقال عمر: «لم يأمرني رسول الله ﷺ بهم إنما أمرني أن أَصْمُد لقتال هوازن بتُربة، وانصرف عمر راجعاً إلى المدينة.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

تُربة: بضم الفوقية وفتح الراء وبالموحدة وتاء التأنيث: واد بقرب مكة على يومين منها يَصُبّ في بُسْتَان ابن عامر، وقيل في مكان غير ذلك.

عجُز هوازن: بفتح العين المهملة وضَمّ الجيم وبالزاي: عجُز الشيء آخره، هوازن: بفتح الهاء وكسر الزاي وبالنون.

محالّهم: بتشديد اللام المفتوحة جمْع محلَّة وهي منزل القوم.

النَّجْدِيَّة: نسبة إلى نجد وهو اسم للأرض التي أعلاها تِهامة واليمن وأسفلها العراق والشام.

الجدْر: بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وبالراء: مسْرح الغَنَم على ستة أميال من المدينة بناحية قُباء.

خَثْعم: بفتح الخاء المعجمة وسكون الثاء المثلثة وفتح العين.

الجدْب: بفتح الجيم وسكون الدال المهملة ضد الخِصْب.

أَصْمُد: بضم الميم: أَقْصُد.

الباب السابع والثلاثون

في سرية أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إلى بني كلاب بنجد في شعبان سنة سبع.

قال محمد بن عمر رحمه الله تعالى: حدَّثني أحمد بن عبد الواحد، وقال ابن سعد: أخبرنا هاشم بن القاسم [الكِناني] قال حدثنا عِكْرِمة بن عمَّار[1] قال حدثنا إياس بن سلمة بن الأكْوع عن أبيه قال: «بعث رسول الله ﷺ أبا بكر وأَمَّره علينا قال حمزة: فسبينا هوازن، وقال هشام بن القاسم: فسبى ناساً من المشركين فقتلناهم، فكان شِعارُنا: أَمِتْ أَمِتْ، قال: فقتلتُ بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين ثم روى ابن سعد من الطريق السالفة عن سلمة القصة السابقة في السرية إلى بني فزارة، وقتل أم قِرْفَة بناحية وادي القُرى، مع ذِكْرِه لها أولاً، وتبعه على ذلك في العيون هنا، وشَيْخُه الواقدي اقتصر على ما ذكرناه هنا عن سلمة فسلِم من الوهْم.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

كِلاب: بكسر الكاف وتخفيف اللام.

الشِّعار: بكسر الشين المعجمة وبالعين المهملة.

أمِتْ أَمِتْ: مرتين: أَمْر بالموت والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغَرض للشِّعار فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها لأجل ظلمة الليل.

---

(١) عكرمة بن عمّار الحنفي العِجْلِي أبو عمار اليمامي أحد الأئمة. عن الهرماس بن زياد ثم عن عطاء وطاوُس. وعنه شُعْبة والسفيانان، ويحيى القطان، وابن المبارك، وابن مهدي وخلق. وثقه ابن معين والعجلي، وتكلم البُخاري وأحمد والنَّسائي في روايته عن يحيى بن أبي كثير، وأحمد في إياس بن سلمة. مات سنة تسع وخمسين ومائة (قلت) روايته عن يحيى في (خ) معلقة) الخلاصة ٢٣٩/٢.

الباب الثامن والثلاثون

في سرية بشير بن سعد رضي الله تعالى عنه إلى بني مرة بفدك في شعبان سنة سبع.

قال محمد بن عمر، وابن سعد رحمهما الله تعالى: «بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مُرّة بفَدك، فخرج يلقى رِعاء الشّاء فسأل عن الناس فقالوا هم في بواديهم - والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء - فاستاق النَّعم والشّاء وانحدر إلى المدينة، فخرج الصَّريخ فأخبرهم فأدركه الدَّهْم منهم عند الليل، فباتوا يُرامُونهم بالنَّبْل حتى فَنِيتْ نَبْل أصحاب بشير، وأصبحوا فحمل المُرِّيُّون عليهم فأصابوا أصحاب بشير وولّى منهم من ولّى، وقاتل بشير قتالاً شديداً حتى ارْتُثَّ، وضُرِب كَعْبُه فقيل قد مات، ورجعوا بنعمهم وشائهم، وكان أول من قدم بخبر السريَّة ومُصابِها عُلْبة بن زيد الحارثي. واستمر بشير بن سعد في القتلى فلما أمْسى تحامل حتى انتهى إلى فدك فأقام عند يهود بها أياماً حتى ارتفع من الجِراح ثم رجع إلى المدينة.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

بشير: بموحدة فشين معجمة فتحتية فراء وزن أمير.

مُرّة: بضم الميم وتشديد الراء.

فَدك: بفتح الفاء والدال وبالكاف.

البوادي: جمع بادية.

الدَّهْم: بفتح الدال المهملة وسكون الهاء وبالميم: العدد الكثير، وجمعه الدهوم بضم الدال.

ارْتُثَّ: بضم أوله وسكون الراء وضم الفوقية وبالمثلثة: حُمِل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق.

عُلْبة: بضم العين المهملة وسكون اللام وفتح الموحدة وتاء تأنيث.

الباب التاسع والثلاثون

في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة في رمضان سنة سبع.

روى ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتْبَة رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ قال له مولاه يسار: «يا نبي الله إني قد علمت غِرَّة من بني عبد بن ثعلبة فأرْسِل معي إليهم». فأرسل معه غالباً في مائة وثلاثين رجلاً. قال ابن سعد رحمه الله تعالى: قالوا بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله إلى بني عُوال، وبني عبد بن ثعلبة وهم بالميفعة وهي وراء بطن نَخْل إلى النَّقْرة قليلاً بناحية نجد [بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد]. بعثه في مائة وثلاثين رجلاً، ودليلهم يسار مولى رسول الله ﷺ فهجموا عليهم جميعاً، ووقعوا في وسط محالِّهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نَعماً وشاءً فحدروه إلى المدينة ولم يأسروا أحد.

تنبيهات

الأول: ذكر ابن سعد وتبعه في العيون والمورِد أن في هذه السريَّة قَتَل أُسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه نَهِيك بن مِرْداس الذي قال: «لا إله إلا الله»، فقال النبي ﷺ: «ألَا شَقَقْتَ عن قَلْبِه فَتَعْلَم أصادِق هو أم كاذب؟»[1] إلخ وسيأتي الكلام على ذلك في سريَّة أُسامة إلى الحُرقات.

الثاني: خلط البيهقي وتبعه في البداية هذه السريَّة بالسرية الآتية بالباب [الثاني والأربعين] والصحيح أنها غيرها.

الثالث: في بيان غريب ما سبق:

الميفَعة: بميم مكسورة فتحتية ساكنة ففاء مفتوحة فعين مهملة فتاء تأنيث، قال في النور والقياس فيها فتح الميم: اسم موضع.

يسار: بتحتية مفتوحة فسين مهملة.

بنو عُوال: بعين مهملة مضمومة فواو وبعد الألف لام.

بنو عبد: بغير إضافة إلى معبود.

ثَعْلَبَة: بالثاء المثلثة.

نَخْل: بفتح النون فخاءٌ معجمة ساكنة فلام: مكان من نَجْد من أرض غطفان ولا يخالف ذلك قول نصر والحازمي إنها بالحجاز.

النَّقْرة: بفتح النون وسكون القاف، وقيل بكسر القاف.

وَسَطْ: بفتح السين المهملة وبسكونها.

لم يأسِروا: بكسر السين المهملة.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٠٧/٥ وابن سعد في الطبقات والطبري في التفسير ١٢٩/٥.

الباب الأربعون

في سرية بشير بن سعد رضي الله تعالى عنه إلى يمن وجبار في شوّال سنة سبع

قال ابن سعد رحمه الله تعالى: قالوا بلغ رسول الله ﷺ أن جَمْعاً من غَطَفان بالجِنَاب قد واعدهم عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاري - أي قبل أن يُسْلم - ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله ﷺ. فدعا رسول الله ﷺ بشير بن سعد فعقد له لِواء، وبعث معه ثلثمائة رجل، وخرج معه حُسَيْل بن نُوَيْرة دليلاً، فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا يمن وجبار، وهما نحو الجِناب - والجِناب معارض سلاَح - وخيبر ووادي القُرى، فنزلوا سلاح ثم دنوا من القوم فأصابوا نَعَماً كثيراً ونفر الرِّعاء فحذروا الجمع وتفرقوا ولحقوا بعُلْيا بلادهم. وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتى أتى محالَّهم، فيجدها وليس فيها أحد، فلقوا عيْناً لِعُيَيْنَة فقتلوه، ثم لقوا جمع عُيَيْنَة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم، ثم انكشف جمع عُيَيْنَة، وتبعهم أصحاب رسول الله ﷺ فأخذوا منهم رجُلَين فأسروهما ورجع الصحابة بالنَّعَم والرجلين إلى رسول الله ﷺ فأسلما فأرسلهما رسول الله ﷺ.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

بشير: بالموحدة والشين المعجمة وزن أمير.

يَمْنْ: بفتح الياء آخر الحروف أو ضَمّها. ويقال أُمن بفتح أوله أو ضمه وسكون الميم وبالنون.

جَبَار: بفتح الجيم وبالموحدة والراء اسم موضع وصاحب القاموس يقتضي فتح الجيم.

عُيَيْنَة: بضم العين المهملة وكسرها فتحتية مفتوحة فأخرى ساكنة فنون فتاء تأنيث.

حِصْن: بكسر الحاء وسكون الصاد المهملتين فنون.

حُسَيْل: بضم الحاء وفتح السين المهملتين وسكون التحتية وباللام، وقيل بالتكبير.

نُوَيْرة: بضم النون وفتح الواو وسكون التحتية فراء فتاء تأنيث.

سِلاح: قال البكري: بكسر السين المهملة وبالحاء المهملة وتبعه في العيون وقال في القاموس كقَطَام فاقتضى فتح أوله.

الرِّعاء: بكسر الراء.

عُلْيا بلادهم: بضم العين المهملة وسكون اللام وبالقصر: نقيض السّفْلَى.

محالِّهم: بفتح الميم والحاء المهملة وكسر اللام المشددة جمع محلَّة وهي منْزِل القوم.

العيْن: الجاسوس.

نَاوشَهُم: المناوشة في القتال تداني الفريقين وأخذ بعضهم بعضاً.

انكشف جمعهم: انهزم.

الباب الحادي والأربعون

في سرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي رضي الله تعالى عنه إلى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع.

قالوا: بعث رسول الله ﷺ ابن أبي العوجاء السُّلَمي في خمسين رجلاً إلى بني سُلَيْم، فخرج إليهم وتقدَّمه عيْن لهم كان معه فَحذِرهم. فجمعوا له جمعاً كثيراً فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مُعِدُّونَ له، فدعاهم إلى الإسلام. فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا. فتراموا بالنَّبْل ساعة وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل ناحية. فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم. وأُصِيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ. ثم قدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الأخْرم: بخاء معجمة فميم.

ابن أبي العوجاء: كذا ذكر ابن إسحاق وابن سعد [بإثبات لفظ ابن وهو الذي عزاه في الإصابة والتجريد للزهري] وأغرب الذهبي في الكُنى فقال «أبو العوجاء» ونقله عن الزهري.

سُلَيْم: بضم السين المهملة وفتح اللام.

العيْن: هنا الجاسوس.

مُعِدُّون: بضم الميم وكسر العين وضم الدال المشددة المهملتين.

الأمْداد: الأعوان والأنصار.

الباب الثاني والأربعون

في سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه إلى بني الملوح بالكديد في صفر سنة ثمان

روى ابن إسحاق والإمام أحمد وأبو داود من طريق محمد بن عمر، وابن سعد رحمهم الله تعالى عن جُنْدب بن مَكِيث الجُهَني رضي الله تعالى عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي، لَيث كَلْب بن عوْف في سريَّة كنتُ فيهم، وأمره أن يشُنَّ الغارة على بني المُلَوّح بالكَدِيد، وهم من بني لَيث. قال: فخرجنا حتى إذا كُنَّا بقُديْد لقينا الحارث بن البرْصاء [الليثي] فأخذناه فقال: إنما جِئْت أريد الإسلام وإنما خرجت إلى رسول الله ﷺ، فقلنا لن يضُرَّك رباط يوم وليلة إن كنت تريد الإسلام وإن يكن غير ذلك فنستوثق منك. قال: فَشَددْناه وثاقاً وخَلَّفنا عليهِ رُوَيْجِلاً منا أسود، يقال له سُوَيْد بن مَنْحر، وقلنا إن نازعك فاحْتَز رأسه. ثم سرْنا حتى أتينا الكَدِيد عند غروب الشمس، فَكَمَنَّا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيئةً لهم، فخرجت حتى أتيت تَلاً مُشْرِفاً على الحاضِر يُطْلِعني عليهم حتى إذا أَسْندْتُ فيه وعلَوْتُ رأسه انبطحت ـ وفي رواية: فاضطجعت على بطني ـ قال: فوالله إني لانظر إذ خرج رجل منهم من خِباءٍ له، فقال لامرأته: إني أرى على هذا التلّ سواداً ما رأيته عليه صدْر يومي هذا فانظري إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرّت منها شيئا. قال: فنظرت فقالت: والله ما أَفْقِد من أوعيتي شيئاً. فقال لامرأته: ناوليني قَوْسي ونَبْلي. فناولته قَوْسه وسهْميْن معها، فأرسل سَهْماً فوالله ما أخطأ به جنْبِي ـ ولفظ ابن إسحاق، وابن سعد: بيْنَ عيْنَيّ ـ قال: فانتزعتُه وثَبَتُّ مكاني. ثم رمى بالآخر فخالطني به ـ ولفظ ابن إسحاق، وابن سعد: فوضعه في منْكِبِي ـ فانتزعته فوضعته وثَبتُّ في مكاني. فقال لامرأته: والله لو كان ربيئة لقد تَحرَّك بعد، لقد خالطه سهمان لا أبالك، فإذا أصبحت فابتغيهما لا تمضغهما الكلاب. قال: ثم دخل الخِباء، وراحت ماشية الحيّ من إبلهم وأغنامهم، فلما احتلبوا وعطَنوا واطمأنوا فناموا شَنَنَّا عليهم الغارة فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية واستقنا النّعم والشَّاء فخرجنا نَحْدُرُها قِبل المدينة حتى مررنا بابن البرْصاء فاحتملناه واحتملنا صاحبنا وخرج صريخ القوم في قَوْمِهم فجاءنا ما لا قِبل لنا به، فجاءنا القوم حتى نظروا إلينا ما بيننا وبينهم إلا الوادي وهم موجّهون إلينا إذ جاء الله تعالى بالوادي من حيث شاء بماءٍ يملأُ جَنْبَتَيْه، وأيم الله ما رأينا قبل ذلك سحاباً ولا مطراً فجاء بما لا يستطيع أحد أن يجُوزَه، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا وقد أسندناها في المُشَلَّل [نَحْدُرُها] وفي لفظ في المسيل ـ وفُتْنَاهم [فَوْتاً] لا يَقْدِرون فيه على طلبنا، ثم قدمنا

المدينة، وروى محمد بن عمر، عن حمزة بن عمرو الأسلمي قال: كنت معهم وكنا بضعة عشر رجلاً وكان شِعارنا: أَمِتْ أَمِتْ.

تنبيهان

الأول: نُقِل في البداية عن الواقدي أنه ذكر هذه القصة بإسناد آخر وقال فيه: وكان معه من الصحابة مائة وثلاثون رجلاً. والواقدي ذكر ذلك في سرية لغالب غير هذه.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

المُلَوِّح: بميم مضمومة فلام مفتوحة فواو مشددة مكسورة.

الكَدِيد: بفتح الكاف وكسر الدال المهملة فتحتية ساكنة فدال مهملة.

جُنْدُب: بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة وفتحها.

مَكِيث: بميم فكاف فتحتية فثاء مثلثة وزن أمير.

يشنّ: يُفَرِّق من كل وجه.

الغارة: اسم من أغار ثم أُطْلِقَت الغارة على الخَيْل.

لَقِينا: بسكون التحتية.

الحارث: بالنصب مفعول لقينا.

ابن البرْصاء: اسم أبيه مالك.

رُوَيْجِلاً: تصغير رجل.

الرَّبيئة: بفتح الراء وكسر الموحدة وسكون التحتية وفتح الهمزة وبتاء التأنيث.

الحاضِر: القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه [ويقال للمناهل المحاضر للاجتماع والحضور عليها] قال الخطَّابي: ربما جعلوا الحاضِر اسماً للمكان المحضور يقال نزلنا حاضِر بني فلان فهو فاعل بمعنى مفعول.

يُطْلعني: بضم أوله.

أَسْنَدْت: بفتح أوله وسكون السين المهملة وفتح النون وسكون الدال المهملة أي صَعِدْت.

الخِباء: بكسر الخاء المعجمة وفتح الموحدة وبالمدّ، بيت من بيوت الأعراب.

لا أبالك: بكسر الكاف هنا، ويُذْكر للحث على الفعل تارةً بمعنى جِدّ في أمرِك وشَمِّرْ لأن من له أب اتكل عليه في بعض شأنه، وللمدح تارةً أي لا كافي لك غير نفسك، وقد يُذْكر

في معرِض الذَّمّ [كما يقال لا أُمَّ لك] وقد يُذْكر في معْرض التعجب ودفعاً للعيْن كقولهم لله درُّك وقد تُحْذَف اللام فيقال لا أباك بمعناه.

تَمْضُغُهما: بضم الضاد المعجمة وفتحها.

نَحْدُرُها: بضم الدال المهملة.

واحتملنا صاحبنا: هو الرُّوَيْجِل الأسود.

أَدْركَنا: بفتح الكاف والضمير في محل النصب.

القَوْمُ: فاعل.

بالوادي: أي بالسَّيْل في الوادي.

المُشَلَّل: بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح اللام الأولى.

المَسِيل: موضع سيْل الماء.

الشِّعار: العلامة.

أَمِتْ أَمِتْ: تقدم الكلام عليها في سرية أبي بكر.

الباب الثالث والأربعون

في سرية غالب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد في صفر سنة ثمان.

قال محمد عمر، وابن إسحاق في رواية يونس ومحمد بن سلَمة رحمهم الله تعالى أن رسول الله ﷺ لما بلغه ما حصل لبشير بن سعد وأصحابه هيَّأ الزبير بن العوَّام رضي الله تعالى عنه وقال له: «سِرْ حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فإن أظْفَرَك الله بهم فلا تُبْقِ فيهم»[١] وهيَّأ معه مائتَيْ رجل وعقَد له لِواءً.

فقَدِم غالب بن عبد الله اللَّيثي من الكَدِيد قد ظَفَّره الله عليهم فقال ﷺ للزبير: «اجلس» وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل فيهم أُسامة بن زيد، وعُلْبة بن زيد الحارثي وأبو مسعود عُقْبة بن عمرو، وكعب بن عُجْرة فلما دنَا غالب منهم بعث الطلائع. فبعث عُلْبة بن زيد في عشرة ينظرون إلى محالِّهم، فأوفى على جماعة منهم ثم رجع إلى غالب فأخبره الخَبر. فأقبل غالب يسير حتى إذا كان منهم بنظر العين ليلاً وقد عطنوا وهدأوا قام غالب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمراً فإنه لا رَأيَ لمن لا يُطاع».

ثم ألف بينهم فقال: «يا فلان أنت وفلان، يا فلان أنت وفلان لا يفارق رجل منكم زميله، وإياكم أن يرجع إليّ رجل منكم، فأقول: أينَ صاحبك؟ فيقول لا أدري فإذا كَبَّرْتُ فَكَبِّرُوا وجرِّدوا السيوف. فلما أحاطوا بالحاضر كَبَّر غالب فكَبَّروا وجرَّدوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف حيث شاءوا. وروى ابن سعد عن إبراهيم بن مُحوَيِّصة بن مسعود عن أبيه قال: بعثني رسول الله ﷺ في سرية مع غالب بن عبد الله إلى بني مُرَّة فَأَغَرْنَا عليهم مع الصبح وقد أوعز إلينا أميرنا ألا نفترق وَوَاخَى بيننا فقال: لا تعصوني فإنِّي رسول رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أطاع أميري فقد أطاعني ومَنْ عصى أميري فقد عصاني»، وإنكم متى ما عصيتُمُوني فإنما تعصون نبيكم. قال: فآخى بيني وبين أبي سعيد الخُدْرِيّ. قال: فأصبْنَا القوم وكان شعارهم أمِتْ أمِتْ.

قال محمد بن عمر: وفي هذه السرية خرج أُسامة بن زيد في إِثْر رجل منهم يقال له نَهِيك بن مِرْداس أو مِرْداس بن نَهِيك وهو الصواب، فأبعد وقوي المسلمون على الحاضر وقتلوا من قتلوا، واستاقوا نَعماً وشاءً. وذكر ابن سعد ذلك في سرية غالب إلى المِيفَعة. وتَفَقَّد

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١٥١/١٠.

غالب أُسامة بن زيد، فجاء أُسامة بعد ساعة من الليل فلامه الأمير لائمة شديدة وقال: ألم تر إلى ما عهِدْتُ إليك؟ فقال خرجت في إثْر رجل منهم يقال له نَهِيك جعل يتهكم بي حتى إذا دنَوْتُ منه قال: «لا إله إلا الله». فقال الأمير: «أأغمدت سيفَك؟» فقال: «لا والله ما فعلت حتى أوردته شَعُوب». فقال: بئس ما فعلت وما جئت به تقتل امرءاً يقول لا إله إلا الله. فنَدِم أسامة وسُقِط في يده وساق المسلمون النّعم والشّاءَ والذُّرِّية، وكانت سُهْمانُهم عشْرة أبْعِرة لكل رجل أو عِدْلَها من الغنم وكانوا يَحْسِبون الجزور بعشرة من الغنَم.

تنبيهان

الأول: كذا ذكر ابن إسحاق في رواية يونس ومحمد بن عمر، أن قِتْلَة أُسامة لمِرْداس كانت في هذه الغزوة وسيأْتي الكلام على ذلك في سرية أُسامة بن زيد إلى الحُرقات.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

مُصاب: بضم الميم وبالصاد الهملة.

بشير: بموحدة وشين معجمة كأمير.

فَدك: بفتح الفاء والدال المهملة.

هيَّأ: بفتح الهاء والتحتية المشددة وبالهَمْز.

الكَدِيد: بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الأُولى.

عُلْبة: بضم العين المهملة وسكون اللام وبالموحدة وتاء التأْنيث.

عُقْبة: بالقاف.

عُجْرة: بضم العين المهملة وسكون الجيم وبالراء وتاء التأْنيث.

الطلائع: جمع طَلِيعَة منْ يُبعث لِيطَّلع طِلع العدُوّ للواحد والجمع.

أوفى: أشرف.

الزَّميل: بفتح الزاي وكسر الميم وسكون التحتية وباللام، وهو هنا الرفيق في السفر الذي يُعِينُك على أُمورك.

الحاضر: تقدم في الباب الذي قبله.

حُوَيِّصَة: بضم الحاء المهملة وفتح الواو وتخفيف التحتية ساكنة وتشديدها مكسورة وبالصاد المهملة.

مُرَّة: بضم الميم وفتح الراء المشددة.

أَوْعَزَ إليه: بفتح أوله وسكون الواو وفتح العين المهملة والزاي تقدم.

أمِتْ أَمِتْ: تقدم الكلام عليه في سرية أبي بكر رضي الله عنه.

الباب الرابع والأربعون

في سرية شجاع بن وهب الأسدي رضي الله تعالى عنه إلى بني عامر بالسي في ربيع الأول سنة ثمان.

روى محمد بن عمر رحمه الله تعالى عن عمر بن الحَكَم رحمه الله تعالى قال: بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمْع من هوازن بالسِّيِّ ناحية رُكْبة من وراء المَعْدِن وهي من المدينة على خَمْس ليال، وأمره أن يُغِير عليهم فكان يسير الليل ويكْمُن النهار حتى صبَّحهم وهم غارُّون، وقد أوْعز إلى أصحابه ألاَّ يُمْعِنوا في الطَّلَب، فأصابوا نَعَماً كثيراً وشاءً واستاقوا ذلك حتى قَدِمُوا المدينة، [واقتسمواالغنيمة] فكانت سُهْمانُهم خمسة عشر بعيراً لكل رجل وعدلوا البعير بِعشْر من الغَنَم، وغابت السرية خمس عشرة ليلة.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

شُجاع: بضم الشين المعجمة.

السِّيّ: بكسر السين المهملة ومدّ الهمزة.

رُكْبة: بضم الراء وسكون الكاف وبالموحدة.

المَعْدِن: بفتح الميم وسكون العين وكسر الدال المهملتين وبالنون.

غارُّون: بالغين المعجمة وبعد الألف راء مشددة مضمومة فنون: غافلون.

أوْعزَ: بفتح أوله وسكون الواو وفتح العين المهملة والزاي، تقد م.

أمْعنَ في طلب العدو، بالَغَ وأبْعد.

الباب الخامس والأربعون

في سرية كعب بن عمير الغفاري رضي الله تعالى عنه إلى ذات أطلاح في شهر ربيع الأول سنة ثمان

قال محمد بن عمر حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أَطْلاَح من أرض الشام، فوجدوا جمْعاً من جمعهم كثيراً فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنَّبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قُتِلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى فلما بَرَدَ عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخَبر، فشقَّ ذلك عليه وهمَّ بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

قال محمد بن عمر حدثني ابن أبي سبرة عن الحرث بن فضيل قال: كان كعب بن عمير يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا منهم فرآه صيدهم فأخذهم بعلة أصحاب رسول الله ﷺ فجاءوا إليهم على الخيول فقتلوهم قال أبو عمر: قتلوهم بقضاعة.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

عُمَيْر: بعين مهملة مضمومة فميم مفتوحة فتحتية ساكنة فراء.

الغِفَاري: بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء.

أَطْلاَح: بفتح الهمزة وسكون الطاء وبالحاء المهملة وهو من وراء وادي القُرَى.

محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الزهري يروى عنه.

قُتِلوا: بالبناء للمفعول.

أَفْلَتَ: وتفلت وانْفَلَتَ أي تخلص ونجا.

الباب السادس والأربعون

في سرية مؤتة وهي بأدنى البلقاء دون دمشق في جمادى الأولى سنة ثمان

قال محمد بن عمر: حدثني محمد بن عبد الله عن الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ بعْثَهُ إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان واستعمل زيد بن حارثة، وقال:«إن أُصيب زَيْد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فإن قُتِل فَلْيرْتَضِ المسلمون منهم رجلاً فليجعلوه عليهم»[1]. قال محمد بن عمر رحمه الله عن عمر بن الحَكَم عن أبيه أن رسول الله ﷺ لما صلَّى الظّهْر جلس، وجلس أصحابه حوله، وجاء النعمان بن مَهَضّ اليهودي فوقف على رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ:«زيد بن حارثة أمير الناس فإن قُتِل زَيْد فجعفر بن أبي طالب فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة فإن أُصيب عبد الله بن رواحة فَلْيرْتَضِ المسلمون رجلاً منهم فليجعلوه عليهم». فقال النعمان بن مَهَضّ: «يا أبا القاسم إن كنتَ نبيًّا فسمَّيْت من سمَّيْت قليلاً أو كثيراً أُصيبوا جميعاً لأن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أُصيب فلان فَفُلان فلو سمى مائة أصيبوا جميعاً» ثم إن اليهودي جعل يقول لزيد بن حارثة: «اعْهَدْ فإنك لا ترجع إلى محمد إن كان نبيّاً». قال زيد: «فاشهد أنه رسول صادق بارّ».

وعَقَد لهم رسول الله ﷺ لواءً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عُمَيْر وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلا استعينوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقاتلوهم.

ذكر طعن الصحابة في إمارة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه

روى البخاري عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال: «بعث النبي ﷺ بَعْثاً وأمَّر عليهم أُسامة بن زيد[2] فطعن [بعض] الناس في إمارته، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين فقام رسول الله ﷺ فقال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه:«قد بلغني أنكم قلتم في أسامة، إنْ تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قَبْل، وأَيْمُ الله إنْ

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ٥٨٣(٤٢٦١).

(٢) (ع) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي أبو محمد وأبو زيد الأمير حِبُّ رسول الله ﷺ وابن حِبّه وابن حاضنته أم أيمن. له مائة وثمانية وعشرون حديثاً، اتفقا على خمسة عشر وانفرد كل منهما بحديثين، وعنه ابن عباس وإبراهيم بن سعد بن أبي وقاص وعروة وأبو وائل وكثيرون أمّره النبي ﷺ على جيش فيهم أبو بكر وعمر، وشهد مؤتة، قالت عائشة: من كان يحب الله ورسوله فليحب أسامة. توفي بوادي القُرى، وقيل بالمدينة سنة أربع وخمسين عن خمس وسبعين سنة الخلاصة ٦٦/١.

كان لَخليقاً للإمارة وإنْ كان لمن أحَبُّ الناس إليَّ وإن هذا لمن أحَبُّ النَّاسِ إليَّ بَعْدَه»[١].

وروى الإمام أحمد والنسائي وابن حِبّان في صحيحه، والبيهقي عن أبي قَتَادة رضي الله تعالى عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ جيشَ الأُمَرَاء وقال: «عَلَيْكُم زَيْد بن حارثة فإن أُصيب زيد فجعفر فأن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة» قال: فوثب جعفر رضي الله عنه وقال: [بأبي أنت وأُمي] يا رسول الله ما كنت أرهب أن تستعمل عَلَيَّ زيداً» فقال: «امْضِ فإنك لا تدري أيُّ ذلك خير»[٢].

ذكر مسير المسلمين ووداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيته إياهم

قال عُروة بن الزبير[٣]: «فتجَهَّزَ الناس ثم تَهَيَّأُوا للخروج وهم ثلاثة آلاف. فلما حضر خروجُهم وَدَّع الناس أُمراء رسول الله ﷺ وسَلَّموا عليهم. فلما وُدِّع عبد الله رواحة مع من وُدِّع من أُمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا: «ما يُبكيك يا ابن رواحة؟» فقال: «أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صَبابةٌ بكم ولكنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عزوجل يذكر فيها النار: ﴿وإن مِنكمْ إلاَّ وارِدُها كَانَ على ربِّك حتماً مقضِيّاً﴾ [مريم ٧١] فلست أدري كيف لي بالصَّدْر بعد الوُرُود؟» فقال المسلمون: «صحِبكُمْ الله ودفع عنكم وردَّكم إلينا صالحين». فقال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه:

لَكِنَّنِي أسْأَلُ الرَّحْمنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تقْذِفُ الزَّبَدَا
أوْ طَعْنَةً بِيَدِيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَاءَ والكَبِدَا
حَتَّى يُقالَ إذا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي ... يَا أرْشَدَ اللهِ مِنْ غَازٍ وقَدْ رَشِدَا

قال ابن إسحاق: ثم إن القوم تَهَيَّأُوا للخروج فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فَوَدَّعه ثم قال:

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبِيتَ مُوسى ونَصْراً كَالَّذِي نُصِرُوا
إنِّي تفَرَّسْتُ فِيكَ الخَيْرَ نَافِلَةً ... اللهُ يَعْلَمُ أنِّي ثابِتُ البَصَرِ
أنتَ الرَّسُولُ فَمَن يُحْرَمْ نَوَافِلَهُ ... والوَجْهُ مِنكَ فَقَدْ أزْرى بِهِ القَدَرُ

هكذا أنشد ابن هشام هذه الأبيات وأنشدها ابن إسحاق بلفظ فيه إقواء قال ابن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٤٦٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٩٩/٥ والبيهقي في الدلائل ٣٦٧/٤ وأبو نعيم في الحلية ٢٦/٩ وابن سعد في الطبقات ٣٢/١/٣.

(٣) عروة بن الزُّبير بن العَوّام الأسدي، أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة، وأحد علماء التابعين.[وقال الزهري: عروة بحر لا تكدره الدِّلاء.] قال ابن شَوْذَب: كان يقرأ كل ليلة ربع القرآن، ومات وهو صائم. الخلاصة ٢٣١/٢.

إسحاق: «ثم خرج القومُ وخرج رسول الله ﷺ يُشَيِّعهم حتى إذا وَدَّعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

خَلَفَ السَّلاَمُ على امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... فِي النَّخْلِ خَيْرِ مُشَيِّعٍ وَخَليلِ»

وروى محمد بن عمر عن خالد بن يزيد رحمه الله تعالى قال: خرج رسول الله ﷺ مُشَيِّعاً لأهل مُؤْتَة حتى بلغ ثَنِيَّة الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال: «اغزوا باسم الله فقاتلوا عدوَّ الله وعدوَّكم بالشام وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين الناس فلا تعرِضوا لهم وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فافْلِقُوها بالسيوف، لا تَقْتُلُنَّ امرأَةً ولا صغيراً ضَرَعاً ولا كبيراً فانياً ولا تَقْرَبُنَّ نخلاً ولا تَقطَعُنَّ شجراً ولا تَهْدِمُنَّ بيتاً»[1]. وروى محمد بن عمر [الواقدي] عن زيد بن أرقم [رَفَعَهُ] أن رسول الله ﷺ قال: «أُوصِيكم بِتَقْوى الله وبِمَنْ معكم من المسلمين خيراً، اغْزوا باسم الله في سبيل الله مَنْ كفر بالله لا تَغْدِروا ولا تَغُلُّوا ولا تَقْتُلُوا وليداً وإذا لَقِيتُم عدوَّكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فأَيَّتهُنَّ ما أَجابوكم إليها فاقْبَلوا منهم وكُفُّوا عنهم الأذى ثم ادْعُوهم إلى التَّحَوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين فإن فعلوا فأَخْبِروهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أَبَوْا أن يتحوَّلوا منها فأَخْبِروهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يَجْري عليهم حُكْمُ الله [الذي يَجْرِي على المؤمنين] ولا يكون لهم في الغنيمة والفَيْءِ شيء إلا أن يُجاهدوا مع المسلمين فإن هم أَبَوْا فَسَلْهُم الجِزْيَة، فإن فعلوا فاقْبَلُوا منهم وكُفُّوا عنهم فإن هم أَبَوْا فاسْتَعِينوا بالله عليهم وقاتِلوهم وإن حاصَرْتم أَهْلَ حصنٍ أو مدينة فأرادوكم أن تجعلوا لهم ذِمَّةَ الله وذِمَّة رسوله فلا تجعلوا لهم ذِمَّة الله ولا ذِمَّة رسوله ولكن اجعلوا لهم ذِمَّتَكم وذِمَّةَ آبائكم إن تُخْفِروا ذِمَمكم وذِمَمَ أصحابكم أَهْوَنُ من أن تُخْفِروا ذمة الله وذمة رسوله». وذكر نحو ما سبق.

وروى محمد بن عمر عن عطاء بن مسلم[2] رحمه الله تعالى قال: «لما وَدَّع رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة قال ابن رَوَاحة: يا رسول الله مُرْني بشيء أحفظه عنك قال: «إنك قادِم غداً بلداً السجودُ فيه قليل فأَكْثِرْ السجود» قال عبد الله بن رواحة: زِدْني يا رسول الله. قال: «اذكُر الله فإنه عَوْنٌ لك على ما تطالب». فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهباً رَجَع فقال: يا رسول الله إن الله وِتْر يحب الوِتْر فقال: «يا ابن رواحة ما عَجَزْتَ فلا تَعْجِزَنّ إن

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٦٩/٩.

(٢) عطاء بن أبي مسلم مولى المهلب بن أبي صفرة أبو أيوب الخراساني نزيل الشام وأحد الأعلام عن أبي الدرداء ومعاذ، وابن عباس مرسلاً وروى عن يحيى بن يعمر ونافع وعكرمة وعنه ابن جريج والأوزاعي، ومالك وشعبة وحماد بن سلمة قال عبد الرحمن بن يزيد: كان يُحيي الليل. وثقه ابن معين وأبو حاتم. قال ابنه عثمان: مات سنة خمس وثلاثين ومائة، عن خمس وثمانين سنة. قاله أبو نعيم الخلاصة ٢٣١/٢.

أَسَأْتَ عَشْراً أن تُحْسِنَ واحدة»(١). قال ابن رواحة: لا أَسْأَلُك عن شيء بعدها.

ذكر رجوع عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه ليصلي الجمعة

روى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ بعث إلى مُؤتة فاستعمل زيداً وذكر الحديث وفيه: فتَخَلَّف ابن رواحة فجمع مع رسول الله ﷺ، فلما صَلَّى رسول الله ﷺ رآه، فقال: «ما مَنَعَكَ أن تَغْدو مع أصحابك؟» قال: أردْتُ أن أُصَلِّي معك الجمعة ثم ألحقهم. فقال رسول الله ﷺ: «لو أَنْفَقْتَ ما في الأرض جميعاً ما أَدْرَكْتَ غَدْوَتَهم». وفي لفظ: «لَغَدْوَةٌ أو رَوْحَة في سبيل الله خَيْرٌ من الدنيا وما فيها»(٢).

ذكر مسير المسلمين بعد وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: ثم مضى الناس. قال محمد بن عمر: قالوا: كان زيد بن أرقم يقول - وقال ابن إسحاق: حدَّثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدَّث عن زيد بن أرقم قال: «كنت يتيماً في حِجْر عبد الله بن رواحة فلم أر وليَّ يتيم كان خَيْراً منه فخرجنا إلى مؤتة فكان يُرْدِفُني خَلْفَه على حقيبة رحْلِه فوالله إنه ليسِيرُ ليلةً إذ سمعته وهو يُنْشد أبياته هذه:

إِذَا أَدَّيْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ
فَشَأْنُكِ أَنْعُمٌ وَخَلاَكِ ذَمٌّ ... وَلاَ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وَآبَ المُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي ... بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ
وَرَدُّكِ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ ... إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعِ الإِخَاءِ
هُنَالِكَ لاَ أُبَالِي طَلْعَ بَعْلٍ ... وَلاَ نَخْلٍ أَسَافِلُهَا رُوَاءُ

قال: فلما سمِعْتُهُنَّ منه بكَيْتُ فخَفَقَنِي بالدِّرَّة وقال: «ما عليك بالكُع أن يرْزُقَنِي الله الشهادة فأستريح من الدنيا ونَصبها وهمومها وأحزانها وترجع بين شُعْبَتَيْ الرَّحْل». زاد ابن إسحاق: قال ثم قال عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه في بعض شعره وهو يرتجز:

يَا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاَتِ الذُّبَّلِ ... تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدِيتَ فانْزِلِ

زاد محمد بن عمر: ثم نزل من الليل، ثم صلى ركعتين ودعا فيهما دعاءً طويلاً ثم قال: يا غلام. قلت: لَبَّيْك. قال: هي إن شاء الله الشهادة. قالوا: ولما فَصل المسلمون من المدينة سمِع العدوّ بمسيرهم فتجمَّعوا لهم وقام فيهم شُرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف،

---

(١) ذكره السيوطي في الدر ١٨٩/٣ وعزاه لابن عساكر.

(٢) أخرجه الترمذي (٥٢٧) وأحمد في المسند ٢٢٤/١ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣٩٣/٧.

وقدَّم الطلائع أمامه. فلما نزل المسلمون وادي القُرى بعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين من المشركين فاقتتلوا وانكشف أصحاب سدوس وقد قُتِل، فشَخَص أخوه. ومضى المسلمون حتى نزلوا مُعان من أرض الشام. وبلغ الناس أن هِرقل قد نزل مآب من أرض البلْقاء في مائة ألف من الروم وانضم إليهم مائة ألف أخرى من لَخْم وجُذَام وقبائل قضاعة من بلْقَيْن وبهْراء وبلِيّ عليهم رجل من بلِيّ ثم أحد إراشة يقال له مالك بن رافلة.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدوِّنا فإما أن يُمِدَّنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فَنَمْضِي له. فشَجَّع الناس عبد الله بن رواحة فقال: «يا قوم والله إن التي تكرهون للَّتِي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قُوَّة ولا كَثْرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانْطَلِقُوا فإنما هي إحدى الحُسْنَيَيْن إما ظهور وإما شهادة وليست بشَرّ المنزلتين». فقال الناس: صدق والله ابن رواحة.

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لَقِيتْهم جُموع هِرقْل من الروم والعرب بقرية من قُرى البلقاء يقال لها مشَارِف، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتَة، فالتقى الناس عندها. فتَعبَّأ لهم المسلمون. وروى أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن القَرَّاب في تاريخه عن برْذَع بن زيد قال: قَدِم علينا وفْد رسول الله ﷺ إلى مُؤْتَة وعليهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، وخرج معهم منا عشرة إلى مؤتة يقاتلون معهم. قد كان رسول الله ﷺ نَهَاهم أن يأتوا فَركِبت القوم ضَبابة فلم يبْصِروا حتى أصبحوا على مؤتة. وروى محمد بن عمر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «شَهِدْتُ مؤتة فلما دنا العدوّ منا رأينا ما لا قِبل لأحد به من العَدَدِ والعُدَدِ والسلاح والكُراع والديباج والحرير والذهب فَبرِقَ بصري فقال لي ثابت بن أَقْرَم: «يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة». قلت: نعم. قال: إنك لم تشهد معنا بدراً، إنَّا لم نُنْصر بالكثرة. قال ابن إسحاق: وتَعبَّأ المسلمون للمشركين، فجعلوا على ميْمنَتِهم رجلاً من عُذْرة يقال له قُطْبة بن قَتَادة، وعلى ميْسرتِهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك ـ [قال ابن هشام] ويقال له عُبادة بن مالك.

ذكر التحام القتال

قال ابن عُقْبَة، وابن إسحاق، ومحمد بن عمر: ثم التَقَى الناس واقتتلوا قتالاً شديداً. فقاتل زيد بن حارثه براية رسول الله ﷺ حتى شَاط في رِماح القوم. ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها حتى إذا أَلْحمهُ القتال اقتحم عن فرس له شقراء فَعرْقَبها ثم قاتل القوم حتى قُتِل فكان جعفر أول رجل من المسلمين عرقب فرساً له في سبيل الله.

وروى ابن إسحاق عن عبّاد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مُرَّة بن عوف، وكان في غزوة مؤتة قال: والله لكأني انظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قُتِل وهو يقول:

يَا حَبَّذَا الجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا طَيِّبَةً وَبَارِداً شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دنَا عَذَابُهَا كَافِرَةً بَعِيدَةً أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لاقَيْتُهَا ضِرَابها

وهذا الحديث رواه أبو داود من طريق ابن إسحاق ولم يذكر الشعر وفي حديث أبي عامر رضي الله تعالى عنه عند ابن سعد أن جعفراً رضي الله تعالى عنه لَبِسَ السلاح ثم حمل على القوم حتى إذا همَّ أن يخالطهم رجع فَوحَّش بالسلاح ثم حمل على العدو وطاعن حتى قُتِل. قال ابن هشام: وحدثني من أَثِق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقُطَعت، فأخذه بشِماله فقُطِعتْ فاحتضنه بعضُديْه حتى قُتِل رضي الله تعالى عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء. ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربةً فقطعه نِصْفَين. وروى البخاري والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القَتْلَى ووجدنا في جسده بِضْعاً وستين من طَعْنَةٍ ورمْية»، وفي رواية عنه قال: «وقفتُ على جعفر بن أبي طالب يومئذ وهو قتيل فَعددْتُ به خمسين من طعنة وضربة ليس منها شيء في دُبُرِه».

ذكر مقتل عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه

روى ابن إسحاق [يحيى بن] عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه الذي أرضعه قال: فلما قُتِل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رواحة، ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستَنْزِلُ نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّهْ
قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أَنْتِ إلاَّ نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ

وقال أيضاً رضي الله تعالى عنه:

يَا نَفْسُ إِلاَّ تُقْتَلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ المَوْتِ قَدْ صَلِيتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

يريد صاحِبَيْه زيداً وجعفراً، ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عمر له بعَرْق من لحم فقال: «شُد بهذا صُلْبَك فإنك لَقِيتَ في أيامك هذه ما لَقِيت». فأخذه من يده، ثم انْتَهَسَ منه نَهْسَة ثم سمع الحَطْمَةَ في ناحية الناس فقال: وَأَنْتِ في الدنيا؟ ثم أَلقاه من يَدِه، ثم أخذ سيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قُتِل رضي الله تعالى عنه. ووَقَع اللِّواء من يده فاختلط المسلمون والمشركون وانْهَزَم بعض الناس، فجعل قُطْبَة بن عامر يصيح: يا قوم يُقْتَل الرجل مُقْبِلاً أحسن من أن يُقْتَل مُدْبِراً. قال سعيد بن أبي هلال رحمه الله تعالى: وبلغني أن زيداً وجعفراً وعبد الله بن رواحة دُفِنوا في حُفْرة واحدة. وفي حديث أبي عامر رضي الله تعالى عنه عند ابن سعد أن عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه لما قُتِل «انهزم المسلمون أَسْوَأَ هزيمة رأيتها قط حتى لم أر اثنين جميعاً. ثم أخذ اللواء رجل من الأنصار ثم سعى به حتى إذا كان أمام الناس رَكَزَه ثم قال: إِلَيَّ أيها الناس. فاجتمع إليه الناس حتى إذا كَثُروا مَشَى باللواء إلى خالد بن الوليد. فقال له خالد: لا آخُذُهُ منك أنت أَحَقُّ به فقال الأنصاري والله ما أخذته إلا لك».

ذكر تأمير المسلمين خالد بن الوليد بعد قتل أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهزمه المشركين، وإعلام الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح

قال ابن إسحاق: ثم أخذ الراية ثابت بن أَقْرَم أخو بني العَجْلان فقال: يا معشر المسلمين اصْطَلِحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد.

وروى الطبراني عن أبي اليسر الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال: أنا دَفعْت الراية إلى ثابت بن أَقْرم لما أصيب عبد الله بن رواحة فدُفِعَت إلى خالد وقال [له ثابت بن أَقْرم] أنت أعلم بالقتال مني. قال ابن إسحاق: «فلما أخذ الراية خالد بن الوليد دافع القوم وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه وانصرف بالناس».

هكذا ذكر ابن إسحاق أنه لم يكن إلا المحاشاة والتخلص من أيدي الروم الذين كانوا مع من انْضَمَّ إليهم أكثر من مائتي ألف والمسلمون ثلاثة آلاف. ووافق ابن إسحاق على ذلك شِرْذِمة. وعلى هذا سُمِّيَ هذا نَصْراً وفتحاً باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدوّ وتراكمهم وتكاثرهم عليهم وكان مُقْتَضَى العادة أن يُقْتَلوا بالكُلِّيَّة وهو مُحْتَمَل لكنه خلاف الظاهر من قوله ﷺ: «حتى فتح الله عليكم»[1]. والأكثرون على أن خالداً ومن معه رضي الله تعالى عنهم قاتلوا المشركين حتى هزموهم. ففي حديث أبي عامر عند ابن سعد أن خالداً لما أخذ

---

(١) أخرجه البخاري ٧/ ٥٨٥(٤٢٦٢).

اللّواء «حَمَل على القوم فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا».

وروى الطبراني برجال ثقات عن موسى بن عُقْبَة قال: ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله ﷺ على خالد بن الوليد المخزومي فهزم الله تعالى العدوَّ وأظهر المسلمين. وروى محمد بن عمر الأسلمي عن عَطَّاف بن خالد لما قُتِل ابن رواحة مساءً بات خالد بن الوليد، فلما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته وساقَتَه مقدمته وميمنته ميْسرة ومَيْسَرته مَيْمَنَة، فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم وقالوا وقد جاءهم مَدَد فرُعِبوا وانكشفوا منهزمين. قال: فقُتلوا مقتلة لم يُقْتَلْها قوم. وذكر ابن عائذ في مغازيه نحوه.

وروى محمد بن عمر عن الحارث بن الفضل رحمه الله تعالى: لما أخذ خالد بن الوليد الراية قال رسول الله ﷺ:«الآن حَمِيَ الوطيس»[1]. وروى القَرَّاب في تاريخه عن بَرْذَع بن زيد رضي الله تعالى عنه قال: اقتتل المسلمون مع المشركين سبعة أيام. وروى الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما وهذا الذي ذكره أبو عامر والزهري، وعُرْوَة، وابن عُقْبَة، وعَطَّاف بن خالد، وابن عائذ وغيرهم هو ظاهر قوله ﷺ في حديث أنس: «ثم أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله ففتح الله على يديه»[2]. وفي حديث أبي قتادة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً كما سيأتي. ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء ولم يكن من الأمراء، هو أمَّر نفسه. ثم رفع رسول الله ﷺ أصبعه، ثم قال: «اللهم إنه سَيْفٌ من سيوفك فانصره»[3]. فمن يومئذ سُمِّي خالد بن الوليد «سيف الله»، رواه الإمام أحمد برجال ثِقات ويزيده قُوَّة ويشهد له بالصحة ما رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والبَرقاني عن عَوْف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال: «خرجْتُ [مع من خرج] مع زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما في غزوة مُؤْتَة ورافقني مَدَدِيّ من المسلمين من اليمن، ليس معه غير سَيْفه. فنحر رجل من المسلمين جَزوراً فسأله المَدَدِيّ طَائفة من جِلْد، فأعطاه إياه فاتخذه كهيئة الدَّرَقَة، وَمَضَيْنَا ولَقِينا جموع الروم فيهم رجل على فرس له أشقر، عليه سَرْج مُذَهَّب وسلاح مُذَهَّب، فجعل الرومي يغزو المسلمين، فقَعَدَ له المَدَدِيّ خَلْفَ صخْرة فمرَّ به الرومي فعرقب فرسه بسيفه وخَرّ الرومي فَعَلاَه بسيفه فقتله وحاز سلاحه وفرسه. فلما فتح الله تعالى على المسلمين بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه بعض السَّلَب. قال عَوْف: فأَتَيْتُ خالداً وقلت له: أما

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٩٨/٣ كتاب الجهاد (٧٦- ١٧٧٥) من حديث عباس وأحمد في المسند ٢٠٧/١ وعبد الرزاق (٩٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٢).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٦٨/٤ وابن أبي شيبة في المصنف ٥١٣/١٤.

عَلِمْتَ أن رسول الله ﷺ قضى بالسَّلَب للقاتل؟ قال: بَلى ولكنني استكثرتُه. فقلت لَتَرُدَّنَّهُ أو لأُعَرِّفَنَّكَهَا عند رسول الله ﷺ. فأبى أن يرد عليه. قال عَوْف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فَقَصَصْتُ عليه قصة المَدَدِيّ وما فعل خالد، فقال رسول الله ﷺ: «ما صَنَعْتَ؟» قال: استكثرتُه. قال: «رُدّ عليه ما أَخَذْتَ منه». قال عوف: دونكها يا خالد ألم أَفِ لك؟ [فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» فأخبرته]. فغَضِبَ رسول الله ﷺ وقال: «يا خالد لا ترُد عليه هل أنتم تاركون أُمرائي لكم صَفْوَةُ أَمْرهم وعليهم كَدَرُه»(١).

ذكر بعض ما غنمه المسلمون يوم مؤتة

روى محمد بن عمر، والحاكم في الإكليل عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: أُصِيب بمؤتة ناس من المسلمين، وغَنِم المسلمون بعض أمتعة المشركين، وكان فيما غنموا خاتم جاء به رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: قَتَلْتُ صاحِبَه يومئذ فَنَفَّلَنِيه رسول الله ﷺ. وتقدم حديث عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه. وروى محمد بن عمر، عن خُزَيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: «حَضَرْتُ مُؤْتَة فبارزني رجل منهم يومئذ فأصبتُه وعليه بَيْضَة له فيها ياقوتة، فلم تكن هِمَّتي إلا الياقوتة، فأخذتها. فلما رجعنا إلى المدينة أتيت بها رسول الله ﷺ فَنَفَّلَنِيها، فبعتها زمن عثمان بمائة دينار فاشتريت بها حديقة نخل». قال في البداية: «وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم». وروى البخاري عن خالد رضي الله تعالى عنه قال: «لقد اندقت في يَدِي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية»(٢) وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتْلاً ولو لم يكن كذلك لما قَدِروا على التخلص منهم - إذ كان المسلمون ثلاثة آلاف والمشركون أكثر من مائتي ألف - وهذا وحده دليل مُسْتَقِل والله أعلم.

وقد ذكر ابن إسحاق أن قُطْبَة بن قَتَادة العُذْري الذي كان على مَيْمَنة المسلمين حمل على مالك بن رافلة ويقال ابن رافلة، وهو أمير أعراب النصارى، فقتله، وقال قُطْبَة يفتخر بذلك:

طَعَنْتُ ابْنَ رَافِلَةَ ابْنَ الإِرَاشِ ... بِرُمْحٍ مَضَى فِيهِ ثُمَّ انْحَطَمْ
ضَرَبْتُ عَلَى جِيدِهِ ضَرْبَةً ... فَمَالَ كَمَا مَالَ غُصْنُ السَّلَمْ
وَسُقْنَا نِسَاءَ بَنِي عَمِّهِ ... غَدَاةَ رَقُوقَيْنِ سَوْقَ النَّعَمْ

وهذا يؤيد ما نحن فيه لأن من عادة أمير الجيش إذا قُتِل أن يفِرّ أصحابه، ثم إنه صَرَّح في شعره بأنهم سَبوا من نسائهم، وهذا واضح فيما ذكرناه. وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن

---

(١) أخرجه مسلم ١٤٧٣/٣ كتاب الجهاد (٤٣- ١٧٥٣).
(٢) أخرجه البخاري ٥٨٨/٧ كتاب المغازي (٤٢٦٥).

أسماء بنت عُمَيْس رضي الله تعالى عنها قالت: دخل عَلَيّ رسول الله ﷺ يوم أُصِيب جعفر وأصحابه فقال: «ايتِنِي ببني جعفر». فأتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يُبْكِيك؟ أبَلَغَك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: «نعم أُصِيبوا هذا اليوم». قالت: فَقُمْتُ أصيح واجتمع إلَيّ النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: «لا تَغْفَلوا عن آل جعفر أن تَصْنَعوا لهم طعاماً فإنهم قد شُغِلوا بأمر صاحبهم».

وروى البخاري والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: نَعى رسول الله ﷺ وهو على المنبر زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس يوم أُصِيبوا قبل أن يأتيه خَبَرهم فقال: «أخذ الراية زيد فَأُصِيب، ثم أخذها جعفر فَأُصِيب، ثم أخذها ابن رواحة فَأُصِيب، وعيناه تَذْرِفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم»[1]. وروى النَّسائي والبيهقي عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ جيش الإمراء فانطلقوا فَلَبِثوا ما شاء الله، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فنودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إلى رسول الله ﷺ فقال: «أُخبِرُكم عن جيشِكُم هذا. إنهم انطلقوا فَلَقوا العدوّ فقُتِل زيد شهيداً، فاستغفر له ثم أخذ اللواء جعفر فشدّ على القوم حتى قُتِل شهيداً، فاستغفر له، ثم أخذه خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، هو أَمَّر نفسه». ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تَنْصُره». فمن يومئذ سُمِّي خالد: «سيف الله».

وروى البيهقي عن ابن عُقْبَة رحمه الله تعالى قال: «قدم يَعْلَى بن أُمَيّة رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ، بخبر أهل مؤتة. فقال رسول الله ﷺ: «إن شئتَ أخبرني وإن شئتَ أُخبرك، بخبرهم». قال: بل أَخبرني يا رسول الله ﷺ. فأخبره رسول الله ﷺ خبرهم كله فقال: «والذي بعثك بالحق ما تركتَ من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره وإن أَمْرهم لكما ذكرت. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل رَفَعَ لِيَ الأرض حتى رَأيت مُعْتَرَكَهم ورأيتهم في المنام على سُرُرٍ من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة إِزْوِراراً عن سَرِيرَيْ صاحبيه فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مَضَيا وتَرَددَ بعض التردُّد ثم مَضَى»[2]. وروى عبد الرزاق عن ابن المُسَيَّب رحمه الله تعالى مُرْسَلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثُلَ جعفر وزيد وابن رواحة في خَيْمَةٍ من دُرّ، فرأيت زيداً، وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود، فسألت أو قيل لي إنهما حين غَشِيَهُما الموت اعترضا أو كأنهما صَدَّا بِوَجْهَيْهِمَا وأما

---

(١) أخرجه البخاري ٩٢/٢ وأحمد في المسند ١١٣/٣ والبيهقي في السنن ١٥٤/٨ والحاكم في المستدرك ٤٢/٣ وابن سعد في الطبقات ٢٥/١/٤.

(٢) انظر البداية والنهاية ٢٤٧/٤.

جعفر فإنه لم يفعل وإن الله تعالى أَبْدَله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء». وروى البخاري والنسائي عن عامر الشَّعْبِي قال: «كان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا حَيَّا عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك ياابن ذي الجناحين»[١].

قال ابن إسحاق: «ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ ـ فيما بلغني ـ: «أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتِل شهيداً». قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تَغيرت وجوه الأنصار وظَنُّوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتِل شهيداً»، ثم قال: «لقد رُفِعوا إليَّ في الجنة فيما يَرَى النائم على سُرُرٍ من ذهب». فذكر مثل ما سبق. وروى ابن سعد عن أبي عامر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ لما بلغه مُصَابُ أصحابه شق ذلك عليه فصَلَّى الظُّهْر ثم دخل وكان إذا صَلَّى الظهر قام فركع ركعتين ثم أقبل بوجهه على القوم، فشق ذلك على الناس، ثم صلى العصر ففعل مثل ذلك، [ثم صلى المغرب ففعل مثل ذلك] ثم صلى العَتَمة ففعل مثل ذلك حتى إذا كان صلاة الصبح دخل المسجد ثم تَبَسَّم، وكان تلك الساعة لا يقوم إليه إنسان من ناحية المسجد حتى يُصَلِّي الغداة. فقال له القوم [حين تَبَسَّم]: «يا نبيَّ الله بأنفسنا أنت لا يعلم إلا الله ما كان بنا من الوَجْد منذ رأينا منك الذي رأينا». قال رسول الله ﷺ: «كان الذي رأيتم مني أنه أحزنني قَتْلُ أصحابي حتى رأيتهم في الجنة إخواناً على سُرُرٍ متقابلين، ورأيت في بعضهم إعراضاً كأنه كَرِه السيف ورأيت جعفراً مَلَكاً ذا جناحين مُضَرَّجاً بالدماء مَصْبُوغَ القَوَادِم»[٢]. وروى الحكيم الترمذي في الثالث والعشرين بعد المائة من فوائده عن عبد الرحمن بن سَمُرَة رضي الله تعالى عنه قال: بعثني خالد بن الوليد بشيراً إلى رسول الله ﷺ يوم مؤتة.

ذكر من استشهد بمؤتة من المسلمين رضي الله تعالى عنهم

جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، ومسعود بن الأسود بن حارثة [بن نضلة]، ووَهْب بن سعد بن أبي سَرْح، وعَبَّاد بن قَيْس ـ عَبَّاد بفتح المهملة وتشديد الموحدة، ويُقال عُبَادة بضم أوله وتخفيف الموحدة وزيادة تاء التأنيث ـ والحارث بن النُّعْمان [بن إساف بن نضلة]، وسُرَاقة بن عمرو بن عطية [بن خنساء] وزاد بن هشام نقلاً عن ابن شهاب الزُهْري: أبا كُلَيب ـ أو كِلاَب بكسر الكاف وتخفيف اللام ـ ابن عَمْرو بن زيد، وأخاه جابر بن عَمْرو بن زيد، وعَمْرو، وعامر ابنا سعد ابن الحارث [بن عباد بن سعد] وزاد الكلبي

(١) أخرجه البخاري ٧/ ٩٤(٣٧٠٩).
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٩٩ .

والبلاذري: هَوْبَجَة بن بُجَيْر بن عامر الضَّبِّي ـ هَوْبَجَة بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الموحدة وبالجيم وتاء تأنيث، وبُجَيْر بضم الموحدة وفتح الجيم وسكون التحتية وبالراء، والضَّبِّي بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة ـ ولما قُتِل فُقِد جسده، ولا ذِكْر لهوْبَجَة فيما وَقَفْتُ عليه من نُسَخِ الإصابة للحافظ ولا للقاموس مع ذِكْر الذهبي له في التجريد وأن له وِفادة وهجرة. وزاد ابن سعد، والعدوي، وابن جرير الطبري: زيد بن عُبَيْد بن المُعَلَّى الأنصاري. وزاد ابن إسحاق كما في الإصابة، وجَزَمَ به في الزهر: عبد الله بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة قال ابن الأثير: قُتِل باليمامة في الأكثر، وقال الذهبي الأصح ببدر وقيل باليمامة وقيل بمؤتة. وزاد ابن الكلبي، وابن سعد، والزبير بن بَكَّار: هَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وقال عُرْوة، وابن شهاب الزهري وابن إسحاق وابن سعد استُشْهِد بأَجْنَادين، وقال سيف بن عمر: استُشْهِد باليَرْمُوك. وزاد ابن عُقْبَة: عبد الله بن الربيع الأنصاري، ومُعاذ بن ماعص ـ بالعين والصاد المهملتين، ووقع في نسخة من مغازي موسى بن عقبة أن الذي استُشْهِد بمؤتة أخوه عَبَّاد.

وقال في البداية بعد أن ذكر جميع من قُتِل بمؤتة من المسلمين: «[فالمجموع على القولين] اثنا عشر رجلا، وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عِدّتُها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة عِدَّتُها مائتا ألف مقاتل: من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون، ثم مع هذا كله لا يُقْتَل من المسلمين سوى اثني عشر رجلاً وقُتِل من المشركين خلق كثير هذا خالد وحده يقول: «لقد انْدَقَّت في يدي يومئذ تسعة أسياف وما صَبَرت في يدي إلا صفيحة يمانية». فماذا تُرَى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟ دَعْ غَيْرَه من الأبطال والشجعان من حملة القرآن وهذا مما يدخل في قوله تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العَيْنِ واللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَار**﴾ [آل عمران ١٣].

ذكر رجوع المسلمين إلى المدينة وتلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لهم

قال ابن عائذ رحمه الله تعالى: وقَفَل المسلمون فَمَرُّوا في طريقهم بقرية لها حِصْن كان [أهلها] قتلوا في ذهاب المسلمين رجلاً من المسلمين فحاصروهم حتى فتحه الله عليهم عَنْوَةً وقتل خالد مقاتِلتَهم. وروى إسحاق عن عُرْوَة قال: لما أَقْبَل أصحاب مؤتة تَلَقَّاهم رسول الله ﷺ والمسلمون معه. قال: وجعل الناس يَحْثُون على الجيش التراب ويقولون: يا

فُرّار فَرَرْتُم في سبيل الله. قال: فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفُرّار ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى»[(١)].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجة عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فَحَاصَ الناس وكنت فيمن حاص. وفي رواية: فلما لَقِينا العدوّ في أول غادية فأردنا أن نركب البحر فقلنا كيف نصنع وقد فَرَرْنا من الزحف؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة [قُتِلْنا]، فَقَدِمْنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا. ثم قلنا لو عَرَضْنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فاعتذرنا إليه، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا. فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال: «من القوم؟». قلنا نحن الفرّارون، قال: «بل أنتم الكرّارون وأنا فئتكم». أو قال: «وأنا فِئة كل مسلم». قال: فقَبّلنا يَدَه[(٢)].

وروى ابن إسحاق عن أم سلمة [زوج النبي ﷺ] رضي الله تعالى عنها أنها قالت لامرأة سَلَمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: ما لي لا أرى سَلَمة يَحْضُر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج كلما خرج صاح به الناس: يا فُرّار فَرَرْتُم من سبيل الله، حتى قعَدَ في بيته فما يخرج، وكان في غزوة مؤتة.

وعن خزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: «حضرت مؤتة وبرز لي رجل منهم فأَصَبْتُه وعليه بَيْضَة فيها ياقوتة فلم يكن هَمّي إلا الياقوتة فأخذتها. فلما انكشفنا رجعنا إلى المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فَنَفّلنيها، فبِعْتُها زمن عثمان بمائة دينار فاشتريت بها حديقة نخل». رواه البيهقي.

قال في البداية: لعل طائفة منهم فَرّوا لما عايَنوا كثرة جموع العدوّ على ما ذكروه مائتي ألف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف، ومثل هذه يُسَوّغ الفِرار، فلما فَرّ هؤلاء ثَبَت باقيهم وفتح الله عليهم وتَخَلّصوا من أيدي أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الزهري وموسى بن عقبة والعَطّاف بن خالد، وابن عائذ، وحديث عوف بن مالك السابق يقتضي أنهم غَنِموا منهم وسلبوا من أشرافهم وقتلوا من أُمرائهم وقد تقدم فيما رواه البخاري أن خالداً رضي الله تعالى عنه قال: «اندقت في يدي تسعة أسياف إلخ» يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً ولو لم يكن كذلك لما قَدَروا على التخلص منهم وهذا وحده دليل مستقل.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٩٣/١/٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٢/ ٥٢(٢٦٤٧). والترمذي ٤/ ١٨٦(١٧١٦). وأحمد في المسند ١١١/٢ والبيهقي في السنن ٧٨/٩ وأبو نعيم في الحلية ٥٧/٩.

تنبيهات

الأول: مؤتة: بضم الميم وسكون الواو وبغير همز لأكثر رواة الصحيح وبه جزم المُبَرِّد، ومنهم من همز وبه جزم ثعلب، والجوهري، وابن فارس، وحكى صاحب الوافي الوَجْهَيْن. وأما الموتة التي وردت الاستعاذة منها وفُسِّرت بالجنون فهي بغير همز والأولى قرية من قرى البلقاء وهي كورة من أعمال دمشق.

الثاني: المعروف بين أهل المغازي أن مسيرة مُؤْتَة كانت سنة ثمان لا يختلفون في ذلك إلا ما ذكر خليفة بن خَيَّاط ـ بالخاء المعجمة وتشديد التحتية ـ في تاريخه أنها سنة سبع.

الثالث: وقع في جامع الترمذي في الاستئذان وفي الأدب في باب ما جاء في إنشاد الشعر أن غزوة مؤتة كانت قبل عُمْرَة القضاء، قال في النور: وهذا غلط لا شك فيه. قلت: وتقدم بيان ذلك مبسوطاً في عُمْرَة القضاء.

الرابع: عَقَر جعفر رضي الله تعالى عنه فَرَسه، رواه أبو داود من طريق محمد بن سَلَمة عن ابن إسحاق قال عن يحيى بن عَبَّاد عن أبيه عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير قال حدثني أبي الذي أرضعني فذكره وقال: ليس هذا الحديث بالقوي. وقد جاء نهي كثير من أصحاب رسول الله ﷺ، [عن تعذيب البهائم وقتلها عبثاً] كذا قال أبو داود: إنه ليس بقوي وابن إسحاق حسن الحديث وقد صرح بالتحديث في رواية زياد البَكّائي فقال حدثني يحيى بن عَبَّاد، ويحيى وأبوه ثِقتان، وجهالة اسم الصحابي لا تَضُرّ، ورواه أيضاً عن ابن إسحاق عبد الله بن إدريس الأودي كما في مستدرك الحاكم فسند الحديث قوي. وإنما عَقَره لئلا يَظْفَر به العدوّ فيتقوى به على قتال المسلمين. واختلف العلماء في الفرس يَعْقِره صاحبه لئلاً يَظْفَر به العدو، فرخَصَّ فيه مالك وكَرِه ذلك الأوزاعي والشافعي، واحْتَجَّ الشافعي بحديث النبي ﷺ: «مَنْ قَتَل عُصفوراً فما فوقه بغير حَقِّه يسأله الله تعالى عن قتله». واحْتُجَّ بِنَهْيه ﷺ عن قتل الحيوان إلا لِمَأْكَلَة. قال: وأما أن يَعْقِر الفرس من المشركين فله ذلك لأن ذلك أَمْرٌ يَجِدُ به السبيل إلى قَتْل من أُمِر بقتله.

الخامس: في رواية سعيد بن أبي هلال كما في الصحيح عن أبي مَعْشَر كما في سُنَن سعيد بن منصور عن نافع عن ابن عمر أنه أخبره «أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فَعَدَدْتُ به خمسين بين طَعْنَة وضَرْبة ليس منها ـ أو قال فيها ـ شيءٌ في دُبُرِه».

وفي رواية عبد الله بن سعيد بن أبي هِنْد الفزاري كما في الصحيح والعُمَري كما عند

ابن سعد عن نافع عن ابن عمر قال: «التمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى في جَسَدِه بضع وتسعون من طعنة ورَمْيَة». فظهر ذلك التخالف، قال الحافظ: ويجمع بأن العَدَد قد لا يكون له مفهوم أو بأن الزيادة باعتبار ما وُجِد فيه من رَمْي السهام فإن ذلك لم يُذْكر في الرواية الأولى أو الخمسين مُقَيَّدة بكونها ليس فيها شيء في دُبُرِه أي ظَهْرِه، فقد يكون الباقي في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه وَلَّى دُبُرَه، وإنما هو محمول على أن الرَّمْي جاءه من جهة قفاه أو جانبيه، ولكن يريد الأول أن في رواية العُمَري عن نافع: فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده بعد أن ذكر العدد بضعاً وتسعين. ووقع في رواية البيهقي في الدلائل بضع وسبعون ـ بتقديم السين على الموحدة ـ وأشار أن بضعاً وتسعين بتقديم الفوقية على السين أَثْبَت.

السادس: قوله: «فأثابه الله تعالى جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء». أي عَوَّضه الله تعالى جناحين عن قطع يَدَيْه في تلك الوقعة حيث أخذ اللواء بيمينه فقُطِعت، ثم أخذه بشماله فقُطِعت ثم احتضنه فقُتِل. وروى البيهقي أحد رواة الصحيح عن البخاري أنه قال: يُقال لكل ذي ناحيتين جناحان، أشار بذلك إلى أن الجناحين ليس على ظاهرهما. وقال السُّهَيْلي: «[ومما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما] ليسا كما يسبق إلى الوَهْم على مثل جناحَيْ الطائر وريشه، لأن الصورة الآدمية أشرف الصُوَر وأكملها... فالمراد بالجناحَيْن صفة مَلَكِيَّة وقوة روحانية أُعْطِيها جعفر [كما أعطيتها الملائكة] وقد عَبَّر القرآن عن العَضُد بالجَنَاح توسعاً في قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ [طه ٢٢] وقال العلماء في أجنحة الملائكة إنها ليست كما يُتَوَهَّم من أجنحة الطير ولكنها صفات مَلَكِّية لا تُفْهَم إلا بالمعاينة. فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح ولا يعد للطائر ثلاثة أجنحة فضلاً عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خَبَرٌ في بيان كيفيتها فيُؤْمَنْ بها من غير بحث عن حقيقتها». انتهى.

قال الحافظ: «وهذا الذي جَزَم به في مقام المَنْع والذي نقله عن العلماء ليس صريحاً في الدلالة على ما ادّعاه ولا مانع من الحَمْل على الظاهر إلا من جهة ما ذكره من المعهود وهو من قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية أشرف الصُوَر لا يمنع من حمل الخَبَر على ظاهره لأن الصورة باقية»، وقد روى البيهقي في الدلائل من مُرْسَل عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري أن جَنَاحَيْ جعفر من ياقوت وجاء في جَنَاحَيْ جبريل أنهما من لُؤْلُؤ، أخرجه ابن مَنْدَه في ترجمة وَرَقَة بن نَوْفَل من كتاب المعرفة.

السابع: أكثر الآثار تدل على أن المسلمين هزموا المشركين، وفي بعضها أن خالداً انحاز بالمسلمين، وقد تقدم بيان ذلك. قال الحافظ: ويمكن الجمع بأن يكون المسلمون

هزموا جانباً من المشركين وخشي خالد أن يتكاثر الكُفَّار عليهم. فقد مَرَّ أنهم كانوا أكثر من مائتي ألف، فانحاز عنهم حتى رجع بالمسلمين إلى المدينة.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية يمكن الجمع بأن خالداً لما انحاز بالمسلمين بات ثم أصبح وقد غَيَّر بَقِيَّة العسكر كما تقدم، وتوهم العدوّ أنهم قد جاءهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فَولُّوا فلم يتبعهم، ورأى الرجوع بالمسلمين مع الغنيمة الكبرى.

الثامن: إنما رَدَّ ﷺ السَّلَب إلى خالد بعد الأمر الأول بإعطائه للقاتل نوعاً من النكير، ودعا له، لئلا يتجرأ الناس على الأئمة، وكان خالد مجتهداً في صنيعه ذلك، فأمضى رسول الله ﷺ اجتهاده لما رأى في ذلك من المصلحة العامة بعد أن خَطَّأه في رأيه الأول، ويُشْبِهُ أن يكون النبي ﷺ عَوَّض المَدَدِيّ من الخُمُس الذي هو له وأرضى خالداً بالصفح عنه وتسليم الحكم له في السَّلَب.

التاسع: في بيان غريب ما سبق:

أدنى البلقاء من أرض الشام: أي أقرب.

البَلْقَاء: بفتح الموحدة وسكون اللام وبالقاف وألف تأنيث مقصورة كورة ذات قُرَى ومزارع من أعمال دمشق.

لِهْب: بكسر اللام وسكون الهاء وبالموحدة: بطن من الأزْد.

تلك بُصْرى: اسمه: [الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّاني].

عَرَض له: تَصَدَّى له ومنعه من الذهاب.

شُرَحْبِيل: بضم الشين المعجمة وفتح الراء وسكون الحاء المهملة وكسر الموحدة: اسم أعجمي لا ينصرف.

الغَسَّاني: بفتح الغين المعجمة وبالسين المهملة المشددة.

قُتِل صبراً: أُمْسِك حَيّاً ثم رُمِيَ بشيء حتى مات.

نَدَب الناس: دعاهم.

الجُرُف: بضم الجيم والراء كما قال الحازمي وأبو عبيد البكري والقاضي وقال ياقوت وتَبِعه المجد اللغوي بالضم فالسكون: على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام.

رواحة: بفتح الراء وتخفيف الواو وبالحاء المهملة.

شرح غريب ذكر طعن بعض الصحابة في إمارة زيد بن حارثة وغريب ذكر سير المسلمين

قوله تَطْعَنُون: بضم العين وفتحها.

وأيم الله: من ألفاظ القَسَم كقولك: لَعَمْر الله، وفيها لغات، وتفتح همزتها وتُكْسَر، وهمزتها همزة وَصْل وقد تُقْطَع.

لَخَلِيق: بفتح اللام والخاء المعجمة وكسر اللام الثانية وسكون التحتية وبالقاف أي حقيق وجدير.

أَرْهَب: أخاف.

وَدَّع الناسُ: بالرفع فاعل.

أُمَرَاءَ: بالنصب مفعول، وبالعكس فإن من وَدعَّك فقد وَدَّعْته والأول أَوْلَى لما سيأتي.

وُدِّع عبد الله: بالبناء للمفعول.

أَمَا والله: بتخفيف الهمزة وتخفيف الميم.

الصَّبَابة: بفتح الصاد المهملة: رقَّة الشوق وحرارته، وهي بالرفع تقديره: ولا لي صبابة.

الورود: في الآية [مريم ٧١] الحضور والموافاة من غير دخول أو الدخول، والعرب تطلق الورود على هذين المَعْنَيَيْن.

الصَّدَر: بفتح الصاد والدال المهملتين وبالراء، اسم من قولك صَدَرْتُ عن البلد أي رَجَعْت.

ذات فَرْغ: بفتح الفاء وسكون الراء وبالغين المعجمة: أي واسعة.

تَقْذِف: بالقاف والذال المعجمة والفاء: تَرْمِي.

الزَّبَد: بفتح الزاي والموحدة وبالدال المهملة ما يعلو الماء [من الرغوة وكذلك] الدم.

حَرَّان: بفتح الحاء المهملة والراء المشددة وبالنون: تَلَهُّب الجوف.

مُجْهِزة: بميم مضمومة فجيم ساكنة فهاء مكسورة وبالزاي فتاء تأنيث: سريعة القتل.

الأَحشاء: جمع حَشا وهو ما في البطن.

الجَدَث: بالجيم والدال المهملة وبالمثلثة: القَبْر والجمع أَجْدَاث وأَجْدُث.

رَشَد: بفتح الشين المعجمة وكسرها.

نافلة: هبة من الله وعَطِيَّةٌ منه، والنوافل العطايا والمواهب.

أَزْرَى به القَدَرُ: قَصَّر به تقول أَزْرَيْتُ بفلان إذا قَصَّرْت به.

خَلَفَ السَّلاَمُ: دعاء منه للنبي ﷺ بالسلامة.

ثَنِيَّة الوداع: تقدم الكلام عليها في شرح غريب الهجرة، وفي هذا دليل على أنها شاميّ المدينة.

المَفَاحِص: جمع مَفْحَص بفتح الميم والحاء المهملة بينهما فاء ساكنة، وبالصاد المهملة، وهو في الأصل مكان مَجْثَم القطاة لتبيض، يقال فَحَصَتْ القطاةُ فَحْصاً من باب نَفَع حَفَرَتْ في الأرض مَوْضِعاً لتبيض فيه، فاسْتُعِير هنا لِتَمَكُّن الشيطان منهم.

الإفحاص: الحَفْر.

الضَّرَع: بفتح الضاد المعجمة والراء والعين المهملة: والضارع بكسر الراء النحيف الضاوي الجسم.

الذِّمَّة: الأمانة.

غَدَا يَغْدو غُدُوّاً من باب قَعَد: ذهب غُدْوَةً وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.

الرَّوْحة: بفتح الراء وسكون الواو: وقت لما بين زوال الشمس إلى الليل.

شرح غريب ذكر مسير المسلمين بعد الوداع

أَرْقَم: بفتح أوله وسكون الراء وبالقاف.

الحَقِيبة: بفتح الحاء المهملة وكسر القاف وسكون التحتية وبالموحدة وتاء تأنيث: ما يجعله الراكب وراءه.

الحِسَا: بكسر احلاء وبالسين المهملتين والمَدّ. قال في المصباح: اسم موضع. وقال في المراحل: مياه لبني فزارة بين الرَّبَذَة ونَخْل يقال لمكانها ذو حِسّ. وقال في الإملاء: الحِسَاء جمع حَسْي وهو ماء يغور في الرَّمْل وإذا بُحِث عنه وُجِد.

فَشَأْنُك: أَمْرك.

أَنْعُم: جمع نعمة أي إحسان.

وخَلاَكِ ذَمٌّ بالخاء في خلاك والذال في ذم المعجمتين: فارقك فلست بأهل له.

ولا أَرْجِعْ: مجزوم بالدعاء أي اللهم لا أرجع.

آبَ: بالمد رجع.

غَادَرَهُ: تركه.

مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ: بضم الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفوقية وكسر الهاء: أي لا أريد الرجوع، ومَنْ رواه مُسْتَنْهِي بسين مهملة ففوقية فنون فهو مُسْتَفْعِل من النهاية والانتهاء حيث انتهى مثواه، والثَّوَاء بالثاء المثلثة فواو فهمزة ممدودة: الإقامة.

البَعْل: بفتح الموحدة وسكون العين المهملة وباللام: الذي يشرب بعروقه من الأرض.

أسافلها رواء: من رواه بكسر الراء فمعناه ممتنعة من الماء ومَنْ رواه بالرفع فهو إقواء.

خَفَقَنِي: ضربني.

اللُكَع: بضم اللام: الأحمق والصغير وغير ذلك، والأول والثاني المراد به، كأنه قال: يا صَبِيّ.

النَّصَب: بنون فصاد مهملة مفتوحتين فموحدة: التَّعَب.

شُعْبَتَيْ الرَّحْل: طَرفاه المُقَدَّم والمُؤَخَّر.

يا زَيْد: أي ابن أرقم كما ذكر ابن إسحاق، وقال غيره: بل أراد زيد بن حارثة، ويجوز فيه الضَّمّ والنَّصْب، وزَيْد الثاني بالنَّصْب.

اليَعْمَلاَت: بتحتية مفتوحة فعين مهملة ساكنة فميم مفتوحة جَمْع يَعْمَلَة وهي الناقة النجيبة المطبوعة على العمل.

الذُبَّل: بذال معجمة مضمومة فموحدة مُشَدَّدَة مفتوحة وباللام جمع ذابل وهي التي أضعفها السَّيْر فَقَلَّ لحمها. قال في النور فَسَّرها بالقَرْد وفيه نظر.

هُدِيتُ: بضم الهاء وكسر الدال المهملة وفتح الفوقية على الخطاب.

معان: بفتح الميم كما في المراحل والقاموس وفي عدة نُسَخ من معجم أبي عُبَيْد البكري بضم الميم، ونقل عنه في الزهر بباء موحدة بعد الألف وبغير همز، كذا قال، ونص في المراحل على أنه مهموز.

لَخْم: بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وبالميم.

جُذَام: بضم الجيم وبالذال المعجمة وبعد الألف ميم.

قُضَاعة: بضم القاف وبالضاد المعجمة وبعد الألف عين مهملة.

بَلْقَيْن: [وهم بنو القَيْن من قضاعة].

بَهْرَاء: بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالراء ومَدّ الهمزة.

بَلِيّ: بفتح الموحدة وكسر اللام وتشديد التحتية.

إراشة: [من بَلِيّ].

رَافِلة: براء فألف ففاء مكسورة فلام فتاء تأنيث.

يُمِدُّنا: بضم التحتية وكسر الميم.

التُخُوم: بضم الفوقية والخاء المعجمة جمع تُخْم بضم الفوقية وسكون الخاء المعجمة: الحَدّ الذي يكون بين أرض وأرض. وقال ابن الأعرابي وابن السِّكِّيت: الواحد تخوم [والجمع تُخُم] كرسول ورُسُل.

مَشَارِف: بفتح الميم وبالشين المعجمة المخففة وبعد الألف راء مكسورة ثم فاء، وظاهر كلام ابن إسحاق أنها غير مُؤْتَة. وقال في الزهر: وليس كذلك بل هما اسمان على مكان واحد. وقال المُبَرِّد: المشرفية سيوف نُسِبت إلى المشارف من أرض الشام وهو الموضع المُلَقَّب بمؤتة الذي قُتِل به جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

الضَّبَابَة: سَحاب رقيق كالدخان.

الكُرَاع: وزن غُرَاب، وهو هنا جماعة الخَيْل خاصة.

بَرِق بصره: بكسر الراء تَحَيَّر فزعاً وأصله من بَرِق الرجل إذا نظر إلى البَرْق فدهش بصره وقوي، بَرَق بفتح الراء من البريق أي لمع.

ثابت: بالثاء المثلثة فألف فموحدة ففوقية.

أَقْرَم: بفتح أوله وسكون القاف.

فَتَعَبَّأ: بفتح الهمزة في آخره.

عُذْرَة: بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة وبالراء وتاء تأنيث.

قُطْبَة: بضم القاف وسكون الطاء المهملة وبالموحدة.

عَبَاية: بفتح العين المهملة وتخفيف الموحدة وبالتحتية آخره.

شرح غريب ذكر التحام القتال

شاط في رماح القوم: قُتِل برماحهم.

أُلْحِم الرجل واسْتُلْحِم ـ بالبناء للمفعول ـ فيهما إذا نَشَب في الحرب فلم يَجِدْ له مَخْلَصاً وأَلْحَمه غَيْرُه فيها ولُحِم إذا قُتِل فهو ملحوم ولَحِيم.

اقتحم الإنسان: رَمَى بنفسه في الأمر العظيم من غير رَوِيَّة، وقد قيل إن هذا يفعله الفارس من العرب إذا أُرْهِق وعَرَف أنه مقتول فينزل ويجالد العَدُوّ راجلاً.

عَرْقَبَ الدَّابَّة: قطع عُرْقُوبَها وهو الوتر الذي خلف الكعبين بين مَفْصِل القدم وبالساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فُوَيْق العَقِب.

العَقْر: بفتح العين المهملة وسكون القاف وبالراء، وهو هنا ضَرْب قوائم الدَّابَّة وهي قائمة بالسيف.

احْتَضَنَهُ بِعَضُدَيْه: أخذه بِحِضْنِه والحِضْن ما تحت العَضُد إلى أسفل منه.

قَطَّعَه: بفتح القاف والطاء المهملة المُشَدَّدَة، وقَطَعَه بمعنى واحد.

أَجْلَبَ الناس: أصاحوا.

الرَّنَّة: بفتح الراء وبالنون المُشَدَّدَة الصوت بِحُزْن.

النُّطْفَة: الشيء اليسير جداً من الماء.

الشَّنَّة: بفتح الشين المعجمة والنون المشددة: السِقَاء البالي فيوشك أن تُهْرَاق النُّطْفَة وينخرق السِقَاء، ضَرَب ذلك مَثَلاً له لنفسه في جَسَدِه.

الحِمَام: بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم.

صَلِيتِ: بفتح الصاد المهملة وكسر اللام وسكون التحتية.

أُعْطِيتِ: بالبناء للمفعول.

فِعْلُهُما: يعني زيد بن حارثة وجعفراً.

العَرْق: بفتح العين وسكون الراء وبالقاف: العَظْم بما عليه من بقية اللحم.

انْتَهَسَ: بكسر أوله وسكون النون وفتح الفوقية وبالسين المهملة: أخذ اللحم بمقدم أسنانه.

الحَطْمَة: بفتح الحاء وسكون الطاء المهملتين: ازدحام الناس وحَطْم بعضهم بعضاً.

ثابت: بثاء مثلثة وموحدة وفوقية.

أَقْرَم: بفتح أوله وسكون القاف وبالراء والميم.

خَاشَى بهم: بالخاء والشين المعجمتين فَاعَلَ من الخشية أي أَبْقَى عليهم وحذِر [فانحاز] يقال خاشَيْتُ فلاناً أي تاركته.

انحاز: تَنَحَّى عن موضعه وانحيز عنه بالبناء للمفعول.

الشِّرْذِمَة: بالكسر القليل من الناس.

العَطَّاف: كشَدَّاد الذي يَكُرُّ مَرَّةً بعد أُخرى.

ابن عايذ: بالتحتية والذال المعجمة.

الوَطِيس: شبه التنور أو الضِراب في الحَرْب. والوَطيس الذي يَطِسُ الناس أي يدقهم وقال الأصمعي هو حجارة مُدَوَّرة إذا حَمِيَتْ لم يَقْدِر أحد يطؤها، ولم يُسْمَع هذا الكلام من أحد قبل النبي ﷺ [وهو من فصيح الكلام] عَبَّر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق.

البُرْقَاني: بضم الموحدة فراء فقاف.

الأَشْجَعِي: [بفتح أوله فشين معجمة فعين مهملة فتحتية].

المدَدِيّ: بدالين مهملتين جمعه أمداد، وهم من أهل اليمن أي الغُزَاة الذين يُمِدُّون جيوش الإسلام.

صَفْوُ الشيء: خُلاَصته بفتح الصاد لا غير، فإذا ألحقوا التاء ثَلَّثوا الصاد ومنه لكم صفوة أمرهم يعني أن مقاساة جمع المال وحفظ البلاد ومداراة الناس على الأمراء، وللناس أعطياتهم، ثم ما كان من خَطَأٍ في ذلك أو غفلة أو سوء فإنه على الأمراء، والناس منه بَرَاء.

الكَدَر: بفتح الكاف والدال المهملة ضد الصفاء.

في يَدِي: بكسر الدال.

انْدَقَّتْ: انقطعت.

الصفيحة: بصاد مهملة مفتوحة ففاء مكسورة فتحتية ساكنة فحاء مهملة: السيف العريض.

يمانِيَة: بتخفيف التحتية الثانية وحُكِي تشديدها.

ابن زَافِلة: بزاي فألف ففاء مكسورة.

الإراشة: منسوب إلى إراشة بكسر الهمزة وبالشين المعجمة.

انحطم: انكسر.

الجيد: العُنُق.

السَّلَم: بفتح السين المهملة واللام ضَرْبٌ من الشجر الواحدة سَلَمة.

رَقُوقَيْن: قال في الإملاء اسم موضع قال ويُرْوَى رَقُوفَيْن بالفاء بعد الواو وقَبْل التحتية. قلت ولم أجد له ذِكْراً فيما وقفتُ عليه من أسماء الأماكن.

يَعْلَى: بفتح التحتية وسكون العين المهملة وفتح اللام.

مُنْيَة: بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية.

المُعْتَرَك: بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح الفوقية والراء وبالكاف: المَعْرَكة بفتح الميم موضع القتال.

الإزورار: العدول والانحراف.

الصُّدُود: الإعراض.

الفِئَة: بكسر الفاء وفتح الهمزة قال الراغب الطائفة المتضافرة التي يرجع بعضها إلى بعض، وقال ابن الأثير في الجامع: الفئة الجماعة الذين يُرْجَع إليهم عن موقف الحرب، يجتمعون إليهم أي يفيئون إليهم، انتهى. ولا واحد لها من لفظها، وجمعها فِئَات، وقد تُجْمَع بالواو والنون.

حاص الناس: بحاء وصاد مهملتين: جاءوا منهزمين.

العَكَّار: الكرَّار إلى الحرب والعَطَّاف نحوها، يُقَال للرجل يُوَلِّي عن الحرب ثم يَكُرُّ راجعاً إليها عَكَر واعتكر.

الباب السابع والأربعون

في سرية عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه إلى ذات السلاسل في جمادى الآخرة سنة ثمان

قال ابن عُقْبَة وابن إسحاق، وابن سعد، ومحمد بن عمر رحمهم الله تعالى واللفظ له: «بلغ رسول الله ﷺ أن جَمْعاً من قُضَاعة يريدون أن يَدْنوا إلى أطراف مدينة رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عَمْرو بن العاص بعد إسلامه بِسَنة».

وعند ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث عَمْراً يستنفر العرب إلى الشام، فَعَقَد له لواءً أبيض وجعل معه رايةً سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سَرَاة المهاجرين والأنصار، وأمره أن يستعين بمن مَرَّ به من العرب: من بُلَيّ[1]، وعُذْرَة، وبَلْقَيْن، وذلك أن عَمْراً كان ذا رَحِم فيهم، كانت أم العاص بن وائل بَلَوِيَّة، فأراد رسول الله ﷺ أن يَتَألّفهم بعمرو.

وفي حديث بُرَيْدَة عند إسحاق بن راهويه أن أبا بكر قال: «إن عَمْراً لم يستعمله رسول الله ﷺ إلا لعلمه بالحرب». انتهى. وكان معه ثلاثون فَرَسا، فكان يكمن النهار ويسير الليل حتى إذا كان على ماءٍ بأرض جُذَام يقال له السلاسل ويقال السَّلْسَل وبذلك سُمِّيَت الغزوة ذات السلاسل بلغه أن لهم جَمْعاً كثيراً فبعث عمرو رَافِع بن مَكِيث الجُهَني إلى رسول الله ﷺ يخبره أن لهم جمعاً كثيراً ويستمده. فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجَرَّاح رضي الله تعالى عنه، وعقد له لواء، وبعث معه سَرَاةَ المهاجرين كأبي بكر وعمر بن الخطاب، وعِدَّةً من الأنصار رضي الله تعالى عنهم. وأمر رسول الله ﷺ أبا عبيدة أن يلحق بعمرو بن العاص وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا ـ وكان أبو عبيدة في مائتي رجل حتى لحق بعمرو ـ فلما قدموا أراد أبو عبيدة أن يَؤُمَّ الناس فقال عمرو: «إنما قدمتَ عَلَيَّ مَدَداً لي وليس لك أن تَؤُمَّني وأنا الأمير».

فقال المهاجرون: «كلا بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه». فقال عمرو: «لا، أنتم مَدَدٌ لنا». فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف وكان رجلاً لَيِّناً حَسَن الخلق سَهْلاً هَيِّناً عليه أَمْرُ الدنيا، يسعى لأمر رسول الله ﷺ وعَهْدِه قال: «يا عمرو تَعْلَمَنَّ أن آخر شيء عَهِد إلَيَّ رسول الله ﷺ أن قال: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا، وإنك والله إنْ عَصَيْتَني لأُطِيعَنَّكَ». وأطاع أبو عبيدة عمراً. فكان عمرو يصلي بالناس. وقال عمرو: «فإني الأمير عليك وأنت مَدَدي». قال: «فدونك».

---

(١) انظر معجم البلدان ١/٥٨٦.

وروى الإمام أحمد عن الشعبي مُرْسَلاً قال: «انطلق المغيرة بن شُعْبَة إلى أبي عُبَيْدة فقال: إن رسول الله ﷺ قد استعملك علينا وإن ابن فلان قد اتبع أمير القوم فليس لك معه أمر». فقال أبو عُبَيْدة: «إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو». انتهى. فأطاع أبو عُبَيْدة عمراً فكان عمرو يصلي بالناس، وصار معه خمسمائة، فسار حتى نزل قريباً منهم وهم شاقون، فجمع أصحابه الحَطَب يريدون أن يوقدوا ناراً ليصطلوا عليها من البرد، فمنعهم، فَشَقَّ عليهم ذلك، حتى كلمه في ذلك بعض المهاجرين فغالظه. فقال له عمرو: «قد أُمِرْتَ أن تسمع لي». قال: نعم. قال: فافعل.

وروى ابن حِبَّان، والطبراني برجال الصحيح عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ بعثه في غزوة ذات السلاسل فسأله أصحابه أن يوقدوا ناراً فمنعهم. فكَلَّموا أبا بكر رضي الله تعالى عنه، فكلَّمه فقال: «لا يُوقِدُ أحدٌ منهم ناراً إلا قَذَفْتُهُ فيها»(١).

وروى الحاكم(٢) عن بُرَيْدَة رضي الله تعالى عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في سرية فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو ألاَّ يوقدوا ناراً فغضب عمر بن الخطاب وهَمَّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر وأخبره أن رسول الله ﷺ لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب. فَهَدأ عنه، فسار عمرو الليل وكمن النهار حتى وطئ بلاد العدو ودَوَّخها كلها حتى انتهى إلى موضع بَلَغَهُ أنه قد كان به جَمْع فلما سمعوا به تَفَرَّقوا، فسار حتى إذا انتهى إلى أقصى بلادهم ولَقِي في آخر ذلك جَمْعاً ليسوا بالكثير، فاقتتلوا ساعة وحمل المسلمون عليهم فهزموهم وتَفَرَّقوا ودَوَّخ عمرو ما هنالك وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه [إلا قاتلهم]. وكان يبعث أصحاب الخَيْل فيأتون بالشاءِ والنَّعَم فكانوا ينحرون ويأكلون ولم يكن أكثر من ذلك، لم يكن في ذلك غنائم تُقَسَّم، كذا قال جماعة.

قال البلاذري: فلقي العدوّ من قضاعة، وعامِلة، ولَخْم، وجُذَام، وكانوا مجتمعين فَفَضَّهم وقتل منهم مَقْتَلة عظيمة وغَنِمَ. وروى ابن حِبَّان والطبراني عن عمرو أنهم لَقوا العدوّ، فأراد المسلمون أن يَتْبَعوهم فمنعهم. وبعث عمرو عوْف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه بشيراً إلى رسول الله ﷺ بقفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥/٣٢٣ وقال: رواه الطبراني بإسنادين ورجال الأول رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الحاكم ٣/٤٢ في كتاب المغازي وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

ذكر وصية أبي بكر رضي الله تعالى عنه لرافع بن أبي رافع بن عميرة الطائي رضي الله تعالى عنه

روى ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، عن رافع رضي الله تعالى عنه قال: «كنت امرءاً نصرانياً وسُمِّيتُ سَرْجِس فكنت أَدَلَّ الناس وأَهْدَاه بهذا الرمل، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية، ثم أُغِير على إِبِلِ الناس فإذا أَدْخَلْتُها الرمل غلبت عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه حتى أَمُرَّ بذلك الماء الذي خَبَّأْتُ في بَيْض النَّعَام فأستخرجه فأشرب منه. فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل».

قال: «فقلت والله لأَخْتَارَنَّ لنفسي صاحباً». قال: «فَصَحِبْتُ أبا بكر رضي الله تعالى عنه فكنت معه في رَحْلِه. وكانت عليه عَبَاءة فَدَكِيَّة فكان إذا نزلنا بسطها، وإذا رَكِبنا لَبِسها ثم شَكَّها عليه بخِلال له. وذلك الذي يقول أهل نجد ـ حين ارْتَدُّوا كُفَّاراً ـ نحن نبايع ذا العباءة».

قال: «فلما دَنَوْنا من المدينة قافلين قلت: يا أبا بكر رحمك الله، إنما صَحِبْتك لينفعني الله تعالى بك، فانصحني وعلِّمني». قال: «لو لم تسألني ذلك لفعلت. آمرك أن تُوَحِّد الله تعالى ولا تُشْرِك به شيئاً وأن تقيم الصلاة وأن تؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتَحُجَّ البيت وتغتسل من الجنابة ولا تَتَأَمَّرَنَّ على رجلين من المسلمين أبداً». قال: «قلت يا أبا بكر: أما ما أمرتني به من توحيد الله عز وجل فإني والله لا أُشْرِك به أحداً أبداً، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله تعالى، وأما الزكاة فإن يكن لي مال أُؤَدِّها إن شاء الله تعالى، وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله تعالى، وأما الحج فإن أَسْتَطِعْ أَحُجَّ إن شاء الله تعالى، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله تعالى، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يصيبون هذا الشرف وهذه المنزلة عند الناس إلا بها فلِمَ تنهاني عنها»؟.

قال: «إنك استنصحتني فَجَهَدْتُ لك نفسي وسأُخبرك عن ذلك إن شاء الله، إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طَوْعاً وَكَرْهاً، فلما دخلوا فيه أَجَارهم الله من الظلم، فهم عُوَّاذ الله وجيرانه وفي ذمته وأمانته، فإياك أن تُخْفِرَ ذِمَّةَ الله في جيرانه فَيَتْبَعَكَ الله تعالى في خُفْرَتِه فإن أحدكم يُخْفَر في جاره فيظلّ نَاتِئاً عَضَلُه غَضَباً لجاره أَنْ أُصِيبت له شاةٌ أو بعير فالله أَشَدّ غضباً لجاره». وفي لفظ: «فالله من وراء جاره».

قال: ففارقته على ذلك، فلما قُبِض رسول الله ﷺ واسْتُخْلِفَ أبو بكر على الناس قَدِمْتُ عليه فقلت له: يا أبا بكر أَلم تَكُ نَهَيْتَنِي عن أن أَتأمَّر على رجلين من المسلمين؟ قال: «بلى وأنا الآن أَنهاك عن ذلك». فقلت له: «فما حَمَلَك على أن تَلِيَ أَمْرَ الناس؟» قال: «اختلف

الناس وخشيت عليهم الهلاك». وفي رواية: «الفُرْقَة ودعوا إليّ فلم أجد بُدّاً من ذلك».

ذكر احتلام عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه

روى محمد بن عمر، عن أبي بكر بن حَزْم رحمه الله تعالى قال: «احتلم عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه حين قفلوا في ليلة باردة كأشد ما يكون البَرْد، فقال لأصحابه: ما تَرَوْن؟ قد والله احتلمت فإن اغتسلت مُتّ. فدعا بماء وتوضأ وغسل فرجه وَتَيَمَّم، ثم قام وصلى بالناس، فلما قدم عمرو على رسول الله ﷺ سأله عن صلاته فأخبره وقال: والذي بعثك بالحق إني لو اغتسلت لَمُتّ، لم أجد بَرْداً قط مثله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء ٢٩]. فضحك رسول الله ﷺ. ولم يبلغنا أنه قال له شيئاً.

وروى أبو داود عن عمرو نَحْوَه وفيه فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو صَلَّيْتَ بأصحابك وَأَنْتَ جُنُب؟»[١].

ذكر قصة عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه في الجزور

روى البيهقي من طريق ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب[٢] قال: حُدِّثْت عن عوف بن مالك. ومن طريقين عن سعيد بن أبي أيوب[٣] وابن لهيعة[٤] عن يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط[٥] أخبره عن مالك بن هَرِم أظنه عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه واللفظ لابن إسحاق، قال: «كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، وهي غزوة ذات السلاسل، فَصَحِبْتُ أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فَمَرَرْتُ بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يَقْدِرون على أن يُبَعِّضُوها. وكنت امرءاً [لَبِقاً] جازراً. فقلت

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٤) وأحمد في المسند ٢٠٣/٤ والبيهقي في السنن ٢٢٥/١ والدلائل ٤٠٢/٤ والحاكم في المستدرك ١١٧/١ والدارقطني ١٧٨/١.

(٢) يزيد بن أبي حبيب مولى شريك بن الطُّفيل الأزدي أبو رجاء المصري عالمها عن عبد الله بن الحارث بن جزء، وأبي الخير اليزني، وعطاء وطائفة. وعنه يزيد بن أبي أنيسة وحيوة بن شريح، ويحيى بن أيوب وخلق قال ابن يونس: كان حليماً عاقلاً، وقال الليث: يزيد عالمنا وسيدنا. وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث مات سنة ثمان وعشرين ومائة الخلاصة ١٦٧/٣.

(٣) سعيد بن أبي أيوب الخُزاعي مولاهم أبو يحيى بن مِقلاص بكسر الميم، وسكون القاف وآخره صاد مهملة المصري. عن جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب. وعنه ابن جريج، وابن وهب، وثقه ابن معين. وقال ابن يونس: توفي سنة إحدى وستين ومائة. الخلاصة ٣٧٤/١.

(٤) عبد الله بن لهيعة بن عقبة المصري الفقيه أبو عبد الرحمن قاضي مصر ومسندها. وروى عن عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، والأعرج، وخلق. وعنه الثوري، والأوزاعي، وشعبة وماتوا قبله، والليث وهو أكبر منه، وابن المبارك، وخلقٌ.وثقه أحمد وغيره. وضعفه يحيى القطان وغيره. مات سنة أربع وسبعين ومائة طبقات السيوطي ١٠٧.

(٥) ربيعة بن لقيط، ذكره أبو الحسن العسكري في الأفراد انظر أسد الغابة ٢١٧/٣.

لهم: أتعطوني منها عَشِيراً على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم. فأخذت الشَّفْرَة فَجَزَأْتُها مكاني وأخذت جُزْءاً، فحملْتُه إلى أصحابي فاطَّبخناه وأكلناه. فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما: أنَّى لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما. فقالا: والله ما أَحْسَنْتَ حين أطعمتنا هذا. ثم قاما يَتَقَيَّآن ما في بطونهما منه. فلما قَفَل الناس [من ذلك السفر]. كنت أوَّل قادم على رسول الله ﷺ - وفي رواية مالك بن هَرِم: ثم أبردوني في فيج لنا فقدمت على رسول الله ﷺ فجئتُه وهو يُصَلِّي في بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال: «أَعَوْفُ بن مالك؟» فقلت: نعم، بأبي أنت وأمي. فقال: «أَصَاحب الجزور؟» ولم يزدني على ذلك شيئاً. وليس في رواية مالك بن هَرِم أنهما أكلا بل ذكر لأبي بكر فيها. زاد محمد بن عمر: ثم قال رسول الله ﷺ: «أخبِرْني». فأخبرته بما كان من سيرنا وما كان بين أبي عُبَيْدة بن الجَرَّاح وعَمْرو بن العاص ومطاوعة أبي عُبَيْدة. فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا عُبَيْدة بن الجراح»(١).

وروى ابن حِبَّان، والطبراني عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن الجيش لما رجعوا ذكروا لرسول الله ﷺ مَنْعِي لهم من إيقاد النار ومن اتِّباعهم العدوّ فقلت: يا رسول الله إني كَرِهْتُ أن يوقِدوا ناراً فيرى عدوُّهم قِلَّتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مَدَد فَيَعْطِفوا عليهم. فَحَمِد رسول الله ﷺ أَمْرَه. وروى البخاري عن أبي عثمان النهدي رحمه الله تعالى، موقوفاً عليه، ومسلم والإسماعيلي والبيهقي عنه قال: سمعت عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذي السلاسل، وفي القوم أبي بكر، وعمر، فحدثت نفسي إنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة عنده. قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه وقلت: يا رسول الله مَنْ أَحبُّ الناس؟ قال: «عائشة». قلت: إني لست أسألك عن أهلك. قال: «فأبوها». قلت: ثمّ مَنْ؟ قال: «عمر». قلت: ثمّ مَنْ؟ حتى عَدَّ رَهْطاً. قلت في نفسي لا أعود أسأل عن هذا، وفي رواية الشيخين: فَسَكَتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم(٢).

تنبيهات

الأول: السلاسل بسينين مهملتين الأولى مفتوحة على المشهور الذي جزم به أبو عبيد البكري، وياقوت، والحازمي، وصاحب القاموس، والسيد وخَلْق لا يُحْصَوْن، والثانية مكسورة واللام مُخَفَّفة. وقال ابن الأثير بضم السين الأولى. وقال في زاد المعاد بضم السين وفتحها لغتان كذا قال. وصاحب القاموس مع اطلاعه لم يَحْكِ في الغزوة إلا الفتح، وعبارته: «السَّلْسَل

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤٠٢/٤ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٥٠/١.

(٢) أخرجه البخاري ٦/٥ ومسلم في كتاب الفضائل (٧) وأحمد في المسند ٢٠٣/٤ والبيهقي في السنن ١٧٠/٦.

كجعفر وَتَخَلْخَال الماءُ العَذْب أو البارد كالسُّلاَسِل بالضم». ثم قال: «وَتَسَلْسَل الماءُ جَرَى في حُدور... والسَّلْسَلَة اتصال الشيء بالشيء، والقطعة الطويلة من السَّنام، وَيُكْسَر، وبالْكَسْر دائِرٌ من حديد ونحوه. والسَّلاَسِل رَمْلٌ يَتَعَقَّد بعضه على بعض وينقاد.. وَثَوْب مُسَلْسَل فيه وشيءٌ مُخَطَّط، وغزوة ذات السَّلاسِل هي وراء وادي القُرَى».

وقال النووي في التهذيب: أظن أن ابن الأثير استنبطه من صحاح الجوهري من غير نقل عنده فيه ولا دلالة في كلامه. قلت وعبارة الجوهري: «وماءٌ سَلْسَل وسَلْسَال سَهْل الدخول في الحَلْق لعذوبته وصفائه، والسُّلاَسِل بالضَّمّ مثله، ويقال معنى يتسلسل أنه إذا جَرَى أو ضربته الريح يصير كالسِّلْسِلَة».

وقال ابن إسحاق وجَمْعٌ: «هو ماءٌ بأرض جُذَام وبه سُمِّيَت الغزوة». وقال أبو عبيد البكري: «ذات السَّلاَسِل بفتح أوله على لفظ جمع سلْسِلَة رَمْلٌ بالبادية». انتهى. فعلى هذا سُمِّي المكان بذلك لأن الرمل الذي كان به كان بعضه على بعض كالسِّلْسِلَة. وَأَغْرَبَ من قال: سميت الغزوة بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يُغْزَوْا.

الثاني: ذكر الجمهور ومنهم ابن سعد أنها كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان. وقيل كانت سنة سبع، وبه جزم ابن أبي خالد في صحيح التاريخ.

الثالث: نقل النووي في تهذيبه، والحافظ في الفتح عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر أنه نُقِل الاتفاق، على أنها كانت بعد غزوة مؤتة إلا ابن إسحاق قال قبلها قال الحافظ: وهو قَضِيَّة ما ذُكِر عن ابن سعد وابن أبي خالد. قلت: أما أنه قَضِيَّة ما ذُكِر عن ابن سعد فغير واضح فإن ابن سعد قال كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان، وذَكر في غزوة مؤتة أنها كانت في جمادى الأولى سنة ثمان. وأما ما نُقِل عن ابن إسحاق فالذي في رواية زياد البَكَّائي تهذيب ابن هشام عن ابن إسحاق تأخر غزوة ذات السلاسل عن مؤتة بعِدة غزوات وسرايا، ولم يذكر أنها كانت قبل مؤتة فيُحْتَمَل أنه نَصَّ على ما ذكره ابن عساكر في رواية غير زياد.

الرابع: ليس في تأمير رسول الله ﷺ عمراً على أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما تفضيله عليهما بل السبب في ذلك معرفته بالحرب كما ذكر ذلك أبو بكر لعُمَر كما في حديث بُرَيْدَة، فإن عمراً كان أحد دُهَاة العرب، وكون العرب الذين أَمَرَه رسول الله ﷺ أن يستعين بهم أَخْوَال أبيه كما ذُكِر في القصة فهم أقرب إجابةً إليه من غيره. وروى البيهقي عن أبي معشر عن بعض شيوخه أن رسول الله ﷺ قال: «إنيّ لأُؤمِّر الرجل على القوم وفيهم من هو خير منه لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب»(١).

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤/٤٠٠.

الخامس: في حديث بُرَيْدَة أن عُمَر أراد أن يكلم عَمْراً لما منع الناس أن يوقدوا ناراً. وفي حديث عَمْرو أن أبا بكر كَلَّم عَمْراً في ذلك. ويُجْمَع بين الحديثين بأن أبا بكر سَلَّم لِعَمْروٍ أَمْرَه ومنع عُمَر بن الخطاب من كلامه، فلما أَلَحَّ الناس على أبي بكر في سؤاله سأله حينئذ فلم يُجِبْه ويُحْتَمَل أن مَنْعَ أبي بكر لعمر بن الخطاب كان بعد سؤال أبي بكر لعَمْرو.

السادس: قال في الروض: «إنما كَره أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أجرة مجهولة لأن العَشِير واحد الأعشار على غير قياس. أو بمعنى العُشْر [كالثمين بمعني الثُمْن] ولكنه عاملهم عليه قبل إخراج الجزور من جلدها وقبل النظر إليها أو يكونا كَرِها أَجْرَ الجَزَّار على كل حال والله أعلم».

السابع: في بيان غريب ما سبق:

قُضَاعة: بضم القاف وبالضاد المعجمة والعين المهملة.

السَّرَاة: بفتح السين المهملة جمع سَرِيّ بفتح أوله وكسر الراء وهو الشريف أو ذو المروءة والسخاء.

بَلِيّ: بفتح الموحدة وكسر اللام وتشديد التحتية.

عُذْرَة: بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة وبالراء.

بلْقَيْسن: بفتح الموحدة وسكون اللام وفتح القاف وسكون التحتية وبالسين والنون يعني بني القَيْس وهو من شواذ التخفيف وهم من بني أسد، وإذا نسبت إليهم قلت قَيْسِيّ ولا تقل بَقْلَيْس.

كَمَن النهار: استتر فيه واختفى.

رافِع: بالراء والفاء.

مَكِيث: بفتح الميم وكسر الكاف وسكون التحتية وبالثاء المثلثة.

الجُهَنِي: بضم الجيم وفتح الهاء وبالنون.

المَدَدِيّ: منسوب إلى المَدَد وجَمْعُه أمداد وهم الغُزَاة الذين يُمِدُّون جيوش الإسلام.

الشِّيمَة: بكسر الشين المعجمة: الغريزة والطبيعة والجِبِلَّة التي خُلِق عليها الإنسان.

يصطلون: يستدفئون والاصطلاء افتعال من صلا النار والتَّسَخُّن بها.

قَذَف الشيء: رماه.

بُرَيْدَة: بضم الموحدة وفتح الراء وسكون التحتية.

هَدَأ عنه: بفتح الهاء والدال المهملة والهمز: سكن.

دَوَّخ البلاد: بفتح الدال المهملة وتشديد الواو وبالخاء المعجمة: قهر واستولى.

عَامِلة: بعين مهملة وبعد الألف ميم مكسورة حَيٌّ من قُضَاعة.

فَضَّهم: بفتح الفاء والضاد المعجمة الساقطة المشددة أي فَرَّق جمعهم وكسرهم.

قَفَل: بفتح القاف والفاء واللام: رجع. والقُفُول بضم القاف والفاء: الرجوع.

سَرْجِس: بفتح السين المهملة وسكون الراء وكسر الجيم وبالسين المهملة: اسم أعجمي لا ينصرف.

الرَّحْل: بفتح الراء وسكون الحاء المهملة وباللام، وهو هنا منزل الشخص ومسكنه وبيته الذي فيه أثاثه ومتاعه.

العَبَاية: بالمثناة التحتية والعباة والعَبَا ممدودَيْن: كِساء معروف.

فَدَكِيَّة: من عمل فَدَك بفتح الفاء والدال المهملة وبالكاف.

شَكَّها: انتظمها.

الخِلاَل: بالخاء المعجمة وزن كتاب: العود يُخَلَّل به الثوب والأسنان وخَلَلْتُ الرداء خَلاً من باب قَتَل ضَمَمْتُ طَرَفَيْه بخِلال.

جَهَدْتُ لك نفسي: أي [بذلت وُسْعي].

العُوَّاذ: بضم العين المهملة وتشديد الواو وبالذال المعجمة: وهو (جمع العائذ) الملتجئ والمستجير.

الذِمَّة: العَهْد والأمان.

تُخْفِر: بضم الفوقية وسكون الخاء المعجمة وكسر الفاء وبالراء: تنقض العهد يقال أخفرته نَقَضْتُ عَهْدَه. وخفرتُه أَخْفِرهُ بكسر الفاء وأَخْفُرُه بالضَمّ خِفَارةً مثلثة أَجَرْتُه من ظالم فأنا خفير، أَمَّنْتُه ومنعته وبالعهد وَفَيْتُ له فهو من الأضداد.

يَظَلّ: بفتح التحتية والظاء المعجمة المشالة: يصير.

ناتِئاً: مُنْتَفِخاً مرتفعاً.

عَضَلَه: منعه ظُلْماً، وعَضَل عليه ضَيَّق وبه الأَمْرُ اشْتَدَّ.

لهيعة: بفتح اللام وكسر الهاء وسكون التحتية وفتح العين المهملة فتاء تأنيث.

ابن أبي حبيب: بالحاء المهملة.

لَقيط: بفتح اللام وكسر القاف وسكون التحتية وبالطاء المهملة.

هَرِم: بفتح الهاء وكسر الراء.

الجَزُور: بفتح الجيم وضم الزاي وسكون الواو وبالراء الإبل خاصةً تقع على الذكر والأُنثى إلا أن اللفظ مؤنثة والجمع جُزُر بضمَّتَيْن.

يَعُضُوها: بِعاضاً أي أجزاء.

ابن حِبَّان: بكسر الحاء المهملة وبالموحدة.

النَّهْدي: بفتح النون المشددة وسكون الهاء وبالدال المهملة.

الباب الثامن والأربعون

في سرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه يرصد عيراً لقريش عند محمد بن عمر، وابن سعد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله ومن معه لحي من جهينة بالقبلية مما يلي ساحل البحر وتعرف بسرية الخبط وسرية سيف البحر. قال جمهور أئمة المغازي كانت في رجب سنة ثمان.

روى البخاري من طُرُق عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما، ومسلم من طُرُق أُخَر عنه، وابن إسحاق عن عُبَادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال جابر رضي الله تعالى عنه: «بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب، زاد محمد بن عمر وابن سعد، والقطب من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب»(١). انتهى.

قال جابر: وأَمَّر علينا رسول الله ﷺ أبا عُبَيْدة بن الجَرَّاح نَرْصُد عيراً لقريش، وزوَّدنا جِراباً من تَمْر لم يجد لنا غيره، فكنا ببعض الطريق، وفي رواية فأقمنا بالساحل نصف شهر فَفَنِيَ الزاد، فأمر أبو عُبَيْدة بأزواد الجيش فَجُمِع فكن مِزْوَد تمر، وكان يَقُوتُنا كل يوم قليلاً قليلاً. وفي رواية فكان يُعْطِينا قبضةً قبضة، ثم صار يعطينا تمرةً تمرة حتى فَنِيَ. قيل كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كُنَّا نَمَصُّها كما يَمَصّ الصبي [الثدي]، ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل.

وفي رواية وَهْب بن كيسان قلت لجابر ما تُغْنِي عنكم تمرة، قال: لقد وجدنا فقدها حين فَنِيَتْ. وفي حديث عُبَادة بن الصامت: فقسمها يوماً بيننا فنقصت تمرة عن رجل فوجدنا فَقْدها ذلك اليوم فأصابنا جوع شديد وكنا نضرب بِعِصِيِّنا الخَبَط ثم نَبُلُّه بالماء. وفي رواية عُبَادة بن الوليد(٢) بن عبادة ابن الصامت، رضي الله تعالى عنهما، وكان قوت كل منا في كل يوم تمرة فكان يَمَصّها ثم يَصُرّها في ثوبه، وكنا نخبط بِقِسِيِّنا ونأكل حتى تَقَرَّحت أشداقنا. فأُقْسِم أَخْطَأَها رَجُلٌ منا يوماً فإن انقلب به تَنْعَشُه، فشَهِدنا له أنه لم يُعْطَها فأُعْطِيها فقام فأخذها، انتهى، زاد محمد بن عمر: حتى أن شِدْقَ أحدهم بمنزلة مَشْفَر البعير انتهى. فمكثنا على ذلك أياماً، وعند أبي بكر، ومحمد بن الحسن بن علي المقري عن جابر: كنا نأكل الخَبَط ثلاثة أشهر، انتهى. حتى قال قائلهم لو لقينا عدواً ما كان بنا حركة إليه لما نالنا من الجَهْد.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٣/٦١).

(٢) عُبادة بن الوليد بن عبادة بن الصّامت الأنصاري المدني. عن جده، وأبيه، وأبي أيوب وجابر. وعنه يحيى بن سعيد، وعُبيد الله بن عَمْرو. وثقه أبو زرعة والنسائي. الخلاصة ٣٣/٢.

وفي مغازي محمد بن عمر، والغيلانيات: فقال قَيْس بن سعد بن عُبَادة[١]: من يشتري مني تمراً بجزور أنحرها هاهنا وأُوفِيه الثمن بالمدينة؟ فجعل عمر بن الخطاب يقول: واعجباه لهذا الغلام لا مال له يدين في مال غيره. فوجد قيس رجلاً من جُهَيْنَة فقال قَيْس: بِعْني جزوراً وأوفيك ثمنه من تَمْر بالمدينة. قال الجهني: والله ما أعرفك فمن أنت؟ قال: أنا قيس بن سعد بن عُبَادة بن دُلَيْم. قال الجُهَنِيّ: ما أعرفني بنَسَبِك إن بيني وبين سعد خَلَّة سيد أهل يثرب، فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسَقْ من تمر، واشترط عليه البدوي تَمر ذُخْرَة من تَمْر آل دُلَيْم، فقال قيس: نعم. قال الجُهَنِي: أَشْهِد لي. فأَشْهَدَ له نفراً من الأنصار ومعهم نفر من المهاجرين. فقال عمر بن الخطاب: لا أشهد، هذا يُدَان ولا مال له إنما المال لأبيه. فقال الجُهَنِيّ: والله ما كان سعد لِيُخْنِي بابنه في شقَّةٍ من تمر وأرى وَجْهاً حَسَناً وفِعْلاً شريفاً. فأخذ قيس الجُزُر فنحرها لهم في مواطن ثلاثة كل يوم جزوراً. فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال: تُريد أن تُخْفِر ذمتك ولا مال لك. وفي حديث جابر عن الشيخين: نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم ثلاث جزائر ثم إن أبا عُبَيْدة نهاه.

وروى محمد بن عمر عن رافع بن خَدِيج[٢] رضي الله تعالى عنه أن أبا عُبَيْدة قال لقيس: عزمت عليك ألا تَنْحَرَ، أَتُريد أن تُخْفِر ذِمَّتك ولا مال لك؟ فقال قيس: يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت وهو يقضي ديون الناس ويحمل الكَلّ ويُطْعِم في المجاعة لا يقضي عني شِقَّةً من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله؟ فكاد أبو عبيدة يلين له وجعل عمر يقول أعزم عليه فعزم عليه وأبى عليه أن يَنْحر فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة يتعاقبون عليهما. وبلغ سعد بن عُبَادة ما كان أصاب الناس من المجاعة فقال: «إن يكن قيس كما أعرف فسوف يَنْحُر القوم» انتهى.

قال جابر: وانطلقنا على ساحل البحر فألقى إلينا البحر دَابَّة يقال لها العَنْبَر، وفي لفظ حوتاً لم نر مثله كهيئة الكثيب الضخم، وفي رواية مثل الضريب الضخم فأتيناه فأكلنا منها. وفي لفظ منه نصف شهر. وفي رواية عند البخاري ثماني عشرة ليلة. وفي رواية عند مسلم شهراً، ونحن ثلاثمائة حتى سَمِنَّا وادَّهَنَّا من وَدَكه حتى ثابت منه أجسادنا وصَلُحت ولقد رأيتنا

---

(١) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي أبو الفضل، صحابي له ستة عشر حديثاً اتفقا على حديث، وانفرد البخاري له بطرف من حديث آخر. وعنه عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو تميم الجيشاني. قال أنس: كان قيس بين يدي النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير. وقال عمرو بن دينار: كان إذا ركب الحمار خطت رجلاه في الأرض. مات في خلافة معاوية بالمدينة. وله في الجود حكايات. الخلاصة ٣٥٦/٢.

(٢) رافع بن خديج بن رافع بن عديّ بن يزيد بن جشم بن حارثة الأوسي، صحابي شهد أحُداً وما بعدها، له ثمانية وسبعون حديثاً. اتفقا على خمسة. وانفرد (م) بثلاثة. وعنه ابنه رفاعة، وبشير بن يسار وسليمان بن يسار وطاوُس. قال خليفة: مات سنة أربع وسبعين. الخلاصة ٣١٤/١.

نغترف من وقب عينيه بالقِلاَل: الدهن وأخرجنا من عينيه كذا وكذا قُلَّة وَدَك ونقطع منه القِدَر كالثور أو كقِدَر الثور.

وأَمَر أبو عُبَيْدة بضلع من أضلاعه فنُصِب. وفي رواية: ضِلْعَيْن فنُصِبا، ونظر إلى أطول رجل في الجيش - أي وهو قيس بن سعد بن عُبَادة فيما يظنه الحافظ - وأطول جَمَل فحمله عليه ومَرَّ من تحته راكباً فلم يُصِبْه أو يُصِبهما. وتزودنا من لحمه وسائق، وفي رواية أبي حَمْزَة الخولاني وحملنا منه ما شئنا من قديد ووَدَك في الأسقية انتهى. قال جابر: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال: «رِزْقٌ أخرجه الله تعالى لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟» قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله، وفي رواية: فأتاه بعضهم بعضو منه فأكله. وفي رواية أبي حمزة الخولاني أن رسول الله ﷺ قال: «لو نعلم أنا ندركه لم يُرْوِح لأجبنا لو كان عندنا منه»[1].

وفي مغازي محمد بن عمر، والغيلانيات: فلما قدم قيس بن سعد بن عُبَادة لقيه أبوه فقال: ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابتهم؟ قال: نحرت، قال أصبت ثم ماذا؟ قال نحرت قال: أصبت ثم ماذا؟ قال نُهيت. وفي الصحيح عن أبي صالح ذَكْوان السَّمَّان أن قيس بن سعد بن عُبَادة قال لأبيه. وفي مسند الحُمَيْدي عن أبي صالح عن قيس قلت لأبي: كنت في الجيش فجاعوا. قال: أنَحَرْتَ؟ قال: نحرت. قال ثم جاعوا قال: أنحرت؟ قال: نُهِيت. وفي مغازي محمد بن عمر، والغيلانيات قال: من نهاك؟ قال: أبو عبيدة بن الجراح. قال: ولم؟ قال: زعم أنه لا مال لي وإنما المال لأبيك. قال: لك أربعة حوائط أدنى حائط منها تجد منه خمسين وسقاً. وكتب بذلك كتاباً وأشهد أبا عبيدة وغيره. وقدم الجُهَنِي مع قيس فأوفاه أَوْسُقَه وحمله وكساه.

وعند ابن خُزَيْمَة عن جابر قال: بلغ رسول الله ﷺ فِعْل قيس فقال: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت». انتهى. وجاء سعد بن عُبَادة إلى رسول الله ﷺ فقال: من يعذرني من ابن الخطاب يُبَخِّل عَلَيَّ ابني[2].

تنبيهات

الأول: قال جماعة من أهل المغازي كانت هذه السرية سنة ثمان. قال في زاد المعاد، والبداية والنور: وفيه نظر لِمَا رواه الشيخان من حديث جابر رضي الله تعالى عنه أن

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/٣١١ عبد الرزاق (٨٦٦٨).

(٢) ذكره العراقي في تخريجه على الإحياء ٣/٢٤٦ وقال: أخرجه الدارقطني وفيه من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حاله.

رسول الله ﷺ بعثهم يرصدون عيراً لقريش، وظاهر هذا الحديث أن هذه السرية كانت قبل الهدنة بالحديبية، فإنه من حين صالح رسول الله ﷺ قريشاً لم يكن ليرصد لهم عِيراً بل كان زمن أَمْن وهُدْنَة إلى حين الفتح. ويبعد أن تكون سرية الخَبَط على هذا الوجه اتفقت مرتين مرة قبل الصلح ومرة بعده. قلت وسيأتي في الثالث من كلام الحافظ ما يَرْوِي الغليل.

الثاني: قال في الهَدْي: قول من قال إنها كانت في رجب وهم غير محفوظ، إذ لم يُحْفَظ عن رسول الله ﷺ أنه غزا في الشهر الحرام ولا أغار فيه ولا بعث فيه سرية، وقد عَيَّر المشركون المسلمين بقتالهم في أول رجب في قصة العلاء بن الحضْرَمي، وقالوا: استحل محمد الشهر الحرام وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فيه كَبِيرٌ وصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ**﴾ [البقرة ٢١٧] ولم يثبت نَسْخ هذا بِنَصّ يجب المصير إليه ولا أجمعت الأمة على نسخه. قال [البرهان] في النور: وهو كلام حَسَن مليح لكنه على ما اختاره من عدم نَسْخ القتال في الشهر الحرام وسَلَفِه عطاء وأهل الظاهر وشيخه أبي العَبَّاس بن تيمية وهو خلاف ما عليه المُعْظَم. وقوله في قصة العَلاَء بن الحَضْرَمي صوابه عَمْرو بن الحضرمي أخو العَلاء، والعَلاء ليس صاحب هذه السرية بل صاحبها وأميرها عبد الله بن جَحْش.

الثالث: قال في الفتح: لا يغاير ما في الصحيح أن هذه السرية بعثها رسول الله ﷺ لترصد عِيراً لقريش، وما ذكره ابن سعد أن رسول الله ﷺ بعثهم لِحَيٍّ من جهينة وأن ذلك كان في شهر رجب لإمكان الجمع بين كونهم يتلقون عِيراً لقريش ويقصدون حَيًّا من جُهَيْنَة، ويُقَوِّي هذا الجمع ما عند مسلم من طريق عُبَيْد الله بن مُقْسَم عن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً إلى أرض جُهَيْنَة، فذكر القصة. لكن تَلَقِّي عِير قريش ما يُتَصَوَّر أن يكون في الوقت الذي ذكره ابن سعد في رجب سنة ثمان لأنهم حينئذ كانوا في الهُدْنة بل يقتضي ما في الصحيح أن تكون هذه السرية في سنة ست، أو قبلها قبل الهدنة يُحْتَمَل أن يكون تَلَقِّيهم العِير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جُهَيْنَة. ولهذا لم يقع في شيء من طُرُق الخَبَر أنهم قاتلوا أحداً بل أنهم أقاموا نصف شهر وأكثر في مكان واحد والله تعالى أعلم.

الرابع: وقع في رواية أبي حَمْزَة الخولاني عن جابر عن ابن أبي عاصم في كتاب الأطعمة أن أمير هذه السرية قيس بن سعد بن عُبادة. قال الحافظ: والمحفوظ ما اتفقت عليه روايات الصحيحين أنه أبو عبيدة بن الجراح. وكان أحد الرواة ظَنَّ من صنيع قيس بن سعد في تلك الغَزَاة ما صنع من نَحْر الإبل التي نحرها أنه كان أمير السرية وليس كذلك.

الخامس: ظاهر قول جابر: «بعث رسول الله ﷺ بعثاً فخرجنا وكنا ببعض الطريق فَنِيَ

الزاد الخ». أنه كان لهم زاد بطريق العموم وزاد بطريق الخصوص. فلما فَنِيَ الذي بطريق العموم اقتضى رأي أبي عُبيدة أن يجمع الذي بطريق الخصوص لقصد المساواة بينهم ففعل فكان جميعه مِزْوَداً واحداً.

ووقع عند مسلم في رواية الزبير عن جابر: «بعثنا رسول الله ﷺ وأَمَّر علينا أبا عبيدة نتلقى عِيراً لقريش وزَوَّدنا جِرَاباً من تَمْر لم يجد لنا غيره. فكان أبو عبيدة يعطينا تَمْرةً تمرة[1]». وظاهره مخالف لهذه الرواية. ويمكن الجمع بأن الزاد العام كان قَدْر جِراب. فلما تعدد وجمع أبو عبيدة الزاد الخاص اتفق أنه صار قَدْر جِراب، ويكون كل من الراوِيَيْن ذكر ما لم يذكر الآخر. وأما تفرقة ذلك تمرة تمرة، فكان في ثاني الحال. وقد روى البخاري في الجهاد من طريق وَهْب بن كَيْسان عن جابر: «خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا فَفَنِيَ زادنا حتى كان الرجل منا يأكل [كل يوم] تمرة». وأما قول عياض: «يُحْتَمل أنه لم يكن في أزوادهم تمر غير الجراب المذكور» فمردود لأن حديث جابر الذي صدر به البخاري صريح في أن الذي اجتمع من أزوادهم كان مِزْودَ تمر. ورواية أبي الزبير صريحة في أن النبي ﷺ زَوَّدهم جِراباً من تمر فيصح أن التمر كان معهم من غير الجِراب. وأما قول غيره يُحْتَمل أن يكون تفرقته عليهم تمرةً تمرة كان من الجراب النبوي ﷺ قصداً للبركة، وكان يُفَرِّق عليهم من الأزواد التي اجتمعت أكثر من ذلك فبعيد من ظاهر السياق، بل في رواية هشام بن عروة عند ابن عبد البَرّ. فقَلَّت أزوادنا حتى كان يصيب الرجل منا التمرة.

السادس: في رواية وَهْب بن كَيْسان عن جابر: «فأكل منه القوم ثماني عشرة ليلة». وفي رواية عمرو بن دينار: «فأكلنا منه نصف شهر». وفي رواية أبي الزبير: «فأقمنا عليها شهراً». ويُجْمَع بين هذا الاختلاف بأن الذي قال: ثماني عشرة، ضبط ما لم يضبط غيره أو أن من قال نصف شهر أَلْغَى الكسر الزائد وهو ثلاثة أيام، ومن قال شهراً جَبَر الكسر وضم بقية المدة التي كانت قبل وجدانهم الحوت إليها. ورَجَّح النووي رواية أبي الزبير لما فيها من الزيادة. قال ابن التين: إحدى الروايتين وَهْم. ووقع في رواية الحاكم: اثنا عشر يوماً، وهي شَاذَّة وأَشَذُّ منها رواية الخولاني: أقمنا قبلها ثلاثاً. ولعل الجمع الذي ذكرته أَوْلى.

السابع: لا تُخَالِف رواية أبي حمزة الخولاني رواية أبي الزبير في لحم الحوت لأن رواية أبي حمزة تُحْمَل على أن رسول الله ﷺ قال ذلك ازدياداً منه بعد أن أحضروا له منه ما ذكر، أو قال ذلك قبل أن يُحْضِروا له منه، وكان الذي أحضروه معهم لم يُرْوِح فأكل منه ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم ٣/ ١٥٣٥(١٧- ١٩٣٥).

الثامن: وقع في آخر صحيح مسلم من طريق عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم. فذكر الحديث، وفيه فرأينا جابر بن عبد الله في مسجده. الحديث. وفيه سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط. الحديث. وفيه سرنا مع رسول الله ﷺ: وكان قوت كل أحد منا في كل يوم تمرة. الحديث. وفي آخره: شكا الناس إلى رسول الله ﷺ فقال: «عسى الله أن يُطْعِمَكم». فأتينا سيف البحر، فزَجَر البحر زَجْرَةً فألقى دابّةً، فأوْرَيْنا على شِقِّها النار فاطَّبخنا واشتوينا وأكلنا وشَبِعنا. قال جابر: فدخلت أنا وفلانٌ حتى عَدَّ خمسة في فجاج عينها ما يرانا أحد، وأخذنا ضِلْعاً من أضلاعها فقوَّمناه ودعونا أعظم رجل في الرَّكْب وأعظم جَمَل في الركب وأعظم كِفْل في الركب فدخل تحته ما يُطَأْطِئُ رأسه. قال الحافظ رحمه الله تعالى: وظاهر سياقه أن ذلك وقع في غزوة لهم مع رسول الله ﷺ، لكن يمكن حمل قوله: فأتينا سيف البحر على أنه معطوف على شيء محذوف تقديره: فبعثنا رسول الله ﷺ في سَفَرٍ فأتينا الخ، فتتحد مع القصة التي في صحيح البخاري.

التاسع: في بيان غريب ما سبق:

يَرْصُد: بفتح التحتية.

العِير: بكسر العين المهملة وبالراء الإبل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة.

الحَيّ الواحد من أحياء العرب يقع على بني أبٍ كثروا أم قَلُّوا، وعلى شَعْب يجمع القبائل من ذلك.

جُهَيْنَة: بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتية وفتح النون فتاء تأنيث.

القَبَلِيَّة: بفتح القاف والموحدة.

ساحل البحر: شاطئه وهو جانبه.

الخَبَط: بفتح الخاء المعجمة والموحدة ما سقط من ورق الشجر إذا خُبِط بالعصا لتعلفه الإبل.

سيف البحر: بكسر السين المهملة وسكون التحتية وبالفاء جانبه.

عُبَادة: بضم العين المهملة وتخفيف الموحدة.

الصامت: بلفظ اسم الفاعل.

الجِرَاب: بكسر الجيم، قال في التقريب وقد تُفْتَح.

المِزْوَد: بكسر الميم وعاء التمر من أدَم.

يَقُوتنا: بفتح الفوقية وضم القاف والتخفيف من الثلاثي، وبضم التحتية والتشديد من التقويت ومنعه ابن السُّكِّيت ـ بكسر السين المهملة والكاف المشددة وسكون التحتية فتاء.

العُصِيّ: بضم العين وكسر الصاد المهملتين جمع عَصَا.

يَمَصُّها: بفتح الميم وحُكِي ضمها.

تَخْبط: الشجرة تضربها فيتحاتّ وَرَقُها فتأْكله(الإبل).

القِسِيّ: بكسر القاف جمع قَوْس.

تَقَرَّحت: تَجَرَّحت من خشونة الورق وحرارته.

الشِّدْق: بفتح الشين المعجمة وكسرها وسكون الدال المهملة وبالقاف جانب الفم.

فأقسم: أحلف.

أخطأها: فاتته ومعناه أنه كان للتمر قاسم يقسمه بينهم، فيعطي كل إنسان تمرة كل يوم، فقسم في بعض الأيام ونَسِيَ إنساناً فلم يُعْطِه تمرته وظَنَّ أنه أعطاه فتنازعا في ذلك، فذهبنا معه وشَهِدنا له أن لم يُعْطَها فأُعْطِيها بعد الشهادة.

فَنَعَشَه: فرفعه وتقيمه من شدة الضعف والجهد أو معناه تشد جانبه في دعواه وتشهد له.

مِشْفَر البعير: بكسر الميم كالجحفلة من الفرس وهو لذي الحافر كالشفة للإنسان.

ناله: أصابه.

الجَهْد: بفتح الجيم ـ وتضم ـ وبالدال: المشقة، وقيل بالفتح المشقة وبالضم الطاقة.

الغيلانيات: أجزاء من الحديث منسوبة لابن غَيْلان من المحدثين.

الجَزُور: بفتح الجيم من الإبل خاصة يقع على الذكر والأُنثى والجمع جُزُر بضمتين.

شِقَّة من تمر [أي قطعة تُشَقّ منه].

دُلَيْم: بضم الدال المهملة وفتح اللام وسكون التحتية وبميم.

أَمَا: بفتح الهمزة وتخفيف الميم.

يُخْنِي به بضم التحتية وسكون المعجمة وبالنون يُسْلِمه.

فِعْلا: بكسر الفاء وسكون العين. وفي نسخة من العيون فَعَالا بفتح الفاء أي الكرم ولهذا وصفه بالمفرد فقال شريفاً. ولو أراد الفِعال بكسر الفاء الذي هو جمع فِعْل لقال شريفة.

خَدِيج: بخاء معجمة فدال مهملة فتحتية فجيم وزن عظيم.

عَزَم عليه: أَمَره أَمْر جِدّ بكسر الجيم.

أَخْفَره: إذا نقض عهده واختفره إذا وفى له بالعهد والمراد الأول.

الذِّمَّة: بكسر الذال المعجمة تُفَسَّر تارة بالعهد والأمان وتارةً بالضمان.

أبو ثابت: بثاء مثلثة وموحدة: كنية سعد بن عُبَادة.

الكَلّ: بفتح الكاف وتشديد اللام: وهو الإعياء ثم استُعْمِل في كل ضائع وأمر ثقيل.

الدَّابَّة: بالدال المهملة وتشديد الموحدة: كل حيوان في الأرض ويُطْلَق على الذكر والأنثى.

العَنْبَر: بلفظ المشموم: حوت كبير بليغ طوله خمسون ذراعاً فأكثر.

الحوت: اسم جنس لجميع السمك وقيل مخصوص بما عَظُم منها.

الكثيب: بفتح الكاف وكسر الثاء المثلثة التّلّ من الرمل.

الظَّرِب: بفتح الظاء المعجمة المُشَالة وكسر الراء وبالموحدة الجبل الصغير.

الضَّخم: بفتح الضاد وسكون الخاء المعجمتين: العظيم.

الوَدَك: بفتح الواو والدال المهملة: الشحم.

ثَابَت: بثاء مثلثة وموحدة ففوقية: رَجَعَت.

الوَقْب: بفتح الواو وسكون القاف والموحدة النُّقْرَة التي تكون فيها الحَدَقة.

القِلال: بكسر القاف جمع قُلَّة وهي هنا [الحُبّ العظيم].

القِدَر: بكسر القاف وفتح الدال المهملة جمع قَدْرَة بفتح فسكون: وهي القطعة من اللحم ومن غيره.

الثَّوْر: بالثاء المثلثة الذكر من البقر، والأُنثى ثورة والجمع ثيران وأثوار وثيرة مثل عِنبة.

الضِلْع: بكسر الضاد المعجمة وسكون اللام تُؤَنَّث وجمعها أضلع وضلوع وهي عظام الجَنْبَيْن. وقوله بضِلْعَيْن فنُصِبا، الوجه فنُصِبتا، وكأنه أوَّله بعَظْمَيْن أو عضوين. ونحو ذلك وأن التأنيث غير حقيقي فيجوز التذكير.

لم يُرْوِح: لم ينتِن.

المجَاعَة: والمَجُوعَة بفتح الميم من الجوع ضد الشِّبَع.

نُهِيت: بالبناء للمفعول.

ذَكْوَان: بفتح الذال المعجمة.

الحوائط: جمع حائط وهو هنا البستان.

أَوْفَى: بمعنى أَتَمّ.

يَجُذّ: يقال جَذَذْتُ التمر وغيره قطعته وهذا زمن الجُذَاذ.

الشِّيَمة: بكسر الشين المعجمة: الغريزة والطبيعة والجِبِلَّة.

يُبَخِّل عَلَيّ ولدي [أي رماه بالبُخْل].

الهُدْنَة: بضم الهاء وسكون الدال المهملة وبضمها: الصلح والموادعة بين المتماريَين.

الغَليل: بفتح الغين المعجمة. العطشان.

مِقْسَم: بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين المهملة.

الكِفْل: بكسر الكاف وسكون الفاء وباللام هنا الكساء الذي يحويه راكب البعير على سنامه لئلا يسقط.

الباب التاسع والأربعون

في سرية أبي قتادة الأنصاري رضي الله تعالى عنه إلى خضرة ووقعة ابن أبي حدرد في شعبان سنة ثمان.

روى ابن إسحاق، والإمام أحمد، ومحمد بن عمر عن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال: تزوجت ابنة سُرَاقة بن حارثة النَّجَّاري وقد قُتِل ببدر، فلم أُصِب شيئاً من الدنيا كان أَحَبَّ إِلَيَّ من نكاحها، وأصدقتُها مائتي دِرْهم، فلم أجد شيئاً أسوقه إليها، فقلت: على الله تعالى ورسوله ﷺ المُعَوَّل. فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «كم سُقْتَ إليها؟» فقلت: مائتي درهم يا رسول الله. فقال: «سبحان الله والله لو كنتم تغترفونه من ناحية بطحان - وفي رواية - «لو كنتم تغترفون الدراهم من واديكم هذا ما زِدْتُم». فقلت: يا رسول الله أَعِنِّي على صداقها. فقال رسول الله ﷺ: «ما وَافَقْتَ عندنا شيئاً أُعِينُك به ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية فهل لك أن تخرج فيها؟ فإني أرجو أن يُغْنِمَك الله مَهْرَ امرأتك». فقلت: نعم[1].

وعند ابن إسحاق: فلبثتُ أياماً ثم أقبل رجل من بني جُشَم حتى نزل بقومه وبمن معه الغابة يريد أن يجمع قَيْساً على حرب رسول الله ﷺ وكان ذا اسم وشرف في جُشَم. فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين فقال: «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوني منه بخبر وعِلْم». وقدَّم لنا شارفاً عَجْفَاء يُحْمَل عليها أَحدنا فوالله ما قامت به [ضَعْفاً] حتى دَعَمَها الرجال من خَلْفِها بأيديهم حتى استقلت وما كادت، ثم قال: «تَبَلَّغوا عليها واعتقبوها». وفي حديث محمد بن عمر، وأحمد واللفظ للأول: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْل والسيوف فكنا ستة عشر رجلاً بأبي قتادة وهو أميرنا. فبعثنا رسول الله ﷺ إلى غَطَفان نحو نَجْد. فقال رسول الله ﷺ: «سيروا الليل واكمنوا النهار وشُنُّوا الغارة ولا تقتلوا النساء والصبيان». قال: فخرجنا حتى جئنا ناحية غَطَفان.

وفي حديث أحمد: فخرجنا حتى جئنا الحاضِر مُمْسِين، فلما ذهبت فَحْمَة العشاء قال محمد بن عمر قال: وخطبنا أبو قتادة وأوصانا بتقوى الله تعالى وألَّف بين كل رجلين وقال: «لا يفارق كل رجل زميله حتى يُقْتَل أو يرجع إِلَيَّ فيخبرني خبره، ولا يأتِيَنَّ رجل فأسأله عن صاحبه فيقول لا عِلْمَ لي به، وإذا كَبَّرْتُ فكَبِّروا، وإذا حملت فاحملوا ولا تُمْعِنوا في الطلب».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٤٨/٣ والبيهقي في السنن ٢٣٥/٧ والحاكم في المستدرك ١٧٨/٢ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٨٢/٤.

فأحطنا بالحاضر، فسمعت رجلاً يصرخ: يا خَضِرَة، فتفاءلت وقلت: لأُصِيبَنَّ خيراً ولأجمعَنَّ إلَيَّ امرأتي، وقد أتيناهم ليلاً.

قال فجرَدَّ أبو قتادة سيفه وكَبَّر، وجردنا سيوفنا وكبَّرنا معه فشددنا على الحاضر وقاتلنا رجالاً، وإذا أنا برجل طويل قد جَرَّد سيفه وهو يمشي القهقرى، مرةً يُقْبِل عَلَيَّ بوجهه، ومَرَّة يُدْبِر عَنِّي بوجهه، كأنه يريد أن يستطردني فأتبعه، ثم يقول: يا مسلم هَلُمَّ إلى الجنة فأتبَعُه، ثم قال: إن صاحبكم لذو مكيدة أمره هذا الأمر، وهو يقول الجنة الجنة، يتهكم بنا، فعرفت أنه مستقتل فخرجت في أثره وناديت أين صاحبي؟ لا تبعد فقد نهانا أميرنا عن أن نُمْعِنَ في الطلب فأدركته ومِلْتُ عليه فقتلته، وأخذت سيفه، وقد جعل زميلي يناديني أين تذهب؟ إني والله إن ذهبت إلى أبي قتادة فسألني عنك أخبرته. قال: فَلَقِيتُه قِبَلَ أبي قتادة. فقلت: أَسأَل الأمير عني؟ قال: نعم وقد تَغَيَّظ عَلَيَّ وعليك. وأخبرني أنهم قد جمعوا الغنائم وقتلوا من أشرافهم. فجئت أبا قتادة فلامني فقلت: قتلت رجلاً كان من أمره كذا وكذا وأخبرته بقوله كله. ثم سُقْنا النعم وحملنا النساء وجفون السيوف مُعَلَّقة بالأقتاب، فأصبحت وبعيري مقطور بامرأة كأنها ظبي. فجعلت تُكْثِر الالتفات خَلْفَها وتبكي، فقلت: إلى أي شيء تنظرين؟ قالت: انظر والله إلى رجل لئن كان حياً لاستنقذنا منكم. فوقع في نفسي أنه هو الذي قتلت. فقلت: قد والله قتلته، وهذا والله سيفه مُعَلَّق بالقَتَب. قالت: فأَلْقِ إلَيَّ غِمْدَه. فقلت: هذا غِمْدُ سيفه. قالت: فَشِمْهُ إن كنت صادقاً. قال: فَشِمْتُه فطَبَّق. قال: فبكت وَيَئِسَتْ.

وفي حديث ابن إسحاق: قال عبد الله بن أبي حَدْرَد: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النَّبْل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر [عُشَيْشِيَةً] مع غروب الشمس كمنت في ناحية وأمرت صاحِبَيَّ فكَمَنا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا [سمعتماني قد] كَبَّرتُ وشَدَدْتُ في ناحية العسكر فكَبِّرا وشُدَّا معي.

قال: فوالله إنا لكذلك ننتظر غِرَّة القوم أو أن نصيب منهم شيئاً غَشِيَنا الليل فذهبت فحمة العِشاء، وكان راعيهم قد أبطأ عليهم حتى تَخَوَّفوا عليه. فقام صاحبهم رفاعة بن قبس فأخذ سيفه فجعله في عنقه ثم قال: والله لأَتْبَعَنَّ أثر راعينا هذا فلقد أصابه شَرّ. فقال بعض مَنْ معه. نحن نكفيك فلا تذهب. فقال: والله لا يذهب إلا أنا. فقالوا: ونحن معك. قال: والله لا يَتْبَعُني أحد منكم. وخرج حتى مَرَّ بي، فلما أمكنني نَفَحْتُه بسهم فوضعته في فؤاده فوالله ما تكلم ووثبت إليه فاحتززت رأسه وشَدَدْتُ في ناحية العسكر وكَبَّرت وشَدّ صاحباي وكَبَّرا. فوالله ما كان إلا النجاءُ ممن فيه عِنْدَك عندك بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم وما خَفَّ معهم من أموالهم واستقنا إبلاً عظيمة وغَنَماً كثيرة.

وعند محمد بن عمر عن جعفر بن عمر: وقالوا: غابوا خمس عشرة ليلة وجاءوا بمائتي بعير وألف شاة وسَبوا سَبْياً كثيراً وجمعوا الغنائم فأخرجوا الخمْس فعزلوه وعُدِل البعير بعشرين من الغَنَم.

وروى الإمام أحمد والشيخان وأبو داود عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ سريَّة قِبَل نجد فخرجتُ فيها فَغَنِمْنا إبلاً وغَنَماً كثيرة فبلغت سُهْمَانُنا اثني عشر بعيراً فتَفَّلنا أميرُنا بعيراً بعيراً كل إنسان، ثم قدمنا على رسول الله ﷺ فقسم علينا غنيمتنا فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخُمْس، وما حاسبنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبنا ولا عاب عليه ما صنع. وفي رواية نَفَّلنا رسول الله ﷺ بعيراً بعيراً فكان لكل إنسان ثلاثة عشر بعيراً[(١)].

قال عبد الله بن أبي حَدْرَد: فأتينا رسول الله ﷺ، وجئت برأس رفاعة أحمله معي فأعطاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل ثلاثة عشرة بعيراً فدخلت بزوجتي ورزقني الله خيراً كثيراً.

وروى محمد بن عمر عن عبد الله بن أبي حَدْرَد قال: أصابنا في وجهنا أربع نسوة فيهن فتاة كأنها ظَبْي، بها من الحداثة والحلاوة شيء عجيب، وأطفال وجَوار، فاقتسمنا السَّبْي وصارت تلك الجارية الوضيئة لأبي قتادة فجاء مَحْمِيَة بن جَزْء الزُّبَيْدِي فقال: يا رسول الله إن أبا قتادة قد أصاب في وجهه هذا جارية وضيئة، وقد كنت وعدتني جارية من أول فَيْئ يَفِيئ الله به عليك. فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي قتادة. فقال: «هَبْ لي الجارية». فقال: نعم يا رسول الله: فأخذها رسول الله ﷺ فدفعها إلى مَحْمِيَة بن جَزْء الزُّبَيْدِي.

تنبيهان

الأول: جعل في العيون سرية أبي قتادة إلى خَضِرَة غير سرية عبد الله بن أبي حدرد التي سأل فيها رسول الله ﷺ الإعانة على مَهْر امرأته. وجعلهما محمد بن عمر [سرية] واحدة.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

خَضِرة: بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين: أرض لمحارب بنجد.

حَدْرَد: بمهملات وزن جعفر.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣/٧ كتاب المغازي (٤٣٣٨) ومسلم ٣/ ١٣٦٨(٣٧-١٧٤٩) وأبو داود وأحمد في المسند ٢/ ١٠-٦٢.

سُرَاقة: بضم السين المهملة.

حارثة: بالحاء المهملة والثاء المثلثة.

أسوقه إليها: أي أُمْهِرُها إياه.

سبحان الله: أتى هنا بالتسبيح للتعجب.

بُطْحان: بضم الموحدة وسكون الطاء وبالحاء المهملتين، وقيل بفتح أوله وكسر ثانيه، وحُكِيَ فتح الأول وسكون الثاني: واد بالمدينة.

أجمعت: عزمت.

لَبِثْتُ: بفتح اللام وكسر الموحدة وبالثاء المثلثة مَكَثْتُ.

جُشَم: بضم الجيم وفتح الشين المعجمة.

الغابة: بالغين المعجمة وبالموحدة وادٍ أسفل المدينة.

الشارف: المُسِنّ من الدواب.

العَجْفَاء: بالمَدّ المهزولة.

دَعَمهاالرجال: بدال فعين مهملتين: قَوَّموها بأيديهم.

غَطَفان: بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة وبالفاء.

شَنَّ الغارة: فَرَّقها من كل وجه.

الحاضر: القوم النُّزُول على ماءٍ يُقِيمون به ولا يرحلون عنه.

فَحْمَة العِشاء: يقال للظُّلْمة التي بين صلاتَيْ العِشاء.

الزميل: العَدِيل الذي حِمْلُه مع حِمْلِك على البعير، وقد زاملني عادلني، والزميل أيضاً الرفيق في السفر الذي يُعِينُك على أمورك، وهو الرديف أيضاً.

فصرخ رجل منهم: يا خَضِرَة: «يا» حرف نداء، وخَضِرَة مُنَادَى. ووقع في العيون ما خَضِرَة. قال في النور: «أي مَنْ خَضِرَة، وتقع «ما» مكان (مَنْ)، و«مَنْ» مكان (ما). ولكن الأكثر على إطلاق (مَنْ) على مَنْ يعقل، و(ما) على ما لا يعقل». انتهى. قلت: والذي وقفت عليه من كتب المغازي: يا خَضِرَة كما ذكرته أولاً.

القَهْقَرَى: الرجوع إلى خَلْف. وفي النهاية المَشْي إلى خَلْف من غير أن يُعِيد وجهه إلى جهة مشيه.

استطرده: خادعه ليمسكه من طراد الصَّيْد.

قِبَل أبي قتادة: بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهته.

جُفُون السيوف: بضم الجيم والفاء وأغْمَادُها، واحدها جَفْن بفتح الجيم وسكون الفاء.

شَامَ السَّيْفَ: سَلَّه وأَغْمَدَه أيضاً من الأضداد.

طَبَّقَ: بطاء مهملة فموحدة مشددة فقاف: سَاوَى.

الغِرَّة: بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء: الغَفْلَة.

نَفَحَه بسهم: بفتح النون والفاء وبالحاء المهملة: رماه به.

عِنْدَك عِنْدَك: بمعنى الإغراء.

فعُدِلَ: بالبناء للمفعول.

البَعِيرُ: بالرفع: نائب الفاعل.

وَضِيئة بِمَدّ الهمزة المفتوحة: حسنة جميلة.

مَحْمِيَة: بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية وتخفيف التحتية.

جَزْء: بفتح الجيم وسكون الزاي وبالهمزة.

الزُّبَيْدِي: بضم الزاي وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالدال المهملة.

عُشَيْشِيَة: تصغير عَشِيَّة.

بَطْن: هو دون القبيلة.

الباب الخمسون

في سرية أبي قتادة رضي الله تعالى عنه أيضاً إلى بطن إضم في أول شهر رمضان قبل فتح مكة.

قال محمد بن عمر: لما أراد رسول الله ﷺ التوجه إلى مكة بعث أبا قتادة الحارث بن رِبْعِيّ رضي الله تعالى عنه في ثمانية نفر إلى بطن إِضَم ليظنّ ظانّ أن رسول الله ﷺ تَوَجَّه إلى تلك الناحية ولأن تذهب بذلك الأخبار. وروى محمد بن إسحاق ومحمد بن عمر، وابن سعد، وابن أبي شَيْبَة، والإمام أحمد والترمذي وحَسَّنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والطبراني، وأبو نُعَيْم والبيهقي في دلائلهما رحمهم الله تعالى، عن عبد الله بن أبي حَدْرَد، والطبراني عن جُنْدَب البَجَلي، وابن جرير عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهم، وابن أبي حاتم عن الحَسَن، وعبد الرَّزَّاق، وابن جرير عن قَتَادة رضي الله تعالى عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم [في نفر من المسلمين] أميرنا أبو قتادة الحارث بن ربْعِيّ وفينا مُحَلِّم بن جَثَّامة الليثي وأنا، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إِضَم مَرَّ بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قَعُودٍ له ومعه مُتَيِّع له وَوَطْبٌ من لَبَن.

قال: فلما مَرَّ بنا سَلَّم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه مُحَلِّم بن جَثَّامة فقتله لشيء كان بينه وبينه وسلبه بعيره ومُتَيِّعه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُون عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ**﴾ [النساء ٩٤].

فانصرف القوم ولم يَلْقوا جمعاً حتى انتهوا إلى ذي خُشُب. فبلغهم أن رسول الله ﷺ قد تَوَجَّه إلى مكة فأخذوا على يَيْنٍ حتى لحقوا برسول الله ﷺ بالسُّقْيَا[١]. فقال النبي ﷺ لمُحَلِّم: «أَقَتَلْتَهُ بعد ما قال آمنت بالله؟». وفي حديث ابن عمر، والحسن: فجاء مُحَلِّم في بُرْدَيْن، فجلس بين يَدَيْ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ بعد ما قال إني مُسْلِم؟» قال: يا رسول الله إنما قالها مُتَعَوِّذاً. قال: «أَفَلاَ شَقَقْتَ عن قلبه؟» قال: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «لتعلم أصادق هو أم كاذب». قال: وكنت عالماً بذلك يا رسول الله. هل قلبه إلا مُضْغَة من لحم؟ قال رسول الله ﷺ: «إنما كان يُنْبِئ عنه لسانه». وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «لا ما في قَلْبِه تعلم ولا لسانه صَدَّقت». فقال: استغفر لي يا رسول الله. فقال: «لا غَفَر الله لك». فقام وهو يتلقى دموعه بِبُرْدَيْه. فما مضت سابعة حتى مات[٢].

---

(١) انظر مراصد الاطلاع ٧٢/٢.

(١) ذكره السيوطي في الدر ٢٠١/٢ وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن الحسن.

وفي حديث ابن إسحاق: فما لَبِثَ أن مات فحفر له أصحابه، فأصبح وقد لَفَظَتْهُ الأرض، ثم عادوا وحفروا له فأصبح وقد لفظته الأرض إلى جنب قبره. قال الحسن: فلا أدري كم قال أصحاب رسول الله ﷺ كم دفناه مرتين أو ثلاثاً. وفي حديث جُنْدَب وقتادة: أما ذلك فوقع ثلاث مرات، كل ذلك لا تقبله الأرض، فجاءوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال: «إن الأرض تقبل من هو شَرٌّ من صاحبكم ولكن الله تعالى [يريد أن] يَعِظَكُم فأخذوا برِجْلَيْه فألْقَوْه في بعض الشِّعاب وألقوا عليه الحجارة. وتقدم في غزوة حُنَيْن حكومتُه ﷺ بين عُيَيْنَة بن حِصْن، والأقرع بن حابس في دم عامر بن الأَضْبَط.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

إِضَم: بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم: واد وجبل بالمدينة بينه وبينها ثلاثة بُرُد.

مُحَلِّم: بميم مضمومة وحاء مهملة مفتحة فلام مكسورة مشددة وبالميم.

جَثَّامة: بجيم مفتوحة فثاء مثلثة مشددة وبعد الألف ميم مفتوحة وبتاء تأنيث.

عامر بن الأضبط: بضاد معجمة ساكنة وموحدة مفتوحة فطاء مهملة تابعي كبير لأنه لم يَرَ النبي ﷺ ويقال له مُخَضْرَم.

الوَطْب: بفتح الواو وسكون الطاء المهملة وبالموحدة: زِقّ اللَّبَن خاصة.

فَتَبَيَّنُوا: من التَّبَيُّن، قال في الكَشَّاف: «وهما من التَّفَعُّل بمعنى الاستفعال أي اطلبوا بيان الأمر [وثباته] ولا تقتحموه من غير رَوِيَّة». وقرأ حمزة والكسائي: فَتَثَبَّتُوا من التَّثَبُّت والتَّأَنِّي.

أَلْقَى إليكم السلام: حَيَّاكم بتحية الإسلام، وقرأ نافع، وابن عامر، وحمزة: السلم بغير ألف أي الاستسلام والانقياد وفُسِّر به السلام أيضا.

عَرَض الدنيا: ما كان من مال قَلَّ أو كَثُر.

ذو خُشُب: بضم الخاء والشين المعجمتين وبالموحدة: واد على ليلة من المدينة.

يَيْن: بتحتانيتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة وبالنون، وضبطه الصغاني بفتح التحتانيتين: واد به عين من أعراض المدينة.

السُّقْيا: بضم السين المهملة وسكون القاف قرية جامعة من عمل الفُرع.

الباب الحادي والخمسون

في بعث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما إلى الحرقات

روى الإمام أحمد، وابن أبي شَيْبَة، والشيخان، وأبو داود، والنَّسَائي عن أُسَامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، وابن جرير عن السُّدِّي، وابن سعد عن جعفر بن بُرْقَان الحضرمي رجل من أهل اليمامة قال أُسَامة رضي الله تعالى عنه: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة من جُهَيْنَة. قال: فصَبَّحناهم، وكان رجل منهم - قال السُّدِّي - يُدْعَى مِرْداس بن نَهِيك، انتهى، إذا أَقْبل القوم كان من أشدهم علينا وإذا أَدْبَروا كان حاميتهم، فهزمناهم، فغشيته أنا ورجل من الأنصار. وقال السُّدِّي. وكان مع مِرْدَاس غُنَيْمَة له وجمل أحمر، فلما رآهم آوَى إلى كهف جبل وتَبِعَه أُسَامة. فلما بلغ مِرْدَاس الكهف وضع غنمه. ثم أقبل إليهم. قال أُسامة: فلما غَشِينا - قال السُّدِّي - قال: السلام عليكم. قال أُسامة في رواية: فرفعت عليه السيف. فقال: لا إله إلا الله - زاد السُّدِّي - محمد رسول الله. قال أُسامة: فكَفَّ الأنصاري وطَعَنْتُه برمحي حتى قتلته، أي رفع عليه السيف فلما لم يتمكن منه طعنه بالرمح. قال السُّدِّي: فشَدَّ عليه أُسامة من أجل جمله وغُنَيْمَتِه. قال أُسامة: فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله ﷺ. وفي رواية: فوقع في نفسي من ذلك. وعند محمد بن عمر: قال أُسامة: فلما أَصَبْتُ الرجل وَجَدْتُ في نفسي من ذلك مَوْجِدة شديدة حتى رأيتني ما أَقْدِر على أكل الطعام حتى قدمتُ على رسول الله ﷺ فقَبَّلني واعتنقني. وقال السُّدِّي: وكان رسول الله ﷺ إذا بعث أُسامة أحب أن يُثْني عليه خيراً ويسأل عنه أصحابه. فلما رجعوا لم يسألهم عنه، فجعل القوم يُحَدِّثون رسول الله ﷺ ويقولون: «يا رسول الله لو رأيت أُسامة، ولقيه رجل فقال الرجل لا إله إلا الله فشَدَّ عليه وقتله». وهو يُعْرِض عنهم. فلما أكثروا عليه رفع رأسه إلى أُسامة وقال: «يا أُسامة أَقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟» وفي رواية: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله؟» قال السُّدِّي: «كيف أنت ولا إله إلا الله؟» قال أُسامة: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. وفي رواية: إنما كان مُتَعَوِّذاً من القتل. قال: «أَفَلا شَقَقْتَ عن قلبه حتى تعلم؟» قال السُّدِّي: فنظرت إليه[1]، وعن ابن سعد: «فتعلم أصادق هو أم كاذب؟» وعن ابن إسحاق: «فوالذي بعثه بالحق ما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ» وفي رواية «حتى تمنيت أني لم أسلم قبل ذلك اليوم» وعن ابن إسحاق «وأني لم أقتله» وعن ابن سعد قال أسامة: «لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله» وعن ابن إسحاق قلت: انظرني يا رسول الله أني أعاهد الله أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله. قال: «تقول بعدي يا أسامة». قال قلت: بعدك. قال السُّدِّي: فأنزل الله تعالى خبر هذا وأخبر

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٣/٥ ومسلم في كتاب الإيمان (١٥٩) وانظر البداية والنهاية ٢٢٢/٤.

إنما قتله من أجل جمله وغنمه فذلك حين يقول: ﴿تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾ فلما بلغ ﴿فمن الله عليكم﴾ يقول: فتاب الله عليكم. فحلف أسامة أن لا يقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله بعد ذلك وما لقي من رسول الله ﷺ فيه.

وروى ابن أبي حاتم رضي الله تعالى عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ لأهل مرداس بديته ورد ماله إليهم.

تنبيهات

الأول: قال الحافظ ليس في قول أسامة تعشياً الخ قد يدل على أنه كان أمير الجيش كما هو ظاهر قول البخاري «باب بعث أسامة بن زيد إلى الحرقات» وقد ذكر أهل المغازي سرية غالب بن زيد وسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى المَيْفَعَةُ في رمضان سنة سبع وقالوا: إن أسامة قتل الرجل في هذه السرية.

قال: ثبت أن أسامة كان أمير الجيش فالذي صنعه البخاري هو الصواب، لأنه ما أمر إلا بعد قتل أبيه بغزوة مؤتة وذلك في رجب سنة ثمان، وإن لم يثبت أنه كان أميرها رجح ما قاله أهل المغازي.

وقال في موضع آخر: هذه السرية يقال لها سرية غالب بن عبيد الله، وكانت في رمضان سنة سبع فيما ذكره ابن سعد عن شيخه، وكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي، قال: حدثني شيخ من أسلم عن رجال من قومه قالوا: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبيد الله إلى أرض بني مرة وبها مرداس بن نهيك حليف لهم من بني الحرقة فقتله أسامة فهذا يبيّن السبب في قول أسامة «بعثنا إلى الحرقات [من جهينة والذي يظهر أن قصة الذي قتل ثم مات فدفن ولفظته الأرض غير قصة أسامة لأنه عاش بعد ذلك دهراً طويلاً] وترجم البخاري في المغازي «باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة» فجرى الداودي في شرحه على ظاهره فقال فيه «تأمير من لم يبلغ» وتعقب من وجهين: أحدهما أنه ليس فيه تصريح بأن أسامة كان الأمير إذ يحتمل أن يكون جعل الترجمة باسمه لكونه وقعت له تلك الواقعة لا لكونه كان الأمير الخ ما ذكره الحافظ قد قال بعض الشراح الصحيح ما ذكره أهل المغازي مخالفاً لظاهر ترجمة البخاري أن أميرها أسامة ولعل المصير إلى ما في البخاري فهو الراجح بل الصواب انتهى.

وروى ابن جرير عن السُّدِّي قال بعث رسول الله ﷺ سرية عليها أسامة بن زيد فذكر القصة وروى ابن سعد عن جعفر بن بُرْقان قال حدثنا الحضرمي رجل من أهل اليمامة قال بلغني أن رسول الله ﷺ بعث أسامة بن زيد على جيش فذكر القصة.

الثاني: قال النووي الفاعل في قوله: «أقالها» هو القلب ومعناه: أنك إنما كلفت العمل بالظاهر وما ينطق به اللسان وأما القلب فليس لك طريق إلى معرفة ما فيه، فأنكر عليه العمل بما ظهر من اللسان فقال: «أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل كانت فيه حين قالها واعتقدها أولا» والمعنى أنك إذا كنت لست قادراً على ذلك فاكتف منه باللسان.

الثالث: قال الخطابي لعل أسامة تأوَّل قوله تعالى: ﴿**فلم يك أن ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا**﴾ ولذلك عذره رسول الله ﷺ فلم يلزمه دية ولا غيرها.

وقال الحافظ: لعله حمل نص النفع على عمومه دنيا وأخرى، وليس ذلك المراد للفرق بين المقامين أنه في مثل تلك الحالة ينفعه نفعاً مقيداً بأن يجب الكف عنه حتى يختبر أمره هل قال ذلك خالصاً من قلبه أو خشية من القتل، وهذا الخلاف ما لو هجم عليه الموت [ووصل خروج الروح إلى الغرغرة، وانكشف الغطاء فإنه إذا قالها لم تنفعه بالنسبة لحكم الآخرة] وهو المراد من الآية.

الرابع: قول الخطابي: لم يلزمه دية ولا كفارة فتوقف فيه الداودي وقال: لعله سكت عنه لعلم السامع أو كان قبل نزول آية الدية والكفارة.

وقال القرطبي: لا يلزم من السكوت عدم الوقوع، لكن فيه بعد؛ لأن العادة جرت بعدم السكوت عن مثل ذلك إن وقع قال فيحتمل أنه لم يجب عليه شيء؛ لأنه كان مأذوناً من أجل القتل فلا يضمن ما أتلفه من نفس ولا مال كالخاتن والطبيب؛ ولأن المقتول كان من العدو ولم يكن له ولي من المسلمين يستحق ديته.

قال وهذا يتمشى على بعض الآراء الخ ما ذكره وتقدم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر لأهل مرداس بدية.

الخامس: قول أسامة: «حتى تمنيت أني لم أكن أسلم قبل ذلك اليوم» أي أن إسلامي كان ذلك اليوم؛ لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن من جريرة تلك الفعلة ولم يرد به تمنى أنه لا يكون مسلماً قبل ذلك قال القرطبي وفيه إشعار بأنه كان إستصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح في مقابلة هذه الفعلة لما سمع من الإنكار الشديد، وإنما أورد ذلك على سبيل المبالغة.

السادس: في بيان غريب ما سبق:

الحُرَقَاتُ: بضم الحاء المهملة وفتح الراء والقاف والفوقية بطن من جهينة نسبة إلى الحرقة واسمه جهيش بن عامر بن ثعلبة بن مودعة الحضرمي بن جهينة قال ابن الكلبي: سمي بذلك لوقعة كانت بينهم وبين مرة بن عوف بن سعد فأحرقوهم بالسهام لكثرة من حرقوا منهم.

بُرْقَان: بضم الموحدة وسكون الراء وبالقاف.

الحضرمي: بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء.

صبحنا القوم: هجمنا عليهم صباحاً قبل أن يشعروا بنا.

مرداس: بكسر الميم.

نَهِيك: بفتح النون وكسر الهاء وسكون التحتية وهذا القول جرى عليه ابن الكلبي وجزم به ابن بشكول، قال ابن عبد البر: مرداس بن عمرو الفدكي وبه جزم أبو الفضل بن طاهر.

حاميتهم: ناصرهم ومانعهم.

فغشينا: بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين: لحقنا به حتى تغطى بنا.

«أنا ورجل من الأنصار» قال الحافظ: لم أقف على اسم الأنصاري.

غُنَيْمَة له: بالتصغير.

آوى: لجأ الكهف.

انظرني: أخرني.

الباب الثاني والخمسون

في سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى العزّى

قال ابن سعد: ثم سرية خالد بن الوليد إلى العُزَّى لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان، وكانت بيتاً بنخلة. قال ابن إسحاق وابن سعد: وكان سَدَنَتُها وحُجّابها بني شَيْبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، وكانت أعظم أصنام قريش وجميع كِنانة. وذلك أن عمرو بن لُحَيّ كان قد أخبرهم أن الرَّبّ يُشَتِّي بالطائف عند اللات ويُصَيِّف عند العُزَّى، فعَظَّموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يُهْدُون إليها كما يهدون للكعبة. وروى البيهقي عن أبي الطُّفيل رضي الله تعالى عنه: وكانت بيتاً على ثلاث سَمُرات، انتهى.

قال محمد بن عمر، وابن سعد: وبعث رسول الله ﷺ يوم فتح مكة خالد بن الوليد إلى العُزّى ليهدمها. فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه. قال ابن إسحاق: فلما سمع سادنها السُّلَمي بسَيْر خالد إليها عَلَّق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول:

يَا عُزَّ شُدِّي شَدَّةً لاَ شَوَى لَهَا عَلَى خَالِدٍ أَلْقِي القِنَاعَ وَشَمِّرِي
يَا عُزَّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي المَرْءَ خَالِداً فَبُوئِي بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أو تُنَصَّرِي

قال أبو الطُّفيل، ومحمد بن عمر، وابن سعد: فأتاها خالد فقطع السَّمُرات وهدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا. قال: «فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها». فرجع خالد وهو مُتَغَيِّظ. فلما رأت السَّدَنَة خالداً انبعثوا في الجبل وهم يقولون: يا عُزّى خَبِّليه، يا عُزّى عوِّريه ولا تموتي برغم، فخرجت إليه [امرأة عجوز] سوداء عُرْيَانة ثائرة الرأس، زاد أبو الطُّفيل: تحثو التراب على رأسها ووجهها. فضربها خالد وهو يقول:

يَا عُزَّ كُفْرَانَكِ لاَ سُبْحَانَكْ إِنِّي رَأَيْتُ الله قَدْ أَهَانَكْ

فَجَزَّلها اثنتين، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «نَعَم، تلك العُزّى قد يَئِسَتْ أن تُعْبَد ببلادكم أبداً»(١).

تنبيهان

الأول: ذكر ابن إسحاق ومن تابعه هذه السرية بعد سرية خالد إلى بني جَذِيمة، وذكرها محمد بن عُمَر، وابن سعد، والبَلاذُري، وجَرَى عليه في المَوْرِد والعيون، وجزم به في الإشارة قبلها. وارتضاه في الزُّهْر وقال إن في الأول نَظَر من حيث أن رسول الله ﷺ كان قد وَجَد على خالد في أمر بني جَذِيمة ولا يَتَّجه إرساله بعد ذلك في بَعْث. والذي ذكره غير واحد،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/١١٠-١١١.

منهم الواقدي وتلميذه محمد بن سعد أن سرية خالد إلى العُزَّى كانت لخمس ليالٍ من شهر رمضان، وسرية خالد إلى بني جذيمة كانت في شوال سنة ثمان قلت إن صح ما ذكره ابن إسحاق من كون سرية خالد لهدم العُزَّى بعد سرية بني جذيمة فوجهه أن رسول الله ﷺ رَضِيَ عليه وعَذَرَهُ في اجتهاده.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:.

العُزَّى: بضم العين الهملة وفتح الزاي.

نَخْلة: بلفظ الشجرة.

السَّدَنَة: بفتح السين والدال المهملتين وبالنون: الخَدَمَة.

الحُجَّاب: البَوَّابون.

شَيْبَان: بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية.

سُلَيْم: بضم السين المهملة وفتح اللام.

كِنانة: بكسر الكاف.

لُحَيّ: بضم اللام وفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية.

يُشَتِّي: بضم التحتية وفتح الشين المعجمة والفوقية المشددة.

السَّمُرَات: بفتح السين المهملة وضم الميم جمع سَمُرَة بفتح السين وضم الميم وفتح الراء وتاء التأنيث.

أَسْنَدَ في الجبل: ارتفع.

لا شَوَى لها: لا بُقْيَا لها.

القِناع: بكسر القاف.

بَاء: رجع.

انبعثوا: ذهبوا.

خَبّليه: الخَبَال بالفتح الجنون والفساد، وأصله من النُّقْصَان، ثم صار الهلاك خبالاً.

الرَّغْم: يقال رِغْم أنفه بفتح الراء وكسرها رَغْماً، لصق بالرَّغام بالفتح وهو التراب ذُلاً.

جَزَّلها: بفتح الجيم والزاي المشددة: قطعها.

أن تُعْبَد: بالبناء للمفعول.

الباب الثالث والخمسون

في سرية عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه لهدم سواع في شهر رمضان سنة ثمان في غزوة الفتح.

قال محمد بن عُمر، وابن سعد: بعث رسول الله ﷺ عَمْرو بن العاص إلى سُوَاع صَنَم هُذَيْل بن مُدْرِكة، وكان على صورة امرأة ليهدمه. قال عَمْرو: فانتهيت إليه وعنده السَّادِن. فقال: ما تريد؟ فقلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه. قال: لا تَقْدِر على ذلك. قلت: لم؟ قال: تُمْنَع. قلت: حتى الآن أنت على الباطل وَيْحَك، وهل يسمع أو يُبْصِر؟ قال: فَدَنَوْتُ منه فكسرته، وأمرت أصحابه فهدموا بيت خِزانته فلم نجد فيه شيئاً. ثم قلت للسادن كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله تعالى.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

سُوَاع: بسين مضمومة وعين مهملتين بينهما ألف سمي سواع بن شيث بن آدم ﷺ. قال الجوهري [وسُوَاع اسم صَنَم] كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لُهذَيْل كان بِرُهَاط ـ بضم الراء قرية جامعة على ثلاثة أميال من مكة ساحل البحر ـ يَحُجُّون إليه.

هُذَيْل: بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية وباللام.

السَّادِن: بسين ودال مكسورة مهملتين وبالنون الخادم.

الخِزَانة: بكسر الخاء المعجمة.

الباب الرابع والخمسون

في سرية سعد بن زيد الأشهلي رضي الله تعالى عنه إلى مناة وهو بالمشلّل لست بقين من رمضان سنة ثمان في فتح مكة

قالوا: بعث رسول الله ﷺ حين فتح مكة سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة وكانت [بالمُشَلَّل] للأوس والخزرج وغسّان. فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشهلي لهدمها فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادِن. فقال السَّادِن: ما تريد؟ قال: هَدْم مناة. قال: أنت وذاك. فأقبل سعد يمشي إليها وتخرج إليه امرأة عُرْيَانه سوداء ثائرة الرأْس تدعو بالوَيْل وتضرب صدرها. فقال السادن: مناةَ دُونَكِ بعض غَضْبَاتِك ويضربها سعد بن زيد الأشهلي فقتلها. ويُقْبِل إلى الصَنَم معه أصحابه فهدموه. ولم يجد في خِزانتها شيئاً وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الأشهلي: بالشين المعجمة والهاء واللام والتحتية.

مَنَاة: بفتح الميم.

المُشَلَّل: بضم الميم وفتح الشين المعجمة فلام مفتوحة مشددة ثم لام أخرى: من ناحية البحر وهو الجَبَل الذي يُهْبَط منه إلى قُدَيْد.

ثائرة: بثاء مثلثة أي منتشرة الشَّعْر.

السادن: الخادم.

الباب الخامس والخمسون

في بعثه صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى بني جذيمة من كنانة وكانوا أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصاء وذلك في غزوة الفتح.

رَوى ابن إسْحاق عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم، ومحمد ابن عُمَر عن ابن سعد قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد - حين افتتح مكة - داعياً ولم يبعثه مقاتِلاً، وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار[ومعه قبائل من العرب] سُلَيْم بن منصور، ومُدْلِج بن مُرَّة فوَطِئوا بني جَذِيمة [بن عامر بن عبد مناة بن كِنَانة] فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال خالد: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون قد صَلَّيْنَا وصَدَّقنا وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذَّنَّا فيها. قال: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: «إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخِفْنَا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح». فقال خالد: ضَعُوا السلاح فإن الناس قد أسلموا. فقال رجل من بني جَذِيمة يقال له جَحْدَم: «وَيْلَكُم يا بني جَذِيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار وما بعد الإسار إلا ضَرْب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً». فأخذه رجال من قومه فقالوا: «يا جَحْدَم أتريد أن تَسْفِك دماءنا إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب أوزارها وأمنَ الناس». فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد.

وروى الإمام أحمد، والبخاري والنسائي عن ابن عُمَر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث خالداً إلى بني جَذِيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحْسِنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صَبَأْنَا صَبَأْنَا فجعل خالد يَقْتُل منهم ويأْسِر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يَوْمٌ «أمر خالد أن يقْتُل كل رجل منا أسيره». قال ابن عُمَر: «فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره». قال أبو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم: فلما وضعوا السلاح أمرهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عَرَضَهم على السيف فقتل من قتل منهم. وعند ابن سعد أنهم لما وضعوا السلاح قال لهم: اسْتَأْسِروا فاستأْسَرَ القوم فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفَرَّقهم في أصحابه. فلما كان السَّحر نادى خالد: من كان معه أسير فليُدَافَّه والمُدَافَّة الإجهاز عليه بالسيف. فأما بنو سُلَيْم فقتلوا من كان في أيديهم. وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم.

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أنه حُدِّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي قال: قال رسول الله ﷺ:«رأيتُ كأني لَقِمْتُ لُقْمَةً من حَيْس فالتَذَذْتُ طَعْمَها فاعْتَرَض في حَلْقي منها شَيْءٌ حين ابْتَلَعْتُها فأدخل عَلِيٌّ يَدَه فنزعه». فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

يارسول الله هذه سرية من سراياك تبعثها فيأتيك منها بعض ما تحب ويكون في بعضها اعتراض فتبعث عَلِياً فيُسَهِّله.

قال ابن إسحاق: ولما أتى جَحْدَم ما صنع خالد قال: يا بني جذيمة ضاع الضَّرْب قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه.

قال وحدثني أهل العلم أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخَبَر فقال رسول الله ﷺ:«هَلْ أنْكر عَلَيْه أحَد؟» قال: نعم قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعَة فَنَهَمَهُ خالد فسكت عنه، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه فاشتدت مراجعتهما. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله: أما الأول فابني عبد الله وأما الآخر فسالم مولى أبي حُذَيْفَة. قال عبد الله بن عُمَر في حديثه السابق: «فلما قَدِمنا على رسول الله ﷺ ذكرنا ذلك له فرفع يديه وقال:«اللَّهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِد». مرتين رواه الإمام أحمد والبخاري والنسائي. قال أبو جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم: فدعا رسول الله ﷺ عليَّ ابن أبي طالب رضوان الله عليه فقال:«يا عَلِيّ اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمْرَ الجاهلية تحت قدميك». فخرج عَلِيّ حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فَوَدَى لهم الدماء وما أُصِيب لهم من الأموال حتى إنه لودى لهم مِيلَغَة الكلب، حتى إذا لم يَبْقَ شيءٌ من دم ولا مال إلا وَدَاه بقيت معه بَقِيَّة من المال، فقال لهم عليٌّ حين فرغ منهم: «هل بَقِي لكم مال لم يُوَدَّ إليكم؟» قالوا: لا. قال: فإني أُعطيكم من هذه البقية من هذا المال إحتياطاً لرسول الله ﷺ مما لا يعلم ومما لا تعلمون». ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: «أصبتَ وأَحسنْتَ». ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القِبْلة شاهراً يديه حتى إنه لَيُرَى ما تحت مَنْكِبَيْه يقول: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»[1]. ثلاث مرات.

وروى ابن إسحاق عن ابن أبي حَدْرَد الأسلمي، وابن سعد عن عبد الله بن عصام [المُزَني] عن أبيه، والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهم قال ابن أبي حَدْرَد: كنت يومئذ في خَيْل خالد بن الوليد. وقال عصام: لحقْنا رجلاً فقلنا له: كافر أو مسلم؟ فقال: إن كنت كافراً فَمَهْ؟ قلنا له: إن كنت كافراً قتلناك. قال: دعوني أقضي إلى النسوان حاجة. وقال ابن عباس: فقال إني لست منهم إني عَشِقْتُ امرأة فلحقتها فدعوني انظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بَدَا لكم. وقال ابن أبي حَدْرَد: فقال فتى من بني جَذِيمة ـ وهو في سِنِّي وقد جُمِعت يداه إلى عنقه بِرُمَّة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه ـ يا فتى. فقلت ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرُّمَّة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقْضِي إليهن حاجة، ثم تَرُدُّني بعد فتصنعوا بي ما بدا لكم؟

(١) أخرجه البخاري ١٢٢/٤ والنسائي ٢٣٧/٨ وأحمد في المسند ١٥١/٢ والبيهقي في السنن ١١٥/٩.

قال: قلت: والله لَيَبِيرٌ ما طلبت. فأخذت بِرُمَّته فَقُدْتُه بها حتى أَوْقَفْتُه عليهن. قال عصام: فدنا إلى امرأة منهن. وقال: [سفيان] فإذا امرأة كثيرة النَّحْض - يعني اللحم -. وقال ابن عباس: فإذا امرأة طويلة أدْمَاء فقال: اسلمي حُبَيْش على نَفَدِ من العَيْش

أَرَيْتُكِ إذْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ ... بِحَلْيَةَ أو أَلْفَيْتُكُم بِالْخَوَانِقِ

أَلَمْ يَكُ أَهْلاً أن يُنَوَّلَ عاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إدْلاَجَ السُّرَى والوَدَائِقِ

فَلاَ ذَنْبَ لَي قَدْ قُلْتُ إذْ أَهْلُنَا معاً ... أَثِيبِي بِوُدٍّ قَبْلَ إحْدى الصَّفَائِقِ

أَثِيبِي بِوُدٍّ أن يَشْحَطَ النَّوَى ... وَيَنْأَى لأِمْرٍ بالحبيب المُفَارِقِ

زاد ابن إسحاق، ومحمد بن عُمَر رحمهما الله تعالى:

فَإِنِّي لا ضَيَّعْتُ سِرُّ أَمَانَةٍ ... وَلاَ رَاقَ عَيْنِي عَنْكِ بَعْدَكِ رَائِقُ

سِوَى أَنَّ مَا نَالَ العَشِيرَةَ شَاغِلٌ ... عَنِ الوُدِّ إلا أن يكون التَّوَامُقُ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنْكِر البيتين الأخيرين منها له. انتهى. ولفظ حديث ابن عباس: أما كان حقاً أن يُنَوَّل عاشق، أو أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ. فقالت: نعم وأنت فحُيِّتَ سَبْعاً وعَشْراً وَتْراً وثمانياً تترى. قال ابن أبي حِدْرَد: ثم انصرفت به فضُربت عنقه. وقال عصام: فَقَرَّبناه فضربنا عنقه، فقامت المرأة إليه حين ضربت عنقه فَأَكَبَّتْ عليه فما زالت تُقَبِّله حتى ماتت عليه. وقال ابن عباس: فشَهِقت شهقة أو شهقتَيْن ثم ماتت، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبره الخبر فقال: «أمَا كانَ فيكم رجل رحيم؟»(١).

ذِكْر رجوع خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ وإنكار عبد الرحمن بن عوف على خالد بن الوليد رضي الله عنهما.

روى محمد بن عُمَر، وأبو النيسابوري في الشرف، والحاكم في الإكليل، وابن عساكر عن سَلَمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قَدِم خالد بن الوليد على النبي ﷺ بعد ما صَنَع ببني جذيمة ما صنع وقد عاب عبد الرحمن بن عوف على خالد ما صنع. قال: يا خالد، أخذت بأمر الجاهلية في الإسلام، قتلتهم بعمك الفاكه. وأعانه عمر بن الخطاب على خالد، فقال خالد: أخذتهم بقتل أبيك، وفي لفظ: فقال: إنما ثأرت بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبت والله لقد قتلت قاتل أبي، وأشهدت على قتله عثمان بن عفان. ثم التفت إلى عثمان فقال: أنشدك الله هل علمت أني قتلت قاتل أبي؟ فقال عثمان: اللهم نعم. ثم قال عبد الرحمن: وَيْحَكَ يا خالد ولو لم أقتل قاتل أبي أكنت تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية؟ قال خالد: ومَنْ أخبرك أنهم

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ١١٨/٥ والطبراني في الكبير ٣٧٠/١١.

أسلموا؟ فقال: أهل السَّرِيَّة كلهم يخبرونا أنك قد وجدتهم بنوا المساجد وأقرّوا بالإسلام، ثم حملتهم على السيف. قال: جاءني رسول الله ﷺ أن أُغير عليهم. وعند ابن إسحاق [وقد قال بعض من يَعْذر خالداً إنه] قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حُذَافة السَّهْمي وقال إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم عن الإسلام، انتهى. فقال عبد الرحمن: كَذَبْتَ على رسول الله ﷺ وغالظ عبد الرحمن قال ابن إسحاق: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ انتهى.

فأعرض رسول الله ﷺ عن خالد وغَضِب عليه وقال: «يا خالد ذَرْ لي أصحابي، متى ينكأ المرء ينكأ المرء ولو كان لك أُحدٌ ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تُدْرِك غَدْوَةً أو رَوْحَةً من غَدَوات أو رَوْحَات عبد الرحمن»(١). وعند ابن إسحاق: غَدْوة رجل من أصحابي. وروى البخاري عن أبي سعيد الخُدْرِي ـ بالخاء المعجمة المضمومة وسكون الدال المهملة ـ رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فَسَبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا أصحابي فإن أحَدَكُم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحَدِهم ولا نَصِيفَه»(٢).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

جَذِيمة: بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة وبالتحتية.

كِنَانة: بكسر الكاف ونونين فتاء تأنيث.

يَلَمْلَم: بفتح التحتية واللامين وإسكان الميم بينهما وبالميم في آخره.

الغُمَيْصَاء: بضم الغين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وبالصاد المهملة. موضع في بادية العرب قُرْب مكة كان يسكنه بنو جَذِيمة بن عامر.

سُلَيْم: بضم السين المهملة وفتح اللام.

مُدْلِج: بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام وبالجيم.

ما أنتُم: قال في النهر: الظاهر أنه سألهم عن صفتهم: أي مسلمون أنتم أم كُفَّار؟ ولهذا أتى بما، ولو أراد غير ذلك لقال: من أنتم؟ وإنه استعمل «ما» فيمن يَعْقِل وهو شائع.

جَحْدَم: بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة وبالدال [المهملة].

الإسار: بكسر الهمزة وهو القَيْد.

وضعت الحرب أوزارها: كناية عن الانقضاء، والمعنى على حذف مضاف، والتقدير

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١٠٣/٥ وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٣٤٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب (٣٦٧٣) وأحمد في المسند ١١/٣ والبيهقي في السنن ٢٠٣/١.

حتى تضع الحرب أثقالها، فأسند الفعل إلى الحرب مَجَازاً وسَمَّى السلاح وِزْراً لِثقَله على لابسه.

صَبَأْنَا: من دين إلى دين يَصْبَأ مهموز بفتحتين: خرج، فهو صابئ، وأرادوا هنا دخلنا في دين محمد.

كتف بعضهم بعضاً.

عَرَضهم على السيف: قتلهم.

الدَّفّ: بالدال المهملة وتُعْجَم وبالفاء المشددة: الإجهاز على الأسير ـ بكسر الهمزة وسكون الجيم وبالزاي ـ الإسراع في قتله.

الحَيْس: خلط الأَقِط بالتمر والسَّمْن يُعْجَن حتى يندر النوى منه وربما يُجْعَل فيه السَّوِيق، والأَقِط شيء يُعْقَد من اللَّبَن.

الرَّبْعَة من الرجال: بفتح الراء وسكون الموحدة وتُفْتَح: المعتدِل أي بين الطول والقِصَر.

نَهَمَهُ: بنون مفتوحة فهاء فميم: زَجَره.

اجعل أمر الجاهلية تحت قَدَمَيْك: وَدَى لهم قتلاهم: أعطاهم دِيَات قتلاهم لأنهم قُتِلوا خَطَأً.

مَيْلَغَةُ الكَلْب: بميم مفتوحة فتحتية ساكنة فلام فغَيْن معجمة: شيء يُحْفَر من خشب ويُجْعَل فيه الماء ليلغ الكلب فيه أي يشرب.

المَنْكِب: كَمَسْجد مجتمع رأس العَضُد والكَتِف.

أبو حَدْرَد: بمهملات كَجَعْفَر.

مَهْ: اسم فِعْل بمعنى اكفُفْ.

ما بَدَا له: بغير هَمْز: ظَهَر.

الرُّمَّة: بضم الراء وفتح الميم المُشَدَّدة: قطعة حَبْل بالية والجمع رُمَم ورِمام وأصله أن رجلاً دفع إلى رجل بحبل في عنقه فقيل لكل من دفع شيئاً بجملته دفعه بِرُمَّتِه.

النَّحْض [المُكْتَنِز من] اللحم.

أَدْمَاء: بدال مهملة وبالمَدّ. سمراء.

اسْلَمِي: دعا لها بالسلامة.

حُبَيْش: بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالشين المعجمة ترخيم

حَبَشِيَّة.

النَّفَد: والنَّفَاد مصدر نَفِدَ الشيء كسمع نَفَاداً ونفداً فَنِي وذَهَب، وقال في الإملاء: على أَنْفَد عَيْش، يريد على تمامه.

حَلْيَة: بحاء مهملة مفتوحة فلام ساكنة فمثناة تحتية فتاء تأنيث قال في الصحاح مَأسَدة بناحية اليمن.

الخوانق: بفتح الخاء المعجمة وتخفيف الواو وبعد الألف نون مكسورة وبالقاف: قال نَصْر: موضع عند طَرَف أَجَأ ملتقى الرمل والجلد.

الإدلاج: سَيْر الليل.

السُّرَى: بضم السين المهملة وفتح الراء جمع سُرَية بضم السين وفتحها: الذهاب في الليل.

الودائق: جمع وَدِيقة بفتح الواو وكسر الدال المهملة وسكون التحتية وبالقاف وتاء التأنيث: وهي شدة الحَرّ في الظهيرة.

الصَّفَائِق: بصاد مهملة مفتوحة ففاء فألف تحتية مكسورة وبالقاف: الحالات.

الشَّحْط: بشين معجمة مفتوحة فحاء ساكنة فطاء مهملتين هنا البعد يقال شَحَط المَزَار.

النَّوى: بفتح النون: القَصْد والوجه الذي ينويه المسافر من قُرْب أو بُعْد وهي مؤنثة لا غير.

يَنْأَى: يَبْعُد.

رَاقَ: ماء الحجب كذا في نسختين من الإملاء ولم أفهمه.

التوامق: بفوقية مفتوحة فواو فألف فميم مضمومة فقاف: الحُبّ.

تَتْرَى: بفوقيتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة أي تتوالى.

أَثْأَر: بالهمز ويجوز تخفيفه يقال ثَأَرْتُ القتيلَ وثأَرتُ من باب نَفَع إذا قتلت قاتله.

الباب السادس والخمسون

في سرية أبي عامر الأشعري رضي الله تعالى عنه إلى أوطاس بين غزوة حنين وغزوة الطائف

روى الجماعة عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه، وابن إسحاق عن رجاله عن سَلَمة بن الأكوع، وابن هشام عَمَّن يثق به من أهل العلم، ومحمد بن عمر، وابن سعد عن رجالهم أن هوازِن لما انهزموا يوم حُنَيْن ذهبت فرقة منهم فيهم رئيسهم مالك بن عوف النصري فلجأوا إلى الطائف فتحصنوا وصارت فرقة فعسكروا بمكان يقال له أوطاس: فبعث رسول الله ﷺ إلى هذه، سريَّة وأَمَّر عليهم أبا عامر الأشعري رضي الله تعالى عنه. ثم سار رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة إلى الطائف فحاصرها، وتقدم ذلك في غزوة الطائف. قال أبو موسى رضي الله تعالى عنه: بعث رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري على جَيْشٍ إلى أَوْطاس فلقي دُرَيْد بن الصِّمَّة، فقتل دُرَيْد وهزم الله تعالى أصحابه.

قال أبو موسى بعثني رسول الله ﷺ مع أبي عامر، قال سَلَمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه، وابن هشام رحمه الله تعالى: لما نزلت هوازن عسكروا بأوطاس عسكراً عظيماً وقد تفرَّق منهم من تَفَرَّق وقُتِل مَنْ قُتِل وأُسِر من أُسِر فانتهينا إلى عسكرهم، فإذا هم ممتنعون، فبرز رجل مُعْلَم يبحث للقتال، فبرز له أبو عامر فدعاه إلى الإسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقال الرجل: اللهم لا تشهدوا عليّ. فكَفَّ عنه أبو عامر فأَفْلَتَ ثم أَسْلَم بَعْد فحَسُنَ إسلامه فكان رسول الله ﷺ إذا رآه يقول: «هذا شريد أبي عامر». وقال ابن هشام: ورَمَى أبا عامر أَخَوَان: العَلاَء وأَوْفَى ابنا الحارث من بني جُشَم بن معاوية فأصاب أحدهما قلبه والآخر رُكْبَتَه فقتلاه. قال أبو موسى: رُمِيَ أبو عامر في رُكْبَتِه رماه جُشَمِيّ. وعند ابن عائذ، والطبراني بسندٍ حسن عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه: قَتَل ابن دُرَيْد بن الصِّمَّة أبا عامر قال ابن إسحاق: اسمه سَلَمة ولم أر له إسلاماً.

وفي حديث سلمة أن العاشر ضرب أبا عامر فأثبته قال سلمة: فاحتملناه وبه رَمَق. وقال أبو موسى: فانتهيت إلى أبي عامر فقلت له: يا أبا عامر من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى وقال: ذاكه قاتلي الذي رماني. وفي حديث سلمة بن الأكوع أن أبا عامر أعلم أبا موسى أن قاتله صاحب العصابة الصفراء. قال أبو موسى: فقصدت له فَلَحِقْتُه فلما رآني وَلَّى فاتَّبَعْتُه وجعلت أقول له: ألا تَسْتَحِي ألا تَثْبُت؟ فكَفَّ فاختلفنا ضَرْبَتَين بالسيف فقتلته. ثم قلت لأبي عامر: قتَلَ الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم فنزعته، فنَزَا منه الماء. فقال: يا ابن أخي أَقْرِئ النبي ﷺ

السلام وقل له استغفِرْ لي. قال أبو موسى: واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً ثم مات.

وفي حديث سلمة: وأوصى أبو عامر إلى أبي موسى ودفع إليه الراية وقال: ادفع فَرَسي وسلاحي إلى رسول الله ﷺ فقاتلهم أبو موسى حتى فَتَح الله تعالى عليه وانهزم المشركون بأَوْطاس وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا، وقَتَل قاتِلَ أبي عامر وجاء بسلاحه وتَرِكَتِه وفَرَسه إلى رسول الله ﷺ وقال: إن أبا عامر أمرني بذلك. وفي حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه: «فرجعتُ فدخلتُ على النبي ﷺ في بيته وهو على سريرِ مُرْمَل وعليه فِرَاش قد أَثَّر رِمَالُ السَّرير بِظَهْرِه وجَنْبَيْه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قُلْ له: استغفِرْ لي، فدعا رسول الله ﷺ بماءٍ فتوضأ ثم رفع يديْه فقال:«اللَّهُمَّ اغفِرْ لعُبَيْد أبي عامر» ورأيتُ بَيَاضَ إِبْطَيْه ثم قال: «اللهم اجْعَلْهُ يوم القيامة فوق كثير من خَلْقِك من الناس». فقلت: ولي فاستغفر فقال: «اللهم اغفِرْ لعبد الله بن قَيْس ذَنْبَه وَأَدْخِلْه يوم القيامة مُدْخَلاً كريماً»(١).

تنبيهات

الأول: أَوْطَاس: بفتح أوله وسكون الواو وبالطاء والسين المهملتين قال القاضي: هو وادٍ في ديار هوازن وهو موضع قرب حُنَيْن. قال الحافظ: وهذا الذي قاله ذهب إليه بعض أهل السِّيَر والراجح أن وادي أَوْطاس غير وادي حُنَيْن ويوضح ذلك ما ذكره ابن إسحاق أن الوقعة كانت في وادي حُنَيْن وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف وطائفة إلى نُخَيْلَة وطائفة إلى أَوْطاس. قال أبو عُبَيْد البكري رحمه الله تعالى: أوطاس وادٍ في ديار هوازن وهناك عسكروا هُمْ وثقيف ثم التقوا بُحُنَيْن.

الثاني: أبو عامر اسمه عُبَيْد ـ بالتصغير ـ ابن سُلَيْم ـ بضم السين وفتح اللام ـ ابن حَضَّار ـ بحاء مهملة مفتوحة وتشديد الضاد المعجمة الساقطة وبعد الألف راء ـ ابن حَرْب بن عَنْز ـ بفتح العين المهملة وسكون النون وبالزاي ـ ابن بَكْر ـ بفتح الموحدة وسكون الكاف ـ ابن عامر بن عُذْرَة ـ بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة ـ ابن وائِل ـ بكسر التحتية ـ ابن ناجية ـ بالنون والجيم والتحتية ـ ابن الجَمَاهِر ـ بالجيم والميم وكسر الهاء ـ ابن الأشعر، وهو عَمّ أبي موسى. وقال ابن إسحاق هو ابن عَمِّه. قال الحافظ: والأول أشهر.

الثالث: اخْتُلِف في اسم الجُشَمِيّ الذي رمى أبا عامر فقال ابن إسحاق: زعموا أنه سَلَمة بن دُرَيْد بن الصِّمَّة فهو الذي رمى أبا عامر بسهم فأصاب ركبته. وعند ابن عائذ،

(١) أخرجه البخاري ٤/٤١ ومسلم ٤/ ١٩٤٤(١٦٥-٢٤٩٨).

والطبراني في الأوسط بسندٍ حَسَن من وجه آخر عن أبي موسى الأشعري قال: لما هَزَم الله المشركين يوم حُنَيْن بعث رسول الله ﷺ على خَيْل الطلب أبا عامر الأشعري وأنا معه، فقتل ابن دُرَيْد أبا عامر فعَدَلْتُ إليه فقتلته وأَخَذْتُ اللواء.

الرابع: قال الحافظ في الفتح كما رأيته بخطه إن ابن إسحاق ذكر أن أبا عامر لَقِي يوم أوطاس عشرة إخوة فقتلهم واحداً واحداً حتى كان العاشر، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه فقال الرجل: اللهم لا تشهد عَلَيّ. فكَفَّ عنه أبو عامر ظَنّاً منه أنه أسلم، فقتله العاشر ثم أسلم بعد، فحَسُنَ إسلامه فكان النبي ﷺ يسميه: «شهيد أبي عامر». ثم قال الحافظ: وهذا مخالف لحديث الصحيح في أن أبا موسى قتل قاتل أبي عامر، وما في الصحيح أولى بالقبول، ولعل الذي ذكره ابن إسحاق شَرَك في قتله. قلت: وما نقله الحافظ عن ابن إسحاق ليس في رواية البَكّائي، وإنما زاده ابن هشام عن بعض من يثق به ولم يذكر أن العاشر قتل أبا عامر أصلاً بل قال: ورَمَى أبا عامر أَخَوان: العلاءُ وأَوْفَى ابنا الحارث بن جُشَم بن معاوية فأصاب أَحَدُهما قَلْبَه والآخر ركبته فقتلاه. ثم ظهر لي أن الحافظ لم يراجع السيرة وإنما قَلَّد القطب في المَوْرِد فإنه ذكره كذلك. وجزم محمد بن عمر، وابن سعد بأن العاشر لم يُسْلِم وأنه قَتَل أبا عامر وتقدم ذلك في القصة. وفي خط الحافظ «شهيد» بلفظ شهيد المعركة والذي رأيته في نُسَخ السِّيرة «الشريد» بعد الشين المعجمة راء فتحتية فدال مهملة.

الخامس: قول ابن هشام: «ووَلَّى الناس أبا موسى» يخالفه ما تقدم في القصة عن أبي موسى كما في الصحيح أن أبا عامر استخلفه، وكذا في حديث سلمة بن الأكوع وبه جَزَم ابن سعد.

السادس: في بيان غريب ما سبق:

مالك بن عوف: بالفاء.

النضري: بالنون والضاد المعجمة.

عسكروا: اجتمعوا.

دُرَيْد: بمهملات تصغير أدرد.

الصِّمَّة: بكسر الصاد المهملة وتشديد الميم.

قُتِل: بالبناء للمفعول.

بَرَز رجُلٌ: ظَهَر.

الشديد: الطويل.

العَلاَء: بفتح العين.

وأَوْفَى: لم أَرَ لهما إسلاماً.

جُشَم: بضم الجيم وفتح الشين المعجمة.

فَأَثْبَتَه: بقطع الهمزة أي أثبت السَّهم.

الرَّمَق: بفتحتين وبالقاف: بقية الحياة.

اختلفا ضَرْبَتَيْن: ضرب كل واحد منهما الآخر في غير الموضع الذي ضرب فيه.

تَسْتَحِي: بكسر الحاء المهملة، وفي رواية تَسْتَحْيِي بسكونها وزيادة تحتية مكسورة: أي خجل.

نَزَا منه الدم: سَالَ.

وقُلْ له استغْفِر لي: بلفظ الطلب يعني أن أبا عامر سأل أبا موسى أن يسأل النبي ﷺ أن يستغفر له.

سرير مُرْمَل: بضم الميم الأولى وفتح الثانية بينهما راء ساكنة، وفي رواية بفتح الراء والميم الثانية مُشَدَّدَة أي منسوج بحبل ونحوه وهي حِبَال الحُصْر التي يُضَفَّر بها الأسِرَّة.

وعليه فراش: نقل السفاقسي عن أبي الحسن وأظنه ابن بَطَّال أو القَابِسي أنه قال: الذي أحفظه في هذا: ما عليه فراش، قال إن «ما» سقطت هنا وقال ابن التين: أنكر قوله: «وعليه فراش» أبو الحسن وقال الصواب: «ما عليه فراش». قال الحافظ: وهو إنكار عجيب فلا يلزم من كونه رقد على غير فِراش كما في قصة عمر أنه لا يكون على سريره دائماً فِراش. قلت ويؤيد قول أبي الحسن قَوْلَ أبي موسى: قد أثَّر رمال السرير بظهره وجَنْبَيْه. والله تعالى أعلم.

مُدْخَلاً: بضم الميم وفتحها وكلاهما بمعنى المكان والمَصْدَر.

كريماً: حسناً.

الباب السابع والخمسون

في سرية الطفيل بن عمرو [الدوسي] رضي الله تعالى عنه إلى ذي الكفين في شوال سنة ثمان.

قال ابن سعد: قالوا لما أراد رسول الله ﷺ المسير إلى الطائف بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكَفَّيْن صنم من خشب كان لعمرو بن حُمَمَة الدَّوْسِي، يهدمه، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف، فخرج سريعاً إلى قرية فَهَدَمَ ذا الكفين وجعل يحيي النار في وجهه ويحرقه ويقول:

يادَا الكَفَيْنِ لَسْتُ من عُبَّادِكَا ... مِيلاَدُنا أَقْدَمُ من مِيلاَدِكَا

إنـي حَشَوْتُ النَّارَ في فُؤَادِكَا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعاً فوافوا رسول الله ﷺ بالطائف بعد مَقْدِمِه بأربعة أيام وقدم بِدَبَّابة ومنجنيق وقال: «يا معشر الأَزْد من يَحْمِل رايتكم؟» فقال الطُفيل: من كان يحملها في الجاهلية النعمان بن الرَّازية اللَّهَبِي. قال: «أَصَبْتُم».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الطُّفَيْل: بضم الطاء وفتح القاء وسكون التحتية.

ذو الكَفَّيْن: بلفظ تثنية كَفّ الإنسان وخُفِّف في الشعر للوزن.

حُمَمَة: بضم الحاء المهملة وفتح المِيمَيْن.

الدَّوْسِي: بفتح الدال وسكون الواو وبالسين المهملتين.

الدَّبَّابة: بدال مهملة مفتوحة فموحدة مشددة فألف فموحدة فتاء تأنيث: آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيَدُبُّون بها إلى الأسوار لِيَنْقُبُوها.

الأَزْد: بفتح أوله وسكون الزاي.

الرازية: براء فألف فزاي مكسورة فتحتية.

اللَّهَبي: بفتح اللام

الباب الثامن والخمسون

في سرية قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما لصداء ناحية اليمن

قال ابن إسحاق لما رجع رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة سنة ثمان بعث قيس بن سعد بن عُبادة إلى ناحية اليمن وأمره أن يطأ صُدَاء، فعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين. فقدم رجل من صُدَاء فسأل عن ذلك البعث فأُخْبِر به فجاء رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله جِئْتُكَ وافداً على مَنْ ورائي فاردد الجيش فأنا لَكَ بقومي». فردَّهم من قناة وخرج الصُدَائي إلى قومه، فقدم منهم بعد ذلك خمسة عشر [رجلاً] فأسلموا. فقال رسول الله ﷺ: «إنك مُطَاع في قومك يا أَخَا صُدَاء». فقال: بل الله هداهم. ثم وافاه في حِجَّة الوداع بمائة منهم.

وهذا الرجل هو الذي أمره رسول الله ﷺ في سَفَرٍ أن يُؤذِّن ثم جاء بلال ليقيم فقال رسول الله ﷺ: «إن أَخَا صُدَاء هذا أَذَّن ومن أَذَّن فهو يُقيم»[1]. واسم أَخَا صُدَاء هذا زياد بن الحارث، نزل مصر.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

صُدَاء: بضم الصاد وفتح الدال المهملتين وبالمدّ: حَي من العرب.

الجِعْرَانَة: بكسر الجيم وسكون العين المهملة وتخفيف الراء [أو كسر العين المهملة] وتشديد الراء.

يَطَأ صُدَاء: أي يدخل أرضهم.

عَسْكَرَ: جَمَعَ عَسْكَرَة.

قَنَاة: بفتح القاف وبالنون وادٍ بالمدينة.

أنا لك بقومي: أتَكَفَّل لك بقومي أي بمجيئهم مسلمين وفي رواية: وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٤) والترمذي (١٩٩) وابن ماجة (٧١٧) وابن سعد في الطبقات ٦٣/٢/١ والطحاوي في معاني الآثار ١٤٢/١ والبيهقي في الدلائل ١٢٧/٤.

الباب التاسع والخمسون

في سرية عيينة بن حصن الفزاري رضي الله تعالى عنه إلى بني تميم في المحرم سنة تسع وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم.

وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني سعد هُذَيْم على صدقاتهم وأمره رسول الله ﷺ أن يأخذ العفو وَيَتَوَقّى كَرَائِم أموالهم. فخرج بِشْر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، فأمر بجمع مواشي خزاعة ليأخذ منها الصدقة، فحشرت عليهم خزاعة الصدقة في كل ناحية فاستكثرت ذلك بنو تميم فقالوا: ما لهذا يأخذ أموالكم منكم بالباطل؟ فشَهَروا السيوف. فقال الخزاعيون: نحن قوم ندين بدين الإسلام وهذا أمر ديننا. فقال التميميون: لا يصل إلى بعير منها أبداً. فهرب المُصَدِّق وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فوثبت خُزَاعة على التميميين فأخرجوهم من مَحَالِّهم وقالوا: لولا قرابتكم ما وصلتم إلى بلادكم، لَيَدْخُلَنَّ علينا بلاء من محمد ﷺ حيث تَعَرَّضْتُم لرسوله تَرُدُّونه عن صَدَقات أموالنا فخرجوا راجعين إلى بلادهم. فقال ﷺ: «من لهؤلاء القوم؟» فانتدب أول الناس عُيَيْنَة بن حِصْن الفزاري فبعثه رسول الله ﷺ في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في صحراء قد حَلُّوا [بها] وسرحوا مواشيهم. فلما رَأَوْا الجَمْع ذَلُّوا. فأخذ منهم أحد عشر رجلاً ووجد في المَحَلَّة إحدى وعشرين امرأة كذا في العيون. وقال محمد بن عمر وابن سعد وتَبِعهما في الإشارة والمَوْرِد إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً. فجلبهم إلى المدينة فأمر بهم رسول الله ﷺ فَحُبِسوا في دار رَمْلَة بنت الحارث. فقدم فيهم عِدَّة من رؤسائهم كما سيأتي في الوفود في وفد بني تميم.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

هُذَيْم: بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وسكون التحتية.

يأخذ العَفْوَ: ما فَضُل عن النفقة.

كرائم أموالهم: نفائسها وخِيارُها.

خُزَاعة: أبو حَيٍّ من الأَزْد سُمُّوا به لأنهم تَخَزَّعوا أي تَقَطَّعوا عن قومهم وأقاموا بمكة.

الحَشْر: الجمع مع سَوْق، والمراد هنا أنهم جمعوا ماشيتهم لتؤخذ منها الزكاة.

شَهَروا السيوف: أخرجوها من أغمادها.

المَحَلَّة: بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام المفتوحة.

حُبِسوا: بالبناء للمفعول.

رَمْلَة بنت الحارث بلفظ واحدة الرَّمْل: صحابية رضي الله تعالى عنها.

الباب الستون

في بعثه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عوسجة رضي الله تعالى عنه إلى بني حارثة بن عمرو في صفر سنة تسع.

روى أبو سعيد النيسابوري في الشرف، وأبو نُعَيْم في الدلائل من طريق محمد بن عمر عن شيوخه: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عَوْسَجَة [إلى بني حارثة بن عمرو] يدعوهم إلى الإسلام. فأخذوا الصحيفة فَغَسَلوها وَرَقَّعُوا بها أَسْفَلَ دَلْوِهم، وأَبَوْا أن يُجِيبوا فرُفِع ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال: «مَا لَهُم؟ ذَهَبَ اللهُ بعقولهم». فهم إلى اليوم أهل رِعْدَة وعَجَلة وكلام مُخْتَلَط وأهل سَفَه. قال محمد بن عمر: قد رأيت بعضهم عَيِيًّا لا يُحْسِن يُبِينُ الكلام.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

عَوْسَجَة: بفتح العين والسين المهملتين بينهما واو، وبالجيم.

الرِّعْدَة: بكسر الراء اسم من رَعَدَ يَرْعُد بضم العين، وارتعد اضطرب.

العِيّ: بكسر العين المهملة عدم الإفْصَاح بالكلام.

الباب الحادي والستون

في سرية قطبة بن عامر بن حديدة رضي الله تعالى عنه إلى خثعم بناحية بيشة قريباً من تربة في صفر سنة تسع.

قالوا: بعث رسول الله ﷺ قُطْبَة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلى [حَيٍّ من] خَثْعَم، قال محمد بن عمر بناحية تَبَالة، وقال ابن سعد بناحية بيشة. وأمره أن يَشُنَّ الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أَبْعِرة يتعقبونها. فأخذوا رجلاً فسألوه فاستعجم عليهم، وجعل يصيح بالحاضر وَيُحَذِّرهم فضربوا عنقه. ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فَشَنُّوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كَثُرَ الجِرَاح في الفريقين جميعاً، وقَتَل قطبة من قتل منهم وساقوا النَّعَم والشَّاء والنساء إلى المدينة. وجاء سَيْلٌ أَتِيٌّ فحال بينهم وبينه فما يجدون إليه سبيلاً. وكانت سُهْمَانُهم أربعة [أبعرة] والبعير يَعْدِل بِعَشْر من الغنم بعد أن أخرج الخُمُس.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

قُطْبَة: بضم القاف وسكون الطاء المهملة وبالموحدة.

خَثْعَم: بفتح الخاء المعجمة وسكون الثاء المثلثة وفتح العين المهملة.

بِيشَة: بكسر الموحدة وسكون التحتية وفتح الشين المعجمة وبتاء تأنيث وحكى الجوهري الهمز [بِئْشَة[1]].

تُرَبَة: بضم الفوقية وفتح الراء وبالموحدة وتاء تأنيث.

تَبَالة[2]: بفتح الفوقية وبالموحدة المُخَفَّفة بلد باليمن حصينة.

شَنَّ الغارة وأَشَنَّها فرَّق الجماعة من كل وجه.

استعجم عليهم: سَكَت لم يُعْلِمهم بالأمر.

الحاضر: القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه.

---

(١) وبيشةُ: من عمل مكة مما يلي اليمن من مكة على خمس مراحل، وبها من النخل والفسيل شيءٌ كثير، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسْد، قال السمهري:

وأُنبئتُ ليلى بالغَرِيَّين سلَّمتْ ... عليَّ، ودوني طخفةٌ ورجامها
فإنَّ التي أهدت، على نأي دارها، ... سلاماً لمردودٌ عليها سلامها
عديد الحصى والأثل من بطن بيشة ... وطرفائها، ما دام فيها حمامها

معجم البلدان ٦٢٨/١.

(٢) تبالة بالفتح، قيل: تبالة التي جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحجاج: موضع ببلاد اليمن وأظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف، فإن تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن قال المهلبي: تبالة في الإقليم الثاني، عرضها تسع وعشرون درجة، وأسلم أهل تبالة وجرش من غير حرب فأقرهما رسول الله ﷺ في أيدي أهلهما على ما أسلموا عليه. معجم البلدان ١١١٠/١.

الباب الثاني والستون

في سرية الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله تعالى عنه إلى بني كلاب.

قال محمد بن عمر، وابن سعد سنة تسع. وقال الحاكم في آخر سنة ثمان، وقال محمد بن عمر الأسلمي في صفر.

وقال ابن سعد في ربيع الأول وجرى عليه في المَوْرِد والإشارة.

قالوا بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القُرَطاء عليهم الضَّحَّاك بن سفيان الكلابي ومعه الأصيد بن سلمة بن قُرْط، فَلَقَوْهُم بالزُّج زُج لاوَة بنجد فدعوهم إلى الإسلام فأَبَوْا فقاتلوهم فهزموهم. فَلَحِق الأصْيَد أباه سلمة، وسَلَمَة على فرس له في غدير بالزُّجّ فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فَسَبَّه وسَبَّ دينه، فضرب الأصْيَد عُرْقُوبيْ فرس أبيه، فلما وقع الفرس على عُرْقُوبَيْه ارتكز سَلَمَة على رُمْحه في الماء، ثم استمسك به حتى جاءه أحدهم فقتل سلمة ولم يقتله ولده.

تنبيهان

الأول: يشتبه بأصيد هذا أَصْيَد بن سَلَمَة السُلَمي أسلم هو وأبوه. ولم يذكر في التجريد تبعاً لِخَلْط ابن شاهين بالأول، والصواب التفرقة كما سيأتي بيان ذلك في الوفود.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

القُرَطَاء: بضم القاف وفتح الراء والطاء المهملة، تقدم الكلام عليها في سرية محمد بن سلمة إليها.

الأَصْيَد: بالصاد والدال المهملتين بينهما تحتية وزن أحمد، وهو في اللغة المِلك ومن رفع رأسه كِبْراً والأَسَد.

الزُّجّ: بضم الزاي وتشديد الجيم كما في المراصد والصحاح والنهاية والقاموس ووقع في العيون بالزاي والخاء المعجمة وهو سبق قلم وصوابه بالزاي المعجمة والجيم.

لاَوَة: بفتح اللام والواو ولم أجد لها ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الأماكن.

ارتكز على رمحه: أثبته في الأرض واستمسك به.

الباب الثالث والستون

في سرية علقمة بن مجززٌ المدلجي رضي الله تعالى عنه إلى الحبشة

قال ابن سعد في شهر ربيع الآخر [سنة تسع] وقال محمد بن عمر الأسلمي، والحاكم: في صفر. قال ابن سعد: قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراآهم أهل الشُعَيْبَة في ساحل جُدَّة بناحية مكة في مراكب. فبعث إليهم رسول الله ﷺ عَلْقَمَة بن مُجَزِّز في ثلثمائة ؛انتهى إلى جزيرة في البحر، وقد خاض إليهم في البحر فهربوا منه، فلما رجع تَعَجَّل بعض القوم إلى أهليهم فأَذِن لهم.

وروى ابن إسحاق عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عَلْقَمَة بن مُجَزِّز. قال أبو سعيد الخدري وأنا فيهم حتى إذا بلغنا رأس غَزَاتنا أو كنا ببعض الطريق أَذِن لطائفة من الجيش واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السَهْمِيّ. وكان من أصحاب رسول الله ﷺ وكانت فيه دُعَابة. فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون. فقال: عَزَمْتُ عليكم إلا تواثبتم في هذه النار. فقام بعضهم فتَحَجَّزوا حتى ظُنَّ أنهم واثبون فيها. فقال لهم: اجلسوا إنما كنت أضحك معكم. فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «مَنْ أَمَرَكُم بمعصية الله فلا تُطِيعوه»(١).

وعن عَلِيّ رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سريّة فاستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويُطِيعوا فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حَطَباً، فجمعوا له، ثم قال: أَوْقِدوا ناراً. فأوقدوا ناراً ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتُطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها. فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنَّا فَرَرْنا إلى رسول الله ﷺ من النار. فكان كذلك حتى سَكَنَ غَضَبُه، وَطَفِئَت النار. فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً». وقال: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف»(٢) رواه الشيخان.

ورجع عَلْقَمَة بن مُجَزِّز هو وأصحابه ولم يَلْقَ كَيْداً.

تنبيهان

الأول: قول سيدنا عليّ رضي الله تعالى عنه: واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار [وَهْمٌ من بعض الرواة وإنما هو سَهْمِيّ].

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٢/ ٩٥٥(٢٨٦٣) وابن حبان (١٥٥٢) وابن سعد في الطبقات ١١٨/١/٢ وذكره السيوطي في الدر ١٧٧/٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٣٤٠) وأحمد في المسند ١٢٤/١ والبيهقي في الدلائل ٣١٢/٤ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٧٧/٢.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:

عَلْقَمَة[١]: بعين مهملة فلام فقاف فميم فتاء تأنيث.

مُجَزِّز: بميم مضمومة فجيم مفتوحة فزايَيْن معجمتين الأولى مكسورة ثقيلة.

المُدْلِجي: نِسْبَة إلى بني مُدْلِج قبيلة من كِنَانَة.

الشُّعَيْبَة: بضم الشين المعجمة وفتح العين المهملة وسكون التحتية وفتح الموحدة فتاء تأنيث.

جُدَّة: بضم الجيم وتشديد الدال المهملة.

حُذَافة: بضم الحاء المهملة وبالذال المعجمة.

السَّهْمِيّ: بفتح السين المهملة وسكون الهاء.

الدُّعَابة: بضم الدال وبالعين المهملتين وبالموحدة: المِزَاح.

عَزَمْتُ عليكم: أمرتكم أمراً جداً.

تَحَجَّزوا: شَمَّروا ثيابهم إلى موضع حُجَزِهم وهو موضع مَعْقِد الإزار.

ترآهم: نظروهم وَرَأَوْهُم.

كَيْداً: حرْباً.

(١) علقمة بن مجزز بجيم وزايين معجمتين الأولى مكسورة ثقيلة - ابن الاعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمر بن مدلج الكناني المدلجي.. انظر الإصابة ٢٦٧/٤.

الباب الرابع والستون

في سرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى الفلس صنم لطيئ ليهدمه في شهر ربيع الآخر سنة تسع.

قالوا بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في خمسين ومائة رجل أو مائتين كما ذكره ابن سعد من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواءٌ أبيض إلى الفُلْس ليهدمه فأغاروا على أحياء من العرب وشَنُّوا الغارة على مَحَلَّة آل حاتِم مع الفجر، فهدموا الفُلْس وخَرَّبُوه وملأُوا أيديهم من السَّبي والنَّعَم والشَّاء وكان في السَّبي سَفَّانَة أُخت عَدِيّ بن حاتم، وهرب عَدِيّ إلى الشام، ووُجِدَ في خِزَانة الفُلْس ثلاثة أسياف: رَسُوب والمِخْذَم - كان الحارث بن أبي شِمْر قَلَّده إياهما - وسيف يقال له اليماني وثلاثة أَدْرُع. واستعمل عَلِيّ على السَّبيِ أبا قتادة واستعمل على الماشية والرِّقَة عبد الله بن عتيك. فلما نزلوا رَكَك اقتسموا الغنائم وعزلوا للنبي ﷺ صَفِيّاً رَسُوباً والمِخْذَم ثم صار له بعد السيف الآخر، وعُزِل الخُمُس، وعُزِل آل حاتم فلم يَقْسِمهم حتى قدم بهم المدينة. ومرَّ النبي ﷺ بأُخت عَدِيّ بن حاتم، فقامت إليه وكَلَّمته أن يَمُنّ عليها فَمَنّ عليها فأسلمت وخرجت إلى أخيها فأشارت عليه بالقدوم على رسول الله ﷺ فقدم عليه. وذكر ابن سعد في الوفود أن الذي أغار وسَبَى ابنة حاتم خالد بن الوليد.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الفُلْس: بالفاء واللام والسين المهملة قال في المراصد بضم أوله وسكون ثانيه وضبطه بعضهم بالفتح وسكون اللام قلت وضبطه بعضهم بضم أوله وسكون ثانيه وجزم به في العيون والمَوْرِد.

شَنَّ الغارة: فَرَّق الجيش في كل وجه.

المَحَلَّة: بفتح الميم مكان ينزل فيه القوم.

سَفَّانَة: بتفح السين المهملة وتشديد الفاء وبعد الألف نون مفتوحة فتاء تأنيث.

وُجِدَ: بالبناء للمفعول.

في خِزانته: بكسر الخاء المعجمة.

رَسُوب: بفتح الراء وضم السين المهملة وسكون الواو وبالموحدة.

المِخْذَمُ: بكسر الميم وسكون الخاء وبالذال المعجمتين وبالميم.

شِمْر: بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وبالراء.

الرِّقَة: بكسر الراء وفتح القاف المخففة وبتاء التأنيث: الفِضَّة والدراهم المضروبة منها. وأصل اللفظة الوَرِق وهي الدراهم المضروبة خاصَّةً فحُذِفت الواو وَعُوِّض عنها بالهاء.

عَتِيك: بالكاف بوزن كثير.

رَكَك: بفتح الراء والكاف الأولى. قال في المراصد: مَحَلَّة من محال سَلْمَى أَحَد جَبَلَيْ طَيِئ. وقال الأصمعي اسم ماء، ووقع في كثير من نُسَخ السيرة غير مصروف فكأنه أُريد به اسم البقعة.

الباب الخامس والستون

في سرية عكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه إلى الجباب أرض عذرة وبلي في شهر ربيع الآخر سنة تسع.

كذا ذكر ابن سعد ولم يزد وتبعه في العيون والمورد.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الجِبَاب: بكسر الجيم وبموحدتين بينهما ألف.

عُذْرَة: بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة: بطن من قُضَاعة بضم القاف وبالضاد المعجمة والعين المهملة.

بَلِيّ: بفتح الموحدة وكسر اللام وتشديد التحتية قبيلة من قُضَاعة.

الباب السادس والستون

في سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى أكيدر بن عبد الملك

روى البيهقي عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر، والبيهقي عن عُرْوَة بن الزبير، ومحمد بن عمر عن شيوخه قالوا: لما توجه رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة من تبوك بعث خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سنة تسع إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك بِدُومة الجندل. وكان أُكَيْدِر من كِنْدَة وكان نصرانياً. فقال خالد: كيف لي به وسط بلاد كَلْب وإنما أنا في أُناس يسيرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنك ستجده [ليلاً] يصيد البقر فتأخذه فيفتح الله لك دُومة فإن ظفرت به فلا تقتله وائت به إلَيّ فإن أبى فاقتله». فخرج إليه خالد بن الوليد حتى إذا كان من حِصْنِه بمنظر العين في ليلة مُقْمِرَة صائفة وهو على سطح له ومعه امرأته الرَّبَاب بنت أُنَيف بن عامر الكِنْدِيَّة. فصعد أُكَيْدِر على ظهر الحصن من الحَرّ، وقينة تُغَنِّيه، ثم دعا بشراب. فأقبلت البقر الوحشية تَحُكّ بقرونها باب الحصن فأشرفت امرأته فرأت البقر فقالت ما رأيت كالليلة في اللحم. قال وما ذاك، فأخبرته فأشرف عليها. فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا. قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، قال أُكَيْدِر: والله ما رأيت بقراً جاءتنا ليلة غير تلك الليلة، ولقد كنت أُضَمِّر لها الخيل، إذا أردت أخذها شهراً، ولكن هذا بِقَدَر. ثم رَكِب بالرجال وبالآلة فنزل أُكَيْدِر وأمر بفرسه فأسْرِج وأمر بخيله فَأُسْرِجت وركب معه نفر من أهل بيته، معه أخوه حَسَّان ومملوكان له، فخرجوا من حصنهم بمطارِدهم. فلما فَصَلوا من الحصن وخَيْل خالد تنظر إليهم لا يصول منها فَرَس ولا يجول،

فَساعة فَصَل أخذته الخيل، فاستأسر أُكَيْدِر وامتنع حَسَّان وقاتل حتى قُتِل وهرب المملوكان ومَنْ كان معه من أهل بيته، فدخلوا الحصن، وكان على حَسَّان قباءٌ من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد. وقال خالد لأُكيْدِر: هل لك أن أُجِيرَك من القتل حتى آتي بك رسول الله ﷺ على أن تفتح لي دُومَة؟ فقال أُكَيْدِر: نعم. فانطلق به خالد حتى أدناه من الحصن.

فنادى أُكَيْدر أهله أن افتحوا باب الحصن، فأرادوا ذلك، فأبى عليهم مُضَادّ أخو أُكَيْدر. فقال أُكَيْدِر لخالد: تَعْلَمُ والله أنهم لا يفتحون لي ما رَأَوْني في وثاقك فَخَلِّ عَنّي فلك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتني على أهلي. قال خالد: فإني أُصالحك فقال أُكَيْدِر إن شئت حَكَّمْتُك وإن شئت حَكَّمْتَني. فقال خالد: بل نقبل منك ما أَعْطيت. فصالحه على أَلْفَيْ بعير وثمانمائة رأس وأربعمائة دِرْع وأربعمائة رُمْح، على أن ينطلق به وبأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما حُكْمُه. فلما قاضاه خالد على ذلك خَلَّى سبيله، ففتح باب الحصن، فدخله خالد وأوثق مُضَاداً أخا أُكَيْدِر، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلاح. ولما ظفر خالد بأُكَيْدِر وأخيه حَسَّان أرسل خالد عمرو بن أُمَيَّة الضَّمْرِي بشيراً وأرسل معه قَبَاء حسَّان. قال أنس وجابر: رأينا قَبَاء حسَّان أخي أُكيدر حين قُدِم به إلى رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه.

فقال رسول الله ﷺ: «أَتَعْجَبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لَمَنَادِيلُ سَعْد بن مُعَاذ في الجَنَّة أَحْسَنُ من هذا»(١). ثم إن خالداً لما قبض ما صالحه عليه أُكيدر عَزَل للنبي ﷺ صَفِيَّه له قبل أن يَقْسِم شيئاً من الفَيْئ، ثم خَمَّس الغنائم بعد. قال محمد بن عمر: كان صَفِيّ رسول الله ﷺ عبداً أو أَمَةً أو سَيْفاً أو دِرْعاً أو نحو ذلك.

ثم خَمَّس خالد الغنائم بعد، فقسمها بين أصحابه. قال أبو سعيد الخُدْرِيّ: أصابني من السلاح دِرْعٌ وَبَيْضَة وأصابني عَشر من الإبل. وقال وَاثِلَة بن الأَسْقَع: أصابني ست فرائض. وقال عبد الله بن عَمْرو بن عوف المازني: كنا مع خالد بن الوليد أربعين رجلاً من بني مُزَيْنَة وكانت سُهْمَانُنا خمس فرائض لكل رجل مع سلاح يُقْسَم علينا دروع ورماح. قال محمد بن عمر: إنما أصاب الواحد سِتًّا والآخر عَشْراً بقيمة الإبل. ثم إن خالداً تَوَجَّه قافلاً إلى المدينة ومعه أُكيدر ومُضَاد. وروى محمد بن عمر عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: رأيت أُكيدر حين قدم به خالد وعليه صليب من ذهب وعليه الديباج ظاهراً.

(١) أخرجه ابن ماجة (١٥٧) وأحمد في المسند ٢٠٩/٣ والحديث أخرجه البخاري ١٠/ ٣٠٣(٥٨٣٦).

فلما رأى النبي ﷺ سَجَدَ له، فأومأ رسول الله ﷺ بيده: لا لا مَرَّتَيْن. وأهدى لرسول الله ﷺ هَدِيَّة فيها كُسْوَة، قال ابن الأثير: وَبَغْلَة وصالحه على الجزية. قال ابن الأثير: وبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار وحَقَن دَمَه وَدَم أخيه وخَلَّى سبيلهما. وكتب رسول الله ﷺ كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه، ولم يكن في يَدِ النبي ﷺ يومئذٍ خاتم فختم الكتاب بِظُفْره. قال محمد بن عمر حدثني شيخ من أهل دُومَة أن رسول الله ﷺ كتب له هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم»: هذا كتاب من محمد رسول الله لأُكَيْدِر حين أجاب إلى الإسلام، وخَلَع الأَنْدَاد والأَصْنَام مع خالد بن الوليد سيف الله في دُومَة الجَنْدَل وَأَكْنَافِها: أنَّ لنا الضَّاحِية من الضَّحْل والبَوْر والمَعَامِي وَأَغْفَال الأرض والحَلْقة [والسلاح] والحافِر والحِصْن ولكم الضَّامِنة من النَّخْل والمَعِين من المعمور بعد الخُمْس ولا تُعْدَل سَارِحَتُكُمْ ولا تُعَدّ فَاردتُكم ولا يُحْظَر عليكم النبات تُقِيمُونَ الصلاة لوقتها وتُؤْتُونَ الزكاة بحقها، عليكم بذلك عَهْدُ الله والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفاء، شَهِد الله تبارك وتعالى ومَنْ حَضَر من المسلمين»[1].

وقال بُجَيْر بن بُجَرَة الطائي يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد: «إنك ستَجِدُه يَصِيد البقر». وما صنعت البقر تلك الليلة بباب الحصن تصديقاً لقول رسول الله ﷺ:

تَبَارَكَ سَائِقُ البَقَرَاتِ إِنِّي ... رَأَيْتُ اللهَ يَهْدِي كُلَّ هَادِ

فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنْ ذِي تَبُوكٍ ... فَإِنَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالْجِهَادِ

قال البيهقي بعد أن أورد هذين البيتين من طريق ابن إسحاق وزاد غيره وليس في روايتنا: فقال له النبي ﷺ: «لا يَفْضُضِ الله فَاك»[2]. فأتى عليه تسعون سنة فما تحرَّك له ضِرْس. وروى ابن مَنْدَه وابن السَّكَن وأبو نُعَيْم، كلهم عن الصحابة، عن بُجَيْر بن بُجَرَة قال: كنت في جيش خالد بن الوليد حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أُكَيْدِر دُومَة فقال له: «إنك تجده يصيد البقر». فوافقناه في ليلة مقمرة وقد خرج كما نعته رسول الله ﷺ، فأخذناه فلما أتينا رسول الله ﷺ أنشدته أبياتاً، فذكر ما سبق. فقال النبي ﷺ: «لا يَفْضُض الله فاك». فأتت عليه تسعون سنة وما تَحَرَّك له سِنّ.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥٤/٢.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٥١/٥ وذكره ابن حجر في المطالب (٤٠٦٥) وابن كثير في البداية والنهاية ١٧/٥.

تنبيهات

الأول: أُكَيْدِر: بضم الهمزة وفتح الكاف وسكون التحتية وكسر الدال المهملة وبالراء، هو أُكيدر بن عبد الملك بن عبد الْجِنّ.

الثاني: روى البيهقي عن موسى بن بُكَيْر عن سعيد ين أوْس الْعَبْسي - بالموحدة - من بلال بن يحي رحمه الله تعالى قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر على المهاجرين إلى دُومة الْجَنْدَل، وبعث خالد بن الوليد على الأعراب معه وقال:«انْطَلِقوا فإنكم ستجدون أُكَيْدِر دومة يَقْنِصُ الْوَحْش فَخُذُوه أخذاً وابعثوا به إلَيّ ولا تقتلوه وحاصروا أهْلَها»[1]. الحديث ورواه ابن مَنْدَه من طريق بِلال بن يحي عن حُذَيْفَة موصولاً. قُلْتُ: وَذِكْرُ أبي بكرٍ في هذه السَّرِيَّة غريب جداً لم يَتَعَرَّض له أحَد من أئِمَّةِ المغازي التي وَقَفْتُ عليها فالله أعلم.

الثالث: في بيان غريب ما سبق:

رُومَان: براء مضمومة كعُثْمَان.

قَفَل: بفتح القاف والفاءِ واللام: رَجَع.

دُومَة: بضم الدال المهملة وفتحها وسكون الواو فيهما.

الْجَنْدَل: [الْصَّخْر العظيم].

كِنْدَة: بكاف مكسورة فميم ساكنة فدال مهملة فتاءُ تأنيث ويُقال كِنْدِيّ لَقَبُ ثَوْر ابن عُفَيْر، أبو حَيٍّ من الْيَمَن لأنه كَنَدَ أباه النِّعْمَة ولَحِق بأخواله والْكَنْد الْقَطْع.

وَسَطُ بلاد كعب - مُحَرَّكَة ما بين طَرَفَيْها فإذا سُكِّنَتْ كانت ظَرْفاً.

الرَّباب: براء فموحدتين بينهما ألف: إسم امرأة لشبهها بالرَّباب وهو السحاب الأبيض.

أُنَيْف: [بضم أوله وفتح النون وسكون التحتية وبالفاءِ تصغير أنف].

الْقَيْنَة: بقاف مفتوحة فمثناة تحتية فنون: الأمَةُ المغنية أو أعَمُّ.

أضْمَر لها الخيل وضَمَّرها أن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن ثم لا تُعْلَف إلا قوتاً لتخف.

أُسْرِج له: بالبناءِ للمفعول.

حَسَّان: قُتِلَ على شِرْكِهِ.

المطَارد: بميم مفتوحة مِطْرَد كمنبَر: رمح قصير يُطْعَن به.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٢٥٣/٥ والحاكم ٥١٩/٤.

فَصَلَ: بفتح الفاء والصاد المهملة واللام: خَرَج.

اسْتَأْثَرَ [أسْلَمَ نَفْسَه أسيراً].

المُخَوَّص: بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والواو المشددة وبالصاد المهملة: المنسوج فيه الذهب وقيل فيه طريق من ذهب مثل خوص النخل.

مُضَادّ: [بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وبالدال المهملة المشددة بعد ألف].

قُدِم به: بالبناء للمفعول.

المناديل: جمع مِنْديل بفتح الميم وكسرها: الذي يُتَمَسَّح به.

الْصَّفِيّ: بصاد مهملة مفتوحة ففاءُ، ما يُختار من الغنيمة قبل القَسْم.

واثِلَة: بواو فألف فمثلثة فلام فمثناة.

الأسْقَع: بهمزة فسين مهملة فقاف فعين مهملة.

الفرائض: جمع فريضة وهي هنا البعير المأخوذ في الزكاة سُمِّي فريضة لأنه فَرْض واجب على رَبّ المال ثم اتُّسِعَ فيه حتى سُمِّي البعير فريضة في غير الزكاة.

المازني: نسبة إلى مازن أبو قبيلة. ومُزَيْنَة كَجُهَيْنَة قبيلة والنسبة إليها مُزَنِّي.

خَلَعَ بفتحات: نزع وتَرَكَ.

الأنْدَاد: جمع نَدّ وهو المِثْل.

الأكنَاف: جمع كَنَف وهو ما أحاط بالشيء.

الضَّاحِيَة: ما ظهر من البلاد.

الضَّحْل: بضاد معجمة فحاء مهملة فلام المكان الذي يَقِلّ به الماءُ.

البُور: بموحدة مضمومة فواو فراءُ: الأرض قبل أن تُصْلَح للزَّرْع أو التي تُجَمّ سنةً لِتُزْرع من قابِل.

الحَلْقَة: بحاء مهملة مفتوحة فلام ساكنة فقاف فتاءُ تأنيث: الدِّرْع.

الحافر: المراد به هنا الخَيْل.

الحِصْن: بحاء مكسورة فصاد ساكنة مهملتين: كل موضع حصين لا يُوَصَل إلى جوفه.

الضَّامِنة من النخل ما يكون في القرية أو ما أطاف به منها سوراً للمدينة.

المعِين: بفتح الميم وكسر العين المهملة: الظاهر الجاري.

لاتُعْدَل: [سارحتكم: لا تمنع من الْمَرعَى].

والسارحة بسين فراء فحاء مهملات: المال من النَّعَم. لا تُعَدّ[فاردتكم أي لا تُعَدّ مع غيرها فتُضَمّ إليها ثم تُصَدَّق].

والفارِدَة المنفردة في المَرْعَى.

لا يُحْظَر عليكم النبات: [أي لا تُمْنَعُون من الزَّرْع].

بِجُبَيْر: كَزُبَيْر.

بُجْرَة: بضم الموحدة وسكون الجيم.

تَبَارَك: تقدَّس وتَنَزَّه.

فَضَّ الله فاه: بفاء فضاد معجمة: كَسَرَه وفَرَّقه.

ابن مَنْدَه: بميم مفتوحة فنون ساكنة فدال مهملة فتاء.

ابن السَّكَن: بسين مهملة فكاف مفتوحتين فنون.

خَيْل رسول الله: فُرْسان خيل رسول الله ﷺ.

الباب السابع والستون

في بعثه صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنهما لهدم الطاغية.

روى البيهقي عن عُرْوَة، ومحمد بن عُمر عن شيوخه، وابن إسحاق عن رجاله، قالوا: إن عَبدياليل بن عَمْرو، وعَمْرو بن أُمية أحد بني علاج الثقفيان لما قَدِما على رسول الله ﷺ مع وفد ثقيف وأسلموا قالوا: أرأيت الرَّبَّة ماذا نصنع فيها؟ قال: اهدموها. قالوا: هَيْهات لو تعلم الرَّبَّة أنَّا أوضَعْنَا في هَدْمِها قتلت أهْلَنا. قال عمر بن الخطاب: وَيْحَك يا عَبْد ياليل ما أجمعك إنما الرَّبَّة حَجَر لا تدري من عَبَده ممن لم يَعْبُدْهُ. قال عَبْد ياليل: إنا لم نأتِك يا عُمر. وقالوا: يارسول الله اتركها ثلاث سنين لا تهدمها. فأبى. فقالوا: سنتين فأبى فقالوا سنة. فأبى. فقالوا شهراً واحداً. فأبى أن يُوَقِّت لهم وقتاً، وإنما يريدون تَرْك الرَّبَّة خوفاً من سفهائهم والنساء والصبيان، وكَرِهوا أن يُرَوِّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام. وسألوا رسول الله ﷺ أن يُعْفِيهَم من هدمها. وقالوا: يارسول الله اترك أنت هدمها فإنا لا نهدمها أبداً. فقال رسول الله ﷺ: «أنا أبعث أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شُعْبَة يهدمانها». فذكروا الحديث[1]. فقال الوفد وأخبروا قومهم خَبَرَهم وخَبَر الرَّبَّة.

فقال شيخ من ثقيف قد بَقِيَ في قلبه شِرك بعد: فذاك والله مِصْدَاقُ ما بيننا وبينه، فإن قَدِرَ على هدمها فهو مُحِقّ ونحن مُبْطِلون، وإن امتنعت ففي النفس من هذا بَعْدُ شيء. فقال عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: «مَنَّتْكَ والله نَفْسُك الباطل وغَرَّتْكَ الغرور الرَّبَّة، والله ما تَدْري مَنْ عَبَدها ومَنْ لم يَعْبُدْها». وخرج أبو سفيان بن حرب، والمغيرة بن شُعْبَة وأصحابهما لَهَدْمِ الرَّبَّة. فلما دَنَوْا من الطائف قال المُغيرة لأبي سفيان: تَقَدَّم أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذي الهَرَم، ودَخَل المغيرة في بضعة عشر رجلاً يهدمون الرَّبَّة. فلما نزلوها عِشاءً باتوا ثم غَدُوا على الرَّبَّة يهدمونها.

فقال المُغيرة لأصحابه الذين قَدِموا معه: «لأُضْحِكَنَّكُمْ اليوم من ثقيف». فاسْتَكَفَّتْ ثقيف كلها: الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحِجال حُزْناً يبكين على الطاغية، لا يرى عامة ثقيف أنها مهدومة ويَظُنُّون أنها مُمْتَنِعة. فقام المغيرة ين شعبة واستوى على رأس الدَّابَّة ومعه المِعْوَل، وقام معه بنو مُعَتِّب دريئة بالسلاح مخافة أن يُصاب كما فعل عَمُّه عُرْوَة بن مسعود. وجاء أبو سفيان وصَمَّم على ذلك فأخذ الكِرْزِين وضرب المغيرة

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٠٢/٥ وانظر البداية والنهاية ٣٣/٥.

بالكِرْزين ثم سقط مَغْشِيّاً عليه يرْكُض برجليه فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا: أسعد الله المغيرة قد قتلتم الرَّبَّة. زعمتم أن الرَّبَّة لا تمتنع بل والله لَتُمْنَعَنَّ، وفرِحوا حين رَأَوْه ساقطاً، وقالوا: من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها فوالله لا يُسْتَطاع أبداً. فوثب المغيرة بن شعبة وقال: قبحكم الله يامعشر ثقيف إنما هي لكاع، حجارة ومَدَر، فاقبلوا عافية الله تعالى ولا تعبدوها ثم إنه ضرب الباب فكسره ثم سَوَّرَها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سَوَّوْها بالأرض، وجعل السادِن يقول: لَيَغْضَبَنَّ الأساس فلَيُخْسَفَنَّ بهم.

فلما سمع بذلك المغيرة حفر أساسها فَخَرَّبَهُ حتى أخرجوا تُرابَها وانتزعوا حليتها وكُسْوَتها وما فيها من طِيب وذَهَب وفِضَّة وثيابها. فَبهِتَتْ ثقيف فقالت عجوز منهم: أسلمها الرضاع لم يحسنوا المصاع. وأقبل أبو سفيان والمغيرة وأصحابهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ بِحُلّيها وكُسْوَتِها وأخبروه خَبَرهم، فحمد الله تعالى على نَصْر نَبِيِّه وإعزاز دينه، وقسم رسول الله ﷺ مال الطاغية من يومه، وسأل أبو المُلَيْح بن عُرْوَة بن [مسعود بن مُعَتِّب الثَقَفي] رسول الله ﷺ أن [يِقْضِي] عن أبيه عُرْوَة دَيْناً كان عليه من مال الطاغية. فقال له رسول الله ﷺ: «نعم». فقال له قارب بن الأسود، وعن الأسود يا رسول الله فَاقْضِه، وعُرْوَة والأسود أخَوَان لأب وأم. فقال رسول الله ﷺ: «إن الأسود مات مُشْرِكاً». فقال قارب: يا رسول الله لكن تَصِل مسلماً ذا قرابة، يَعْنِي نَفْسَه، إنما الدَّيْن عَلَيّ وإنما أنا الذي أُطْلَب به. فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دَيْنَ عُرْوَة والأسود من مال الطاغية.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

الطاغية: هي اللاَّت.

ياليل: بِتَحْتِيَّتَيْن وبينهما لام مكسورة وآخره لام.

عِلاج: بكسر العين المهملة وبالجيم.

أرأيْتَ: أخبِرْني.

الرَّبَّة: بفتح الراء.

أوْضَعْنَا: بفتح أوله وسكون الواو وفتح الضاد المعجمة الساقطة وسكون العين المهملة: أسرعنا.

ذو الهَرْم: بفتح الهاء وسكون الراء: مال كان لعبد المطلب أو لأبي سفيان بالطائف.

اسْتَكَفَّ: اجتمع.

المِعْوَل: بكسر الميم وسكون العين المهملة وفتح الواو وباللام: الفأْس التي الحجارة.

مُعَتِّب: بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الفوقية المشددة وبالموحدة.

الكِرْزِين: والكَرْزَن بفتح الكاف وكسرها الفَأْس والكَرْزَم بالميم لغة.

يَرْكُض: يضرب الأرض برِجْله.

ارْتَجَّ: [افتعل من الرَّجّ وهو الحركة الشديدة].

لَكَاع: بفتح اللام والكاف وكسر العين المهملة على البناء: لئيمة.

المَدَر: بفتح الميم والدال المهملة وبالراء جَمْع مَدَرَة وهو التُراب المُتَلَبِّد.

السَّادِن: بسين مهملة فألف فدال مهملة فنون. الخادم.

بُهِت: بضم الموحدة وكسر الهاء وبالفوقية. هذه اللغة الفُصْحَى ويجوز الموحدة وتُكسر الهاء أي دهش وتَحَيَّر.

أبو المَلِيح: بفتح الميم وكسر اللام وسكون التحتية وبالحاء المهملة.

قارب: بالقاف وكسر الراء وبالموحدة.

الحُمْقُ: بضمتين وتسكن الميم: قلة العقل.

الباب الثامن والستون

في بعثه صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنهما قبل حجة الوداع إلى اليمن.

روى البخاري من طريق سعيد بن أبي بُرْدَة عن أبيه عن أبي موسى الأشعري، ومن طريق طارق بن شهاب كلاهما عن أبي موسى، ومن طريق عبد الملك بن عُمَيْر عن أبي بُرْدَة مُرْسَلاً. قال أبو موسى: أقبلت إلى رسول الله ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي كلاهما يسأل العَمل والنبي ﷺ يستاك، فقال: «ما تقول يا أبا موسى؟ أو قال: «يا عبد الله بن قيس؟» قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في نفسيهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل. قال: فكأني انظر إلى سواكه تحت شفتيه وقد قَلَصَتْ. قال:«لن يُسْتَعْمل على عملنا من يريده ولكن اذهب أنت يا أبا موسى، أو قال: يا عبد الله بن قيس». قال أبو موسى: فبعثني رسول الله ﷺ ومُعَاذاً إلى اليمن. قال أبو بُرْدَة: بُعِث كل منهما على مِخْلاَفِه. قال: واليمن مِخْلاَفان، وكانت جهة معاذ العليا وجهة أبي موسى السفلى. قال أبو موسى: فقال رسول الله ﷺ:«ادْعُوَا الناسَ وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا وتطاوعا ولا تختلفا». قال أبو موسى: يا رسول الله افْتِنَا في شرابَيْن كنا نصنعهما باليمن، قال: البتع وهو من العسل يُنْبَذ ثم يشتد، والمِزْر وهو من الذُرة والشعير يُنْبَذ ثم يشتد. قال: وكان رسول الله ﷺ قد أُعْطِيَ جوامع الكَلِم وخَوَاتِمه. قال:«أنهى عن كل مُسكِرٍ أسكر عن الصلاة». وفي رواية: فقال:«كل مُسْكِرٍ حرام»[(١)].

قال: فَقدِمْنا اليمن وكان لكل واحد مِنَّا قُبَّة نزلها على حِدَة. قال أبو بُرْدَة. فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه، وكان قريباً من صاحبه أحْدث به عَهْداً فسَلَّم عليه، فسار مُعاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى فجاء يسير على بَغْلَتِه حتى انتهى إليه فإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عُنُقه فقال له مُعاذ: يا عبد الله بن قيس أيّمَ هذا؟ قال: هذا يهودي كفر بعد إسلامه، أنزل وأَلْقِ له وسادة فقال: لا أنزل حتى يُقْتَل فأمر به فقُتِل. قال: إنما جيء به لذلك فانْزِل. قال: ما أنْزِل حتى يُقْتَل، ثم نزل. فقال: يا عبد الله كيف تقرأ القرآن؟ قال: «أتَفَوَّقُه تَفَوُّقاً. قال فكيف تقرأ أنت يا مُعَاذ؟ قال: أنام أوَّلَ الليل فأقوم وقد قَضَيْتُ جُزْئِي من النوم فأقرأ ما كَتَب الله لى فأحتسب نَوْمَتِي كما أحتسب قوْمَتِي».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٣٤٤).

المِزْر: بكسر الميم وسكون الزاي فراء: نبيذ الشَّعِير.

جوامع الكَلِم وخواتمه: يأتي الكلام على ذلك في الخصائص.

أَسْكَر عن الصلاة: أَلْهَى عنها بعد صَحْوِه.

قُبَّة على حِدَة: بحاء مكسورة فدال مفتوحة مخففة: أي جانب مُتَمَيِّز عن صاحبه.

أحدث به عهداً: أي في الزيادة.

جُمِعَتْ يداه إلى عُنُقِه: [أي قُيِّدت].

أَيَّمَ هذا: بفتح التحتية والميم وبغير إشباع أي أَيّ شيء هو؟ وأصلها أَيُّما وأَيٌّ استفهامية وما بمعنى شيء، فحُذِفت الألف تخفيفاً. وضَمَّ أبو ذَرّ الهَرَوي التحتية في روايته.

الوِسادة: بكسر الواو: المُتَّكَأ.

أَتَفَوَّقه: بفتح أوله والفوقية والفاء والواو المشددة وبالقاف: أي اقْرَأُه شيئاً بعد شيء في آناء الليل والنهار، بمعنى القراءة مرة واحدة، بل أُفَرِّق قراءته على أوقات، مأخوذ من فُوَاق الناقة وهو الحَلْب ثم تُتْرَك ساعة حتى تدِرّ ثم تُحْلَب.

جُزْئِي من النوم: بضم الجيم وسكون الزاي، بعدها همزة مكسورة فتحتية، أي أنه جَزَّأ الليل أجزاء جُزْءاً للنوم وجُزْءاً للقراءة والقيام.

فأَحْتَسِب: نومتي كما أَحتسب قوْمَتي: بهمزة قَطْع، وكسر السين من غير فوقية في «أحتسب» في الموضعين في غير رواية أبي ذَرّ، وبهمزة وصل وفتح السين وسكون الموحدة. وفي رواية أبي ذَرّ عن الحموي والمُسْتَمْلِي بصيغة الماضي فيهما.

كرائم الأموال: نفائسها أي احذر أخذ نفائس أموالهم.

قَرَّت عين [أم إبراهيم: أي سُرَّت بذلك وفَرِحت].

الباب التاسع والستون

في بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني عبد المدان، كذا عند ابن سعد في السرايا وهم من بني الحارث بن كعب بنجران في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر.

قالوا: بعثه رسول الله ﷺ إليهم وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثة أيام. فإن استجابوا فاقْبَل منهم وإن لم يفعلوا فقَاتِلْهم. فخرج إليهم خالد حتى قدم عليهم. فبعث الرُّكْبَان يضربون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام ويقولون: «أيها الناس، أَسْلِموا تَسْلَموا». فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه. فأقام فيهم خالد بن الوليد يُعَلِّمهم شرائع الإسلام وكتاب الله عز وجل وسُنَّة نبيه ﷺ. ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبي رسول الله ﷺ [من خالد بن الوليد] السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوَهم إلى الإسلام فإن أسلموا قَبِلت منهم وعَلَّمْتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسُنَّة نبيه، وإن لم يُسْلِموا قاتلتُهم. وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ. وبعثت فيهم رُكْباناً ينادون: يا بني الحارث أَسْلِموا تَسْلَموا. فأسْلَموا ولم يُقَاتلوا، وإني مُقِيم بين أَظْهُرهم آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأُعَلِّمُهم معالم الإسلام وسُنَّة النبي ﷺ حتى يكتب إلَيّ رسول الله ﷺ [والسلام عليك يا رسول الله ورحمته وبركاته].

فكتب إليه رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد. سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك يُخْبِر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وأن قد هَدَاهم الله بهُدَاه، فبَشِّرهم وأَنْذِرهم وأَقْبِل وليُقْبِل معك وَفْدُهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

عبد المَدَان: [المَدَان] كسحاب صَنَم بنجران.

[نَجْران]: كفعْلان موضع باليمن فُتِح سنة عشر، سُمِّي بنجران بن زيد بن سبأ.

الرُّكْبَان: جمع لراكب البعير خاصَّة.

يَضْرِبون: يسيرون سِراعاً غازين.

الباب السبعون

في سرية المقداد بن الأسود رضي الله عنه إلى أناس من العرب

روى البزار والدَّارقُطْنِي في الإفراد، والطبراني والضِياء في المختارة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وابن أبي شَيْبَة، وابن جرير عن سعيد بن جُبَيْر رحمه الله تعالى، قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود، فلما أَتَوْا القوم وجدوهم قد تَفَرَّقوا، وبَقِي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: «أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له». فأَهْوَى إليه المِقْداد فقتله. فقال له رجل من أصحابه: «قَتَلْتَ رجلاً شهد ألا إله إلا الله، لأَذْكُرَنَّ ذلك لرسول الله ﷺ. فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد. فقال: «يا مِقْدَاد أَقَتَلْتَ رجلاً يقول لا إله إلا الله فَكَيْف لَكَ بلا إله إلا الله غداً؟». فأنزل الله عز وجل: **﴿يَا أَيُّها الَّذِين آمَنوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرةٌ كَذَلِكَ كُنْتُم مِنْ قَبْلُ﴾** [النساء ٩٤].

قال: فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجلاً مؤمناً يُخْفِي إيمانه مع قوم كُفَّار، فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تُخْفِي إيمانك بمكة». وقال سعيد بن جُبَيْر: فنزلت هذه الآية: **﴿ولا تقولوا لِمَنْ أَلْقَى إليكم السلام لَسْتَ مُؤْمِناً تبتغون عرض الحياة الدنيا﴾** يعني الغنيمة.

تنبيهات

الأول: تقدم في قصة أسامة قَتْلُه لمِرْداس: بن نَهِيك.

الثاني: اختلف في سبب هذه الآية:

[أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لحق ناس من المسلمين رجلاً معه غنيمة له فقال: السلام عليكم. فقتلوه وأخذوا غنيمته، فنزلت: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾** إلى قوله: **﴿عرض الحياة الدنيا﴾** قال: تلك الغنيمة. قال: قرأ ابن عباس **﴿السلام﴾**.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والطبراني والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: «مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنماً له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوّذ منا،

فعمدوا له فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت الآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم...**﴾ الآية».

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير والطبراني وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم الحرث بن ربعي أبو قتادة، ومحلم بن جثامة بن قيس الليثي، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له، معه متيع له وقطب من لبن، فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام، فامسكنا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة لشيء كان بينه وبينه، فقتله وأخذ بعيره ومتاعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا...**﴾ الآية».

وأخرج ابن إسحاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبغوي في معجمه من طريق يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي حدرد الأسلمي عن أبيه نحوه، وفيه فقال النبي ﷺ: «أقتلته بعدما قال: آمنت بالله!؟ فنزل القرآن».

وأخرج ابن جرير عن ابن عمر قال: «بعث رسول الله ﷺ محلم بن جثامة مبعثاً، فلقيهم عامر بن الأضبط، فحياهم بتحية الإسلام، وكانت بينهم إحنة في الجاهلية، فرماه محلم بسهم فقتله، فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ، فجاء محلم في بردين، فجلس بين يدي النبي ﷺ ليستغفر له فقال: «لا غفر الله لك». فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت به ساعة حتى مات ودفنوه، فلفظته الأرض، فجاؤوا النبي ﷺ، فذكروا ذلك له فقال: «إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم، ثم طرحوه في جبل وألقوا عليه الحجارة، فنزلت: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم...**﴾ الآية».

الباب الحادي والسبعون

في بعثه صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى همدان ثم بعثه علياً رضي الله عنهما.

روى البيهقي في السنن والدلائل والمعرفة عن البَرَاء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البَرَاء فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يُجِيبوا. ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب مكان خالد وأمره أن يُقْفِل خالداً وقال: «مُرْ أصحاب خالد من شاء منهم أن يُعَقِّب معك فَلْيُعَقِّب ومن شاء فليُقْبِل». قال البَرَاء: فكنت فيمن عَقَّب مع عَلِيّ. فلما دَنَوْنا من القوم خرجوا إلينا فصَلَّى بنا عَلِيّ ثم صَفَّنا صَفّاً واحداً ثم تقدَّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت هَمْدان جميعاً. فكتب عَلِيّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خَرَّ ساجداً ثم رفع رأسه وقال: «السلام على هَمْدَان»[١] مرتين رواه البخاري مختصراً. وعنده عن البراء قال: فغَنِمْت أَواقٍ ذوات عَدَد».

وروى الترمذي وقال حسن غريب عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن جَيْشَيْن وأَمَّرَ عَلِيّاً على أحدهما وعلى الآخر خالد بن الوليد. وقال: «إذا كان قتال فعليّ رضي الله تعالى عنه الأمير». قال: فافتتح عَلِيّ حصناً فَغَنِمْتُ أَوَاقِيَ ذوات عدد، وأخذ عليّ منه جارية. قال: فكتب معي خالد إلى رسول الله ﷺ - الذي في جامع الترمذي «بشيء به» قال الترمذي: يعني النميمة - يُخْبِرُه. قال: فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ وقرأ الكتاب رأيته يتغيّر لونه فقال: «ما ترى في رجل يُحِبُّ الله ورسوله ويُحِبّه الله تعالى ورسوله؟» فقلت: أعوذ بالله من غضب الله تعالى وغضب رسوله، إنما أنا رسول. فسكتُّ[٢].

وروى الإمام أحمد، والبخاري والإسماعيلي، والنَّسَائي عن بُرَيْدَة بن الحُصَيْب رضي الله تعالى عنه قال: «أصبنا سَبْياً فكتب خالد إلى رسول الله ﷺ: «ابعث إلينا من يُخَمِّسه». وفي السَّبْي وصيفة هي من أفضل السَّبْي. فبعث رسول الله ﷺ عَلِيّاً إلى خالد ليقبض منه الخُمُس، وفي رواية: ليقسم الفيئ. فقبض منه فخمَّس وقسم، واصطفى عَلِيّ سَبِيَّة، فأصبح وقد اغتسل ليلاً. وكنت أَبْغَضُ عَلِيّاً بُغْضاً لم أبغضه أحداً، وأَحْبَبْتُ رجلاً من قريش لم أُحِبّه إلا لِبُغْضِه علياً. فقلت لخالد: أَلاَ تَرَى إلى هذا؟ وفي رواية: فقلت يا أبا الحسن

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٢/٣٦٦ وفي الدلائل ٥/٣٦٩ والبخاري ٧/ ٦٦٣(٤٣٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي ٤/ ١٨٠(١٧٠٤).

ما هذا؟ قال ألَم تَرَ إلى الوصيفة فإنها صارت في الخُمُس ثم صارت في آل محمد ثم في آل عَلِيّ فوقعت بها. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرت له ذلك»[(١)].

وفي رواية: فكتب خالد إلى رسول الله ﷺ فقلت ابعثني، فبعثني، فجعل يقرأ الكتاب وأقول صَدَق، فإذا النبي ﷺ قد احْمَرَّ وجهه فقال: «مَنْ كُنْتُ وَلِيَّه فَعَلِيّ وَلِيُّه». ثم قال: «يا بُرَيْدَة أتبْغَضُ عَلِيّاً؟» فقلت: نعم. قال: «لا تَبْغَضْهُ فإن له الخُمُس أكثر من ذلك». وفي رواية: «وَالَّذِي نَفْسي بيده لَنَصِيبُ عَلِيّ في الخُمُس أفْضَل مِنْ وَصِيفة وإنْ كُنْتَ تُحِبُّه فَازْدَدْ له حُبّاً». وفي رواية: «لا تَقَعْ في عَلِيّ فإنه مِنِّي وأنا مِنْهُ وهو وَلِيُّكم بَعْدِي»[(٢)]. قال بُرَيْدَة: فما كان في الناس أَحَدٌ أَحَبّ إلَيّ من عَلِيّ.

تنبيهات

الأول: قال ابن إسحاق وغيره: غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن مرّتين قال في العيون: ويشبه أن تكون هذه السرية الأولى،وما ذكره ابن سعد هي السرية الثانية كما سيأتي.

الثاني: قال الحافظ: كان بَعْث عليّ بعد رجوعهم من الطائف وقِسْمَة الغنائم بالجعرانة.

الثالث: قال الحافظ أبو ذَرّ الهَرَوِيّ: إنما أَبْغَضَ بُرَيْدَة علياً لأنه رآه أخذ من المَغْنَم فَظَنّ أنه غَلّ. فلما أعلمه رسول الله ﷺ أنه أخذ أَقَلّ من حقه أَحَبَّه. قال الحافظ. وهو تأويل حسن لكن يُبْعِده صَدْر الحديث الذي رواه أحمد، فَلَعَلّ سبب البغض كان لمعنى آخر وزال، ونَهَى النبي ﷺ عن بُغْضِه.

الرابع: اسْتُشْكِل وقوع عليّ رضي الله تعالى عنه على الجارية وأُجِيب باحتمال أنها كانت غير بالغ، ورأى أن مثلها لا يُسْتَبْرأ كما صار إليه غيره من الصحابة، أو أنها كانت حاضت عقب صيرورتها له ثم طَهُرَتْ بعد يوم وليلة ثم وقع عليها، أو كانت عذراء.

الخامس: اسْتُشْكِل أيضاً قسمته لنفسه، وأُجِيب بأن القسمة في مثل ذلك جائزة ممن هو شريكه فيما يقسمه كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم فكذلك ممن نَصَبَه الإمام فإنه مقامه.

السادس: في بيان غريب ما سبق:

هَمْدان: بسكون الميم وبالدال المهملة قبيلة معروفة. قال الأئمة الحُفّاظ: وليس في

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح (٥٢١٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٥٦/٥ وذكره الهيثمي في المجمع ١٢٨/٩ والمتقي الهندي في الكنز (٤٢٩٤٢).

الصحابة ولا تابعيهم ولا أتباع الأتْبَاع أحدٌ من البلدة التي هي بفتح الميم وبالذال المعجمة.

البَراء: بفتح الموحدة وتخفيف الراء.

عازب: بعين مهملة فألف فزاي مكسورة وبالموحدة: ضِدّ مُتزَوِّج.

أَمَره: بتخفيف الميم من الأمر.

يُقْفِل خالداً: بضم التحتية وسكون القاف وكسر الفاء يُرْجِعه ويَرُدُّه.

يُعَقِّب: بضم التحتية وفتح العين المهملة وتشديد القاف: يرجع.

أواق: مثل جوَارٍ، وفي لفظ أواقِيّ بتحتية مشددة وتُخَفَّف.

ذوات عَدَد: [أي كثيرة].

بُرَيْدَة: بضم الموحدة وفتح الراء وسكون التحتية وبالدال المهملة.

الحُصَيْب: بحاء مضمومة فصاد مفتوحة مهملتين فتحتية ساكنة فموحدة.

الوَصِيفة: بواو فصاد مهملة فتحتية ففاء: الخادم.

السَّبِيَّة: بفتح السين المهملة وكسر الموحدة وسكون التحتية فهمزة: الجارية من السَّبْي.

مَنْ كنت وَلِيّه فعَلِيّ وَلِيّه: قال الحافظ لهذا اللفظ طرق يُقَوِّي بعضها بعضاً.

وهو وليكم بعدي: [أي يلي أمركم].

الباب الثانـي والسبعون

في سرية علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى اليـمن الـمرة الثانـيـة.

قال محمد بن عمر، وابن سعد[١] رحمهما الله تعالى واللفظ للأول: قالوا ـ : بعث رسول الله ﷺ عليّاً إلى اليـمن في رمضان وأمره أن يعسكر بقناة فعسكر بها حتى تتامّ أصحابه. فعقد له رسول الله ﷺ لواءً وأخذ عمامته فلفَّها مثنية مربَّعة فجعلها في رأس الرُّمح ثم دفعها إليه وعمَّمَه بيده عِمامةً ثلاثة أكْوَار وجعل له ذراعاً بين يديه وشِبْراً من ورائه وقال له: «امْضِ ولا تلتفت».

فقال عليّ: يا رسول الله ما أصنع؟ قال: «إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم إلى أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن قالوا نعم فمُرْهم بالصلاة فإن أجابوا فمُرْهم بالزكاة فإن أجابوا فلا تَبْغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدِيَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت».

فخرج عليّ في ثلاثمائة فارس فكانت خيلهم أول خَيْل دخلت تلك البلاد. فلما انتهى إلى أدنى الناحية التي يريد من مَذْحِج فرّق أصحابه فأتوا بِنَهْب وغنائم وسبايا نساءً وأطفالاً ونعماً وشاءً وغير ذلك. فجعل عليّ على الغنائم بُرَيْدَة بن الحُصَيْب الأسلمي فجمع إليه ما أصابوا قبل أن يَلْقَى لهم جَمْعاً. ثم لَقِي جمْعَهم، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا أصحابه بالنَّبْل والحجارة. فلما رأى أنهم لا يريدون إلا القتال صَفَّ أصحابه ودفع اللواء إلى مسعود بن سِنَان السُّلَمِي فتقدم به، فبرز رجل من مَذْحِج يدعو إلى البراز، فبرز إليه الأسود بن خُزَاعي فقتله الأسود وأخذ سلبه. ثم حمل عليهم عليّ وأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرّقوا وانهزموا وتركوا لواءهم قائماً وكفَّ عليّ عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا. وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه على الإسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخُذْ منها حقَّ الله تعالى. وجمع عليّ ما أصاب من تلك الغنائم، فجزّأها خمسة أجزاء فكتب في سهم منها لله ثم أَقْرَع عليها، فخرج أول السُّهْمَان سهم الخُمس وقسم عليّ رضي الله تعالى عنه على أصحابه بقيَّة المغنم، ولم يُنَفِّل أحداً من الناس شيئاً، وكان من كان قبله يُعْطون خيلهم الخاص دون غيرهم من الخمس ثم يخبرون رسول الله ﷺ بذلك فلا يرُدُّه عليهم فطلبوا ذلك من عليّ فأبى وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله ﷺ يرى فيه رأيه.

وأقام فيهم يُقْرِئهم القرآن ويُعلِّمهم الشرائع وكتب إلى رسول الله ﷺ كتاباً مع

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٢٢/١/٢.

عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَني يخبره الخبر. فأتى رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ أن يوافيه المَوْسِم، فانصرف عبد الله بن عمرو بن عوف إلى عليّ بذلك فانصرف عليّ راجعاً. فلما كان بالفُتُق تعجَّل إلى رسول الله ﷺ يخبره الخبر وخلَّف على أصحابه والخمس أبا رافع، فوافى رسول الله ﷺ بمكة قد قدمها للحج، وكان في الخمس ثياب من ثياب اليمن أحمال مَعْكُومة ونعم وشاء مما غنموا، ونعم من صدقة أموالهم. فسأل أصحاب عليّ أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يُحْرِمون فيها فكساهم منها ثوبين ثوبين. فلما كانوا بالسُّدْرة داخلين خرج عليّ ليَتَلَقَّاهم ليَقْدَم بهم، فرأى على أصحابه الثياب فقال لأبي رافع: ما هذا؟ فقال: «كَلَّموني ففرقْتُ من شكايتهم وظننتُ أن هذا ليسهل عليك وقد كان مَنْ قبلك يفعل هذا بهم». فقال: «قد رأيتَ امتناعي من ذلك ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خَلَّفْت فتعطيهم». فنزع عليّ الحُلَل منهم.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ شَكَوْه، فدعا علياً، فقال: «ما لأصحابك يشكونك؟» قال: ما أشْكَيْتهم، قسمت عليهم ما غنموا وحسبت الخمس حتى يقدم عليك فترى فيه رأيك. فسكت رسول الله ﷺ. قالوا: واحتفر قومٌ بئراً باليمن فأصبحوا وقد سقط فيها أسد، فنظروا إليه، فسقط إنسان بالبئر فتعلَّق بآخر وتعلَّق الآخر بآخر حتى كانوا في البئر أربعة فقتلهم الأسد، فأهْوَى إليه رجل برمح فقتله. فتحاكموا إلى عليّ رضي الله تعالى عنه. فقال: رُبْع دِيَة وثُلُث دية ونصف دية ودية تامة: للأسفل ربع دية من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة، وللثاني ثلث دية لأنه هلك فوقه إثنان وللثالث نصف دية من أجل أنه هلك فوقه واحد، وللأعلى الدِّية كاملة. فإن رضيتم فهو بينكم قضاءٌ وإن لم ترضوا فلا حقَّ لكم حتى تأتوا رسول الله ﷺ فيقضي بينكم. فلما أتوا رسول الله ﷺ قَصُّوا عليه خبرهم، فقال: «أنا أَقْضي بينكم إن شاء الله تعالى». فقال بعضهم: يا رسول الله إن علياً قد قضى بيننا. قال: «فيم قضى؟» فأخبروه، فقال: «هو كما قضى به».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

يُعَسْكِر: يجمع عَسْكَره أي جيشه.

قَنَاة: بفتح القاف وتخفيف النون وبعد الألف تاء تأنيث: وادٍ من أودية المدينة.

ثلاثة أَكْوَار: جمع كَوْرَة العِمامة وهي إدارتها.

امْضِ: بهمزة وَصْل.

السَّاحة: عَرْصة الدار والمراد هنا المكان.

مَذْحِج: بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وبالجيم: قبيلة من اليمن.

أَدْنى الناحية: أقربها.

النَّهْب: بفتح النون: غنائم [وغَنَائِم] بدل من نَهْب فهو مجرور بالفتحة.

جُمِع إليه: بالبناء للمفعول.

السَّبيْ: بسين مهملة مفتوحة فموحدة ساكنة فتحتية: الحَمْل من بلد لآخر.

الشَّاء: بالمدّ جمع كثرة للشاة، وأما جمع القِلَّة فشِيَاه.

النَّبْل: بفتح النون وسكون الموحدة: السِّهام العربية.

مَسْعود بن سِنان السَّلَمي. نُسِب أسلمياً ولذا فرَّق بينهما ابن الأثير، وقال في الإصابة والنور لعله أسلمياف حليفاً لبني سَلِمَة بكسر اللام من الأنصار.

بَرَزَ: ظهر بعد اختفائه.

البَرَازَ: بفتح الموحدة ثم راء: الخروج.

ابن خُزَاعي: [بضم الخاء المعجمة وبالزاي فألف فعين مهملة مكسورة فتحتية].

السَّلَب: بالتحريك ما يؤخذ من القتيل.

كَفَّ عنه: بفتح الكاف والفاء المشددة.

علي مَنْ وراءنا: بفتح الميم.

جَزَّأَها: بفتح الهمزة بعد الزاي.

السُّهمَان: بضم السين المهملة جمع سَهْم وهو الحظ.

ابن عوف: بالفاء.

المُزَنِي: بضم الميم وفتح الزاي وبالنون فتحتية.

يُوَافيه: [يأتيه].

المَوْسِم: اجتماع الناس للحج.

الفُتُق: بفاء وَمُثنَّاة مضمومة فقاف: مكان بالطائف.

مَعْكُومَة: مشدودة.

النَّعَم: بفتح النون والعين المهملة وقد تكسر عينه: الإبل والشَّاء أو خَاصّ الإبل.

السُّدْرَة: [موضع قرب المدينة].

ففَرِقْتُ من شكايتهم: بفاء مفتوحة فراء مكسورة فقاف: فَزِعْتُ.

شكايتهم: بكسر الشين المعجمة أي ذكر ما بهم من مرض أو غيره.

ما أشكيتهم أي ما أزلت شكايتهم أي ما يَشْكُونه.

الباب الثالث والسبعون

في سرية بني عبس.

ذكر ابن سعد في الوفود أن بني عَبْس وفدوا وهم تسعة. فبعثهم رسول الله ﷺ سرية لعير قريش، وذكر ابن الأثير أن فيهم مَيْسَرة بن مسروق وأنه لقي رسول الله ﷺ، في حجة الوداع ويأتي إن شاء الله تعالى في الوفود لذلك زيادة.

الباب الرابع والسبعون

في بعثه صلى الله عليه وسلم سرية إلى رعية السحيمي(١) رضي الله عنه قبل إسلامه.

روى ابن أبي شَيْبَة، والإمام أحمد بسند جَيِّد عنه أن رسول الله ﷺ كتب إليه كتاباً في أديم أحمر، فأخذ كتاب رسول الله ﷺ فَرَقع به دَلْوَه. فبعث رسول الله ﷺ سرية فلم يدعوا له سارحة ولا رائحة ولا أهلاً ولا مالاً إلا أخذوه، وانْفَلَتَ عُرْياناً على فرس له ليس عليه سُتْرَة حتى انتهى إلى ابنته وهي متزوجة في بني هلال وقد أسلمت وأسلم أهلها. وكان مجلس القوم بفناء بيتها، فدار حتى دخل عليها من وراء البيت. فلما رأته ألقت عليه ثوباً وقالت: ما لك؟ قال: «كل الشَّرِّ نزل بأبيك ما تُرِك له رائحة ولا سارحة ولا أهل ولا مال. قالت: دُعِيت إلى الإسلام؟.

قال: أين بعلك؟ قالت: في الإبل. فأتاه. قال: مالك؟ قال: كل الشر نزل بي ما تُرِكت لي رائحة ولا سارحة ولا أهل ولا مال وأنا أريد محمداً قبل أن يقسم أهلي ومالي. قال: فخُذْ راحلتي برحْلها. قال: لا حاجة لي فيها. قال فخذ قعود الراعي. وزوَّده إداوة من ماء. قال: وعليه ثوب إذا غطَّى به وجهه خرجت استه وإذا غطَّى استه خرج وجهه وهو يكره أن يُعرف حتى انتهى إلى المدينة فعقل راحلته.

ثم أتى رسول الله ﷺ فكان بحذائه حيث يُقْبِل. فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح قال: يا رسول الله ابسُط يدك أُبايعك، فبسطها. فلما أراد أن يَضْرِب عليها قبضها إليه رسول الله ﷺ. قال: ففعل ذلك رسول الله ﷺ ثلاثاً ويفعله.

فلما كانت الثالثة قال: «من أنت؟» قال: أنا رِعْيَة السُّحَيْمِي. قال: فتناول رسول الله ﷺ عَضُدَه ثم رفعه ثم قال: «يا مَعْشَر المسلمين هذا رِعْيَة السُّحَيْمِي الذي بعثت

(١) انظر ترجمته في الإصابة ٢٠٨/٢.

إليه كتابي فَرَقَع به دَلْوَه». فأخذ يتضرع إليه. قلت: يا رسول الله أهلي ومالي. قال: «أَمَّا مالُك فقد قُسِّم وأَمَّا أهلك فمنْ قدرتَ عليه منهم».

فخرج فإذا ابنه قد عرف الراحلة وهو قائم عندها فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذا ابني. قال: «يا بلال أخرج معه فسَلْه أبوك هو؟ فإذا قال نعم فادفعه إليه». فخرج إليه فقال: أبوك هذا؟ قال: نعم. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما رأيت أحداً منهما استعبر لصاحبه. قال: «ذاك جفاء الأعراب»(١).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

رِعْيَة: بكسر الراء وسكون العين المهملتين وبالتحتية فتاء تأنيث، وقال الطبري بالتصغير.

السُّحَيْمِي: بمهملتين مُصَغَّر.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٨٦.

الباب الخامس والسبعون

في بعثه صلى الله عليه وسلم أبا أمامة صُدي بن عجلان رضي الله عنه إلى باهلة.

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله عز وجل وأعْرِض عليهم شرائع الإسلام. فأتيتهم وقد سقوا إبلهم وجلبوها وشربوا. فلما رأوني قالوا: مرحباً بالصُّدَيّ بن عَجْلان. وأكرموني وقالوا: بلغنا أنك صَبَوْت إلى هذا الرجل. فقلت: لا ولكن آمنت بالله ورسوله وبعثني رسول الله ﷺ إليكم أعرِض عليكم شرائع الإسلام. فبينا نحن كذلك إذ جاءوا بقَصْعَتِهم فوضعوها واجتمعوا حولها يأكلونها وقالوا: هَلُمَّ يا صُدَيّ. قلت: ويْحَكُم إنما أتيتكم من عند مَنْ يُحَرِّم هذا عليكم إلا ما ذَكَّيْتم كما قال الله تعالى. قالوا: وما قال؟ قلت: نزلت هذه الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ [المائدة ٣] إلى قوله: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾، فجعلتُ أدعوهم إلى الإسلام فكذَّبوني وزَبَروني وأنا جائع ظمآن قد نزل بي جهد شديد. فقلت لهم: ويْحَكُم إيتوني بشَرْبَة من ماءٍ فإني شديد العطش. قالوا: لا ولكن ندعك تموت عطشاً. قال: فاعتممتُ وضربت برأسي في العِمَامة ونمت في حَرٍّ شديد، فأتاني آت في منامي بقدح فيه شراب من لبن لم ير الناس ألَذَّ منه فشربته حتى فرغْتُ من شرابي ورَوِيْت وعَظُمَ بطني. فقال القوم: أتاكم رجل من أشرافكم وسَرَاتكم فرَدَدْتُمُوه فاذهبوا إليه وأَطْعِموه من الطعام والشراب ما يشتهي. فأتَوْني بالطعام والشراب فقلت: لا حاجة لي في طعامكم ولا شرابكم، فإن الله تعالى أطعمني وسقاني، فانظروا إلى الحال التي أنا عليها. فأَرَيْتُهم بطني فنظروا فأسلموا عن آخرهم بما جئت به من عند رسول الله ﷺ. قال أبو أُمَامة: ولا والله ما عَطِشْتُ ولا عرفْتُ عطشاً بعد تيك الشَّرْبَة، رواه الطبراني من طريقين إحداهما سندها حسن.

الباب السادس والسبعون

في سرية جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه إلى ذي الخلصة.

روى الشيخان عن جرير رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا تُريحُني من ذي الخَلَصة؟» وكان بيتاً لخثعم وبَجيلة فيه نُصُب تُعْبَد، تسمى الكعبة اليمانية. قال جرير: فنفرْتُ في مائة وخمسين راكباً من أَحمَس وكانوا أصحاب خَيْل، وكنت لا أَثْبُت على الخيل، فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري وقال: «اللهم ثَبِّته على الخيْل واجعله هادياً مَهْدِيًّا». قال: فأتيناه فكسرناه وحرَّقناه وقتلنا مَنْ وجدنا عنده. وبعثت إلى رسول الله ﷺ رجلاً يُبَشِّره يُكْنَى أبا أرطاة. فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله [والذي بعثك بالحق] ما جئتك حتى تركناها كأنها جَمَلٌ أجرب. قال: «فَبَرَّك رسول الله ﷺ على خيل أَحْمَس ورجالها خَمْس مرات». قال جرير: فأتيت رسول الله ﷺ فدعا لنا ولأحْمَس، فما وقعت عن فرس بعد(١).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

ذو الخَلَصَة: مُحَرَّكة وبضمتين بيتٌ كان يُدْعَى الكعبة اليمانية لِخَثْعَم كان فيه صَنَم اسمه الخَلَصَة.

أَلاَ: بمعنى هَلاَ.

تُرِيحُنِي: أي تدخلني في الراحة وهي الرحمة.

خَثْعَم: بفتح الخاء المعجمة وسكون الثاء المثلثة وفتح العين المهملة فميم.

بَجِيلة: [كسفينة حَيّ باليمن من مَعَدّ].

نُصُب: بضمتين كل ما عُبِد من دون الله.

تُعْبَد: بضم الفوقية وسكون العين المهملة وفتح الموحدة.

الكَعْبَة: كل بيت مربع.

اليمانية: منسوبة إلى اليمن، مُحَرَّكة.

نَفَرْتُ: بنون ففاء فراء: ذهبتُ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (٤٣٥٥).

أَحْمَس: تقدم تفسيره.

لا أَثْبُتُ على الخيل: [لا أتماسك عليها].

أبو أَرْطَاة: [الأَرْطَاة واحدة الأَرْطَى وهو ضَرْبٌ من الشجر يُدْبَغ به].

كأنها جَمَل أجرب: أي مُعْيِد. والجَرْبَاء الأرض المقحوطة.

بَرَّكَ: دعا بالبركة وهي النَّمَاء والزيادة والسعادة.

الباب السابع والسبعون

في بعثه صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وخالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن رضي الله عنهما.

روى محمد بن رمضان بن شاكر في مناقب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى قال: «وجَّه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن وقال: «إذا اجتمعتما فعليٌّ الأمير وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير»[1]. فاجتمعا. وبلغ عَمْرو بن مَعْدِ يكرب. فابتدره عليّ مكانهما. فأُقْبَل على جماعة من قومه. فلما دنا منهما قال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم فإني لم أُسَمَّ لأحَدٍ قط إلا هابني. فلما دنا منهما نادى: أنا أبو ثَوْر وأنا عمرو بن معد يكرب. فابتدره عليّ وخالد وكلاهما يقول لصاحبه: خلِّني وإيَّاه ويَفْدِيه بأُمِّه وأبيه. فقال عمرو إذ سمع قولهما: الغرب تفزع بي وَأُرَاني لهؤلاء جَزَراً. فانصرف عنهما. وكان عمرو فارس العرب مشهوراً بالشجاعة وكان شاعراً مُحْسِناً».

وروى محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة من طُرُق قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن وقال له: «إن مَرَرْت بقرية فلم تسمع أذاناً فاسْبِهِم»[2] فمرَّ ببني زُبَيْد فلم يسمع أذاناً فسباهم. فأتاه عمرو بن مَعْدِ يَكرب فكلَّمه فيهم فوهبهم له، فوهب له عمرو سيفَه الصَّمصامة فتسلمه خالد ومدح عمرو خالداً في أبيات له.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٤/٤.

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (١١٤٤١).

الباب الثامن والسبعون

في بعثه صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى خَثْعَم.

روى الطبراني برجال ثِقات عن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ. بعثه إلى أُناس من خَثْعَم، فاعتصموا بالسجود فقتلهم فَوَداهم رسول الله ﷺ نصف الدِّيَة ثم قال: «أنا بريءٌ من كل مسلم أقام مع المشركين لا تَراءَى ناراهما»(١).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

خثعم: تقدم الكلام عليها غير مرة.

لا تَرَاءَى ناراهما: [لا تتراءى ناراهما].

الباب التاسع والسبعون

في بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو بن مرّة الجهني رضي الله عنه إلى أبي سفيان بن الحارث قبل إسلامه.

عن عمرو بن مرة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ بعث جُهَيْنَة ومُزَيْنَة إلى أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وكان مُنَابِذاً للنبي ﷺ، فلما وَلُّوا غير بعيد قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله بأبي أنت وأمي عَلاَمَ تبعث [هؤلاء] قد كادا يتفانيان في الجاهلية أدركهم الإسلام وهم على بقية منها. فأمر رسول الله ﷺ بِرَدِّهم حتى وقفوا بين يديه. فعقد لعمرو بن مُرَّة على الجيشين على جُهَيْنَة ومُزَيْنَة وقال: «سيروا على بركة الله». فساروا إلى أبي سفيان بن الحارث. فهزمه الله تعالى وكثر القتل في أصحابه. فلذلك يقول أبو سفيان بن الحارث: [......](٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٤/٤.

(٢) بياض بالأصل لم نستطع تكملته.

الباب الثمانون

في سرية أُسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهم إلى أُبْنَى وهي بأرض الشَّراة بناحية البلقاء.

وذلك أن رسول الله ﷺ أقام بعد حجته بالمدينة بقية ذي الحجة، والمُحَرَّم، وما زال يذكر مقتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله تعالى عنهم، ووجد عليهم وجْداً شديداً.

فلما كان يوم الإثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة أمر رسول الله ﷺ بالتَّهَيُّؤ لغزو الروم وأمرهم بالجِدّ، ثم دعا من الغد يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر أسامة بن زيد فقال: «يا أسامة سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى [موضع] مَقْتَل أبيك فأَوْطِئْهُم الخَيْل فقد وَلَّيْتُك هذ الجيش فأَغِرْ صباحاً على أهل أُبْنَى وحَرِّقْ عليهم وأَسْرِع السَّير تَسْبِق الأخبار فإن أَظْفَرَك الله فأَقْلِل اللُّبثَ فيهم وخُذْ معك الأَدِلاَّء وقدّم العيون والطلائع أمامك».

فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر بُدِئ برسول الله ﷺ وَجَعُه فَحُمَّ وصُدِّعَ. فلما أصبح يوم الخميس عَقَد لأسامة لواءً بيده. ثم قال: «اغْزُ بسم الله في سبيل الله فقاتِل من كَفَرَ بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا تتَمَنَّوا لِقَاء العدوّ فإنكم لا تَدْرُون لعلكم تُبْتَلون بهم ولكن قولوا اللهم أَكْفِنَاهم بما شئتَ واكْفُفْ بَأْسَهم عنَّا، فإن لَقُوكُم قد جلبوا وضَجُّوا فعليكم بالسَّكِينة والصَّمْت ولا تنازعوا فتفشلوا وتَذْهَب ريحكم وقولوا اللهم إنا نحن عَبِيدُك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغنيهم أنت واعلموا أن الجنة تحت البارقة».

فخرج أُسَامة رضي الله تعالى عنه بلوائه [معقوداً]، فدفعه إلى بُرَيْدَة بن الحُصَيْب الأسلمي، وعَسْكر بالجُرف فلم يبق أحدٌ من [وجوه] المهاجرين الأوّلين والأنصار إلا انْتُدِبَ في تلك الغزوة منهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وأبو عُبَيْدة بن الجَرَّاح، وسعد بن أبي وَقَّاص، وأبو الأَعْوَر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله تعالى عنهم في رجال آخرين من الأنصار، عِدَّة مثل قَتَادة بن النعمان، وسَلَمَة بن أسلم بن حَرِيش. فاشتكى رسول الله ﷺ وهو على ذلك، ثم وجد من نفسه راحة فخرج عاصباً رأسه فقال: «أيها الناس أَنْفِذوا بَعْثَ أسامة» ثم دخل رسول الله ﷺ.

فقال رجل من المهاجرين ـ كان أشدهم في ذلك قولاً ـ عَيَّاش بن أبي ربيعة [المخزومي] رضي الله تعالى عنه: «يستعمل هذا الغلام على المهاجرين». فَكَثُرت المقالة، وسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعض ذلك فَرَدَّه على من تكلم به، وأخبر رسول الله ﷺ فغضِب غضباً شديداً. وخرج يوم السبت عاشر المُحَرَّم سنة إحدى عشرة وقد

عَصَّب رأسه بعِصَابة وعليه قطيفة ثم صعد المنبر فحَمِدَ الله، وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس فما مقالة «قد بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طَعَنْتُمْ في إمارتي أُسَامَة لقد طَعَنْتُم في إمارتي أباه من قَبْلِه وَأَيْمُ الله كان للإمارة لَخَلِيقاً وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإنْ كان لِمَنْ أَحَبُّ الناس إلَيّ وإنهما لَمَخِيلاَنِ لكل خَيْرٍ فاسْتَوْصوا به خيراً فإنه من خِيَارِكم»[1].

ثم نزل فدخل بيته، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يُوَدِّعون رسول الله ﷺ فيهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ويمضون إلى العسكر بالجُرْف، ودخلت أم أَيْمَن رضي الله تعالى عنها فقالت: «يا رسول الله لو تركت أسامة يُقيم في معسكره حتى تتماثل فإن أسامة إن خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه». فقال: «أَنْفِذوا بَعْثَ أُسَامة». فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد.

ونزل أسامة يوم الأحد ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور، وهو اليوم الذي لَدّوه فيه، فدخل عليه وعيناه تَهْمِلان، وعنده الناس والنساء حوله فطأطأ عليه أسامة فَقَبَّله والنبي ﷺ لا يتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة كأنه يدعو له. ورجع أسامة إلى معسكره.

ثم دخل يوم الإثنين وأصبح رسول الله ﷺ مُفِيقاً وجاءه أسامة فقال له: «اغْدُ علىٰ بركة الله». فودَّعه أسامة وخرج إلى معسكره لما رأى رسول الله ﷺ مُفِيقاً. ودخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: «يا رسول الله أصبحت مُفِيقاً بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة فأْذَنْ لي». فأذِنَ له فذهب إلى السُّنح. وركب أسامة إلى العسكر وصاح في أصحابه باللحوق بالعسكر، فانتهى إلى معسكره وأمر الناس بالرحيل وقد مَتَعَ النهار.

فبينا هو يريد أن يركب أتاه رسول أمه أم أيمن يخبره أن رسول الله ﷺ يموت فأقبل إلى المدينة وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يجود بنفسه فتوفي رسول الله ﷺ ذلك اليوم. ودخل المسلمون الذي عسكروا بالجُرْف إلى المدينة ودخل بُرَيْدَة بن الحُصَيْب باللواء معقوداً فغرزه عند باب رسول الله ﷺ.

فلما بويع لأبي بكر أمر بُرَيْدَة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضي لوجهه وألا يحله حتى يغزوهم وقال لأسامة: «أَنْفِذْ في وجهك الذي وَجَّهك فيه رسول الله ﷺ». وأمر الناس بالخروج، فعسكروا في موضعهم الأول وخرج بُرَيْدَة باللواء. فلما ارتدت العرب كُلِّم أبو بكر في حَبْس أُسَامة فأبى.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٣٦/١/٢ وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٢٦٦).

ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته فكَلَّمه في أن يترك عمر وأن يأذن له في التخلف ففعل. وخرج ونادى مناديه عزمت لا يَتَخَلَّف عن أسامة من بعثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ، فإني لن أُوتَى بأحد أبطأُ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشياً. فلم يتخلَّف عن الْبَعْث أحد. وخرج أبو بكر يُشَيِّع أسامة فركب من الجُرْف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم ألف فارس، وسار أبو بكر إلى جنبه ساعة وقال: «أستَوْدِعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إني سمعت رسول الله ﷺ - يُوصيك، فَانْفُذْ لأمر رسول الله ﷺ فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه إنما أنا مُنَفِّذ لأمرٍ أمر به «رسول الله ﷺ ». فخرج سريعاً فوطِئَ بلاداً هادية لم يرجعوا عن الإسلام جُهَيْنَة وغيرها من قُضَاعة. حتى نزل وادي القُرى، فسار إلى أُبْنَى في عشرين ليلة. فقدِم له عين له من بني عُذْرَة يُدعَى حُرَيْثاً، فانتهى إلى أُبْنَى، ثم عاد فلقي أسامة على ليلتين من أُبْنَى فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم وحَثَّهم على السَّير قبل اجتماعهم. فسار إلى أُبْنَى وَعَبّأ أصحابه ثم شَنَّ عليهم الغارة فقتل من أشرف له وسَبَى من قَدِر عليهم، وحرّق بالنار منازلهم وحرْثهم ونَخْلهم فصارت أعاصير من الدواخين وأجال الخَيْل في عَرَصَاتِهِمْ وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم. وكان أسامة على فرس أبيه سَبْحَة وقتل قاتل أبيه في الغارة، وأسهم للفرس سَهْمَيْن وللفارس سهماً وأخذ لنفسه مثل ذلك.

فلما أمْسى أمر الناس بالرحيل ثم أَغَذَّ السَّير فورد وادي القُرى في تسع ليال ثم بعث بشيراً إلى المدينة بسلامتهم ثم قصد بعد في السَّير فسار إلى المدينة سِتًّا حتى رجع إلى المدينة ولم يُصَبْ أحدٌ من المسلمين. وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يَتَلَقَّونَهم سروراً بسلامتهم ودخل على فرس أبيه سَبْحَة واللواء أمامه يحمله بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب حتى انتهى إلى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف إلى بيته. وبلغ هِرَقْل وهو بِحِمْص ما صنع أسامة فَبَعث رابطة يكونون بالبَلْقَاء فلم تزل هناك حتى قَدِمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

تنبيهان

الأول: ذكر محمد بن عمر، وابن سعد أن أبا بكر رضي الله عنه كان ممَّن أمَره رسول الله ﷺ - بالخروج مع أسامة إلى أُبْنَى، وجرى عليه في المَوْرِد وجَزَم به في العيون، والإشارة، والفتح في مناقب زيد بن حارثة. وأنكر ذلك الحافظ أبو العباس بن تَيْمِية فقال في كتابه الذي رَدَّ فيه على ابن المُطَهَّر الرافضي: «لم ينقل أحد من أهل العلم أن النبي ﷺ - أرسل أبا بكر وعثمان في جيش أسامة، فقد استخلفه يُصَلِّي بالمسلمين مدة مرضه إلى أن مات وكيف يُتَصَوَّر أن يأمره بالخروج في الغزاة وهو يأمره بالصلاة بالناس؟» وبسط الكلام على

ذلك. فقلت: وفيما ذكره نظر من وجْهَيْن أولهما قوله: لم ينقل أحد من أهل العلم إلخ فقد ذكره محمد بن عُمر، وابن سعد وهما من أئمة المغازي: ثانيهما قوله: وكيف يرسل أبا بكر في جيش أسامة؟ إلخ ليس بلازم، فإن إرادة النبي ﷺ ـ بَعْثَ جيش أسامة كان قبل ابتداء مرض رسول الله ﷺ ـ فلما اشتد به المَرَض استثنى أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس. وقال ابن سعد: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء العِجْلي قال حدثنا المعمري عن نافع عن ابن عُمر أن رسول الله ﷺ ـ بعث سَرِيَّة فيها أبو بكر وعُمر واستعمل عليهم أسامة بن زيد، وكان الناس طعنوا فيه أي في صِغَره، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ـ إلخ فذكر الحديث.

الثاني: في بيان غريب ماسبق:.

أُبْنَى: بضم الهمزة وسكون الموحدة وفتح النون فألف مقصورة.

الشَّرَاة: بفتح الشين المعجمة والراء المخففة: جَبَل.

البلقاء: بفتح الموحدة وسكون اللام وبالقاف والمَدّ.

أغِرْ: بقطع الهمزة وكسر الغين المعجمة وبالراء: فعل أمْر.

تَسْبِقْ: بالجزم جواب شرط محذوف وحُرِّك بالكسر طلباً للخِفَّة.

اللُّبْث: بفتح اللام وسكون الموحدة الإقامة.

العيون: جمع عَيْن وهو الجاسوس.

الأربعاء: بتثليث الموحدة والأفصح الكسر.

بُدِئ: بالبناء للمفعول وهَمْز آخره أي ابْتُدِئ.

حُمَّ: بتشديد الميم والبناء للمفعول.

صُدِّع: بضم الصاد وكسر الدال المشددة وبالعين المهملات أي حصل له صُداع في رأسه أي وجع ما.

فلما أصبح يوم الخميس: يجوز في «يَوْم» النَّصب على الظرفية والرفع على أنه فاعل أصبح.

عَسْكَرَ: جمع عَسْكَره أي جَيْشَه.

الجُرُفُ: بضم الجميم والراء وبالفاء موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

انتدب: أسرع الخروج.

بُرَيْدَة: بضم الموحدة وفتح الراء.

المُحَصَّب: بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وبالموحدة.

حَرِيش: بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وسكون التحتية وبالشين المعجمة.

عَصَّب: بتشديد الصاد المهملة.

المَقَالة: بتخفيف اللام.

القطيفة: كساء له خَمْل.

وأيْمُ الله: من ألفاظ القَسم كقولك لعَمْرُو الله، وفيها لغات كثيرة وتفتح همزتها وتكسر، وهمزتها همزة وصل وقد تُقْطَع.

الخليق: بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام وسكون التحتية وبالقاف أي حقيق وجدير.

لَمَخِيلاَن: بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وسكون التحتية أي لمظنة كل خير.

أنْفِذُوا: بقطع الهمزة. وكسر الفاء.

المُعَسْكر: بفتح الكاف: الموضع الذي فيه العَسْكَر.

لَدُّوه: بفتح اللام ـ الدَّواء ـ الذي يُصَبّ من أحد جانِبَيْ الفم وهما لديداه ولَدَدْتُه فعلت به ذلك.

طأطأ: بهمزة ساكنة بعد الطاء الأولى وهمزة مفتوحة بعد الطاء الثانية.

وأمر النَّاس بالرحيل: الناس منصوب مفعول أمر وفاعله عائد على أُسَامة.

كُلِّم أبو بكر: بالبناء للمفعول.

شَنَّ عليهم الغارة: فرَّق عليهم الرجال من كل وجه.

حَرَّقَ: بتشديد الراء.

أعاصير: جمع إعصار وهو ريح يثير الغُبار ويرتفع إلى السماء كأنه عمود.

التَّعبِئَة: بفتح الفوقية وسكون العين المهملة وكسر الموحدة وفتح الهمزة فتاء تأنيث.

سَبْحَة: بفتح السين المهملة وسكون الموحدة.

أغَذَّ السَّير: بفتح الهمزة والغين والذال المعجمتين: أسرع.

وادي القُرَى: بضم القاف وفتح الراء والقَصْر.

حِمْص: مدينة معروفة من مشارق الشام لا تنصرف للعجمية والتأنيث والعلمية.

الرابطة: براء فألف فموحدة فطاء مهملة فتاء تأنيث: الجماعة الذين يحفظون من وراءهم من العَدُوّ.

الباب الحادي والثمانون

في ذكر بعض ما فتحه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من البلاد

البحرين: روى عبد الرزَّاق عن جعفر محمد بن على بن الحسين قال: إن أبا أسد جاء إلى النبي ـ ﷺ ـ بِسَبْي من البحرين، فنظر النبي ـ ﷺ ـ إلى امرأة منهن تبكي، قال: «ما شأنُكِ؟» قالت: باع ابني، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «أَبِعْتَ ابنها؟» قال: نعم، قال: فيمن؟ قال: في بني عبس، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «اركب أنت بنَفْسِك، فأت بِهِ»[1] والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين حمداً طيباً كثيراً.

---

(١) ذكره الزيلعي في نصب الراية ٢٤/٤ وعزاه للبيهقي في المعرفة في كتاب السير.

جماع أبواب بعض الوفود إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبارك عليه

الباب الأول

في بعض فوائد سورة النَّصر

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف، وبايعت ضَرَبتْ إليه وفود العرب من كل وجه قال ابن هشام رحمه الله تعالى: حدثني أبو عُبَيْدَة أن ذلك في سنة تِسْع وأنها كانت تُسمَّى سنة الوفود. قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: وإنما كانت العرب تَرَبَّصُ بالإسلام أمْرَ هذا الحَيّ من قريش وأمر رسول الله ﷺ ـ، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهادِيَهم، وأهْلَ البيت والحَرَم[وضريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام] وقادة العرب لا يُنْكِرُون ذلك، وكانت قريش هي التي نَصَبَت لحرب رسول الله ﷺ ـ وخِلافِه، فما افْتُتِحَتْ مكة، ودانت له قريش، ودوَّخها الإسلام، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ـ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله كما قال الله عزوجل ـ أفواجاً يَضْرِبُون إليه من كل وجه.

وفي صحيح البخاري عن عَمْرو بن سلمة رضي الله عنه قال: «وكانت العرب تَلَوَّمُ بإسلامهم الفَتْحَ، فيقولون: اتركوه وقومَه فإنه إن ظهر عليهم فهو نَبِيّ صادق. فلما كانت وقْعَةُ أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم وبَدَرَ أبي قَوْمي بإسلامهم». وذكر الحديث.

وقد أفرد الحافظ العَلاَّمة الشيخ برهان الدين البِقَاعي رحمه الله تعالى الكلام على تفسير سورة النَّصر إعلاماً بتمام الدِّين اللازم عن مَدْلول اسمها، اللازم عن موت النبي ـ ﷺ ـ اللازم عنه العلم بأنه ما بَرَزَ إلى عالم الكَوْن والفساد إلا لإعلاء كلمة الله تعالى وإدحاض كلمة الشيطان، اللازم عنه أنه ـ ﷺ ـ خلاَصةُ الوجود وأعظمُ عبدٍ للمولى الودود وعلى ذلك دلَّ أيضاً اسمها على التوديع وحالُ نزولها وهو أيام التشريق من سنة حِجَّة الوداع.

«﴿بِسْمِ اللهِ﴾ الذي له الأمر كله فهو العليم الحكيم، ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أرسلك رحمةً للعالمين، فعَمَّهم بعد نعْمة الإيجاد بأن بَيَّن لهم إقامة معاشهم ومَعَادهم بِكَ طريقُ النَّجاة وغايةُ البيان بما أنزل عليك من مُعْجز القرآن الذي مَنْ سَمِعه فكأنما سمعه من الله. ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي خَصَّ من أراده بالإقبال به إلى حِزْبه وجعله من أهل قُرْبه [بلزوم الصراط المستقيم] لما دلَّت التي قبلها على أن الكُفَّار قد صاروا إلى حال لا عِبْرة لهم فيه ولا التفات إليهم، ولا خَوْف

بوجه منهم ما دام الحال على المُتَارَكَة كأنه قيل فهل يحصل نَصْر عليهم وظَفَر بهم [بالمعاركة] فأجاب بهذه الصورة بشارةً للمؤمنين ونذارةً للكافرين.

ولكنه لما لم يكن ذلك بالفعل إلا عام حِجّة الْوَدَاع يعني بعد فتح مكة بِسَنَتَيْنِ كان كأنه لم يَسْتَقِرّ الفتح إلا حينئذٍ، فلم يُنْزِل سبحانه هذه السورة إلا في ذلك الوقت وقبل مُنْصَرَفِه من غزوة حُنَيْن قبل ذلك. فقال تعالى: ﴿جَاءَ﴾ ولما كانت المُقَدَّرات متوجهة من الأَزَل إلى أوقاتها المُعَيَّنة لها، يَسُوقُها إليها سائق القُدْرَة فتقرب منها شيئاً فشيئاً كانت كأنها آتية إليها فلذلك حصل التَّجَوُّز بالمجيء عن الحصول فقال]: ﴿جاء﴾ أي اسْتَقَرَّ وثَبَت في المستقبل لمجيء وقته المضروب له في الأَزَل، [وزاد في تعظيمه بالإضافة ثم بكونها إلى اسم الذات فقال]: ﴿نَصْرُ اللهِ﴾ أي الْمُلْك الأعظم الذي لا مِثْل له ولا أَمْر لأحد معه على جميع الناس في كل أمر تريده، ولما كان النصر درجات وكان قد أشار سبحانه بمطلق الإضافة إليه ثم بِكَوْنها إلى الإسم الأعظم إلى أن المراد أعلاها صَرَّحَ به فقال: ﴿والْفَتْح﴾ أي الذي نزلت سورته بالْحُدَيْبِيَة مُبَشِّرَةً بِغَلَبَة حِزْبِه الذي أنت قائدهم وهاديهم ومُرْشِدهم [لا سيما] على مكة التي بها بَيْتُه ومنها ظهر دِينُه، وبها كان أصله وفيها مُسْتَقَرّ عموده وعِزّ جنوده، فَدَلَّ بذلك جميع العرب، [وقالوا: لا طاقة لنا بمن أظفره الله بأهل الحَرَم] فَفَرُّوا بهذا الذُّلّ حتى كان ببعضهم هذا الفتح، ويكون بهم كلهم فتح جميع البلاد، وللإشارة إلى الغَلَبَة على جميع الأُمم ساقه تعالى في أُسلوب الشرط ولتحققها عَبَّر عنه بـ ﴿إذا﴾.

﴿ورَأَيـتَ النَّاسَ﴾ أي العرب كانوا حقيرين عند جميع الأُمـم فصاروا بِكَ هُم الناس وصار سائر أهل الأرض لهم أتباعاً. ﴿يَدْخُلُونَ﴾ شيئاً فشيئاً محدداً دخولهم مستمراً ﴿فـي دِينِ اللهِ﴾ أي شَرْع من لم تزل كلمته هي العليا في حال الخلق بقهره لهم على الكفر [الذي لا يرضاه لنفسه عاقل ترك الحظوظ] وفي حال طواعيتهم بقَسْره لهم على الطَّاعة وعَبَّر عنه بالدِّين الذي معناه الجزاءُ لأن الْعَرَب كانوا لا يعتقدون القيامة التي لا يَتِمّ الجزاءُ إلا بها. ﴿أَفْوَاجاً﴾ أي قبائل وَزُمراً، زُمَراً وجماعات كثيفة كالقبيلة بأسرها، أُمَّةً بعد أُمَّة، في خِفَّةٍ وسُرْعة ومفاجأة ولين، واحداً واحداً أو نحو ذلك، لأنهم قالوا: أما أذا ظفر بأهل الحَرَم، وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل [الذين لم يَقْدِر أحد على رَدِّهم] فليس لنا به يَدَان [فَتَبَيَّن من هذا القياس المُنْتِج هذه النتيجة البديهية بِقِصَّة أصحاب الفيل ما رَتَّبه الله إلا إرهاصاً لِنُبُوَّته وتأسيساً لدعوته فأَلْقَوْا بأيديهم وأسلموا قيادهم حاضرهم وباديهم]. ولما كان التقدير: فقد سَبَّح الله تعالى نفسه بالحمد بإبعاد نَجَس الشِّرْك عن جزيرة العَرَب بالْفِعْل قال: ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي نَزِّه أنت بقولك وفِعْلك [بالصلاة وغيرها] مُوافَقَةً لمولاك لِمَا فَعَل تسبيحاً مُلَبِّساً ﴿بِحَمْدِ﴾

أي بكمال ﴿رَبِّكَ﴾ [الذي أنجز لك الوَعْد بإكمال الدِّين وقمع المعتدين] المُحْسِن إليك بجميع ذلك لأن كُلَّه لكرامتك وإلا فهو عزيز حميد على كل حال تَعَجُّباً [لتيسير الله على هذا الفتح ما لم يَخْطُر بالبال] وشكراً لِمَا أنعم به سبحانه عليه من أنه أرَاه تمام ما أُرْسِل لإجْلِه ولأن كل حَسَنَة يعملها أتباعه له مِثْلها.

«ولما أمَرَه ﷺ بتنزيهه عن كل نَقْص ووصفه بكل كمال مُضافاًإلى الرَّبّ، أمَرَه بما يُفهم منه العَجْز عن الوفاء بِحقِّه لِمَا له من العَظَمَة المُشَار إليها بِذِكْرِه مرَّتَيْن بالإسم الأعظم الذي له من الدلالة على العِظَم والعُلُوّ إلى مَحَلّ الغَيْب الذي لا مَطْمَع في دَرْكِه مما تَتَقَطَّع الأعناق دُونه فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ أي اطْلُبْ غُفْرَانَهُ إنه كان غَفَّاراً، إيذاناً بأنه لا يَقْدِر أحَدٌ أن يُقَدِّرَهُ حَقَّ قَدْره لتقتدي بك أُمَّتُكَ في المواظبة على الأمان الثاني لهم، فإن الأمان الأول الذي هو وجودك بين أَظْهُرِهم قد دنا رجوعُه إلى مَعْدِنه في الرفيق الأعلى والْمَحَلّ الأقدس، وكذا فَعَل ﷺ يَوْمَ دخل مكة مُطَأْطِئاً رَأْسَهُ حتى أنه ليكاد يَمَسّ واسطة الرَّحْل تواضعاً لله تعالى وإعلاماً لأصحابه أن ما وقع إنما هو بحول الله تعالى، لا بكثرة من معه من الجَمْع وإنما جعلهم سبباً لُطْفاً منه بهم، ولذلك نَبَّه مَنْ ظَنَّ منهم أو هَجَس في خاطره أن للجَمْع مدخلاً فيما وقع من الهزيمة في حُنَيْن أولاً وما وقع بعد من النُّصْرَة بمن ثَبَتَ مع النبي ﷺ وهم لا يبلغون ثلاثين نفساً. ولِمَا أمَر بذلك فأرشد السِّياق إلى أن التقدير: وتُبْ إليه، عَلَّله مُؤَكداً لأجل استبعاد من يستبعد مضمون ذلك من رجوع الناس في الرِّدَّة ومن غيره بقوله: ﴿إِنَّهُ﴾ أي المُحْسِن إليك بخلافته لكَ في أُمَّتِك، ويجوز أن يكون التأكيد دلالة ما تقدم من ذِكر الجلالة مرَّتَيْن على غاية العَظَمة والفَوْت على الإدراك بالاحتجاب بأردية الكِبْرِياءِ والعِزَّة والتَّجَبُّر والقَهْر، مع أن المألوف أن مَنْ كان على شيء من ذلك بحيث لايَقْبَل عُذْراً ولا يُقِيل نادِماً. ﴿كَانَ﴾ أي لم يَزَل ﴿تَوَّاباً﴾ أي رَجَّاعاً لمن ذهب به الشيطان من أهل رحمته. فهو الذي رجعَ بأنصارك عَمَّا كانوا عليه من الاجتماع على الكُفْر والاختلاف بالعداوات، فأيَّدَكَ بدخولهم في الدِّين شيئاً فشيئاً حتى أسرع بهم بعد سورة الفتح إلى أن دَخَلْتَ مكة في عشرة آلاف، وهو أيضاً يرجع بِكَ إلى الحال التي يزداد بها ظهور رِفْعَتِكَ في الرفيق الأعلى، ويرجع بمن تخلخل من أُمَّتِك في دِينه بِرِدَّةٍ أو معصية دون ذلك [إلى ما كان عليه من الخَيْر ويسير بهم أَحْسَن سَيْر].

«فقد رَجَع آخر السورة إلى أوَّلها بأنه لولا تحقق وصْفِه بالتوبة لَمَا وَجَد الناصر الذي وجد به الفتح، والتحم مَقْطَعُها أيَّ التحام بمطلعها، وعُلِم أن كل جملة منها مُسَبَّبة عما قبلها، فتوبة الله تعالى على عبيده نتيجة توبة العبد باستغفاره الذي هو طَلَب المَغْفِرَة بشروطه، وذلك ثمرة اعتقاده الكمال في ربه تبارك وتعالى، وذلك ما دَلَّ عليه إعلاؤه لدِينه وقَسْره للداخلين فيه

على الدخول مع أنهم أَشَدُّ الناس شَكَائِمَ وأعلاهم هِمَماً وعَزَائِمَ وقد كانوا في غاية الإباء له والمغالبة للقائم به، وذلك هو فائدة الفتح الذي هو آية النصر وقد عُلِم أن بالآية الأخيرة من الاحتباك ما دَلَّ بالأمر بالاستغفار [على الأمر] بالتوبة وبتعليل الأمر بالتوبة على تعليل الأمر بالاستغفار».

انتهى ما أوردته من كلام الشيخ برهان الدين البقاعي، وتأتي بَقِيَّتُه في الوفاة النبوية أن شاء الله تعالى.

تنبيهات

الأول: هذه السورة مدنية بلا خلاف، والمراد بالمدني ما نزل بعد الهجرة ولو بمكة على المُعْتَمَد. وروى البَزَّار، وأبو يَعْلَى، والبيهقي في الدلائل عن أبي عُمر رضي الله عنهما قال: نزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق فَعَرف أنه الوداع، فأَمَرَ بناقته القَصْوَاء فرحلت، ثم فخطب خُطْبته المشهورة.

الثاني: روى مسلم والنَّسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ﴾. وروى الترمذي والحاكم عن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح.

قال الشيخ في الإتقان: يَعْنِي: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْحُ﴾. قال الحافظ: والجمع بينهما أن آخر آية النصر نزولها كاملة بخلاف بَرَاءةَ. قلت: ولفظ حديث ابن عُمَر، وعند الطبراني: آخر سورة نزلت من القرآن جميعاً: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْحُ﴾.

الثالث: سُئِل عن قول الكَشَّاف أن سورة النصر نزلت في حَجَّة الوداع أيام التشريق فكيف صَدَرتْ بـ ﴿إِذَا﴾ الدَّالَّة على الاستقبال؟ وأجاب الحافظ بضعف ما نقله، وعلى تقدير صحته فالشرط لم يكتمل بالفتح لأن مَجِيء الناس أفواجاً لم يكن كَمُلَ، فَبَقِيَّة الشرط مستقبل. وقد أورد الطِّيبي السؤال وأجاب بجوابَيْن أحدهما أن ﴿إِذَا﴾ قد تَرِد بمعنى إذ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً﴾ [الجمعة ١١] الآية. ثانيهما أن كلام الله تعالى قديم. قال الحافظ: وفي كل من الجوابين نَظَرٌ لا يَخْفَى.

الرابع: قال الحافظ ابن كثير: «والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت تَتَلوَّم بإسلامها فتح مكة يقولون [دعوه وقومه] فإن ظهر عليهم فهو نَبِيّ. فلما فتح الله عليه مكة دَخَلوا في دين الله أفواجاً فلم تمض سنتان حتى استوثقت جزيرة العرب إيماناً ولم يَبْق من سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام». قلت: قد حكى غَيْرُ واحد الخِلاف في أن المراد فتح مكة أو فتح سائر البلاد.

الخامس: في بيان غريب ماسبق:

تَرَبُّصْ: بمثناة فوقية فراء فموحدة مشددة مفتوحات فصاد مهملة مضمومة: تنتظر.

القادة: بقاف فألف فدال مهملة فهاء: الأشراف الذين يقودون الناس بِتَبَعِهِم لهم.

نَصَبَتْ الحرب: بنون فصاد مهملة فموحدة فمثناة فوقية: جَدَّت فيه.

دَوَّخها الإسلام: بدال مهملة فواو فخاء معجمة استولى عليها.

بَدَرَ: بموحدة فدال مهملة مفتوحات: عَاجَلَ.

تَلَوَّم: بفوقية فلام فميم مفتوحات: تنتظر.

بَرَزَ: بموحدة فراء فزاي مفتوحات: ظَهَر بعد خفاء.

الكَوْن: بكاف مفتوحة فواو ساكنة فنون: الوجود والاستقرار.

أدْحَضَه: بهمزة فدال فحاء مهملتين فضاد معجمة: أبطله.

قَسَرَهُ: بقاف فسين مهملة فراء مفتوحات: قَهَرَهُ وَغَلَبَهُ.

الْيَدَان: القُوَّة.

المَعْدِن: بميم مفتوحة فعين مهملة ساكنة فدال مهملة مكسورة فنون: مركز كل شيء والموضع الذي يستخرج منه جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس.

الرفيق الأعلى: جماعة الأنبياء يسكنون أعلى عِلِّيِّين.

واسطة الرَّحْل: وسَطُه.

هَجَس: بهاء فجيم فسين مهملة: خَطَر بباله.

التَحَمَ: بفوقية فحاء مهملة فميم مفتوحات: اشتبك فلم يوجد له مَخْلص.

المَقْطَع: بميم مفتوحة فقاف ساكنة فطاء مهملة مفتوحة فعين مهملة مصدر قطع إذا أبان.

الشكائم: بشين معجمة جمع شكيمة، يقال فلان شديد الشكيمة إذا كان عزيز النفس أبياً قوياً، وأصله من شكيمة اللِّجام فإن قُوَّتها تدل على قوة الفَرَس.

الإباء: بهمزة مكسورة فموحدة: شدة الامتناع.

الاحتباك: [الشَّدّ والإحكام].

المطالع: بميم فطاء مهملة فألف فلام فعين مهملة: جمع مَطْلَع بفتح اللام وكسرها مصدر طَلَع إذا ظَهَر. واسم لموضع الطلوع.

النتيجة: بنون مفتوحة ففوقية مكسورة فتحتية ساكنة فجيم.

العَزَائم: بعين مهملة فزاي مفتوحتين فألف فهمزة مكسورة فميم: الأُمور الواجبة.

الباب الثانـي

فـي تحمله صلى الله عليه وسلم للوفود وإجازتهم ومعنى الوفد وفيه أنواع

الأول: في تحمله ﷺ للوفود:.

عن جندب بن مِكِيث رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قَدِم عليه الوفد لَبِس أحسَن ثيابه وأمر أصحابه بذلك، فرأيته وقد قَدِم عليه وفْدُ كِنْدَة وعليه حُلَّة يمانية، وعلى أبي بكر وعُمَر مثله» رواه محمد بن عُمَر الأسلمي، وأبو نُعَيم في المعرفة، وأبو الحسن بن الضَّحَّاك. وعن عروة بن الزبير رحمه الله تعالى أن «ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه للوفود حَضْرَمِيّ طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وَشِبْر، فهو عند الخلفاء قد خَلَقَ فَطَوَوْهُ بثوب يلْبِسُونه يوم الأضحى والفِطْر». رواه ابن سعد.

الثاني: في إجازتهم:.

الثالث: في معنى الوفد: قال في الصحاح: «وفد فلان على الأمير، أي وَرَد رسولاً فهو وَافِدٌ والجمع وَفْد مثل صاحب وصَحْب، وجمع الوفد أوْفَاد ووفود، والإسم الوفادة، وأوفدته أنا إلى الأمير أي أرسلتُه» وقال في المصباح: «وَفَد على القوم وفْداً من باب وعَدَ ووفوداً فهو وَافِد وقد يجمع على وُفَّاد وَوُفَّد وعلى وَفْد مثل صاحِب وصَحْب، وجَمْع الوَفْد أوْفاد ووفود». وقال في النهاية: «الوَفْد القَوْم يجتمعون ويَرِدُون البِلاد واحِدُهُمْ وَافِد، وكذلك الذين يَقْصِدون الأمَرَاء لزِيارَةٍ واسْتِرفَاد وانتجاع وغير ذلك تقول وَفَدَ يَفِدُ فهو وَافِد وأوْفَدْتُه فَوَفَدَ، وأوْفَدَ على الشيء فهو مُوفِد «إذا أشْرَفَ». وقال في المَوْرِد: الوَفْد الجماعة المختارة من القوم ينتقونهم للقاء العظماء.

الرابع: قال الحافظ: «عَقَد ابن سعد في الترجمة النبوية من الطبقات باباً للوفود وكاد يستوعب ذلك بتَخَلُّصٍ حَسَن، وكلامه أجمع ما يكون في ذلك. ولم يقع له قصة نافع بن زيد الحِمْيَرِي مع أن ابن سعد ذكر وفد حِمْيَر» انتهى كلام الحافظ. قُلتُ: قد ذكرت ما ذكره ابن سعد مع زيادة وفود كثيرة لم تقع له، ورَتَّبْتُ جميع ذلك على الحروف ليسهل الكشف على من أراد شيئاً من ذلك. ولمحمد بن عُمَر الأسلمي شيخ ابن سعد كتاب الوفود وفيه فوائد لم يُلِمّ بها ابن سعد.

الخامس: وَفْد جماعة قبل سنة تسع. قال في البداية: «فيجب التمييز بين السابق من هؤلاء الوافدين على زمن الفتح مِمَّن يُعَدّ وفودُه هِجْرَةً، وبين اللاَّحق لهم بعد الفتح [مِمَّن وَعَد الله خَيْراً وحُسْنَى] قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ

أولَئِك أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِين أنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد ١٠].

تنبيهان

الأول: اختلف في ابتداء الوفود عليه ﷺ فقيل بعد رجوعه من الجِعْرانَة في آخر سنة ثمان وما بعدها، وقال ابن إسحاق: بعد غزوة تبوك، وقال ابن هشام: كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:.

جُنْدُبَ: بجيم مضمومة فنون ساكنة فدال مهملة مضمومة وتُفْتَح.

مَكيث: بفتح الميم وكسر الكاف وسكون التحتية وبالثاء المثلثة.

كِنْدة: تقدم تفسيره.

الْحُلَّة: بضم الحاء المهملة، يأتي الكلام عليها.

حَضْرَمِي: بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة فراء فميم: نسبة إلى حَضْرَمَوْت.

خَلَق: بخاء معجمة فلام فقاف مفتوحات: بَلِيَ.

الباب الثالث

في وفد احمس على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سعد رحمه الله تعالى: قَدِم قَيْس بن غَزْبَة[١] الأَحْمَسِيّ في مائتين وخمسين رجلاً من أحْمَس فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أنْتُمْ؟» فقالوا: نحن أحْمَس الله، وكان يقال لهم ذلك في الجاهلية. فقال لهم رسول الله ﷺ: «وأنْتُمْ اليَوْمَ لِلهِ». وقال رسول الله ﷺ، لبلال: «أَعْطِ رَكْبَ بَجِيلة وَابْدَأْ، بِالأَحْمَسِيِّين». ففعل. وعن طارق بن شهاب رضي الله تعالى عنه قال: قَدِمَ وَفْد بَجِيلة على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «اكْتُبُوا البَجَلِيِّين وَابْدَأُوا بالأَحْمَسِيِّين». فتخلَّف رجل من قَيْس، قال: حتى انظر ما يقول لهم رسول الله ﷺ. قال فَدَعَا لهم رسول الله ﷺ فَسَمَّى مرات: «اللَّهُمَّ جُدْ عليهم، اللَّهُمَّ بَارِك فيهم». وفي رواية: قَدِم وفْد أحْمَس وَوَفْد قَيْس فقال رسول الله ﷺ: «ابْدَأُوا بالأَحْمَسِيِّين قبل القَيْسِيِّين». ثم دَعَا لأحْمَس فقال: «اللهم بارِك في أحْمَس وخيلها ورجالها» سبع مرات[٢]، رواه الإمام أحمد.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق.

أحْمَس: بألف فمهملة فميم فسين مهملة، تقدم في بَجِيلَةَ.

---

(١) قيس بن غربة بفتح المعجمة والراء بعدها موحدة ضبطه ابن الأثير وقيل بكسر الزاي بعدها مثناة تحتانية ثقيلة الأحمسي.. ذكره ابن السكن في الصحابة وقال هو والد عروة بن قيس الذي روى عنه أبو وائل. الإصابة ٢٦٢/٥.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٧٨/٢/١.

الباب الرابع

في وفد أزد شنوءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد رحمه الله تعالى عن مُنير بن عبد الله الأزْدي قال: قَدِم على رسول الله ﷺ صُرَد بن عبد الله الأزدي في وَفْد من الأزد بضعة عشر رجلاً، فنزلوا على فَرْوَة بن عَمْرو فحَبَاهم وأكرمهم وأقاموا عنده عشرة أيام فأسلموا، وكان صُرَد أفضلهم، فأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمَرَه أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشِّرْك من قبائل اليمن. فخرج صُرَد يسير بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل بجُرَش وهي يومئذ مدينة حصينة مُغْلَقَة، وبها قبائل من اليمن قد تَحَصَّنُوا بها، وقد ضَوَتْ إليهم خَثْعَم فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم. فدعاهم إلى الإسلام، فأَبَوْا، فحاصرهم شهراً أو قريباً منه، وكان يُغِير على مواشيهم فيأخذها. ثم تَنَحَّى عنهم إلى جبل يقال له شَكَر فظَنُّوا أنه قد انهزم، فخرجوا في طلبه حتى أدركوه.

فَصَفَّ صفوفَه فحمل عليهم هو والمسلمون فوضعوا سيوفهم فيهم حيث شاءُوا وأخذوا من خيلهم عشرين فَرَساً. فقاتلوهم عليها نهاراً طويلاً. وقد كان أهل جُرَش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رَجُلَيْن منهم يرتادان وينظران. فبينما هما عند رسول الله ﷺ عَشِيَّةً بعد العصر إذ قال رسول الله ﷺ: «بأي بلاد الله شَكَر»؟ فقال الجُرَشِيَّان: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كَشَر بذلم يُسَمِّيه أهل جُرَش. فقال رسول الله ﷺ: «ليس بكَشَر ولكنه شَكَر». قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: «إنَّ بُدْنَ الله لَتُنْحَر عنده الآن». وأخبرهما رسول الله ﷺ بمُلْتَقَاهُم وظَفَر صُرَد بهم. فجلس الرجلان إلى أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فقالا لهما: وَيَحْكُمَا إن رسول الله ﷺ لَيَنْعِي لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ فَسَلاهُ أن يَدْعَوَ الله أن يرفع عن قومكما. فقاما إليه فسألاه أن يدعو الله أن يرفع عنهم، فقال: «اللهم ارفع عنهم». فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما قد أُصيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذَكَر فيها ما ذَكَر.

قال ابن سعد: فَقَصَّا على قومهما [القِصَّة] فخرج وفْد جُرَش حتى قَدِموا على رسول الله ﷺ فأسلموا فقال رسول الله ﷺ: «مَرْحَباً بكم أحْسَنَ النَّاسِ وجوهاً وأصْدَقَه لِقاءً وأطْيَبَهُ كلاماً وأعظمه أمانةً، أنتم مِنيّ وأنا منكم». وجعل شعارهم مبروراً وأحْمَى لهم حِمىً حول قريتهم على أعْلام معلومة للفَرَس والراحلة [وللمثيرة] بقرة الحرث، فمن رَعَاه من الناس فَمَالُه سُحْت[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٣٧٢-٣٧٣ وابن هشام في سيرته ٤/١٩٧.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

الأَزْد: بألف مفتوحة فزاي فدال مهملة، ويقال بالسين بدل الزاي وفي القاموس هي أفصح.

شَنُوْءَة: بشين معجمة مفتوحة فنون فهمزة بعد مَدّ الواو، وقد تُشَدَّد الواو قبيلة سميت بذلك لشنآن بينهم.

مُنير: [بضم الميم فنون مكسورة فتحتية فراء].

صُرَد: وزن عُمَر لكنه ليس معدولا فهو مصروف.

حَبَاهم: بحاء مهملة فموحدة فألف: أعطاهم.

جُرَش: بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة: مِخْلاف من مخاليف اليمن. وبفتحها بلدة بالشام.

مُغْلَقَة: بالغين المعجمة.

ضَوَى: بفتح الضاد المعجمة والواو: أوَى.

يَرْتَادَان: يطلبان الأخبار.

شَكَر: بتقديم الشين المعجمة على الكاف المفتوحتين.

كَشَر: بكاف فشين معجمة مفتوحتين.

وَيْحَهُ: بواو مفتوحة فتحتية ساكنة فحاء مهملة: كلمة تَرَحُّم منصوبة بإضمار فعل.

النَّعْي: بنون مفتوحة فعين ساكنة فتحتية: إذاعة الموت.

رَاجِعَيْن: بفتح العين على التثنية لأنهما اثنان.

وأصدقه كلاماً: تقدم الكلام على مثل هذا.

الباب الخامس

في وفد أزد عمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سعد رحمه الله تعالى: أسلم أهل عُمَان فبعث إليهم رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي يُعَلِّمُهُم شرائع الإسلام ويُصَدِّق أموالهم. فخرج وفْدُهم إلى رسول الله ﷺ فيهم أسد بن بَيْرَح الطَّاحِي. فلَقُوا رسول الله ﷺ فسألوه أن يبعث معهم رجلاً يُقِيم أمْرَهم. فقال مَخْرَبة العبْدي - واسمه مُدْرِك بن خُوط - ابعثني إليهم فإن لهم عَلَيّ مِنَّة، أسروني يوم جَنُوب فَمَنُّوا عَلَيّ. فَوَجَّهَهُ معهم إلى عُمَان، وقَدِم سلمة بن عياذ الأزْدي في أُناس من قومه، فسأل رسول الله ﷺ، عمَّا يعْبُد وما يدعو إليه فأخبره رسول الله ﷺ. فقال: «ادْعُ الله لي أن يجمع كلمتنا وأُلفَتَنا». فدعا لهم وأسلم سلمة ومن معه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:«نِعْمَ الوَفْد الأزْد، طَيِّبَة أفواههم، بَرَّة أيْمَانهم، تَقِيَّة قلوبهم». رواه الإمام أحمد بسند حسن. وعن طلحة بن داود قال: قال رسول الله ﷺ:«نعم المُرْضِعون أهْل عُمَان»[1]. يعني الأزد. رواه الطبراني برجال ثِقات.

وعن بِشْر بن عِصْمَة [الليثي] رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:«الأزْدُ مِنِّي وأنا منهم، أغْضَبُ لهم إذا غَضِبوا[ويَغْضَبُون إذا غَضِبْتُ] وأرضى لهم إذا رضوا[ويرضون إذا رَضِيت]»[2] رواه الطبراني.

وعن أبي لَبيد قال: خرج رجل من أهل عُمَان يقال له بَيْرَح بن أسد مهاجراً إلى النبي ﷺ فقَدِم المدينة فوجده قد تُوُفِّي. فبينا هو في بعض طرق المدينة فرآه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال له من أنت؟ فقال: من أهل عُمان. قال: من أهل عُمان؟ قال: نعم فأخذ بيده فأدخله على أبي بكر، وقال: هذا من أهل الأرض التي سمعت رسول الله ﷺ يَذْكُرُ أهلها من... [3] فقال أبو بكر سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إني لأعلم أرضاً يقال لها عُمَان يُنْضَحُ بناحيتها البحر [بها حي من العرب] لو أتاهم رسولي لم يرموه بسهم ولا حجر»[4]. رواه الإمام أحمد وأبو يَعْلَى برجال الصحيح.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٧٣/٨ وعبد الرزاق (١٣٩٨٧) وذكره الهيثمي في المجمع ٥٠/١٠.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٥٢/٢ .

(٣) بياض في الأصول.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤٤/١ وأبو يعلى في المسند ١٠١(١٠٦) وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير لمازة بن زبار وهو ثقة.

تنبيه: في بيان غريب ماسبق:

عُمَان: بعين مهملة مضمومة فميم مخففة.

بَيْرَح: بموحدة مفتوحة فتحتية ساكنة فراء فحاء مهملة.

الطَّاحِي: بالطاء والحاء المهملتين نسبة إلى بني طاحية.

مخربة: بميم مضمومة فخاء معجمة مشددة.

خُوط: بخاء معجمة مضمومة وطاء مهملة[بينهما واو].

يَوْم جَنُوب: بجيم مفتوحة فنون فواو فموحدة: من أيام العرب.

مَنُّوا عَلَيّ: أعتقوني.

عِيَاذ: بعين مهملة مكسورة فتحتية فألف فذال معجمة.

الباب السادس

في وفد بني أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن محمد بن كعب القُرَظي، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قالا: قَدِم عشرة رهط من بني أسد بن خُزَيْمَة على رسول الله ﷺ في أول سنة تسع، فيهم حَضْرمي بن عامر، وضِرار بن الأَزْوَر، وَوَابِصَة بن مَعْبَد، وقتادة بن القائف، وسلمة بن حُبَيْش، وطُلَيْحَة بن خُوَيْلِد، ونُقادة ابن عبد الله بن خلف ورسول الله ﷺ في المسجد مع أصحابه، فسلَّموا وقال متكلمهم: يا رسول الله، إنَّا شَهِدنا ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله.

وقال حَضْرمي بن عامر: «أتَيْنَاكَ نَتَدَرَّع الليل البهيم في سنَة شَهْبَاء، ولم تبعث إلينا بعثاً»، فنزلت فيهم: ﴿يَمُنُّون عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا﴾[الحجرات ١٧]. وروى النسائي والبزار وابن مَرْدَوِيه عن ابن عباس، وسعيد بن منصور، وعَبْد بن حميد، وابن جرير، وابن المُنْذِر عن سعيد بن جُبَيْر، وابن المنذر، والطبراني، وابن مَردويه بِسَنَدٍ حَسَن عن عبد الله بن أوْفَى، قال الأوَّلان: جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب، وفي رواية بنو فلان. فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُّون عَلَيْكَ أنْ أسْلَمُوا﴾. قال ابن سعد: وكان معهم قوم من بني الزِّنْيَة وهم بنو مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. فقال لهم رسول الله ﷺ: «أنْتم بنو الرِّشْدَة». فقالوا: لا نكون مثل بني مُحَوَّلة، يعنون بني عبد الله بن غَطَفَان. ومما سألوا عنه رسول الله ﷺ - يومئذ العِيَافة والكِهانة وضرب الحَصَى فنهاهم رسول الله ﷺ - عن ذلك كله. فقالوا يارسول الله إن هذه الأمور كنا نفعلها في الجاهلية، أرَأيْتَ خَصْلَةً بقيت؟ قال: «وماهي؟» قال [ﷺ]: «الخَطُّ، عَلِمَهُ نَبيٌّ من الأنبياء فمن صادف مِثْلَ عِلْمِه عَلِم»(١). وروى ابن سعد عن رجال من بني أسد ثم من بني مالك بن مالك بن أسد أن رسول الله ﷺ - قال لِنُقَادة بن عبد الله بن خلف بن عُمَيْرَة بن مُرَيّ بن سعد بن مالك الأسدي: «يا نُقَادَة ابْغ لي ناقةً حَلْبَانَةً رَكْبَانَةً ولا تُوَلِّهها على وَلَد». فطلبها في نعَمِه فلم يَقْدِر عليها. فوجدها عند ابن عمّ له يقال له سِنَان بن ظُفَيْر، فأطْلَبَهُ إيَّاها، فساقها نُقادة إلى رسول الله ﷺ -، فَمَسَح ضَرْعَها ودعا نُقادة فحَلَبَها حتى إذا أبقى فيها بَقِيَّة من لبنها قال رسول الله ﷺ -: «أي نُقَادة اتْرُكْ دَوَاعِي اللَّبن». فشرب رسول الله ﷺ - وسَقَى أصحابه من

(١) أخرجه مسلم بنحوه في كتاب المساجد (٣٣) وكتاب السلام (١٢١) والنسائي ١٦/٣ وأبو داود في كتاب استفتاح الصلاة باب (٥٦) وأحمد في المسند ٣٩٤/٢ والبيهقي ٢٥٠/٢.

لَبَن تلك الناقة، وسَقَى نُقَادة سُؤْرَهُ وقال:«اللهم بارك فيها من ناقة وفيمن مَنَحَها». قال نُقَادة: قلت: وفيمن جاء بها يا رسول الله. قال:«وفيمن جاء بها»(١).

تنبيهات

الأول: قوله - ﷺ - في الخَطّ:«عَلمه نبي من الأنبياء إلخ» الخط بفتح الخاء المعجمة وبالطاء المهملة. قال في المطالع والتقريب:«فسَّروه بِخَطّ الرَّمْل ومعرفة ما يدل عليه». وقال في النهاية: [قال ابن عباس: الخَطّ] «هو الذي يَخُطُّه الحازي، وهو عِلْمٌ قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيُعطِيه حُلْوَاناً فيقول له اقْعُدْ حتى أَخُطَّ لك، وبين يَدَيْ الحازي غُلام له معه مِيلٌ، ثم يأتي إلى أرْضٍ رِخْوَة فيخط فيها خطوطاً كثيرة بالْعَجَلة لِئَلاَّ يَلْحقها العدد، ثم يرجع فيَمْحُو منها على مَهَل خَطَّيْن خَطَّيْن، وغُلامُه يقول للتفاؤل: «ابْنَيْ عِيَان أسْرِعا البَيَان». فإن بَقِي خَطَّان فهما علامة النُّجح، وإن بَقِي خَطٌّ واحد فهو علامة الخَيْبَة. وقال الحربي: «الخَطُّ هو أن يخُط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهن بشَعِيرٍ أو نَوَى، ويقول يكون كذا وكذا، وهو ضرب من الكهانة». قال ابن الأثير: الخَطُّ المشار إليه عِلْمٌ معروف، وللناس فيه تصانيف كثيرة وهو معمول به إلى الآن ولهم فيه أوضاع واصطلاح وأسَام وعَمَل كثير ويستخرجون به الضمير وغيره وكثيراً ما يصيبون فيه.

الثاني: ضَرْب الرَّمْل حرام صَرَّح به غَيْرُ واحد من الشافعية والحنابلة وغيرهم. وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم في كتاب الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة: [فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النَّهْي عنه الآن].

الثالث: قوله - ﷺ -:«عَلِمَه نبي من الأنبياء» في حِفْظِي أنه سيدنا إدريس عليه السلام ولا أعلم من ذَكَره فَيُحَرَّر.

الرابع: قوله:«فمن صادف مِثْلَ علمه فقد عَلِم» وفي صحيح مُسْلِم:«فمن وَافَق خَطَّه فذاك» أي فهو مُباحٌ له ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يُبَاح [والمقصود أنه حرام لأنه لا يُباح] إلا بيقين الموافقة وليس لنا يَقِينٌ بها وإنما قال النبي - ﷺ -: «فمن وَافَقَ خَطَّهُ فذاك». ولم يقل هو حَرَام بغير تعليق على الموافقة لئلا يَتَوَهَّم مُتَوَهِّم أن هذا النَّهْي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يَخُطّ، فحافظ النبي - ﷺ - على حُرْمَة ذاك النبي مع بيان الحُكْم في حقنا، فالمعنى أن ذاك النبي لا مَنْع في حقه، وكذا لو عَلِمْتُم موافقتَه ولكن لا عِلْمَ لكم بها».

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٩/٢/١.

الخامس: في بيان غريب ما سبق:

القُرَظي: بقاف مضمومة فراء مفتوحة فظاء معجمة.

السائب: بسين مهملة فألف فهمزة فموحدة.

الحَضْرَمي: تقدم قريباً.

ضِرَار: بضاد معجمة مكسورة فراءين بينهما ألف.

الأَزْوَر: بهمز فزاي فواو فراء، من الزَّوَر وهو المَيْل.

وَابِصَة: بواو فألف فموحدة فصاد مهملة.

مَعْبَد: بميم مفتوحة فعين مهملة ساكنة فموحدة مفتوحة فدال مهملة.

قَتَادة: بقاف فمثناة فوقية مفتوحتين فألف فدال مهملة.

القايف: بقاف فألف فتحتية ففاء.

سَلَمَة: بسين مهملة فلام فميم مفتوحات.

حُبَيْش: بحاء مهملة مضمومة فموحدة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فشين معجمة.

طُلَيْحَة: بطاء مهملة مضمومة فلام مفتوحة فتحتية ساكنة فحاء مهملة فتاء تأنيث.

خُوَيْلِد: بخاء معجمة مضمومة فواو مفتوحة فتحتية ساكنة فلام مكسورة فدال مهملة.

نَتَدَرَّع: بنون فمثناة فوقية فدال مهملة مفتوحات فراء مشددة مفتوحة فعين مهملة: أي نجعله دِرْعاً لنا.

البَهيم: بموحدة مفتوحة فهاء مكسورة فمثناة تحتية فميم: أي شديد الظُّلْمَة، وهو في الأصل الذي لا يُخَالِط لونه لون سواه.

السنة الشهباء: بشين معجمة مفتوحة فهاء ساكنة فموحدة أي ذات قَحْط وجَدْب، والشهباء الأرض البيضاء التي لا خُضْرَة فيها لقلة المطر من الشُّهْبَة وهي البياض [فسمِّيت سنة الجَدْب بها].

بَنُو الزِّنْيَة: بزاي تفتح وتكسر فنون ساكنة فتحتية مفتوحة، وهي آخر ولد المرأة والرجل، ولذلك سُمِّي بنو مالك به.

دودان: بدالَيْن مهملتين أولاهما مضمومة فألف فنون.

الرَّشْدَة: بفتح الراء وكسرها والفتح أفصح وسكون الشين المعجمة وفتح الدال المهملة.

بنو مُحَوَّلَة: [بضم الميم وفتح الحاء المهملة والواو المفتوحة المشددة فلام فتاء تأنيث].

العِيَافة: بعين مهملة مكسورة فتحتية فألف ففاء: زَجْر الطَّيْر والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وتمرِّها.

الكَهَانة: بكاف فهاء فألف فنون: تَعَاطِي خَبَر الكائنات في مستقبل الزمان.

حَلْبَانَة: بحاء مهملة مفتوحة فلام ساكنة فموحدة فألف فنون: غزيرة تُحْلَب.

رَكْبَانة: براء مفتوحة فكاف ساكنة فموحدة وألف فنون: ذَلُولَة تُرْكَب.

لا تُوَلِّهْهَا: [بمثناة فوقية مضمومة فواو مفتوحة فلام مشددة مكسورة فهاءين أولاهما ساكنة أي لا تجعل ناقتك والهة بذبحك ولدها].

ظُفَيْر: [بظاء معجمة مضمومة ففاء مفتوحة فتحتية ساكنة فراء].

دَوَاعي اللَّبَن: بدال مهملة فواو مفتوحتين فعين مهملة مكسورة: لَبَن قليل يبقى في الضَّرْع، يدعو ما وراءه فيُنْزِلَه، وإذا اسْتَقْصَى كلٌّ ما في الضَّرْع أبطأ دَرُّه على حالبه.

السُّؤْر: بسين مهملة مضمومة فهمزة ساكنة فراء: بقية الطعام والشراب وغيرهما.

منحها: بميم فنون فحاء مهملة فهاء مفتوحات: أعطى الناقة أو الشاة لِيُنْتَفَع بلبنها أو وبرها أو صوفها مُدَّة ثم يَرُدُّها.

الباب السابع

في وفد أسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سعد رحمه الله تعالى: قدم عُمَيْر بن أَفْصَى في عِصَابة من أسلم فقالوا: «قد آمنَّا بالله ورسوله واتَّبَعْنا منهاجك فاجعل لنا عندك منزلة تعرف العرب فضيلتها فإنا إخوة الأنصار، ولك علينا الوَفَاء والنصر في الشِّدَّة والرخاء». فقال رسول الله ﷺ: «أَسْلَم سالمها الله وَغِفَار غَفَر الله لها».

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً لأسْلَم ومن أَسْلَمَ من قبائل العرب ممَّن يسكن السِّيف والسَّهْل وفيه ذكر الصدقة والفرائض في المواشي. وكتب الصحيفة ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس وشَهِد أبو عُبَيْدَة بن الجَرَّاح وعمر بن الخطاب.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

أَفْصَى: [بهمزة مفتوحة ففاء ساكنة فصاد مهملة مفتوحة فألف مقصورة].

العِصَابة: بكسر العين المهملة: هنا الجماعة من الناس.

المِنْهَاج: بميم مكسورة فنون ساكنة فهاء فألف فجيم: الطريق.

السِّيف: بكسر السين المهملة وسكون التحتية وبالفاء: الجانِب.

(١) أخرجه ابن سعد ١١٦/٢ وهو عند البخاري ٣٣/٢ ومسلم ١٩٢٢/٤.

الباب الثامن

في قدوم أسيد بن ابي أناس.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أَهْدَر رسول الله ﷺ دمه لما بلغه أنه هجاه، فأتى أَسِيد الطائف فأقام بها. فلما فتح رسول الله ﷺ مكة خرج سارية بن زُنَيْم إلى الطائف، فقال له أَسِيد: ما وراءك؟ قال: «قد أظهر الله تعالى نَبِيَّه ونصره على عَدُوِّه، فاخرج يا ابن أخي إليه فإنه لا يقتل من أتاه».

فحمل أَسِيد امرأته وخرج وهي حامل تنتظر، وأقبل فألقت غلاماً عند قَرْن الثعالب، وأتى أَسِيد أهله فلبس قميصاً واعْتَمّ، ثم أتى رسول الله ﷺ، وسارية بن زُنَيْم قائم بالسيف عند رأسه يحرسه، فأقبل أَسِيد حتى جلس بين يديْ رسول الله ﷺ وقال: يا محمد أَهْدَرْتَ دم أسيد؟ قال: «نعم». قال: تَقْبَل منه إن جاءك مؤمناً؟ قال: «نعم». فوضع يده في يد رسول الله ﷺ، فقال: «هذه يدي في يدك، أشهد أنك رسول الله ﷺ، وأشهد ألا إله إلا الله. فأمر رسول الله ﷺ رجلاً يصرخ أن أسيد بن أبي أُنَاس قد آمن وقد أمَّنه رسول الله. ومسح رسول الله ﷺ وَجْهَه وأَلْقَى يده على صدره، فيقال إن أسيداً كان يدخل البيت المظلم فَيُضِيءُ. وقال أَسِيدٌ رضي الله تعالى عنه:

أَأَنْتَ الفَتَى تَهْدِي مَعَدّاً لِرَبِّهَا ... بَلِ اللهُ يَهْدِيهَا وَقَالَ لَكَ اشْهَدِ
فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ كُورِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ
وَأَكْسَى لِبُرْدِ الحَالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ ... وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ المُتَجَرِّدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ ... عَلَى كُلِّ حَيٍّ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ
تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرَّكْبَ رَكْبُ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكَاذِبُونَ المُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِدِ
أَنْبَوا رَسُولَ اللهِ أَنْ قَدْ هَجَوْتُهُ ... فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ إِذاً يَدِي
سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ يَاوَيْحَ فِتْيَةٍ ... أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لاَ يُطَاقُ وَأَسْعَدِ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ ... كَفِيئاً فَعَزَّتْ حَسْرَتِي وَتَنَكُّدِي
ذُؤَيْباً وَكُلْثُوماً وَسَلْمَاً وَسَاعِداً ... جَمِيعاً بِأَنْ لاَ تَدْمَعَ العَيْنُ تَكْمَدِ

فلما أنشده: «أَأَنْتَ الذي تَهْدِي مَعَدّاً لدينها»، قال رسول الله ﷺ: «بل الله يَهْدِيها»، فقال الشاعر: «بل الله يَهْديها وقال لك اشهد». رواه ابن شاهين عن المدائني عن رجاله من عدة طرق.

تنبيهات

الأول: هذه القصة والأبيات ذكرها الواقدي والطبراني لأنس بن زُنَيْم قال الحافظ في

الإصابة: «وقد رُوِيت نظير قِصَّته لأنس بن زُنَيْم كما سيأتي في ترجمته ويُحْتَمَل وقوع ذلك لهما».

الثاني: قال دِعْبِل بن علي في طبقات الشعراء قوله: فما حَمَلَتْ ناقةٌ فوق كُورِها أَعَفَّ وَأَوْفَى ذِمَّةً من محمد». هذا أصدق بيت قالته العرب.

الثالث: في بيان غريب ما سبق:.

أَسِيد: بفتح الهمزة كما ذكره العَسْكَري والدَّارقُطْنِي، وضَمَّها المَرْزُبَان، ورَدَّه ابن ماكولا.

أُنَاس: بضم الهمزة وبالنون.

زَنِيم: بزاي مفتوحة فنون فمثناة تحتية فميم: الدَّعِيُّ في النسب المُلْحَق بالقوم وليس منهم تشبيهاً له بالزَّنَمَة وهو شيء يُقْطَع من أُذُن الشاة ويُتْرَك مُعَلَّقاً بها.

قَرْن الثعالب: قرن بقاف مفتوحة فراء ساكنة فنون. والثعالب بمثلثة فعين مهملة مفتوحتين فألف فلام فموحدة: موضع يُحْرِم منه أهل نَجْد.

الباب التاسع

في وفد أشجع إليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن سعد رحمه الله تعالى: قدمت أشجع على رسول الله ﷺ عام الخندق وهم مائة ورأسهم مسعود بن رُخَيْلَة، فنزلوا شِعْبَ سَلْع. فخرج إليهم رسول الله ﷺ وأَمَرَ لهم بأحمال التمر. فقالوا: «يا محمد لا نعلم أحداً من قومنا أَقْرَبَ داراً منك مِنَّا ولا أَقَلَّ عدداً، وقد ضِقْنَا بِحَرْبِك وبحرب قَوْمِك فجئنا نُوَادِعُك». فوادعهم. ويقال بل قدمت أشجع بعد ما فرغ رسول الله ﷺ من بني قُرَيْظَة، وهم سبعمائة، فوادعهم ثم أسلموا بعد ذلك.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

أشجع: بهمزة فشين معجمة ساكنة فجيم فعين مهملة.

رُخَيْلَة: براء مضمومة فخاء معجمة مفتوحة فمثناة تحتية فلام.

الباب العاشر

في قدوم وفد الأشعريين إليه صلى الله عليه وسلم وذكر إعلامه صلى الله عليه وسلم بقدومهم قبل وصولهم ودعائه لهم لما أشرفوا في البحر على الغرق.

قال عبد الرَّزَّاق: أخبرنا مَعْمَر قال بلغني أن رسول الله ﷺ كان جالساً في أصحابه يوماً فقال: «اللهم انْجِ أصحاب السفينة». ثم مكث ساعة فقال: «اسْتَمَدَّتْ». فلما دنوا من المدينة قال: «قد جاءوا يقودهم رجل صالح» قال: «والذين كانوا معه في السفينة الأشعريون والذين قادهم عَمْرو بن الحَمِق الخزاعي» فقال رسول الله ﷺ: «أَيْنَ جِئْتُم؟» قالوا من زَبِيد. قال: «بَارَك الله في زَبيد». قالوا: وفي زَمْع. قال: «وبارك الله في زَبِيد». قالوا وفي زَمْع. قال في الثالثة: «وفي زَمْع»[1].

وروى ابن سعد والبيهقي وأحمد بن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقْدَم عليكم قَوْمٌ هم أَرَقُّ منكم قلوباً». فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون:

غَـدَاً نَـلْـقَـى الأَحِـبَّـهْ   مُـحَـمَّـداً وحِـزْبَـهْ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٩٨٩٠).

وروى البخاري ومُسْلِم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاكم أهل اليمن هم أَرَقُّ أَفْئِدة وأَلْيَن قلوباً الإيمان يَمَان، والحكمة يَمَانية السكينة في أهل الغنم والفخر والخُيَلاء في الفَدَّادين من أهل الوَبَر»(١). وعن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «أتاكم أهل اليمن كأنهم السَّحاب وهم خِيَار من في الأرض». فقال رجل من الأنصار: إلاَّ نحن يا رسول الله؟ فسكت ثم قال: إلا نحن يا رسول الله؟ فقال: «إلا أنتم كلمة ضعيفة»(٢). رواه في زاد المعاد عن يزيد بن هارون عن ابن أبي ذِئْب عن الحارث بن عبد الرحمن عن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم عن أبيه. قال: ولما لَقُوا رسول الله ﷺ أسلموا وبايعوا. فقال رسول الله ﷺ: «الأشعريون في الناس كَصُرَّة فيها مِسْك»(٣).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

الأشعريون: بهمزة مفتوحة فشين معجمة ساكنة فعين مهملة مفتوحة فراء فتحتية فواو فنون.

الحَمِق: بحاء مهملة مفتوحة فميم مكسورة فقاف.

الخُزَاعي: بخاء معجمة مضمومة فزاى فألف فعين مهملة نسبة إلى خُزَاعة قبيلة سُمِّيت بذلك لتفرقهم بمكة.

زَمْع: [بفتح الزاي وسكون الميم وبالعين المهملة من منازل حِمْيَر باليمن].

الفَخْر: بفاء مفتوحة فخاء معجمة ساكنة فراء: ادِّعاء العِظَم والكِبْر والشرف.

الخُيَلاء: والخِيَلاء بضم الخاء المعجمة وكسرها: الكِبْر والعُجْب.

الفَدَّادُون: بفاء مفتوحة فذال مهملة مفتوحة مشددة فألف فدال مهملة أخرى: الذين تَعْلُوا أصواتهم في حروثهم ومواشيهم [واحدهم فَدَّاد يقال فَدَّ الرجل يَفِدّ فديداً إذا اشتدّ صوته]. وقيل هم المُكْثِرون من الإبل وقيل هم الجَمَّالون والبَقَّارون والحَمَّارون والرُّعْيَان. وقيل بتخفيف الدال جمع فَدَان وهي البقر التي يُحْرَث بها وأهلها أهل جفاء وغِلْظَة.

الوَبَر: بواو فموحدة مفتوحتين فراء، للإبل بمنزلة الشَعْر لغيره.

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٩/٥ وأحمد في المسند ٢٣٥/٢ والطبراني في الكبير ١٣٤/٢ والبيهقي في السنن ٣٨٦/١ والخطيب في التاريخ ٣٧٧/١١.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٥٣/٥.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٧٩/٢/١ وذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٣٩٧٥).

الباب الحادي عشر

في قدوم أعشى بني مازن على النبي صلى الله عليه وسلم

روى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند، والشيرازي في الألقاب عن نضلة بن طريف، أن رجلاً منهم يقال له الأعشى واسمه عبد الله بن الأعور كانت عنده امرأة يقال لها مُعَاذَة وخرج في رجب [يُمِير أَهْلَه من هَجَر فهربت امرأته بعده ناشِزاً عليه فعاذت برجل منهم يقال له مُطَرِّف بن بَهْصَل المازني فجعلها خلف ظهره فلما قدم لم يجدها في بيته وأُخْبِر أنها نشزت عليه وأنها عاذت بمُطَرِّف بن بَهْصَل فأتاه فقال: يا ابن عمّ أعندك امرأتي مُعَاذة فَادْفَعْها إليّ. قال: ليست عندي ولو كانت عندي لم أدفعها إليك. قال وكان مُطَرِّف أَعَزَّ منه. قال فخرج الأعشى حتى أتى النبي ﷺ فعاذ به وأنشأ يقول]: وروى عبد الله بن الإمام أحمد، وابن أبي خَيْثَمَة والحسن بن سفيان، وابن شاهين، وأبو نُعَيْم عن الأعشى المازني أنه قال: أتيت نبي الله ﷺ فأنشدته:

يَا مَالِكَ النَّاسِ وَدَيَّانَ العَرَبْ ... إِنِّي لَقِيتُ ذِرْبَةً مِنَ الذِّرَبْ
غَدَوْتُ أَبْغِيها الطَّعَامَ فِي رَجَبْ ... فَخَلَّفَتْنِي فِي نِزَاعٍ وهَرَبْ
أَخْلَفَتْ العَهْدَ وَلَظَّتْ بالذَّنَبْ ... وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غُلِبْ

[فكتب النبي ﷺ إلى مُطَرِّف: «انظر امرأة هذا مُعَاذة فادفعها إليه». فأتاه كتاب النبي ﷺ فقُرِئ عليه فقال: «يا مُعَاذة هذا كتاب النبي ﷺ فيك وأنا دافعك إليه. قالت: خُذْ لي العهد والميثاق وذمة النبي ﷺ ألا يعاقبني فيما صَنَعْت. فأخذ لها ذلك ودفعها إليه فأنشأ يقول:

لَعَمْرُكَ مَا حُبِّي مُعَاذَةَ بِالَّذِي ... يُغَيِّرُهُ الوَاشِي وَلاَ قِدَمُ العَهْدِ
وَلاَ سُوءُ مَا جَاءَتْ بِهِ إِذْ أَزَلَّهَا ... غُوَاةُ رِجَالٍ إِذْ يُنَاجُونَهَا بَعْدِي(١)

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

دَيَّان: بدال مهملة فمثناة تحتية مشددة فألف فنون. القَهَّار مِنْ دَانَ النَّاسَ إذا قَهَرهم، وقيل الحاكم والقاضي.

ذِرْبَة: بذال معجمة مكسورة فراء ساكنة فموحدة مفتوحة: فاسدة من ذَرَب المَعِدَة وهو فسادها.

غَدَوْتُ: بغين معجمة فدال مهملة فواو فتاء، من الغُدُوّ وهو السَّيْر أول النهار.

أَبْغِيها [الطعام]: بهمزة قَطْع فموحدة ساكنة فغين معجمة فمثناة تحتية أي أطلب لها.

لَظَّتْ: بلام فظاء معجمة مُشَالة مفتوحتين [مع تشديد الظاء] فتاء: أَكْثَرَتْ وأَلَحَّتْ.

---

(١) انظر البداية والنهاية ٥/٧٤.

الباب الثاني عشر

في قدوم الأشعث بن قيس عليه، زاده الله فضلاً وشرفاً لديه.

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كِندة في ثمانين راكباً من كِنْدَة. فدخلوا على رسول الله ﷺ مَسجده وقد رَجَّلوا جُمَمَهم وتَكَحَّلوا عليهم جُبَب الحَبِرة، وقد كَفَّفُوها بالحرير. فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: «أَلَمْ تُسْلموا؟» قالوا: بلى. قال:«فَما بَالُ هذا الحرير في أعناقكم؟» قال: فشَقُّوه منها، فألْقوه. ثم قال له الأشعث بن قَيْس: يا رسول الله، نحن بنو آكِل المُرَار [وأنت ابنُ آكِل المُرار]. فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «نَاسِبوا بهذا النَّسَب العَبَّاس بن عبد المُطَّلب، ورَبيعة بن الحارث». وكان العباس وربيعة تاجِرَيْن، وكانا إذا شاعا في بعض العرب فَسُئِلا مِمَّن هما، قالا: نحن بنو آكل المُرَار يتَعَزَّزَان بذلك. وذلك أن كِنْدَة كانوا ملوكاً ثم قال لهم: «لا، بل نحن بنو النَّضْر بن كِنَانة[لا نَقْفُو أُمَّنَا ولا نَنْتَفِي من أبينا] [فقال الأشعث بن قيس الكندي: «هل فرغْتُم يا معشر كندة؟] والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضَرَبْته ثمانين»[1].

قال ابن هشام: الأشعث بن قيس من ولد آكل المُرَار من قِبَل أُمّه، وآكِل المُرَار: الحارث بن عمرو بن حُجْر بن عَمْرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثَوْر بن مُرْتِع بن كِنْدِيّ، ويقال كِنْدَة. وإنما سُمِّي آكل المُرَار لأن عمرو بن الهَبُولَة الغَسَّاني أغار عليهم. فأكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المُرَار.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

رَجَّلوا: براء فجيم مشددة مفتوحتين فلام.

جُمَمَهم: بجيم مضمومة فميمين مفتوحتين فهاء جمع جُمَّة وقد تقدم تفسيرها في أبواب صِفَة جسده الشريف.

جُبَب: بجيم مضمومة فموحدة مفتوحة فأخرى جَمْع جُبَّة، تقدم تفسيرها وكذلك الحبرة مراراً.

فكَفَّفوهما: بكاف ففاء مفتوحتين فأخرى مضمومة فواو [خاطوا حاشيتهما الخياطة الثانية بعد الشَّلْ].

آكِل: بهمزة مفتوحة فألف فكاف مكسورة فلام.

المُرَار: بميم فراءين بينهما ألف.

شَاعَا: بشين معجمة فألف فعين مهملة فألف [انتشرا].

الهَبُولَة: [بهاء مفتوحة فموحدة مضمومة فواو فلام فتاء تأنيث].

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧٢/٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ٦٤/٢/١.

الباب الثالث عشر

في وفود بارق إليه صلى الله عليه وسلم.

قال ابن سعد رحمه الله تعالى: قدم وفد بارق على رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبايعوا، وكتب لهم رسول الله ﷺ: «هذا كتاب من محمد رسول الله لِبَارِقٍ لا تُجَذّ ثِمَارُهم ولا تُرْعى بِلاَدُهم في مَرْبَع ولا مَصِيفٍ إلاَّ بمسألة من بارق ومَنْ مَرَّ بهم من المسلمين في عَرْكٍ أو جَدْب فَلَهُ ضِيَافَةُ ثلاثة أيام وإذا أَيْنَعَتْ ثِمَارُهم فلابن السبيل اللُّقَاط يُوسِعُ بَطْنَه من غير أن يقتشم» شهد أبو عُبيدة بن الجراح، وحُذَيْفَة بن اليَمَان وكتب أُبَيّ بن كَعْب[1].

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

بارق: بموحدة فألف فراء فقاف.

مَرْبَع: بميم مفتوحة فراء ساكنة فموحدة فعين مهملة: الموضع الذي يُنْزَل فيه أيام الربيع، واسم جبل قرب مكة. وأما مِرْبَع بكسر الميم فمال بالمدينة في بني حارثة.

مَصِيف: بميم مفتوحة فصاد مهملة مكسورة فمثناة تحتية ففاء: مكانٌ يُنْزَل فيه أيام الصَّيْف.

عَرْك: [تجريد الأرض من المَرْعَى].

أَيْنَعَت: بهمزة مفتوحة فتحتية ساكنة فنون فعين مهملة: أدركت ونَضِجت.

يقتشم: [يَجْتَثّ ولم يُبْقِ له أصلاً].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/١١٥.

الباب الرابع عشر

في وفود باهلة إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن شاهين عن ابن إسحاق عن شيوخه، وابن سعد عن شيوخه قالوا: قدم مُطَرِّف بن الكاهن الباهلي على رسول الله ﷺ بعد الفتح وافداً لقومه. فقال يا رسول الله أسلمنا للإسلام وشهدنا دين الله في سماواته وأنه لا إله غيره، وصدَّقناك وآمنَّا بكل ما قلت فاكتب لنا كتاباً فكتب له:.

«من محمد رسول الله لِمُطَرِّف بن الكاهن ولمن سكن بيشة من باهِلة. إنَّ من أحْيا أرضاً مواتاً فيها مُرَاح الأنعام فهي له، وعليه في كل ثلاثين من البقر فارِض، وفي كل أربعين من الغنم عَتُود، وفي كل خمسين من الإبل مُسِنَّة [وليس للمُصَدِّق أن يُصَدِّقها إلا في مراعيها وهم آمنون بأمان الله][1]» الحديث.. وفيه فانصرف مُطَرِّف وهو يقول:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةً   عَلَى كُلِّ حَرْفٍ مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلِ

قال ابن سعد: ثم قدم نَهْشَل بن مالك الوائلي من باهلة على رسول الله ﷺ وافداً لقومه فأسلم وكتب له رسول الله ﷺ ولمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام وكتبه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

بَاهِلَة: بباء موحدة وهاء مكسورة ولام مفتوحة.

مُرَاح: [بضم الميم وفتح الراء فألف فحاء مهملة من أراح الإبل رَدَّها إلى المُرَاح أي المأوى والماء].

فَارِض: بالفاء والراء بينهما ألف فضاد معجمة: المُسِنَّة من الإبل وقيل من البقر وهو المراد هنا.

عَتُود: بعين مهملة مفتوحة ففوقية مضمومة فواو ساكنة فدال مهملة: من أولاد المعز الصغير إذا قوي وأتى عليه حَوْل.

مُسِنَّة: بميم مضمومة فسين مهملة مكسورة فنون مشددة: من البقر والغنم ما دخل في السنة الثانية.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤٩/٢.

الراقصات: قال في الإملاء أي الإبل ترقص في سيرها أي تتحرك والرَّقَصَان ضَرْبٌ من المَشْي.

سَدِيس: بسينين بعد الأولى دال مهملات فتحتية: ما دخل في السنة الثامنة من الإبل.

بازل: بموحدة فألف فزاي فلام: هو من الإبل الذي تَمَّ ثماني سنين ودخل في التاسعة.

الباب الخامس عشر

في وفود بنـي البكَّائي إليه صلى الله عليه وسلم.

روى ابن سعد عن عبد الله بن عامر البكائي وعن الجَعْد بن عبد الله بن عامر البكائي عن أبيه، وابن شاهين عن يزيد بن رومان، وعن الحسن وعن السُّدِّي عن أبي مالك وعن رجال المدائني وابن مَنْدَه، وأبو نُعَيْم من طريق أخرى، وابن شاهين من وجه آخر عن بِشْر بن معاوية بن ثور، وابن شاهين، وثابت في الدلائل.

قالوا: وفد من بني البَكَّاء على رسول الله ﷺ سنة تسع ثلاثة نفر: معاوية بن ثور بن عُبَادة البَكَّائي وهو يومئذ ابن مائة سنة ومعه ابن له يقال له بِشْر، والفُجَيْع بن عبد الله بن جُنْدُح بن البَكَّاء، ومعهم عبد عمرو، وهو الأَصَمّ. فأمر لهم رسول الله ﷺ بمنزل وضِيافة، وأجازهم، ورجعوا إلى قومهم. وقال معاوية للنبي ﷺ: «إني أَتَبَرَّك بِمَسِّك وقد كَبِرْتُ وابني هذا بَرٌّ بي فامْسَحْ وجهه». فمسح رسول الله ﷺ وجه بِشْر بن معاوية وأعطاه أَعْنُزاً عُفْراً وبَرَّك عليهن. قال الجَعْد: فالسَّنَة ربما أصابت بني البَكَّاء ولا تصيب آل معاوية. وقال محمد بن بِشر بن معاوية بن ثور بن عُبَادة بن البَكَّاء رضي الله تعالى عنه:

وَأَبِي الَّذِي مَسَحَ الرَّسُولُ بِرَأْسِهِ　　وَدَعَا لَهُ بِالخَيْرِ والبَرَكَاتِ
أَعْطَاهُ أَحْمَدُ إِذْ أَتَاهُ أَعْنُزاً　　عُفْراً نَوَاجِلَ لَسْنَ باللُّجِنَاتِ
يَمْلأْنَ رِفْدَ الحَيِّ كُلَّ عَشِيَّةٍ　　وَيَعُودُ ذَاكَ المَلْءُ بالغَدَوَاتِ
بُورِكْنَ من مِنح وَبُورِكَ مَانِحاً　　وَعَلَيْهِ مِنِّي مَا حَيِيتُ صَلاَتِي

وسَمَّى رسول الله ﷺ عبد عمرو الأصم عبد الرحمن وكتب له بمَائِه الذي أسلم عليه بذي القَصَّة. وكان عبد الرحمن من أصحاب الظُّلَّة يعني الصُّفَّة صُفَّة المسجد.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

الفُجَيْع: بجيم مُصَغَّر.

جُنْدُح: بضم الجيم والدال المهملة وسكون النون بينهما وآخره [حاء] مهملة.

العُفْر: بعين مهملة مضمومة ففاء ساكنة فراء: بياض ليس بالناصع.

اللُّجِنَات: القليلات اللَّبَن.

ذو القَصَّة: بقاف فصاد مهملة مفتوحتين فتاء تأنيث موضع قريب من المدينة.

الباب السادس عشر

في وفود بني بكر بن وائل إليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن سعد: قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله ﷺ، فقال له رجل منهم: هل تعرف قُسّ بن ساعدة؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو منكم، هذا رجل من إياد تَحَنَّفَ في الجاهلية فوافى عُكَاظاً والناس مجتمعون فَكَلَّمهم بكلامه الذي حُفِظ عنه»(١). وقد تقدّم ذكره في أوائل الكتاب.

وكان في الوفد بشير بن الخَصَاصِيَّة، وعبد الله بن مَرْثَد، وحَسَّان بن حَوْط(٢) وقال رجل من ولد حَسَّان:

أَنَا ابْنُ حَسَّانِ بنِ حَوْطٍ وَأَبِي رَسُولُ بَكْرٍ كُلِّهَا إِلَى النَّبِيْ

وقدم معهم عبد الله بن أسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سَدُوس وكان ينزل اليمامة فباع ما كان له من مال باليمامة، وهاجر وقدم على رسول الله ﷺ بجِرَابٍ من تَمْر، فدعا له رسول الله ﷺ بالبَرَكَة.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

قُسّ بن ساعدة وإياد وعُكَاظ: تقدم الكلام عليها أول الباب.

الحصاصية: بحاء فصادين مهملات بينهما ألف فمثناة تحتية.

حَسَّان: بفتح الحاء المهملة.

حَوْط: [بفتح الحاء المهملة وسكون الواو فطاء مهملة].

سَدُوس: بسينين بعد الأولى دال مهملات فواو.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٧٩/٢ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١٦٦/١٠.

(٢) حسان بن خوط بن مسعر بن عنود بن مالك بن الأعور بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر الشيباني نسبه ابن الكلبي.. انظر الإصابة ٩/٢.

الباب السابع عشر

في وفود بليّ إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(١) عن رُوَيْفِع بن ثابت البَلَوِيّ(٢) رضي الله تعالى عنه قال: قدم وفد من قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع فأنزلتهم في منزلي ببني جَدِيلة، ثم خرجت بهم حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه في بيته في الغَدَاة. فسَلَّمتُ. فقال: «رُوَيْفِع». فقلت: لَبَّيْك. قال: «مَنْ هؤلاء القوم؟». قلت: قوْمي. قال: «مرحباً بك وبقومك». قلت: يا رسول الله قدموا وافدين عليك مُقِرِّين بالإسلام وهم على مَنْ وراءهم من قومهم. فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِد الله به خيراً يَهْدِه للإسلام». قال: فتقدَّم شيخ الوفد أبو الضُّبَيْب(٣) فقال: «يا رسول الله إنَّا قدمنا عليك لِنُصَدِّقك ونشهد أن ما جئت به حق، ونخلع ما كنا نعبد ويعبد آباؤنا». فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداكم للإسلام فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار». وقال له أبو الضُّبَيْب: يا رسول الله إني رجل لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أَجْر؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم وكل معروف صَنَعْتَه إلى غَنِيٍّ أو فقير فهو صدقة». قال: يا رسول الله ما وَقْتُ الضيافة؟ قال: «ثلاثة أيام فما بعد ذلك فصدقة ولا يَحِلّ للضيف أن يُقِيم عندك فيحرجك». قال: يا رسول الله أَرَأَيتَ الضَّالَّة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض. قال: «لك ولأخيك أو للذئب». قال: فالبعير. قال: «مَالك وله، دعه حتى يجده صاحبه». [قال رُوَيْفِع]: وسألوا عن أشياء من أَمْر دينهم فأجابهم. ثم رجعت بهم إلى منزلي فإذا رسول الله ﷺ يأتي بحِمْل تَمْر يقول: «اسْتَعِنْ بهذا التمر». قال: فكانوا يأكلون منه ومن غيره. فأقاموا ثلاثاً، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ يُوَدِّعونه فأمر لهم بجوائز كما كان يُجِيز من كان قبلهم ثم رجعوا إلى بلادهم.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

بَلِيّ: بفتح الموحدة وكسر اللام وتشديد الياء: حَيّ من قُضَاعة.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٩٤.

(٢) رويفع بن ثابت البلوي.. ذكره الطبري في وفد بليّ وأنهم نزلوا عليه سنة تسع وهو غير رويفع بن ثابت الأنصاري قاله ابن فتحون. الإصابة ٢/٢١٤.

(٣) أبو الضبيس البلوي ذكره محمد بن الربيع الجيزي فيمن دخل مصر من الصحابة وذكر الواقدي من طريق محمد بن سعد مولى بني مخزوم عن رويفع بن ثابت البلوي قال: قدم وفد قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع فبلغني قدومهم فأنزلتهم علي فخرجوا إلى رسول الله ﷺ فقال شيخ منهم يقال له أبو الضبيس يا رسول الله إني رجل أرغب في الضيافة فهل لي من أجر في ذلك قال:«نعم وكل معروف إلى غني أو فقير صدقة» الإصابة ٧/١٠٨.

رُوَيْفِع: براء مضمومة فواو فتحتية ففاء فعين مهملة.

أبو الضُّبَيْب: بضم الضاد المعجمة الساقطة وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالموحدة. ويُقال فيه أبو الضُّبَيْس.

فيحْرِجك: من الحرج أي يَضِيقُ صدرك وقيل يُؤَثِّمُك والحرج الإثم أي يُعَرِّضك للإثم [حتى تتكلم فيه بما لا يجوز فتأْثم].

الباب الثامن عشر

في وفود بهراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى محمد بن عمر عن كريمة بنت المِقْدادرضي الله تعالى عنها قالت: سمعت أمي ضُبَاعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول: قدم وفد بَهْرَاء من اليمن على رسول الله ﷺ وكانوا ثلاثة عشر رجلاً. فأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا إلى باب المقداد بن عمرو، ونحن في منازلنا ببني حُدَيْلَة. فخرج إليهم المقداد فَرَحَّبَ وأنزلهم وقدم لهم جَفْنَة من حَيْس. قالت ضُبَاعة: كُنَّا قد هَيَّأْناها قبل أن يحِلُّوا لنجلس عليها، فحملها المقداد وكان كريماً على الطعام. فأكلوا منها حتى نَهِلوا ورُدَّتْ إلينا القَصْعَة وفيها شيء فجُمِع في قصعة صغيرة ثم بعثنا بها مع سِدْرَة مولاتي إلى رسول الله ﷺ، فوجدته في بيت أم سلمة. فقال ﷺ: «ضُبَاعة أرسلت بهذا؟» قالت سِدْرَة: نعم يا رسول الله، قال: «ضَعِي» ثم قال: «ما فعل ضَيْف أبي مَعْبَد؟» قلت: عندنا. فأصاب منها رسول الله ﷺ هو ومن معه في البيت حتى نَهِلوا وأكلت معهم سِدْرَة. ثم قال: «اذهبي بما بقي إلى ضَيْفِكم». قالت سِدْرَة: فرجعت بالقصعة إلى مولاتي. قالت: فأكل منها الضيف ما أقاموا. فردَّدها عليهم وما تَغِيض حتى جعل الضيف يقولون يا أبا مَعْبَد إنك لتُنهِلنا من أَحَبّ الطعام إلينا وما كنا نَقْدِر على مثل هذا إلا في الحِيْن. وقد ذُكر لنا أن بلادكم قليلة الطعام إنما هو العُلَق أو نحوه ونحن عندكم في الشِّبَع. فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ أنه أكل منها وردَّها وهذه بركة أصابعه ﷺ. فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله وازدادوا يقيناً، وذلك الذي أراد ﷺ فأتوه فأسلموا وتعلموا الفرائض وأقاموا أياماً. ثم جاءوا إلى رسول الله ﷺ يُوَدِّعونه فأمر لهم بجوائز وانصرفوا إلى أهليهم.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

بَهْرَاء: بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالراء والمدّ.

بنو حُدَيْلَة: بضم الحاء وفتح الدال المهملتين فتحتية ساكنة فلام.

رَحَّب بهم: قال لهم: مَرْحَباً.

الجَفْنَة: بفتح الجيم.

الحَيْس: بفتح الحاء وسكون التحتية وبالسين المهملتين: الأَقِط بالتمر والسَّمْن.

العُلَق: بعين مهملة مضمومة فلام ساكنة فقاف: جَمْع عُلْقَة وهي البُلْغَة من الطعام.

الباب التاسع عشر

في وفود تجيب ـ وهم من السكون ـ إليه صلى الله عليه وسلم

قدم وفد تُجِيب على رسول الله ﷺ وهم ثلاثة عشر رجلاً، وساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عز وجل، فَسُرَّ رسول الله ﷺ بهم وأكرم منزلهم. وقالوا: يا رسول الله سُقْنا إليك حقَّ الله في أموالنا. فقال ﷺ: «رُدُّوها فاقسموها على فقرائكم». قالوا: يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل من فقرائنا. فقال أبو بكر: يا رسول الله ما قدم علينا وفدٌ من العرب بمثل ما وفد به هذا الحَيّ من تُجِيب. فقال ﷺ: «إنَّ الهُدَى بيدِ الله عز وجل، فمن أراد الله به خيراً شرح صدره للإيمان». وسألوا رسول الله ﷺ أشياء فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسُّنَن، فازداد رسول الله ﷺ فيهم رغبةً وأمر بلالاً أن يحسِن ضيافتهم.

فأقاموا أياماً ولم يُطيلوا اللُّبث. فقيل لهم: ما يُعْجِلُكم؟ قالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ وكلامنا إيّاه، وما ردَّ علينا ثم جاءوا رسول الله ﷺ يُوَدِّعُونه فأمر بلالاً فأجازهم بأرفع مما كان يجيز به الوفود وقال: «هل بقي منكم أحد؟» قالوا: غُلامٌ خَلَّفْناه على رحالنا وهو أَحْدَثُنا سِنّا. قال: «أَرْسِلوه إلينا». فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله فاقْضِ حاجتك منه فإنَّا قد قضينا حوائجنا منه وودَّعناه. فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني غلام من بني أَبْذَى من الرَّهْط الذين أَتَوْك آنفاً فقضَيْتَ حوائجهم فاقْضِ حاجتي يا رسول الله. قال: «وما حاجتك؟» قال: «يا رسول الله إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا قد قدموا راغبين في الإسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم وإني والله ما أَعْمَلَني من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يَغْفِر لي ويرحمني وأن يجعل غِنَاي في قلبي». فقال ﷺ: «اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه». ثم أمر به بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه.

فانطلقوا راجعين إلى أهليهم ثم وافوا رسول الله ﷺ بمِنَى سنة عشر فقالوا نحن بنو أَبْذَى، فسألهم رسول الله ﷺ عن الغلام فقالوا: يا رسول الله: والله ما رأينا مثله قط ولا حُدِّثنا بِأَقْنَع منه بما رزقه الله، لو أنَّ الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله إني لأرجو أن يموت جميعاً». فقال رجل منهم: أوليس يموت الرجل جميعاً؟ فقال ﷺ: «تَشَعَّبُ أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعلَّ أجله يُدْرِكه في بعض تلك الأَوْدِية فلا يُبَالي الله عز وجل في أَيِّها هَلَك». قالوا فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزقه الله. فلما تُوُفِّي رسول الله ﷺ ورجع مَنْ رجع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكَّرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد. وجعل أبو بكر

رضي الله تعالى عنه يذْكُره ويسأل عنه حتى بلغه حالُه وما قام به. فكتب إلى زياد بن لَبِيد يوصيه به خيراً.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

تُجِيب: بضم الفوقية وفتحها وكسر الجيم وسكون التحتية وبالموحدة.

السَّكُون: بفتح السين المهملة وضم الكاف وسكون الواو وبالنون: حَيٌّ من اليمن.

سُرَّ: بضم السين المهملة وفتح الراء المشددة.

فَضَل: بفتح الضاد المعجمة وكسرها.

اللَّبْث: بفتح اللام وسكون الموحدة وبالثاء المثلثة: المُكْث.

يُعْجِلُك: بضم أوله وكسر الجيم.

مَنْ وراءنا: بفتح الميم.

برؤيتنا رسول الله ﷺ: بفتح اللام، مفعول المصدر.

خَلَّفْنَاه: بتشديد اللام.

بنو أَبْذَى: بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الذال المعجمة وزن أَعْمَى.

مَذْحِج: بفتح الميم وسكون الذال المعجمة فحاء مهملة مكسورة فجيم.

مَوسم الحاجّ: بفتح الميم وسكون الواو وكسر السين المهملة وبالميم: مَعْلَم يجتمع إليه الناس، وكل مجمع من الناس مَوْسِم.

أَعْمَلَنِي من بلادي: وهو من إعمال المَطِيّ وهو حَثُّها وسَوْقُها يقال أَعْمَلْتُ الناقة فعَمِلَتْ كأنه يقول ما حَثَّني وساقني إلا ما ذكرت.

حُدِّثنا: بضم الحاء المهملة وكسر الدال المهملة مبني للمفعول.

تَشَعَّبُ: حُذِف منه إحدى التاءين أي تتشَعَّبُ.

الباب العشرون

في وفود بني تغلب إليه صلى الله عليه وسلم.

روى ابن سعد عن يعقوب بن زيد بن طلحة قال: قدم على رسول الله ﷺ وفد بني تغلب ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى عليهم صُلُب الذهب، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث. فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يُقِرَّهم على دينهم على أن لا يَصْبُغُوا أولادهم في النصرانية وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

تَغْلِب: بمثناة فوقية مفتوحة فغين معجمة ساكنة فلام مكسورة فموحدة.

يَصْبُغوا أولادهم في النصرانية بتحتية مفتوحة فصاد مهملة ساكنة فموحدة فغين معجمة مضمومتين: يَغْمِسوا.

الباب الحادي والعشرون

في وفود بني تميم إليه صلى الله عليه وسلم

وسبب مجيئهم أخذ عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة بن بدر الفزاري جماعة منهم كما تقدم في الباب السادس والخمسين من السرايا. فقدم فيهم عِدَّة من رؤساء بني تميم. فروى ابن إسحاق، وابن مَرْدَوِيه عن عُطَارِد بن حاجب بن زُرَارة، والزِّبْرِقان بن بَدْر، وعمرو بن الأهتم، والحبحاب بن يزيد، ونُعَيْم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم، ورياح بن الحارث في وفد عظيم يقال كانوا سبعين أو ثمانين رجلاً. وعُيَيْنَة بن حِصْن، والأقرع بن حابس كانا شَهِدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنَيْناً والطائف، فلما قدم وفد بني تميم قدما معهم.

قالوا: فدخلوا المسجد وأَذَّن بلال بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ فعَجِل وفد بني تميم واستبطأوه، فنادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته: يا محمد اخرج إلينا، يا محمد اخرج إلينا، ثلاث مرات فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صِيَاحهم. فخرج إليهم فقالوا: إن مدحنا لزين وإن ذَمَّنا لَشَيْن نحن أكرم العرب. فقال رسول الله ﷺ: «كذبْتُم بل مدحة الله عز وجل الزَّيْن وذَمُّه الشَّيْن، وأكرم منكم يوسف بن يعقوب»(١).

وروى الإمام أحمد عن الأقرع بن حابس(٢)، وابن جرير بسند جَيِّد، وأبو القاسم

---

(١) ذكره السيوطي في الدر ٨٧/٦ وعزاه لابن إسحاق وابن مردويه.

(٢) ذكره السيوطي في الدر ٨٦/٦ وعزاه لأحمد وابن جرير وابن القاسم البغوي وابن مردويه والطبراني بسند صحيح.

البغوي، والطبراني بسند صحيح، والترمذي وحسّنه، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال البَرَاء: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال الأقرع إنه هو، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا، فلم يُجِبْه فقال: يا محمد إن حمدي لزين وإن ذَمِّي لَشَيْن. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك الله عز وجل». فقالوا: إنَّا أتيناك لنفاخرك فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا. قال: «قد أَذِنْتُ لخطيبكم فَلْيَقُل». فقام عُطَارِد بن حاجب فقال:

«الحمد لله الذي له علينا الفَضْل وهو أَهْلُه، الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عِظاماً، نَفْعَلُ فيها المعروف، وجعلنا أعَزَّ أهل المَشْرِق وأكثره عدداً وأَيْسَرَه عُدَّة، فمن مِثْلُنا في الناس؟ أَلَسْنَا برؤوس الناس وأُولِي فضلهم؟ فمن فاخرنا فَلْيَعْدُد مثل ما عَدَدْنا، وإنا لو شئنا لأكثرنا الكلام ولكنا نستحي من الإكثار فيما أعطانا [وإنا نُعْرَف بذلك]. أقول هذا لأن تأْتوا بمثل قولنا وأَمْرٍ أفضل من أَمْرِنا». ثم جلس.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قَيْس بن شَمَّاس أخي بني الحارث بن الخزرج: «قُمْ فأَجِبْ الرجل في خُطْبَتِه». فقام ثابت فقال: «الحمد لله الذي السماوات والأرض خَلْقُه، قَضَى فيهنَّ أَمْرَه وَوَسِعَ كُرْسِيَّه عِلْمُه، ولم يَكُ شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قُدْرَتِه أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خَيْر خَلْقِه رسولاً أَكْرَمَهُ نَسَباً، وأَصْدَقَه حديثاً. وأَفْضَلَهُ حَسَباً فأَنزل عليه كتابه وَائْتَمَنه على خَلْقِه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رَحِمِه، أَكْرَمُ الناس أَحْساباً وأَحْسَن الناس وجوهاً وخير الناس فعالاً، ثم كان أَوَّل الخَلْق إجابة، واستجاب الله حين دعاه رسول الله نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قَتْلُه علينا يسيراً. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم».

فقام الزِّبْرِقان بن بَدْر فقال، وفي لفظ فقال الزبرقان بن بدر لرجل منهم: يا فلان قُمْ فقل أبياتاً تذكر فيها فَضْلَك وفَضْلَ قومك فقام فقال:

نَحْنُ الكِرَامُ فَلاَ حَيٌّ يُعَادِلُنَا ... مِنَّا المُلوكُ وَفِينا تُنْصَبُ البِيَعُ

وَكَمْ قَسَرْنا مِنَ الأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ ... عِنْدَ النِّهَابِ وَفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ القَحْطِ مُطْعَمَنا ... مِنَ الشِّوَاءِ إذا لَمْ يُؤْنِسِ القَزَعُ

وَنُطْعِمُ النَّاسَ عِنْدَ المَحْلِ كُلِّهِمُ ... مِنَ السَّدِيفِ إذا لَمْ يُؤْنِسِ القَزَعُ

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينا سَرَاتُهُم ... مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوِيّاً ثُمَّ نُصْطَنَعُ

فَنَنْحَرُ الكُومَ عَبْطاً في أَرُوْمَتِنا ... لِلنَّازِلِينَ إذا ما أُنْزِلُوا شَبِعُوا

فَلاَ تَرَانا إِلَى حَيٍّ نُفَاخِرُهُمْ إِلاَّ اسْتَقَادُوا فَكَانوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَعْرِفُهُ فَيَرْجِعُ القَوْمُ وَالأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَبَيْنَا وَلاَ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الفَخْرِ نَرْتَفِعُ

قال ابن هشام: وَيُرْوى: «مِنَّا الملوك وفينا تُقْسَم الرُّبَعُ». ويُرْوى: «مِنْ كل أَرْضٍ هواناً ثم مُتَّبَعُ». رواه لي بعض بني تميم [وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان].

قال ابن إسحاق: وكان حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه غائباً فبعث إليه رسول الله ﷺ. قال حسّان: جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول:

مَنَعْنَا رَسُولَ اللهِ إِذْ حَلَّ وَسْطَنَا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
بِبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الجَوْلاَنِ وَسْطَ الأَعَاجِمِ
هَلِ المَجْدُ إِلاَّ السُّؤْدَدُ العَوْدُ وَالنَّدَى وَجَاهُ المُلُوكِ وَاحْتِمَالُ العَظَائِمِ

فلما فرغ الزبرقان قال رسول الله ﷺ لحسّان بن ثابت: «قُمْ يا حسّان فأَجِبْ الرجل» فقام حسّان فقال:

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بهم كُلُّ مَنْ كانت سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الإِلَهِ وَكُلَّ الخَيْرِ يَصْطَنِعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ إِنَّ الخَلاَئِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا البِدَعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ فَكُلُّ سَبْقٍ لأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
لاَ يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلاَ يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْماً فَازَ سَبْقُهُمُ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بالنَّدَى مَتَعُوا
أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الوَحْيِ عِفَّتُهُمْ لاَ يَطْمَعُونَ وَلاَ يُرْدِيهِمُ طَمَعُ
لاَ يَبْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمُ وَلاَ يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبَّ لَهُمْ كَمَا يَدِبُّ إِلَى الوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ
نَسْمُو إِذَا الحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِبُهَا إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
لاَ يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمُ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلاَ خُورٌ وَلاَ هُلُعُ
كَأَنَّهُمْ فِي الوَغَى والمَوْتُ مُكْتَنِعٌ أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فِي أَرْسَاغِهَا فَدَعُ
خُذْ مِنْهُمُ مَا أَتَى عَفْواً إِذَا غَضِبُوا وَلاَ يَكُنْ هَمُّكَ الأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا

فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ شَرّاً يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلَعُ
أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ إِذَا تَفَاوَتَتِ الأَهْوَاءُ والشِّيَعُ
أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُوَازِرُهُ فِيمَا أُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ القَوْلِ أَوْشَمَعُوا

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زَيْد:

يَرْضى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الإِلَهِ وبِالأَمْرِ الَّذِي شَرَعوا

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم قال:

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا إِذَا احْتَلَفوا عِنْدَ احْتِضَارِ المَوَاسِمِ
بِأَنَّا فُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الحِجَازِ كَدَارِمِ
وَإِنَّا نَذُودُ المُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا وَنَضْرِبُ رَأْسَ الأَصْيَدِ المُتَفَاقِمِ
فَإِنَّ لَنَا المِرْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ نُغِيرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الأَعَاجِمِ

فقام حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه فأجابه فقال:

هَلْ المَجْدُ إِلاَّ السُّؤْدَدُ العَوْدُ والنَّدَى وَجَاهُ مُلُوكٍ وَاحْتِمَالُ العَظَائِمِ
نَصَرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّداً عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
بِحَيٍّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الجَوْلاَنِ وَسْطَ الأَعَاجِمِ
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسْطَ دِيَارِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
جَعَلْنَا بَنِينَا دُونَهُ وبَنَاتِنَا وَطِبْنَا لَهُ نَفْساً بِفَيْءِ المَغَانِمِ
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا عَلَى دِينِهِ بِالمُرْهَفَاتِ الصَّوَادِمِ
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا وَلَدْنَا نَبِيَّ الخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بَنِي دَارِمٍ لاَ تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمْ يَعُودُ وَبَالاً عِنْدَ ذِكْرِ المَكَارِمِ
هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ لَنَا خَوَلٌ مِنْ بَيْنِ ظِئْرٍ وَخَادِمِ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي المَقَاسِمِ
فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ نِدّاً وَأَسْلِمُوا وَلاَ تَلْبَسُوا زِيّاً كَزِيِّ الأَعَاجِمِ

قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسّان بن ثابت من قوله قال الأقرع بن حابس: «وَأَبي إن هذا الرجل لَمُؤتَّى له، لَخطيبه أَخْطَبُ من خطيبنا ولشاعره أَشْعَرُ من شاعرنا ولأَصْواتهم أعلى من أصواتنا».

فلما فرغ القوم أسلموا وجوّزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم. وكان عمرو بن

الأَهْتَم قد خَلَّفه القوم في ظَهْرِهم، وكان أصغرهم سنّا، فأعطاه رسول الله ﷺ مِثْلَ ما أعطى القوم.

وقال محمد بن عمر: إن رسول الله ﷺ أجاز كل رجل منهم اثنتي عشرة أوقية إلا عمرو بن الأهتم فإنه أعطاه خَمْسَ أواقٍ لحداثة سنِّه. قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات ٤] [وسئل رسول الله ﷺ] فقال: «هُمْ جُفَاة بني تميم، لولا أنهم من أشدّ الناس قِتالاً للأعور الدَّجّال لدعوتُ الله عليهم أن يُهْلِكَهم».

وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «جلس إلى رسول الله ﷺ قَيْس بن عاصم، والزِّبْرِقَان بن بَدْر وعمرو بن الأهتم التميميون. ففخر الزبرقان وقال: يا رسول الله أنا سيِّد تميم والمُطَاع فيهم والمُجَاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك. وأشار إلى عمرو بن الأهتم.

فقال عمرو بن الأهتم: إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مُطَاعٌ في أدانيه. فقال الزبرقان: والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال وما منعه أن يتكلم إلا الحسد. فقال عمرو ابن الأهتم: «أنا أحسدك، فوالله إنك للَئِيمُ الخال، حديث المال، أحمق الولد، مُبْغَض في العشيرة، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً وما كذبت فيما قلت آخراً، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت وإذا غَضِبْت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقتُ في الأولى والأخرى جميعاً». فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لَسِحْراً».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

شرح غريب أبيات الزبرقان بن بدر رضي الله عنه

تُنْصَبُ: بضم الفوقية وسكون النون وفتح الصاد المهملة وبالموحدة المضمومة.

البِيَعُ: نائب الفاعل جمع بيعة بكسر الموحدة وهي أماكن الصلوات والعبادات للنصارى.

قَسَرْنا: بالقاف والسين المهملة: قَهَرْنَا وأَكْرَهنا.

النِّهَاب: بنون مكسورة فهاء فألف فموحدة: جمع نهب بمعنى منهوب.

يُتَّبَعُ: بالبناء للمفعول.

القَزَع: جمع قَزَعة وهي السحاب يعني إذا كان الجَدْب ولم يكن في السماء سحاب يَتَقَزَّع والقَزَع تفرّق السحاب.

السَّرَاة: بفتح السين المهملة وتخفيف الراء:الأشراف جمع سَرِيّ.

هُوِيًّا: بضم الهاء وكسر الواو وتشديد التحتية: سِرَاعاً.

نُصْطَنَعُ: بالبناء للمفعول.

الكُوم: بضم الكاف وسكون الواو وبالميم جمع كَوْمَاء بفتح الكاف وسكون الواو وبالمدّ: وهي العظيمة السَّنَام.

عَبْطاً: بعين مفتوحة وطاء مهملتين وسكون الموحدة بينهما والاعتباط الموت في الحداثة. قال الشاعر:

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرِماً   للموْتِ كأْسٌ والمرء ذَائِقُهَا

الأَرُومَة: بفتح الهمزة وضم الراء: الأصل.

أُنْزِلوا: بالبناء للمفعول.

استقادوا: بهمزة وَصْل فسين مهملة فمثناة فوقية فقاف فدال مهملة طلبوا القَوَد.

يُقْتَطَعُ: بالبناء للمجهول.

تُسْتَمَع: بالبناء للمجهول كذلك.

شرح غريب شعر حسان رضي الله عنه.

أَبَيْنَا: بهمزة مفتوحة فموحدة مفتوحة فتحتية ساكنة فنون: امتنعنا أشدّ الامتناع.

الذَّوَائِب: بذال معجمة جمع ذُؤَابة وهي الشَّعْر المَضْفُور من شَعْر الرأْس، وذؤابة الجَبَل أعلاه ثم استُعِير للعِزّ والشرف والمَرْتَبة أي من الأشراف وذوي الأقدار.

فِهْر: بكسر الفاء وسكون الهاء وبالراء.

الأَشْيَاع: بهمزة مفتوحة فمعجمة ساكنة فتحتية فألف فمهملة.

السَّجِيَّة: بفتح السين المهملة وكسر الجيم وتشديد التحتية: الخُلُق والطبيعة.

الخَلاَئِق: بخاء معجمة فلام مفتوحتين فألف فياء فقاف: وهم الناس والخليقة وهي البهائم وقيل هما بمعنى واحد.

سَبَّاقُون: [بسين مهملة مفتوحة فموحدة مشددة فألف فقاف فواو فنون من سَبَقَهُ يَسْبِقُه يَسْبُقُه تَقَدَّمه ويُقال سَبَّاق غايات أي حائز قَصَبات السَّبَق].

لا يَرْقَع الناس: [بمثناة مفتوحة فراء فقاف فعين مهملة من رقع الثوب إذا رَمَّه].

أَوْهَتْ: بهمزة فواو ساكنة فهاء: أَضْعَفَتْ.

الرِقَاع: براء مكسورة وقاف وآخره عين مهملة ما يكتب فيه الحقوق.

آذَنُوا: بهمزة مفتوحة ممدودة فذال معجمة فنون: أَعْلَمُوا.

المجد: بميم مفتوحة فجيم ساكنة فذال مهملة: الشرف الواسع.

النَّدَى: بفتح النون وبالقَصْر: الجود والكرم.

مَتَعُوا: ارتفعوا من مَتَع النهار ارتفع.

أَعِفَّة: بهمزة مفتوحة فعين مهملة مكسورة ففاء جمع عفيف وهو الكافّ عن الحرام والسؤال من الناس.

الذَّرَع: بفتح الذال المعجمة والراء وبالعين المهملة ولَدَ البقرة الوحشية وجمعه ذِرْعَان، وبقرة مِذْرَع، إذا كانت ذات ذَرَع.

ذُكِرَتْ: بالبناء للمفعول.

لا تَطْبَعون: بتحتية فطاء مهملة ساكنة فموحدة مفتوحة فعين مهملة فواو: لا يتدنسون، والطَبَع بفتح الطاء: الدَّنَس، يقال فيه طبع يُودِي.

نَصَبْنَا: أظهرنا العداوة ولم نُسِرّها.

نَدِبٌ: بفتح النون وكسر الدال المهملة [وتشديد الموحدة: أي نَدْرُج رُوَيْداً].

الوَحْشِيَّة: بواو مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فشين معجمة مكسورة فتحتية مشددة [من الوَحْشَة] ضِدّ الأُنس والوحشة الخَلْوَة والهَمّ.

الزَّعَانِف: بفتح الزاي والعين المهملة وبعد الألف نون مكسورة وبالفاء: وهم أطراف الناس وأتباعهم وأصله أطراف الأديم والأكَارع.

الخُور: بضم الخاء المعجمة وسكون الواو وبالراء: الضعفاء.

الهُلُع: بضم الهاء واللام الجبناء، الهَلَع أَفْحَش الجَزَع.

الوَغَى: بفتح الواو والغين المعجمة وبالقَصْر. وهو في الأصل الجَلَبَة والأصوات، وقيل للحرب وَغَى لِمَا فيها من ذلك.

مُكْتَنِع: بميم مضمومة فكاف ساكنة ففوقية مفتوحة فنون مكسورة فعين مهملة. يقال اكتنع منه الموت إذا دنا منه وقرُب.

الأُسْد: جمع أَسَد.

حَلْيَة: بحاء مهملة مفتوحة فلام ساكنة فتحتية. هذا هو الصواب - وقيل بالموحدة بدل

التحتية ـ وَحَلْيَة مَأسَدَة بناحية اليمن.

الأَرْسَاغ: بفتح أوله وسكون الراء وبالسين المهملة ـ ويقال بالصاد المهملة بدل السين ـ وبعد الألف غين معجمة جمع رُسْغ بضم الراء وهو مِفْصَل ما بين الكف والساعد، ومجتمع الساق والقدم.

الفَدَع: بفتح الفاء والدال وبالعين المهملتين: المُعْوَجّ الرُسْغ من اليد والرِّجْل، فيكون منقلب الكف، والقدم [إلى عظم الساق]. وذلك الموضع هو الفَدعة.

أَتوا: أَعْطوا.

عَفْواً: من غير مَشَقَّة.

شَرّاً: اسم «إن» والخبر «في حربهم»، وما بينهما اعتراض.

السُّمّ: بالحركات الثلاث في سينه المهملة وتشديد الميم.

السَّلَع: بسين فلام مفتوحتين فعين مهملتين: نبات مسموم.

أَهْدَى: بفتح الهمزة والدال المهملة فِعْلٌ مَاضٍ.

مِدْحَتِي: بميم مكسورة فدال مهملة فحاء مهملة فتاء تأنيث مفعول مُقَدَّم.

قَلْبٌ: فاعل مُؤَخَّر.

يُوازِرُه: يعاونه.

لِسَانٌ: فاعل يوازره.

صنع: بصاد مهملة فنون مفتوحتين فعين مهملة: حاذق.

الجِد: بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة: ضِد الهَزْل.

شَمَعُوا: بشين معجمة فميم مفتوحتين وبالعين المهملة: ضَحِكوا ولعبوا ومنه الحديث: «مَنْ يَتَتَبَّع المَشْمَعَة يُشَمِّع الله به». يريد مَنْ ضَحِك من الناس وأفرط في المزاح [أصاره الله إلى حالة يُعْبَثُ به ويُسْتَهْزَأ منه فيها]. وشَمَعَتْ الجارية شَمْعاً، لعبتْ وامرأة شَمُوع: مَزَّاحة.

الباب الثاني والعشرون

في وفود بني ثعلبة إليه صلى الله عليه وسلم

روى محمد بن عمر، وابن سعد(١) عن رجل من بني ثعلبة [عن أبيه] قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الجِعْرَانَة سنة ثمان قدمنا عليه أربعة نفر، وافدين مُقِرِّين بالإسلام. فنزلنا دار رَمْلَة بنت الحارث، فجاءنا بلال فنظر إلينا فقال: أَمَعَكُم غيركم؟ قلنا: لا. فانصرف عنا، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتانا بِجَفْنَة من ثريد بلَبَن وسَمْن، فأكلنا حتى نَهِلْنَا. ثم رُحْنَا الظُّهْر، فإذا رسول الله ﷺ قد خرج من بيته ورأسه يَقْطُر ماء، فرمى ببصره إلينا، فأسرعنا إليه، وبلال يُقيم الصلاة.

فسلَّمنا عليه وقلنا: يا رسول الله نحن رسل مَنْ خَلْفنا من قومنا ونحن [وهم] مُقِرُّون بالإسلام وهم في مواشيهم وما يصلحها إلا هم، وقد قيل لنا يا رسول الله: «لا إسلام لمن لا هجرة له». فقال رسول الله ﷺ: «حَيْثُما كُنْتُم وَاتَّقَيْتُم الله فلا يَضُرّكم». وفرغ بلال من الآذان وصلى رسول الله ﷺ بنا الظهر، لم نُصَلِّ وراء أحدٍ قطّ أَتَمّ صلاة ولا أوجه منه، ثم انصرف إلى بيته فدخل فلم يلبث أن خرج إلينا فقيل لنا: صَلَّى في بيته ركعتين. فدعا بنا فقال: «أين أهلكم؟» فقلنا قريباً يا رسول الله هم بهذه السرية، فقال: «كيف بلادكم؟» فقلنا مُخْصِبون. فقال: «الحمد لله».

فأقمنا أياماً وتعلمنا القرآن والسنن وضيافته ﷺ تجري علينا، ثم جئنا نُوَدِّعه منصرفين فقال لبلال: «أجزهم كما تُجيز الوفود». فجاء بِنُقَر من فِضَّة فأعطى كل رجل منا خمس أواقٍ وقال: ليس عندنا دراهم فانصرفنا إلى بلادنا.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦٣/٢.

الباب الثالث والعشرون

في وفد ثقيف إليه صلى الله عليه وسلم

قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: وقدم في رمضان منصرفه من تَبُوك وفد ثقيف، وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم اتَّبع أَثَرَه عُرْوَة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يدخل المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام. فقال له رسول الله ﷺ: «إنهم قاتلوك»، وعرف أن فيهم نَخْوَةَ الامتناع الذي كان منهم. فقال عُرْوَة: يا رسول الله أنا أَحَبُّ إليهم من أَبْكَارهم. وكان فيهم كذلك مُحَبَّباً مُطَاعاً.

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أَلاَّ يخالفوه لمنزلته فيهم. فلما أشرف لهم على عُلِّيَّةٍ له، وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رَمَوْه بالنَّبْل من كل وجه فأصابه سهم فقتله. فقيل لعُرْوَة: ما ترى في دمك؟ قال: «كرامة أكرمني الله بها وشهادةً ساقها الله إليّ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم». فدفنوه معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إنَّ مَثَلَه في قومه لكَمَثَلِ صاحب يس في قومه».

ثم أقامت ثقيف بعد قَتْل عُرْوَة أشهراً، ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب مَنْ حَوْلهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا. وأجمعوا أن يُرْسِلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عُرْوَة، فكَلَّموا عبد ياليل بن عمرو بن عُمَيْر، وكان سِنَّ عُرْوَة بن مسعود وعرضوا عليه ذلك. فأبى أن يفعل وخَشِيَ أن يُصْنَع به، إذا رجع كما صُنِع بعروة. فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً.

فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا ستة فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وَهْب، وشرحبيل بن غَيْلان. ومن بني مالك: عثمان بن أبي العاص، وأَوْس ابن عَوْف، ونُمَيْر بن خَرَشة. فخرج بهم عبد ياليل، فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة أَلْفَوْا بها المغيرة بن شُعْبَة. فاشْتَدَّ لِيُبَشِّر بهم النبي ﷺ. فَلَقِيَه أبو بكر فقال: أقسمت عليك بالله لا تَسْبِقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أُحَدِّثه. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم. ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فَرَوَّح الظَّهْرَ معهم. وعَلَّمهم كيف يُحَيُّون رسول الله ﷺ. فأَبَوْا إلا تحية الجاهلية. ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب لهم قُبَّة في ناحية المسجد لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صَلّوا.

وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى كتب كتابهم بيده. وكانوا لا يأكلون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا. وكان فيما سألوا أن يدع لهم الطاغية وهي اللاَّت ولا يهدمها ثلاث سنين حتى سألوه

شهراً فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مُسَمًّى، وإنما يريدون بذلك فيما يُظْهِرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يُرَوِّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام. فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدمها. وقد كانوا سألوه أن يُعْفِيَهم من الصلاة وألاَّ يَكْسِروا أوثانهم بأيديهم. فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا كَسْر أوثانكم بأيديكم فَسَنُعْفِيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خَيْرَ في دِينٍ لا صلاة فيه».

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً، أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سِنًّا، وذلك أنه كان من أحْرَصِهم على التَّفَقُّه في الإسلام وتَعَلُّم القرآن. وكان كما رواه عنه الطبراني برجال ثقات ـ رضي الله عنه ـ قال: قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على رسول الله ﷺ. فلما حَلَلْنا بباب النبي ﷺ قالوا: من يُمْسك رَوَاحِلَنا؟ فكل القوم أَحَبَّ الدخول على رسول الله ﷺ وكَرِه التخلف عنه، وكنت أصغرهم، فقلت إنْ شئتم أمسكت لكم على أن عليكم عهد الله لَتُمْسِكُنَّ لي إذا خرجتم، قالوا: فذلك لك.

فدخلوا عليه ثم خرجوا، فقالوا: انْطَلِق بنا. قلت: إلى أين؟ قالوا: إلى أهلك فقلت: «ضربتُ من أهلي حتى إذا حَلَلْتُ بباب رسول الله ﷺ أأرجع ولا أدخل عليه؟ وقد أعطيتموني ما علمتم». قالوا: فاعجل فإنا قد كفيناك المسألة، لم ندع شيئاً إلا سألناه.

فدخلت فقلت: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يُفَقِّهَني في الدين ويعَلِّمني. قال: «ماذا قلت؟» فأعدتُ عليه القول. فقال: «لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحد من أصحابك، اذهب فأنت أمير عليهم وعلى مَنْ تَقْدَمُ عليه من قومك». وفي رواية: فدخلت على رسول الله ﷺ فسألته مصحفاً فأعطانيه.

ثم قال في زاد المعاد: لما توجه أبو سفيان والمغيرة إلى الطائف لهدم الطاغية أراد المغيرة أن يُقَدِّم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال: ادخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذي الهَدْم.

فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمِعوَل، وقام قومه دونه، بنو مُعَتِّب خَشْيَة أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُرْوَة. فلما هدمها المغيرة وأخذ مالها وحُلِيَّها أرسل أبا سفيان بمجموع مالها من الذهب والفضة والجَزْع.

وقد كان أبو المَلِيح بن عُرْوَة، وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف ـ حين قُتِل عُرْوَة ـ يريدان فِرَاق ثقيف وألاَّ يُجَامعاهم على شيء أبداً، فأسلما، فقال لهما رسول الله ﷺ: «تَوَلَّيا مَنْ شِئْتُما». فقالا: نَتولَّى الله ورسوله.

فلما أسلم أهل الطائف سأل أبو المَلِيح رسول الله ﷺ أن يقضي عن أبيه عُرْوَة دَيْناً

كان عليه من مال الطاغية فقال له: «نعم» فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله، فاقْضِه وعُرْوَة والأسود أَخَوَان لأبٍ وأُمّ. فقال رسول الله ﷺ: «إن الأسود مات مُشْرِكاً». فقال قارب يا رسول الله، لكن تَصِلُ مسلماً ذا قرابة - يعني نفسه - وإنما الدَّيْنُ عَلَيَّ وأنا الذي أُطْلَبُ به. فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يَقْضِي دَيْنَهما من مال الطاغية(١).

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين: إنَّ عِضَاه وَجّ وَصَيْدَهُ حرام لا يُعْضَدُ [ولا يُقْتَلُ صَيْدُه] فمن وُجِد يفعل شيئاً من ذلك فإنه يُجْلَد وتُنْزَعُ ثِيَابُه ومَنْ تَعَدَّى ذلك فإنه يُؤْخَذ فَيُبَلَّغُ النبي محمداً وإن هذا أَمْرُ النبي محمد رسول الله وكتب خالد بن سعيد بأمر من محمد بن عبد الله رسول الله [فلا يَتَعَدَّهُ أحد فيظلمَ نفسه فيما أَمَر به محمد رسول الله لثقيف]». هذا خبر ثقيف من أوله إلى آخره، هذا لفظه في غزوة الطائف.

وذُكِر في وفد ثقيف زيادة على ما هنا قال: وكانوا يَغْدون على رسول الله ﷺ في كل يوم ويُخَلِّفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم لأنه أصغرهم. فلما رجعوا عمد إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الدين واستقرأه القرآن حتى فَقُه في الدين وعَلِمَ، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وأَحَبَّه. فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله ﷺ وهو يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا.

فقال كِنانة بن عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا؟ قال: نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام أُقَاضيكم وإلا فلا قَضِيَّة ولا صُلْح بيني وبينكم. قالوا: أفرأيت الزنا؟ فإنا قوم نغترب لا بُدَّ لنا منه. قال: وهو عليكم حرام، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلاَ تَقْرَبوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء ٣٢] قالوا: أفرأيت الرِّبا فإنه أموالنا كلُّها؟ قال: لكم رؤوس أموالكم، إن الله تعالى يقول: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وذَرُوا مَا بَقِيَ من الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٢٧٨]. قالوا: أفرأيت الخَمْرَ فإنه لا بد لنا منها؟ قال: إن الله تعالى قد حَرَّمها وقرأ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة ٩٠].

فارتفع القوم وخلا بعضهم ببعض وكَلَّموه إلا يَهْدِم الرَّبَّة، فأبى، فقال ابن عبد ياليل: إنا لا نَتَوَلَّى هَدْمَها. فقال: «سأبعث إليكم من يكفيكم هدمها». وأَمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص كما تقدم لما علم من حِرْصه على الإسلام. وكان قد تعلَّم سُوراً من القرآن قبل أن يخرج لما سألوه أن يُؤَمَّر عليهم.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥/٣٧٠.

فلما رجع الوفد خرجت ثقيف يتَلَقَّوْنَهُمْ فلما رآهم ساروا العَنَق وقَطَروا الإبل قال بعضهم لبعض ما جاء وفدكم بخير، وقصد الوفد اللاّت، ونزلوا عندها. فقال ناس من ثقيف إنهم لا عهْد لهم برؤيتنا، ثم رحل كل رجل منهم إلى أهله فسألوهم: ماذا جئتم به؟ قالوا: أتينا رجلاً فَظّاً غليظاً قد ظهر بالسيف وداخ له العرب قد عرض علينا أموراً شِدَاداً: هَدْم اللاّت. فقالت ثقيف: والله لا نَقْبَل هذا أبداً.

فقال الوفد: أَصْلِحوا السلاح وتَهَيَّأُوا للقتال. فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم ألقى الله في قلوبهم الرُّعْب، فقالوا: والله ما لنا به من طاقة فارجعوا فاعطوه ما سأل. فلما رأى الوفد أنهم قد رَغِبوا واختاروا الإيمان قال الوفد: فإنّا قاضَيْناه وشَرَطْنا ما أردنا ووجدناه أَتْقَى الناس وأَوْفاهم وأَرْحَمَهم وأَصْدَقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه فاقبلوا عافية الله.

فقالت ثقيف: فَلِم كتمتمونا هذا الحديث؟ فقالوا: أردنا أن ننزع من قلوبكم نَخْوَة الشيطان، فأسلموا مكانَهم ومكثوا أياماً. ثم قدم رُسُل النبي ﷺ وعمدوا إلى اللاّت ليهدموها، وخرجت ثقيف كلها حتى العواتق من الحِجال لا ترى أنها مهدومة ويظنون أنها مُمْتَنِعة. فقام المغيرة فأخذ الكِرْزِين فضرب ثم سقط فَارْتَجَّ أهل الطائف وقالوا: أَبْعَد الله المغيرة قتلته الرَّبَّة وفرِحوا وقالوا: والله لا يُسْتَطَاع هدْمُها.

فوثب المغيرة وقال: «قبحكم الله يا معشر ثقيف إنما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه». ثم ضرب الباب فكسره ثم علا سورها وعلا الرجال معه يهْدِمونها حجراً حجراً حتى سَوَّوْها. وقال صاحب المفتاح: لَيَغْضَبَنَّ الأساس فَلَيَخْسِفَنَّ بهم. فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد: دَعْنِي أحفر أساسها، فحفره حتى أخرجوا تُرَابها. وأقبل الوفد حتى قدموا على رسول الله ﷺ بِحُلِيِّها وكُسْوَتِها، فقسمه من يومه، وحَمِد الله تعالى على نُصْرَةِ نَبِيِّه وإعزاز دينه.

وقال عثمان بن أبي العاص، كما رواه عنه أبو داود: إن رسول الله ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم. وقال عثمان: إنما استعملني رسول الله ﷺ لأني كنت قرأت سورة البقرة، فقلت: يا رسول الله إن القرآن يَتَفَلَّتُ مِنِّي، فوضع يده على صدري وقال: «يا شيطان اخرُجْ من صدر عثمان». فما نسيت شيئاً بعده أريد حفظه. وفي صحيح مسلم: قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حَالَ بيني وبين صلاتي وقراءتي، فقال: «ذَاكَ شَيْطانٌ يقال له خَنْزَب، فإذا أَحْسَسْته فتعوَّذ بالله منه واتْفُلْ على يسارك ثلاثاً». قال: ففعلت فأذهبه الله عني.

حُسَّراً: بضم الحاء وفتح السين المشددة وبالراء المهملات: مُتَكَشِّفَات.

وَاهاً: قيل معنى هذه الكلمة التَلَهُّف، وقد توضع موضع الإعجاب بالشيء يقال: واهاً له، وقد تَرِد بمعنى التَّوَجُّع.

حُلِيُّها: بضم الحاء المهملة وكسر اللام وتشديد التحتية جمع حَلْي بفتح الحاء وسكون اللام.

ومالها: أي الذي لها.

الجَزْع: بسكون الزاي خَرَز معروف.

أبو المَلِيح بن عُرْوَة بن مسعود: بفتح الميم وكسر اللام وبالحاء المهملة بعد التحتية: صحابي ابن صحابي.

قارب: بالقاف وبعد الألف راء مكسورة فموحدة: وهو ابن أخي عُرْوَة بن مسعود.

قُتِل عُرْوَة: بالبناء للمفعول.

وأُطْلَبُ به: [بالبناء للمفعول] كذلك.

العِضَاه: بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة وبالهاء لا بالتاء وهوجمع، وهو كل شَجَر ذي شَوْك الواحدة عِضَة «بالتاء حُذِفت منه الهاء كشفة ثم رُدَّت في الجمع فقيل عِضَاه ويقال عِضَاهة أيضاً وهو أقبحها.

وَجّ: بفتح الواو وتشديد الجيم: قال في القاموس: «اسم وادٍ بالطائف لا بَلَدٌ به، وغَلِطَ الجوهري [وهو ما بين جَبَلَيْ المُحْتَرِق والأُحَيْحَدَيْن] ومنه آخر وَطْأَةٍ وَطِئَها الله تعالى بِوَجّ، يريد غزوة حُنَيْنٍ لا الطائف وغَلِط الجوهري، وحُنَيْن واد قِبَلَ وَجّ أما غزوة الطائف فلم يكن فيها قِتَال». انتهى. قال في النور: قوله لم يكن فيها قتال فيه نَظَر إلا أن يريد توجهه [إلى موضع العَدُوّ وإرهابه].

مُصَدِّق: بفتح الدال [والتشديد وهو صاحب الماشية الذي أُخِذت صدقة ماله، وبكسر الدال المشددة عامل الزكاة الذي يستوفيها من أربابها].

الباب الرابع والعشرون

في وفود ثمالة والحدَّان إليه صلى الله عليه وسلم

قالوا: قدم عبد الله بن عَلَس الثُّمَالِي، ومَسْلَمَة بن هاران الحَدَّاني على رسول الله ﷺ في رَهْطٍ من قومهما بعد فتح مكة، فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ على قومهم. وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم كتبه ثابت بن قيس بن شماس، وشهد فيه سعد بن عُبَادة، ومحمد بن مسلمة.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

ثمالة: بثاء مثلثة مضمومة فميم فألف فلام فتاء تأنيث.

مُسَيْلَمَة: بميم مضمومة فسين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية فلام فميم.

هاران: بهاء فألف فراء فألف فنون.

الباب الخامس والعشرون

في قدوم الجارود بن المعلَّى، وسلمة بن عياض الأسدي إليه صلى الله عليه وسلم

قال أبو عُبَيْدَة مَعْمَر بن المُثَنَّى: قدم الجارود العَبْدي على رسول الله ﷺ ومعه سَلَمة بن عِيَاض الأَسَدي، وكان حليفاً في الجاهلية، وذلك أن الجارود قال لسلمة بن عياض الأسدي: إن خارجاً خرج بتِهامة يزعم أنه نَبِيّ، فهل لك أن نخرج إليه؟ فإن رأينا خَيْراً دخلنا فيه، فإنه إن كان نَبِيّاً فللسابق إليه فضيلة، وأنا أرجو أن يكون النبيّ الذي بَشَّر به عيسى ابن مريم. وكان الجارود نصرانياً قد قرأ الكتب.

ثم قال لِسَلَمة: «لِيُضْمِر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها، لا يخبر بها صاحبه، فَلَعَمْري لئن أخبر بها إنه لنبيّ يُوحَى إليه». ففعلا. فلما قدما على رسول الله ﷺ قال له الجارود: بِمَ بعثك رَبُّك يا محمد؟. قال: «بشهادة ألا إله إلا الله وأني عبد الله ورسوله، والبراءة من كل نِدٍّ أو وَثَن يُعْبَد من دون الله تعالى، وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة بحقها وصَوْم شهر رمضان وحَجّ البيت، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت ٤٦]».

قال الجارود: إن كنت يا محمد نبياً فأخبرنا عمّا أَضْمَرْنا عليه. فخفق رسول الله ﷺ كأنها سنة ثم رفع رأسه وتحَدَّر العرق عنه فقال: «أَمَّا أنت يا جارود فإنك أضمرت على أن

تسألني عن دماء الجاهلية وعن حِلْف الجاهلية وعن المَنِيحة، ألاَ وَإنَّ دَمَ الجاهلية موضوع وحِلْفها مشدود. ولم يزدها الإسلام إلا شِدَّة، ولا حِلْف في الإسلام، ألاَ وإنَّ الفضل الصَّدَقَة أن تمنح أخاك ظَهْرَ دَابَّة أو لَبَن شاة، فأنها تَغْدو بِرِفْد، وتروح بمثْلِه. وأما أنت يا سلمة فإنك أضْمَرْت على أن تسألني عن عبادة الأصنام، وعن يوم السَّبَاسِب وعن عَقْل الهجين، فأما عبادة الأصنام فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء ٤٦] وأما يوم السباسب فقد أعقب الله تعالى منه ليلةً خَيْر من ألف شهر، فاطلبوها في العَشْر الأواخر من شهر رمضان فإنها ليلة بُلْجَةٌ سَمْحَة لا رِيحَ فيها تَطْلُع الشمس في صبيحتها لا شُعَاع لها، وأما عَقْل الهَجِين فإن المؤمنين إخوة تتكافأ دِماؤهم يُجِيرُ أقصاهم على أدناهم أَكْرَمَهُم عند الله أتقاهم».

فقالا: نشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبد الله ورسوله.

وعند ابن إسحاق عمَّن لا يَتَّهِم عن الحسن أن الجارود لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كَلَّمه فعَرَض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، ورَغَّبه فيه. فقال: يا محمد إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك أَفَتَضْمَنُ لي ديني؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نَعَم أنا ضامِن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه». فأسلم وأسلم أصحابه. ثم سأل رسول الله ﷺ الحُمْلاَن فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه». فقال: يا رسول الله فإن بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌّ من ضَوَالِّ الناس - وفي لفظ المسلمين - أَفَنَتَبَلَّغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا، إيَّاكَ وَإيَّاها فإنما تلك حَرَقُ النار».انتهى

فقال: «يا رسول الله ادْعُ لنا أن يجمع الله قومنا». فقال: «اللهم اجمع لهم أُلْفَة قومهم وبارك لهم في بَرِّهم وبَحْرِهم». فقال الجارود: يا رسول الله أَيّ المال اتَّخِذ ببلادي؟ قال: «وما بلادك؟» قال: مأواها وعاء ونَبْتُها شِفاء، وريحها صَبًا ونَخْلُها غَوَاد. قال: «عليك بالإبل فإنها حمولة والحَمْل يكون عدداً. والناقة ذَوْداً».

قال سلمة: يا رسول الله أَيّ المال اتَّخِذ ببلادي؟ قال: «وما بلادك؟» قال: مأواها سِبَاح ونخلها صُرَاح وتلاعُها فِيَاح. قال: «عليكم بالغَنَم فإن ألبانها سَجْل وأصوافها أثاث وأولادها بركة ولك الأَكِيلَة والرِبا». فانصرفا إلى قومهما مسلمين. وعند ابن إسحاق فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه وكان حسن الإسلام صَلِيباً على دينه حتى مات وقد أدرك الرِّدَّة فثَبت على إيمانه، ولما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينه الأول مع الغَرُور بن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود فشَهِد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس إني أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأُكَفِّر مَنْ لم يشهد. وقال الجارود:

شَهِدْتُ بأَنَّ اللهَ حَقٌّ ... بَنَاتُ فُؤَادِي بالشَّهَادَةِ والنَّهْضِ
فأَبْلِغْ رَسُولَ اللهِ عَنِّي رِسَالَةً ... بِأَنِّي حَنِيفٌ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الأَرْضِ
وَأَنْتَ أَمِينُ اللهِ فِي كُلِّ خَلْقِهِ ... عَلَى الوَحْيِ مِنْ بَيْنِ القُضَيْضَةِ والقَضِّ
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ دَارِي بِيَثْرِبَ فِيكُمُ ... فَإِنِّي لَكُمْ عِنْدَ الإِقَامَةِ والخَفْضِ
أُصَالِحُ مَنْ صَالَحْتَ مِنْ ذِي عَدَاوَةٍ ... وأُبْغِضُ مَنْ أَمْسَى عَلَى بُغْضِكُمْ بُغْضِي
وأُدْنِي الَّذِي وَالَيْتَهُ وأُحِبُّهُ ... وَإِنْ كَانَ فِي فِيهِ العَلاَقِمُ مِنْ بُغْضِ
أَذُبُّ بِسَيْفِي عَنْكُمُ وَأُحِبُّكُمْ ... إِذَا مَا عَدَوْكُمْ فِي الرِّفَاقِ وَفِي النُّقْضِ
وَأَجْعَلُ نَفْسِي دُونَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... لَكُمْ جُنَّةٌ مِنْ دُونِ عِرْضِكُمُ عِرْضِي

وقال سلمة بن عياض الأسدي رضي الله تعالى عنه:

رَأَيْتُكَ يَا خَيْرَ البَرِيَّةِ كُلِّهَا ... نَشَرْتَ كِتَاباً جَاءَ بِالحَقِّ مُعْلَمَا
شَرَعْتَ لنا فِيه الهُدَى بَعْدَ جَوْرِنَا ... عَنِ الحَقِّ لَمَّا أَصْبَحَ الأَمْرُ مُظْلِمَا
فَنَوَّرْتَ بالقُرْآنِ ظُلْمَاتِ حِنْدِسٍ ... وَأَطْفَأْتَ نَارَ الكُفْرِ لَمَّا تَضَرَّمَا
تَعَالَى عُلُوُّ اللهِ فَوْقَ سَمَائِهِ ... وَكَانَ مَكَانُ اللهِ أَعْلَى وَأَكْرَمَا

وروى سليمان بن عليّ عن عليّ بن عبد الله عن عبد اله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الجارود رضي الله تعالى عنه أنشد رسول الله ﷺ حين قدم عليه في قومه:

يَا نَبِيَّ الهُدَى أَتَتْكَ رِجَالٌ ... قَطَعَتْ فَدْفَداً وَآلاً فَآلاَ
وَطَوَتْ نَحْوَكَ الصَّحَاصِحَ طُرّاً ... لاَ تَخَالُ الكَلاَلَ فِيهِ كَلاَلاَ
كُلُّ دَهْنَاءَ يَقْصُرُ الطَّرْفُ عَنْهَا ... أَرْقَلَتْهَا قِلاَصُنَا إِرْقَالاَ
وَطَوَتْهَا الجِيَادُ تَجْمَحُ فِيهَا ... بِكُمَاةٍ كَأَنْجُمٍ تَتَلاَلاَ
تَبْتَغِي دَفْعَ بُوسِ يَوْمِ عَبُوسٍ ... أَوْجَلَ القَلْبَ ذِكْرُهُ ثُمَّ هَالاَ

تنبيهان

الأول: وقع في العيون: الجارود بن بِشْر بن المُعَلَّى. قال في النور: والصواب حذف «ابن»، يبقى الجارود بشر بن المُعَلَّى.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:.

الجارود بن المُعَلَّى ويقال ابن عمرو بن المُعَلَّى أبو المُنْذر ويقال أبو غياث بمعجمة ومثلثة على الأصح وقيل بمهملة وموحدة ويقال اسمه بِشْر بن حَنَش بحاء مهملة ونون مفتوحتين فشين معجمة.

أَنْ قَدْ: بفتح الهمزة.

ضَوَالّ: بفتح الضاد المعجمة وتخفيف الواو وتشديد اللام: جمع ضَالَّة وهي الضائعة من كل ما يُقْتَنَى من الحيوان وغيره يقال ضَلَّ الشيء إذا ضاع وضَلَّ عن الطريق إذا حارَ، وهي في الأصل فَاعِلة ثم اتُّسِع فيها فصارت من الصفات الغالبة وتقع على الذكر والأنثى والاثنين والجمع والمراد بها في هذا الحديث الضَّالَّة من الإبل والبقر مِمَّا يَحْمِي نفسه ويقدر على الإبعاد في طلب المَرْعى والماء بخلاف الغنم.

حَرَقُ النَّار: بفتح الحاء المهملة والراء وبالقاف: لَهَبُها [وقد يُسَكَّن] والمعنى أن ضَالَّة المؤمن إذا أخذها إنسانٌ لِيَتَمَلَّكَها أَدَّتْه إلى النار.

صَلِيباً على دينه: قَوِياً ثابتاً.

مع الغَرُور بن المُنْذِر: بغين معجمة بلا ميم في أوله خلافاً لما وقع في بعض نُسَخ العيون: أسلم [الغَرور] ثم ارتد بعد ارتداده، واسمه المنذر وسُمِّي بالأول لأنه غَرَّ قَوْمَه.

الفَدْفَد: بفاءين مفتوحتين بعد كل فاءٍ دال مهملة الأولى ساكنة: وهي الفَلاَة لا شيء فيها وقيل هي الأرض الغليظة ذات الحَصَى وقيل المكان المرتفع.

الآل: السراب وقال في الصحاح [والآل الشخص، والال الذي تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب].

الصَّحَاصِح: جمع صَحْصَح بفتح الصاد وبعد كل صاد حاء، الأولى ساكنة وهي مهملات: وهو والصَحْصَاح [والصَّحْصَحَة] والصحصحان ما استوى من الأرض.

طُرّاً: بضم الطاء المهملة وتشديد الراء: جميعاً.

الدَّهْناء: بفتح الدال المهملة وسكون الهاء وبالنون والمَدّ والقَصْر: موضع ببلاد بني تميم.

الإرْقَال: بكسر الهمزة وإسكان الراء وبالقاف وباللام: وهو ضَرْبٌ من العَدْو فوق الخَبَب، وقد أَرْقَلَ البعير وناقةٌ مُرْقِل إذا كانت كثيرة الإرقال.

القِلاَص: بكسر القاف وتخفيف اللام وبالصاد المهملة جمع قَلُوص بفتح القاف وضَمّ اللام المخفَّفة: وهو الفَتِيّ من الإبل وهو في النُّوق كالجارية في النساء.

جَمَحَ: بفتح الجيم والميم والحاء المهملة: أَسْرَعَ.

الكُمَاة: بضم الكاف وتخفيف الميم وبعد الألف بتاء [تأنيث] جمع كَمِيّ وهو الشجاع المُتَكَمِّي لأنه كَمَى نفسه أي سترها بالدِّرْع والبَيْضَة.

أَوْجَلَ القَلْبَ ذِكْرُه: القَلْبَ مفعول ذِكْرُه.

هَالَهُ: أفزعه.

الباب السادس والعشرون

في وفود جذام إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن رجاله[١]، والطبراني عن عُمَيْر بن مَعْبَد الجذامي عن أبيه قال: وفد رِفاعة بن زيد بن عُمَيْر بن مَعْبَد الجُذَامي، ثم أحد بني الضُّبَيْب على رسول الله ﷺ في الهُدْنَة قبل خَيْبَر، وأهدى له عبداً وأسلم. فكتب رسول الله ﷺ كتاباً: «هذا كتابٌ من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد، إني بعثته إلى قومه عامة ومَنْ دخل فيهم يدعوهم إلى رسوله، فمنْ آمن - وفي لفظ فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدْبَر - وفي لفظ من أبَى فله أمان شهرين». فلما قدم على قومه أجابوه وأسلموا.

زاد الطبراني: ثم سار حتى نزل حَرَّة الرَّجْلاَء. ثم لم يلبث أن قدم دِحْيَة الكلبي من عند قيصر حين بعثه رسول الله ﷺ حتى إذا كان بِوَادٍ من أوديتهم يقال له شَنَار ومعه تجارة له أغار عليهم الهُنَيْد بن عُوص وابنه عُوص بن الهُنَيْد الضُّلَعِيَّان - والضُّلَيْع بَطْن من جُذَام - فأصابا كل شيء كان معه. فبلغ ذلك قوماً من الضُّبَيْب رَهْط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب فنفروا إلى الهُنَيْد وابنه، فيهم من بني الضُّبَيْب النُّعْمَان بن أبي جِعال حتى لقُوهم فاقتتلوا، ورَمَى قُرَّة ابن أَشْقَر الضُّلَعي، النُّعْمَان بن أبي جِعال بسهم فأصاب رُكْبَته فقال حين أصابه: خذها وأنا ابن لُبْنَى. وقد كان حسَّان بن مِلَّة الضُّبَيْبي قد صحب دِحْيَة بن خليفة قبل ذلك وعلَّمه أمّ الكتاب.

واستنقذوا ما كان في أيديهم فرَدُّوه على دِحْيَة. ثم أن دحية قدم على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر فاستسقاه دَمَ الهُنَيْد وابنه عُوص، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وبعث معه جيشاً. وقد وَجُّهت غطفان من جُذَام ووائل ومَنْ كان من سلامان وسعد بن هُذَيْم - حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله ﷺ حتى نزلوا الحَرَّة حَرَّة الرَّجْلاَء، ورفاعة بكُرَاع الغَمِيم ومعه ناس من بني الضُّبَيْب بوادي مدار من ناحية الحَرَّة.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

جُذَام: بضم الجيم.

عُمَيْر: بعين مهملة مضمومة فميم فمثناة تحتية فراء.

رِفَاعة: براء مكسورة ففاء فألف فعين مهملة.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١١٧/٢، وذكره الهيثمي في المجمع ٣١٢/٥ وعزاه للطبراني.

ابن زَيْد: وقع في سريَّة زيد بنِ حارثة إلى حِسْمَى: فدخل زيد بن رفاعة فأسلم، والصحيح ما هنا.

أهدى لرسول الله ﷺ غلاماً: اسمه مُدعَّمَ كما سيأتي في ذكر مواليه ﷺ.

حِزْب الله وحزب رسوله: بالزاي.

الحَرَّة: بفتح الحاء المشددة المهملتين: أرض ذات حجارة سود.

الرَّجْلاَء: بفتح الراء وسكون الجيم وبالمدّ، قال في الصحاح: وحَرَّة رَجْلاَء أي مستوية كثيرة الحجارة يصعب المَشْي فيها.

الباب السابع والعشرون

في وفود جرم إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(١) عن سعد بن مُرَّة الجَرْمِيّ عن أبيه قال: وفد على رسول الله ﷺ رجلان منّا يقال لأحدهما الأَصْقَع بن شُرَيْح بن صُرَيْم بن عمرو بن رِيَاح، والآخر هَوْذَة بن عمرو ابن يزيد بن عمرو بن رياح فأسلما. وكتب لهما رسول الله ﷺ كتاباً.

وروي أيضاً عن عمرو بن سَلِمة بن قيس الجَرْمِيّ رضي الله تعالى عنه أن أباه ونفراً من قومه وفدوا إلى النبي ﷺ حين أسلم الناس وتعلموا القرآن وقضوا حوائجهم. فقالوا له: منْ يُصَلِّي بنا أو لنا؟ فقال: «لِيُصَلِّ بكم أكثركم جمعاً أو أَخْذاً للقرآن». قال: فجاءوا إلى قومهم فسألوا فيهم فلم يجدوا أحداً أكثر وأجمع من القرآن أكثر مما جمعتُ أو أخذْت. قال: «وأنا يومئذٍ غلام عليّ شَمْلَة، فقدَّموني فصلَّيْتُ بهم، فما شهدتُ مجمعاً من جَرْم إلا وأنا إمامهم إلى يَوْمي هذا. قال مِسْعَر أحد رواته: وكان يُصَلِّي على جنائزهم ويَؤُمُّهم في مسجدهم حتى مضى لسبيله.

وروى البخاري، وابن سعد، وابن مَنْدَه عن عمرو بن سَلِمَة رضي الله تعالى عنه قال: كُنَّا بِحَضْرَة ماءٍ مَمَرُّ الناس عليه، وكنا نسألهم ما هذا الأمر؟ فيقولون: رجلٌ يزعم أنه نَبِي وأن الله أرسله وأن الله أَوْحَى إليه كذا وكذا، فجعلْتُ لا أسمع شيئاً من ذلك إلا حفظْتُه كأنما يُغْرَى في صدري بِغِرَاء حتى جمعتُ فيه قرآناً كثيراً.

قال: وكانت العرب تَلَوَّمُ بإسلامها الفَتْح، يقولون انظروا فإن ظهر عليهم فهو صادق وهو نَبِي. فلما جاءتنا وَقْعَة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم، فانطلق أبي بإسلام حِوَائِنا ذلك وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يُقِيم. قال: ثم أقبل فلما دنا مِنَّا تَلَقَّيْنَاه، فلما رأيناه قال: جئتكم والله من عند رسول الله حقّاً، ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا وينهاكم عن كذا وكذا وأن تُصَلُّوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا، وإذا حضرت الصلاة فَلْيُؤَذِّن أحدكم وَلِيَؤُمكم أكثركم قرآناً. قال: فننظر أهل حِوَائِنا فما وجدوا أحداً أكثر قرآناً مني الذي كنت أحفظه من الرُّكْبَان. فدعوني فعَلَّمُوني الركوع والسجود، وقدموني بين أيديهم، فكنت أُصَلِّي بهم وأنا ابن سِتِّ سنين. قال: وكان عليّ بُرْدَة كنت إذا سجدت تَقَلَّصَتْ عَنِّي، فقالت امرأة من الحَيّ: أَلاَ تُغَطُّون عنَّا اسْتَ قارئكم؟ قال: فكسوني قميصاً من مَعْقَد البحرين. قال: فما فرحت بشيء أشد من فرحي بذلك القميص.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٩٩.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

جَرْم: بجيم مفتوحة فراء ساكنة فميم.

الأَصْقَع: بهمزة مفتوحة فصاد مهملة ساكنة فقاف مفتوحة فعين مهملة.

شُرَيْح: بشين معجمة مضمومة فراء فمثناة تحتية فحاء مهملة.

صُرَيْم: بصاد مهملة مضمومة فراء مفتوحة فمثناة تحتية فميم.

هَوْذَة: بهاء مفتوحة فواو ساكنة فذال معجمة فهاء.

يُغْرَى: بمثناة تحتية مضمومة فغين معجمة ساكنة فراء: أي يُلْصَق.

تَلَوَّم: بمثناة فوقية فلام فواو مشددة مفتوحات فميم: أي تنتظر.

تَقَلَّصَتْ: بمثناة فوقية فقاف فلام مشددة فصاد مهملة مفتوحات: أي ارتفعت.

الباب الثامن والعشرون

في وفود جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه إليه صلى الله عليه وسلم

روى الطبراني والبيهقي وابن سعد(١) عن جرير رضي الله تعالى عنه قال: بعث إليّ رسول الله ﷺ فأتيته فقال: «ما جاء بك؟» قلت: جئت لأُسْلِم فألقى إليّ كِسَاءه وقال: «إذا أتَاكُم كَرِيم قومٍ فأكرموه». فقال رسول الله ﷺ: «أَدعوك إلى شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله وأن تؤمن بالله واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وتصَلّي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان، وتنصح لكل مسلم، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حَبَشِيّاً».

وروى الإمام أحمد، والبيهقي، والطبراني برجال ثقات عنه قال: لما دنوت من مدينة الرسول ﷺ أَنَخْتُ راحتلي وحَلَلْتُ عَيْبَتي ولبِسْتُ حُلّتِي ودخلتُ المسجد، والنبي ﷺ يخطب، فسلَّمْتُ على رسول الله ﷺ فرماني الناس بالحدق فقلت لجليسي: يا عبد الله هل ذكر رسول الله ﷺ عن أمري شيئاً؟ قال: نعم، ذكرك بأحسن الذِّكْر، فبينا هو يخطب إذ عرض لك فقال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الباب - أو قال - من هذا الفج من خَيْرِ ذِي يمن وإن على وجهه لَمسحة مُلْك». فحمدت الله على ما أَبْلاَني. وروى البزّار، والطبراني عن عبد الله بن حمزة والطبراني عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال: بينا أنا يوماً عند رسول الله ﷺ في جماعة من أصحابه أكثرهم اليمن إذ قال رسول الله ﷺ: «سيطْلَعُ عليكم من هذه الثَّنِيّة» - وفي لفظ: «من هذا الفَجّ - خير ذي يمن على وجهه مَسْحة مُلْك». فما من القوم أحد إلاّ تمنّى أن يكون من أهل بيته، إذ طلع عليه راكب فانتهى إلى رسول الله ﷺ فنزل على راحلته فأتى النبي ﷺ فأخذ بيده وبايعه وقال: «من أنت؟» قال: جرير بن عبد الله البَجَلِيّ. فأجلسه إلى جَنْبِه ومسح بيده على رأس ووجهه وصدره وبطنه حتى انحنى جرير حياءً أن يدخل يده تحت إزاره، وهو يدعو له بالبركة ولذُرِّيّته، ثم مسح رأسه وظهره وهو يدعو له ثم بسط له عرض ردائه وقال له: «على هذا يا جرير فاقعد». فقعد معهم مَلِيّاً ثم قام وانصرف.

وقال النبي ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»(٢).

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/١١٠.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٧١٢) والبيهقي في السنن ٨/١٦٨ والطبراني في الكبير ٢/٣٧٠ والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٢ وأبو نعيم في الحلية ٦/٢٠٥ وابن عدي في الكامل ١/١٨١.

وروى الطبراني برجال الصحيح عن جرير رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أُبَايِعُكَ على الهجرة. فبايعني رسول الله ﷺ واشترط عليّ والنُّصْحَ لكل مسلم، فبايعته على هذا. قال ابن سعد: وكان نزول جرير بن عبد الله على فَرْوَة بن [عمرو] البَيَاضِيّ.

تنبيهات

الأول: قال الحافظ في الإصابة: روى الطبراني في الأوسط من طريق حُصَيْن بن عمرو الأَحْمَسِي عن إسماعيل بن أبي خالد عن قَيْس بن أبي حازم عن جرير قال: لما بُعِثَ النبي ﷺ أتيته فقال: «ما جاء بك؟ قلت: جئت لأُسْلِم. فألقى إليّ كِسَاءه وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». الحديث. قال الحافظ: «حُصَيْن فيه ضعف ولو صَحَّ لحُمِل على المجاز، أي [لَمَّا] بلغنا خَبَر بعث النبي ﷺ أو على الحَذْف أي لما بُعِث رسول الله ﷺ ثم دعا إلى الله ثم قدم المدينة ثم حارب قريشاً وغيرهم ثم فتح مكة ثم وفدت عليه الوفود». قلت: هذا الحديث رواه البيهقي من هذا الطريق عن جرير بلفظ: «بعث إليّ رسول الله ﷺ فأتَيْتُه». وهذه الرواية لا إشكال فيها، ولم أر الحديث في مجمع الزوائد في مناقب جرير.

الثاني: جَزَم أبو عمر بأن جريراً أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً قال الحافظ: وهو غلط ففي الصحيحين عنه أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «اسْتَنْصِت الناس»(١).

الثالث: جزم محمد بن عمر الأسلمي بأنه وفد على رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة عشر وأن بعثه إلى ذي الخَلَصة كان بعد ذلك، وأنه وافى مع رسول الله ﷺ حَجَّة الوداع من عامه.

قال الحافظ: وعندي فيه نظر لأن شريكاً حدَّث عن الشيباني عن الشعبي عن جرير قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إن أخاكم النجاشي قد مات»(٢). الحديث أخرجه الطبراني فهذا يدل على أن إسلام جرير كان قبل سنة عشر لأن النجاشي مات قبل ذلك.

الرابع: في بيان غريب ما سبق:.

البَجَلِيّ: بموحدة فجيم مفتوحتين فلام فياء نَسَب.

---

(١) أخرجه البخاري ٤١/١ ومسلم في كتاب الإيمان (١١٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٦٧/٢ والترمذي (١٠٣٩) وابن ماجة (١٥٣٥) والنسائي ٦٩/٤ وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٠ وابن أبي شيبة ٣٦٢/٣.

العَيْبَة: بعين مهملة مفتوحة وتحتية ساكنة بعدها موحدة فتاء تأنيث: ما يجعل المسافر فيه ثيابه.

الحُلَّة: بحاء مهملة مضمومة فلام مفتوحة مشددة: البُرْد من برود اليمن، ولا يُسَمَّى حُلَّة إلا أن يكون ثَوْبَيْنِ من جنس واحد.

الحدق: بحاء فدال مهملتين مفتوحتين فقاف: جمع حدقة وهي العين.

الفَجّ: تقدم الكلام عليه.

ذي يمن: [بمثناة تحتية وميم مفتوحتين فنون].

مشحة: بميم مفتوحة فسين مهملة ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فتاء تأنيث أي أَثَر ظاهر منه.

الباب التاسع والعشرون

في وفود جعدة إليه صلى الله عليه وسلم

[قال أخبرنا هشام بن محمد عن رجل من بني عَقِيل قال: وفد إلى رسول الله ﷺ الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة بن كَعْب. وأعطاه رسول الله ﷺ بالفَلَج ضَيْعة وكتب لهم كتاباً وهو عندهم].

الباب الثلاثون

[في وفود جعفيٍّ إليه صلى الله عليه وسلم]

قال ابن سعد(١) رحمه الله تعالى: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، وعن أبي بكر بن قيس الجُعْفِيّ قالا: كانت جُعْفِيّ يُحرِّمون القَلْب في الجاهلية فوفد إلى رسول الله ﷺ رجلان منهم: قَيْس بن سَلِمة بن شَراحِيل من بني مُرَّان بن جُعْفِي، وسَلِمَة بن يزيد بن مشجعة بن المُجمِّع، وهما أخوان لأُمّ، وأُمُّهما مُلَيْكَة بنت الحُلْو بن مالك من بني حُرِيم بن جُعْفِيّ. فأسلما. فقال لهما رسول الله ﷺ: «بلغني أنكم لا تأكلون القلب». قالا: نعم. قال: «فإنه لا يَكْمُل إسلامكما إلا بأكْلِه» ودعا لهما بِقَلْب، فَشُوي، ثم ناوله سَلِمة بن يزيد، فلما أخذه أُرْعِدَتْ يده فقال له رسول الله ﷺ: «كُلْهُ» فأكله. وكتب رسول الله ﷺ لقَيْس بن سلِمة كتاباً نسخته:

«كتاب من محمد رسول الله لقَيْس بن سلِمة بن شراحيل أنّي اسْتَعْملتُك على مُرَّان ومواليها، وحُرَيْم ومواليها، والكُلاَب ومواليها، [من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصدَّق ماله وصفَّاه». قال الكُلاب أَوْد، وزُبَيْد] وجَزْء ابن سعد العشيرة، وزيد الله بن سعد، وعائذ الله بن سعد، وبنو صلاة من بني الحارث بن كعب..

ثم قالا: يا رسول الله إن أُمَّنَا مُلَيْكَة بنت الحُلْو كانت تَفُكُّ العاني، وتُطْعِم البائس، وتَرْحم المسكين، وإنها ماتت وقد وأدتْ بُنَيَّةً لها صغيرة فما حالها؟ فقال رسول الله ﷺ: «الوائدة والموؤدة في النار». فقاما مُغْضَبَيْن. فقال: «إليّ فارْجِعا». فقال: «وأُمِّي مع أُمِّكِما». فأَبيا ومضيا وهما يقولان: والله إن رجلاً أَطْعمنا القَلْب وزعم أنَّ أمَّنا في النار لأَهْلٌ ألاَّ يُتَّبع. وذهبا. فلما كانا ببعض الطريق لقيا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ معه إبل من إبل الصدقة فأوثقاه وطردا الإبل.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨٩/٢.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فلعنهما فيمن كان يلعن في قوله: «لعن الله رِعْلاً وذَكْوانَ وعُصيَّة ولِحْيَان وابْني مُلَيْكَة بن حرِيم ومُرَّان».

وروى ابن سعد(١) عن أشياخ قالوا: وفد أبو سبْرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجُعْفِيّ على النبي ﷺ ومعه إبناه سبْرة وعزيز. فقال رسول الله ﷺ لعزيز: «ما اسمك؟» قال عزيز. قال: «لا عزيز إلا الله أنت عبد الرحمن». فأسلموا. وقال أبو سبرة: يا رسول الله إنَّ بِظَهْرِ كَفِّي سِلْعة قد منعتني من خِطَام راحلتي. فدعا له رسول الله ﷺ [بقَدح، فجعل يضْرب به على السِّلْعة ويمسحها فذهبت فدعا له رسول الله ﷺ] ولإبْنَيْه، وقال له: يا رسول الله أَقْطِعْنِي وادي قَوْمي باليمن، وكان يُقال له حُرْدَان. ففعل.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

قوله في هذا الخبر: «وأُمِّي مع أُمِّكما»، سبق الكلام عليه في باب وفاة آمنة أم رسول الله ﷺ، والإسناد واه بمرَّة.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٩٠.

الباب الحادي والثلاثون

في وفود جهينة إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(١) عن أبي عبد الرحمن المدنِيّ قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة وفد إليه عبد العُزّى بن بدر بن زيد بن معاوية الجُهَنِيّ من بني الرَّبعة بن رَشْدان بن قَيْس بن جُهَيْنَة، ومعه أخوه لأمه أبو روْعة، وهو ابن عمٍّ له. فقال رسول الله ﷺ لعبد العُزّى: «أنت عبد الله». ولأبي روْعة: «أنت رُعْت العدوَّ إن شاء الله». وقال: «من أنتم؟» قالوا: بنو غَيّان. قال: «أنتم بنو رشْدان». وكان اسم واديهم غَوى، فسمّاه رسول الله ﷺ: - رُشْداً - وقال لجبلَيْ جُهَيْنَة: «الأشْعر والأجْرد: هما من جبال الجنّة لا تَطَؤُهما فِتْنَة». وأعطى اللواء يوم الفتح عبد الله بن بدر وخَطَّ لهم مسجدهم، وهو أول مسجد خُطَّ بالمدينة.

وروى ابن سعد عن رجل من جُهَيْنَة من بني دهمان عن أبيه وقد صحب النبي ﷺ قال: قال عمرو بن مُرَّة الجُهَنِيّ: كان لنا صنم وكنا نُعَظِّمه وكنت سادِنَه، فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كَسَرْتُه وخرجت حتى أقدم المدينة على النبي ﷺ فأسلمت وشَهِدْتُ شهادة الحق، وآمنت بما جاء به من حلال وحرام، فذلك حين أقول:

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللهَ حَقٌّ وَإِنَّنِي ... لآلِهَةِ الأَحْجَارِ أَوَّلُ تَارِكِ
وَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الإِزَارَ مُهَاجِراً ... إِلَيْكَ أَجُوبُ الوَعْثَ بَعْدَ الدَّكَادِكِ
لأَصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نَفْساً ووَالِداً ... رَسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فَوْقَ الحَبَائِكِ

قال: ثم بعثه رسول الله ﷺ إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فأجابوه إلا رجلاً واحداً، رَدَّ عليه قوله فدعا عليه عمرو بن مُرَّة فسقط فُوه فما كان يَقْدِر على الكلام وعَمِيَ واحتاج.

وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جُهَيْنَة مِنِّي وأنا منهم، غَضِبوا لِغَضَبي ورضوا لرضائي، أغضبُ لغضبهم. مَنْ أغضبهم فقد أغضبني، ومن أغضبني فقد أغضب الله». رواه الطبراني برجال ثقات غير الحارث بن مَعْبَد فَيُحَرَّر حالُه(٢).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

بنو الرَّبَعة: [بالتحريك حَيٌّ من الأَزْد].

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٩٧/٢.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠٨/١٨ وذكره الهيثمي في المجمع ٤٨/١٠.

زَيْدَان: بلفظ تثنية زيد.

أبو رَوْعة: [بفتح الراء وسكون الواو، وبالعين المهملة فتاء تأنيث].

بنو غَيَّان: بغيم معجمة فمثناة تحتية مشددة فألف فنون.

أجوب: بألف فجيم مضمومة فواو موحدة:أَكشِف.

الوَعْث: [بفتح الواو وسكون العين المهملة وبالثاء المثلثة].

الدَّكَادِك: [ما تَلَبَّد من الرَّمْل بالأرض].

الحَبَائك: بحاء مهملة فموحدة مفتوحتين فألف فمثناة تحتية فكاف: الطُرُق واحدها حَبِيكة والمُرَاد بها السماء لأن فيها طُرُق النجوم.

الباب الثاني والثلاثون

في وفود جيشان إليه صلى الله عليه وسلم

نقل ابن سعد(١) عن عمرو بن شُعَيب قال: قدم أبو وَهب الجَيشَاني على رسول الله ﷺ في نفر من قومه، فسألوه عن أَشْرِبة تكون باليمن. قال: فسَمُّوا له البِتْعَ من العَسَل والمِزْر من الشعير. فقال رسول الله ﷺ: «هل تَسْكَرُون منها؟» قالوا: إن أَكْثَرْنا سَكِرْنا. قال: «فحرامٌ قَلِيلُ ما أَسْكَرَ كَثِيرُهُ». وسألوه عن الرجل يَتَّخِذ الشَّرَابَ فيَسْقِيه عُمَّالَه، فقال رسول الله ﷺ:«كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَام».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

جيشان: [بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية فألف فنون: مِخْلاَف باليَمَن].

البِتْع: بموحدة فمثناة فوقية ساكنة وقد تُحَرَّك فعين مهملة: نبيذ التَمْر وهو خَمْر أهل اليمن.

الباب الثالث والثلاثون

في وفود الحارث بن حسان إليه صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد، والترمذي والنسائي وابن ماجه عن الحارث بن حسّان البكري قال: خرجت أشكو العلاء الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فمررت بالرَّبَذَة فإذا عجوز من بني تميم مُنْقَطَعٌ بها، فقالت: يا عبد الله إنَّ لي إلى رسول الله حاجة فهل أنت مُبْلِغِي إليه؟ قال: فحملتها فأتيت المدينة فإذا المسجد غَاصٌّ بأهله وإذا راية سوداء تَخْفُق وبلال مُتَقَلِّد السيف بين يَدَيْ رسول الله ﷺ فقلت: ما شأن الناس؟ قالوا: يريد أن يبعث عمرو بن العاص وَجْهاً. قال: فجلست فدخل منزله فاستأذنت عليه فأَذِن لي. فدخلت فسَلَّمْتُ فقال: «هل كان بينكم وبين تميم شيء؟» قلت: نعم، وكانت الدائرة عليهم ومررتُ بعجوز من بني تميم مُنْقَطَع بها فسألتني أن أحملها إليك وها هي بالباب. فأَذِن لها فدخلت. فقلت: يا رسول الله إنْ رأيْتَ أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدَّهْنَاء. فَحَمِيَتْ العجوز واستوفزت وقالت: يا رسول الله أَيْنَ يضطر مُضَرُك؟ قال: قلت: إنَّ مِثْلِي ما قال الأول مِعْزَى حَمَلَتْ حَتْفها، حَمَلْتُ هذه ولا أشعر أنها كانت لي خَصْماً أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد. قالت هي: وما وافد عاد؟ وهي

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٢١/٢.

أعلم بالحديث منه ولكن تستطعمه. قلت: إنَّ عاداً قَحَطوا فبعثوا وافداً لهم. فمَرَّ بمعاوية بن بكر. فأقام عنده شهراً يسقيه الخَمْر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان. فلمّا مضى الشهر خرج إلى جبال مَهْرَة فقال: اللهم إنك تعلم لم أجِيء إلى مريض فأُداويه ولا إلى أسير فأُفاديه، اللهم اسقِ عاداً ما كنت تَسْقِيه. فمرَّتْ به سحابات سود، فنُودِيَ منها: اخْتَرْ، فأَومأ إلى سحابة منها سوداء فنُودِيَ منها: خُذْها رماداً رَمْدَداً، لا تُبْقِ من عادٍ أحداً. قال: فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا بقدر ما يَجْرِي في خاتَمِي هذا حتى هلكوا. قال أبو وائل: وكانت المرأة أو الرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا: لا يَكُنْ كوافد عاد.

الباب الرابع والثلاثون

في وفود بني الحارث بن كعب إليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى إن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما انقاد له بنو الحارث بن كعب بِنَجْرَان كتب بذلك كتاباً إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ أن يُقْبِل ويُقبِل معه وَفْدُهم، فأقبل وأقبل معه قَيْس بن الحُصَيْن ذي الغُصَّة، ويزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قُرَاد الزيادي، وشَدَّاد بن عبد الله القَنَاني، وعمرو بن عبد الله الضِّبَابِي.

وقال لهم رسول الله ﷺ: «بِمَ كنتم تَغْلِبُون مَنْ قَاتَلَكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نكن نَغْلِب أحداً. قال: «بَلَى [قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم]» قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرَّق، ولا نبدأ أحداً بِظُلْم. قال: «صَدَقْتُم». وأَمَّر عليهم قَيْس بن الحُصَيْن فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوَّال أو في صَدْر ذي القعدة فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ(١).

وكان بعث خالداً إليهم في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فليقبل منهم وإلا فليقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الرُّكْبَان في كل وجه يدعون إلى الإسلام ويقولون: أيها الناس أَسْلِموا تَسْلَموا». فأسلم الناس ودخلوا فيما دُعوا إليه وأقام خالد فيهم يُعَلِّمهم الإسلام. وكتب النبي ﷺ [كتاباً نُسْخَتُه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد، سلام عليك فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله وأن قد هداهم الله بُهَداه فبَشِّرهم وأَنْذِرْهم وأَقْبِلْ ولْيُقْبِل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته]».

---

(١) انظر البداية والنهاية ٥/٩٥.

الباب الخامس والثلاثون

في وفود الحجاج بن علاط السّلمي وما وقع فيه من الآيات.

روى ابن أبي الدنيا في الهواتف وابن عساكر عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: سبب إسلام الحَجَّاج بن عِلاَط أنه خرج في رَكْب من قومه إلى مكة، فلما جَنَّ عليه الليل وهو في وادٍ مُوحِشٍ مَخُوف فقال له أصحابه: قُمْ يا أبا كلاب فخُذْ لنفسك ولأصحابك أماناً. فقام الحَجَّاج بن عِلاَط يطوف حولهم يَكْلَؤُهم ويقول: أُعِيذُ نَفْسِي وأُعِيذُ صَحْبِي من كل جِنِّيّ بهذا النَّقْبِ حَتى أَؤوبَ سَالِماً ورَكْبِي.

فسمع قائلا يقول: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنّ والإِنْسِ إِن اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذوا مِنْ أَقْطَارِ السَّموَاتِ والأَرْضِ فانفُذوا لاَ تَنفُذونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن ٣٣]. فلما قدم مكة أخبر بذلك قريشاً فقالوا: [صَبَأْتَ والله يا أبا كلاب] إن هذا فيما يَزْعُم محمد أنه أُنْزِل عليه [فقال: والله لقد سمعته وسَمِعه هؤلاء معي]. فسأل عن النبي ﷺ فقيل له بالمدينة، فأتاه فأسلم.

الباب السادس والثلاثون

في وفود حضرموت إليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن سعد(١): قالوا: وقدم وفد حضرموت مع وفد كنْدَة على رسول الله ﷺ وهم بَنُو وَلِيعة ملوك حَضْرَمَوْت: جَمَد، ومِخْوَس، ومِشْرَح، وأَبْضَعَة فأسلموا. وقال مِخْوَس: يا رسول الله ادْعُ الله، أن يُذْهِب عني هذه الرُّتَّة من لساني. فدعا له وأطعمه طُعْمَة من صدقة حَضْرَمَوْت.

وروى ابن سعد عن أبي عبيدة من ولد عَمَّار بن ياسر قال: وفد مِخْوَس بن مَعْدِي كَرِب بن وَلِيعة فيمن معه على النبي ﷺ، ثم خرجوا من عنده فأصابت مِخْوَس اللَّقْوَة، فرجع منهم نفر فقالوا: يا رسول الله سَيِّدُ العَرَب ضربته اللَّقْوَة فادْلُلْنا على دوائه. فقال: «خذوا مِخْيَطاً فَاحْمُوه في النار ثم اقْلِبوا شَفْرَ عَيْنه ففيها شِفاؤه وإليها مَصِيره فالله أعلم ما قلتم حين خرجتم من عندي». فصنعوا به فَبَرَأ.

وروى ابن سعد عن عمرو بن مهاجر الكندي قال: كانت امرأة من حضرموت ثم من تَنْعَة يقال لها: تَهْنَاة بنت كُلَيْب صنعت لرسول الله ﷺ كُسْوَة ثم دعت ابنها كُلَيْب بن أسد

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/. ١١٢

ابن كُلَيْب. فقالت: انْطَلِق بهذه الكُسْوَة إلى النبي ﷺ، فأتاه بها وأسلم، فدعا له وقال كُلَيْب حين أتى رسول الله ﷺ:

إلَيْكَ يا خَيْرَ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ مِنْ وَشْزِ بَرْهُوتِ يَهْوِي بِي عُذَافِرَةٌ
تَزْدَادُ عَفْواً إذَا مَا كَلَّتِ الإبِلُ تَجُوبُ بِي صَفْصَفاً غُبْراً مَنَاهِلُهُ
أَرْجُو بِذَاكَ ثَوَابَ اللهِ يَا رَجُلُ شَهْرَيْنِ أُعْمِلُهَا نَصّاً عَلَى وَجَلٍ
وَبَشَّرَتْنَا بِهِ التَّوْرَاةُ والرُّسُلُ أَنْتَ النَّبِيُّ الَّذي كُنَّا نُخَبَّرُهُ

الباب السابع والثلاثون

في وفود الحكم بن حزن الكلفي إليه صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد، وأبو داود، والبيهقي، وأبو نُعَيْم، واللفظ له عن الحَكَم بن حَزْن رضي الله تعالى عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ سابع سبعة أو تاسع تسعة، فأُذِن لنا فدخلنا، فقلنا: يا رسول الله أتيناك لتَدْعُو لنا بخَيْر، فدعا لنا بخير، وأَمَر بنا فانزلنا وأمرَ لنا بشيء من تَمْر، والشَّأْنُ إذ ذاك دُون، فلبِثْنَا أيَّاماً فشَهِدنا بها الجمعة مع رسول الله ﷺ، فقام مُتَوَكِّئاً على قَوْس أو عَصَا، فحَمِد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات طَيِّبات مباركات، ثم قال: «يا أَيُّها الناس إنكم لن تُطِيقوا أن تفعلوا كُلَّ ما أُمِرْتُم به ولكن سَدِّدُوا وأَبْشِروا»[١].

---

(١) انظر كنز العمال (٥٢١٩) وأحمد في المسند ٢١٢/٤.

الباب الثامن والثلاثون

في وفود حمير ورسولهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الإمام الهَمْدَاني في الأنساب: كتب رسول الله ﷺ إلى الحارث بن عَبْد كُلال بن غرب وأخيه نُعَيْم، وأمر رسوله أن يقرأ عليهما لـم يكن. ووفد عليه الحارث فأسلم فاعتنقه وأفرشه رِدَاءه، وقال قبل أن يدخل عليه: «يدخلُ عليكم من هذا الفَجّ رجلٌ كريم الـجَدَّيْن صبيح الـخَدَّيْن فكأنه»انتهى.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «والذي تضافرت به الروايات أنه أرسل بإسلامه وأقام باليمن».

وروى ابن سعد رحمه الله تعالى عن رجل من حِمْيَر أدرك رسول الله ﷺ ووفد عليه قال: قدم على رسول الله ﷺ مالك بن مُرَارة الرَّهَاوِي رسول ملوك حِمْيَر بكتابهم [وإسلامهم] وهم الحارث بن عبد كُلاَل، ونُعَيْم بن عبد كُلال والنُّعْمَان قَيْلُ ذي رُعَيْن ومَعَافِر وهَمْدَان، وذلك في شهر رمضان سنة تسع. وقال ابن إسحاق: مقدم رسول الله ﷺ من تَبُوك.

فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يُنْزِله ويُكْرِمه ويُضَيِّفه. وكتب إليهم رسول الله ﷺ: «أما بعد فإني أَحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مَقْفَلَنَا من أرض الروم، فبَلَّغ ما أرسلتم به، وخَبَّر عَمَّا قِبلَكُم، وأنبأَنا بإسلامكم وقتلكم الـمشركين، فإن الله تبارك وتعالى قد هداكم بُهدَاه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من الـمَغْنَم خُمْس الله وخُمْسَ نبيِّه وصَفِيَّه، وما كُتِب على الـمؤمنين من الصدقة من العَقَار عُشْر ما سقت العَيْن وسَقَت السماء، وعلى ما سقى الغَرْب نصف العُشْر. إن في الإبل الأربعين ابنةَ لَبُون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لَبُون ذَكَر، وفي كل خَمْس من الإبل شاةٌ، وفي كل عَشْر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البَقَر بَقَرة، وفي كل ثلاثين من البقر تَبِيع جَذَع أو جَذَعة، وفي كل أربعين من الغَنَم سائمة وحْدَها شاة، وإنها فريضة الله التي فَرَض على الـمؤمنين في الصَّدَقَة، فمن زاد خَيْراً فهو خَيْر له، ومن أَدَّى ذلك وأشهد على إسلامه، وظاهَر الـمؤمنين على الـمشركين فإنه من الـمؤمنين: له ما لَهُمْ وعليه ما عليهم، وله ذِمَّةُ الله وذِمَّةُ رسوله، وإنه مَنْ أَسْلَمَ من يهودي أو نصراني فإنه من الـمؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم، ومَنْ كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُرَدُّ عنها، وعليه الـجِزْيَة على كل حَالِـم ـ ذَكَر أو أُنثى، حُرٌّ أو عَبْد ـ دينار وافٍ من قيمة الـمَعَافِر أو عِوَضُه ثياباً، فمن أَدَّى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذِمَّةَ الله وذِمَّةَ رسوله، ومن مَنَعه فإنه عَدُوّ لله ولرسوله.

أما بعد فإن رسول الله محمداً أرسل إلى زُرْعَة ذي يَزَن أَنْ إذا أتاكم رُسُلِي فأُوصيكم

زُرْعة: بضم الزاي وسكون الراء وفتح العين المهملة.

ذُو يَزَن: [يَزَن مُحَرَّكَة وادٍ، وبَطْن من حِمْيَر، وذو يَزَن ملك لحِمْير لأنه حَمَى ذلك الوادي] ووقع عند أبي عمر زُرْعَة بن ذي يَزَن، وصَوَّب ابن الأمين إسقاط «ابن».

مُنْقَلَبَنَا: بفتح اللام.

فَلَقِيَنا: بفتح التحتية، والضمير في محل نصب مفعول.

قِبَلَكُمْ: بكسر القاف وفتح الموحدة.

الصَّفِيّ: يأتي الكلام عليه في الخصائص.

الغَرْب: بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وبالموحدة: الدَّلو.

ابنة لَبُون: بلام مفتوحة فموحدة مضمومة فواو فنون: من الإبل ما أتى عليه سنتان ودخل في الثالثة فصارت أمه لَبُوناً، أي ذات لَبَن.

التَّبِيع: بفتح الفوقية وكسر الموحدة فمثناة تحتية فعين مهملة: ولد البقرة أوّل سنة.

الجَذَع: بالجيم والذال المعجمة المفتوحتين وعين مهملة: من الإبل ما دخل في السنة الخامسة، ومن البقر والغنم ما دخل في السنة الثانية، وقيل البقر في الثالثة.

سائِمة وحْدَها: راعية وَحْدها.

ظَاهَر: عَاوَن.

الذِّمَّة: الأمان والعَهْد.

لا يُرَدّ: بالبناء للمفعول.

على كل حَالِم ذَكَرٍ أو أُنثى، حُرٍّ أو عَبْد: هذا لم يُذْكَر له إسناد، ومذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه أنْ لا جِزْيَة على امرأة ولا من رِقّ.

رُسُلِي: فاعل أَتَاكُمْ.

مُعَاذ: ومَنْ بَعْدَه بالرفع بَدَل من رُسُلِي، أو بالجَرّ بدل من بهم.

عُبَادة والد مالك: بضم العين المهملة وتخفيف الموحدة.

مُرَارة: بضم الميم وتخفيف الراء.

المخاليف: بميم فخاء معجمة فألف فلام فتحتية ففاء: جمع مِخْلاَف، وهو في اليمن كالرُّسْتَاق في العراق.

أَبْشِر بخير: بفتح الهمزة وكسر الشين المعجمة.

آمُرُكَ: بمدّ الهمزة.

لا تُخَاذِلوا: بضم الفوقية وبالخاء والذال المكسورة المعجمتين أو بفتحهما.

الباب التاسع والثلاثون

في وفود بني حنيفة ومسيلمة الكذاب معهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال في زاد المعاد: [قال ابن إسحاق: قدم على رسول الله ﷺ وفد بني حنِيفة فيهم مُسَيْلِمة بن حبيب الكَذَّاب] وكان مُنْزَلُهُم في دار امرأة من الأنصار من بني النَّجَّار، فأتوا بمُسَيْلِمة إلى رسول الله ﷺ يُسْتَر بالثياب ورسول الله ﷺ جالس مع أصحابه في يده عَسِيب من سَعَف النَّخل، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب كَلَّمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «لو سألتني هذا العَسِيب الذي في يدي ما أَعْطَيْتُكَه»(١). قال ابن إسحاق: فقال لي شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة إن حديثه كان على غير هذا، زعم أنَّ وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ وخَلَّفُوا مُسَيْلِمَة في رحالهم فلما أسلموا ذكروا له مكانه فقالوا: يا رسول الله إنا قد خَلَّفْنا صاحباً لنا في رحالنا وركابنا، يحفظها لنا. فأمر له رسول الله ﷺ بمِثْل ما أمر للقوم، وقال: «أما إنَّه لَيْسَ بِشَرِّكُم مكاناً»(٢). يعني حِفْظَه ضَيْعَةَ أصحابه. [وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ]. قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ وجاءوا بالذي أعطاه. فلما قدموا اليمامة ارْتَدَّ عَدُوُّ الله وتَنَبَّأ وقال: إنِّي قد أُشْرِكْتُ في الأمْرِ معه، أَلَم يَقُلْ لكم حين ذكرتموني له: «أَمَا إنه ليس بشَرِّكُم مكاناً»؟ وما ذاك إلاَّ لِمَا كان يعْلم أنِّي قد أُشْرِكْتُ في الأمر معه.

ثم جعل يَسْجَع السَّجْعَان فيقول لهم فيما يقول مُضَاهَاةً للقرآن: لقد أَنْعَمَ الله على الحُبْلَى، أخرج منها نَسَمَة تَسْعَى، من بين صِفاق وَحَشَا. ووضع عنهم الصلاة وأَحلَّ لهم الخَمْرَ والزِّنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ أنه نَبِيّ فأصفقت معه بنو حنيفة على ذلك.

قال ابن إسحاق: وقد كان كتب لرسول الله ﷺ: «من مُسَيْلَمة رسول الله إلى محمد رسول الله: أما بعد فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك وإن لنا نصف الأمر، وليس قريش قَوْماً يَعْدِلون». فقدم عليه رسوله بهذا الكتاب. فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى مُسَيْلِمَة الكَذَّاب: سَلاَمٌ على مَنْ اتَّبَع الهُدَى، أما بعد فإن الأرض لله يُورِثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتَّقين»(٣). وكان ذلك في آخر سنة عشر.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٣٣٠ وابن كثير في البداية ٥/٥٠.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٣٣١ وابن كثير في البداية ٥/٥٢.

(٣) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٦/٣٨٤.

قال ابن إسحاق: حدثني سعد بن طارق عن سَلَمة بن نُعَيْم بن مسعود عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ حين جاءه رسولا مُسَيْلِمَة الكَذَّاب بكتابه يقول لهما: «وأنتما تقولان بمثل ما يقول؟» قالا: نعم. فقال: «أما والله لَوْلا أنَّ الرُّسُل لا تُقْتَل لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا»(١). وروى أبو داود والطَّيَاليسي في مسنده [عن عاصم] عن أبي وائل عن عبد الله [بن مسعود] قال: جاء ابنُ النَّوَّاحة، وابن أُثَال رسولين لمُسَيْلمة إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: «تشهدان أني رسول الله؟» فقالا: نشهد أن مُسيلمة رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «آمنتُ بالله ورسله، ولو كنتُ قاتلاً رسولاً لقَتَلْتُكُما»(٢). قال عبد الله [بن مسعود]: فمضت السُّنَّة بأن الرُّسُل لا تُقْتَل».

وفي البخاري عن أبي رجاء العُطَارِدي قال: لما بُعِث النبي ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذَّاب بالنار، وكُنَّا نعبُد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه ألقينا ذلك وأخذناه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حَثْيَةً من تُراب، ثم جئنا بغنم فحلبْنَاها عليه ثم طُفْنا به، وكُنَّا إذا دخل رجب قلنا: جاء مُنَصِّلُ الأَسِنَّة فلا نَدَع سَهْماً فيه حَدِيدة ولا حدِيدة في رمح إلا نزعناها وألْقَيْناها(٣) قلت: وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم مسيلمة الكذَّاب على عهد رسول الله ﷺ، فجعل يقول: إنْ جعل لي محمدٌ الأمر من بعده تَبِعْتُه، وقدمها في بَشَرٍ كثير من قومه، فأَقْبَلَ إليه رسول الله ﷺ، ومعه ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس، وفي يد النبي ﷺ قِطْعَةُ جَرِيد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: «لَوْ سألتني هذه القطعة ما أَعْطَيْتُكَها ولن تَعْدو أمر الله فيك وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ الله وإني لأراكَ الذي أُرِيتُ فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس يجُيبك عنّي»(٤). ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فسألت عن قول النبي ﷺ: «إنك أرى الذي أُرِيتُ فيه ما رَأَيْتُ»، فأخبرني أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم رأيتُ في يَدَيَّ سِوَارَيْنِ من ذَهَب فَأَهَمَّنِي شأنهما فَأُوحِيَ إليَّ في المنام أن أَنْفُخْهُما فَطَارا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْن يَخْرُجان من بَعْدي أحدهما العَنْسِيّ صاحب صَنْعَاء والآخر مُسَيْلِمَة صاحب اليمامة»(٥). وهذا أصحّ من حديث ابن إسحاق المتقدم.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٥) والبيهقي ٢١١/٩ وذكره المتقي الهندي في الكنز (١٤٧٧٩) وابن كثير في البداية ٥١/٥.
(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٩٦/١، ٤٠٤.
(٣) أخرجه البخاري ٦/ ٤(٤٣٧٦).
(٤) أخرجه البخاري ٥/ ٥٤(٣٦٢١).
(٥) أخرجه البخاري ٢١٦/٥ ومسلم (١٧٨١) وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٨٣٦١) وابن كثير في البداية ٤٩/٥.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائم أُتِيتُ بخزائن الأرض فوُضِع في كَفِّي سِوَارَان من ذَهَب فَكَبُرا عليَّ فأُوحِيَ إليَّ أن أَنْفُخْهما فنفَخْتُهما فذهبا، فأَوَّلْتُهما الكَذَّابَيْن اللذين أنا بينهما صاحب صَنْعاء وصاحب اليَمَامة».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

حَنِيفة: أبو حَيٍّ من اليمن. وهو حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن بكر علي بن بكر بن وائل.

مَنزَلُهم: بفتح الزاي والمراد هنا نزولهم.

في درا امرأة من الأنصار من بني النجار: هي رَمْلَة بنت الحَدَث كان بيتها في بني قُرَيْظَة.

العسِيب: بفتح العين وكسر السين المهملتين: الجَرِيدة.

أَمَا: بفتح الهمزة وتخفيف الميم بمعنى «أَلاَ» الاستفتاحية.

إنَّهُ: بكسر الهمزة.

الضَّيْعَة: بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية وبالعين المهملة والمُرَاد بها هنا ظَهْرُهم وحَوَائِجُهم.

أُشْرِكْتُ: بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وكسر الراء بالبناء للمفعول والتاء فيه مضمومة لأنها للمتكلم.

الباب الأربعون

في وفود خفاف بن نضلة إليه صلى الله عليه وسلم

روى أبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى والبيهقي في دلائل النبوة عن ذابِل بن الطُفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسِي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قَعَد في مسجده مُنصرفه من الأباطح فَقَدِم عليه خُفَاف بن نَضْلَة بن عَمْرو بن بهْدَلَة الثَّقَفِي فأنشد رسول الله ﷺ:

كَمْ قَدْ تَحَطَّمَتِ القَلُوصُ بِيَ الدُّجَى فِـي مَـهْـمَـهٍ قَـفْـرٍ مِـنَ الـفَـلَـوَاتِ
فِـلٌّ مِـنَ الـتَّـوْرِيـسِ لَـيْـسَ بِـقَـاعِـهِ نَـبْـتٌ مِـنَ الإِسْـنَـاتِ وَالأَزَمَـاتِ
إِنِّـي أَتَـانِـي فِـي الـمَـنَـامِ مُـسَـاعِـدٌ مِـنْ جِـنٍّ وَجْـرَةَ كَـانَ لِـي وَمُـوَاتِ
يَـدْعُـو إِلَـيْـكَ لَـيَـالِـيـاً ثُـمَّ احْـزَأَلَّ وَقَـالَ لَـسْـتُ بِـآتِ
فَـرَكِـبْـتُ نَـاجِـيَـةً أَضَـرَّ بِـنَـيِّـهَـا جَـمْـزٌ تَـجُـبُّ بِـهِ عَـلَـى الأَكَـمَـاتِ
حتَّـى وَرَدْتُ إِلَـى الـمدينَـةِ جَاهِـداً كَـيْـمَـا أَرَاكَ مُـفَـرِّجَ الـكُـرُبَـاتِ

قال: فاستحسنه رسول الله ﷺ وقال: «إنَّ من البَيان كالسِّحْر وإنَّ من الشِّعر كالحِكَم»[1].

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

خُفَاف: بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاءين.

نَضْلَة: بالنون والضاد المعجمة.

ذَابِل: بذال معجمة فألف فموحدة فلام.

الدَّوْسِي: بدال مهملة مفتوحة فواو فسين مهملة فياء نَسب.

بهْدَلَة: بموحدة مفتوحة فهاء ساكنة فدال مهملة فلام.

تَحَطَّمَتْ: تَكَسَّرَتْ.

القَلُوص: من النُّوق الشَّابَّة وهي بمنزلة الجارية من النساء.

الدُّجَى: بدال مهملة مضمومة فجيم من دَجَا اللَّيلُ إذا تَمَّت ظُلْمَته، والدَّياجِي الليالي المُظْلِمة والدُّجْنَة الظُّلْمَة.

المَهْمه: بميمين مفتوحتين بينهما هاء ساكنة: المَفَازة والْبَرِّيَّة.

القَفْر: بقاف مفتوحة ففاء ساكنة فراء.

---

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٥٥(٧/٢٦٧٠) والبخاري ١٠/ ٥٣٧(٦١٤٥).

الفَلَوَات: [جمع فلاة وهي أرض لا ماء فيها].

الفِلّ: بفاء مكسورة فلام: القوم المُنْهَزِمُون من الفِلّ الكَسْر وهو مصدر سُمِّي به يقع على الواحد والاثنين والثلاثة.

من التَّوْرِيس: [من وَرَّس الثَوْبَ بالوَرْس صبَغه به].

بِقَاعه: [القَاع المُستَوِي من الأرض].

الإِسْنَات: [من أسْنَتُوا أي أجْدبُوا].

الأَزَمَات: جمع أزمَة وهي الشِدَّة.

وجْرة: [بواو مفتوحة فجيم ساكنة فراء مفتوحة فتاء تأْنيث].

المُوَاتِي: [الموافق المطاوع].

احْزألَّ: بهمزة وصل مكسورة فحاء مهملة ساكنة فهمزة مفتوحة فلام مشددة: انفرد والاحزئلال الإنفراد.

النَّاجِيَة: [الناقة السريعة التي تنجو بصاحبها].

أَضَرَّ نَبِيُّها: [التَي بفتح النون وتشديد المثناة التحتية الشَحْم وبكسر النون السِّمنُ].

الجَمَز: بجيم فميم مفتوحتين فزاي: ضَرْب من السَّيْر سريع فوق العَنَق.

تَجُبّ: بمثناة فوقية فجيم موحدة: تقطع.

الأكَمات: جمع أكَمة وهي الرابية.

مُفَرِّج: بميم مضمومة ففاء مفتوحة فراء مشددة فجيم.

الكُرُبَات: بكاف وراء مضمومتين فموحدة فألف فتاء تأنيث.

الباب الحادي والأربعون

في وفود خثعم إليه صلى الله عليه وسلم

وعن غيْرِهم من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض، قالوا: وَفَدَ عثْعَثُ بن زَحْر، وأَنَس بن مُدْرِك في رجال من خَثْعم إلى رسول الله ﷺ بعد ما هدم جرير بن عبد الله البجلي ذا الخَلَصة، وقَتَل من قتل من خَثْعم، فقالوا: آمنّا بالله ورسوله وما جاء [به] من عند الله فَاكْتُبْ لنا كِتاباً نَتّبِع ما فيه.

قالوا: وكتب رسول الله ﷺ لِخَثْعم: «هذا كتابٌ من محمد رسول الله ﷺ لِخَثْعم من حاضرِ بيشَةَ وبادِيتُها أن كُلَّ دمٍ أصبتُمُوه في الجاهلية فهو عنكم موْضُوع، ومنْ أسْلَم منكم طَوْعاً أو كَرْهاً في يده حرْثٌ منْ خَبار أو عزَاز تَسْقِيه السَّماءُ أو يرْوِيه اللَّثَى فَزَكا عِمارةً في غَيْر أزْمة ولا حطْمة، فَلَهُ نَشْرُه وأكْلُه، وعليهم في كُلِّ سيْحِ العُشْر وفي كُلِّ غرْبٍ نِصْف العُشْر، شهد جرير بن عبد الله ومنْ حضَر».

الباب الثانـي والأربعون

فـي وفود خولان إلـيه صلى الله عليه وسلم

قالوا: قَدِمَ وفْدُ خَوْلان وهم عشرة نَفَر في شعبان سنة عشْر، فقالوا: يا رسول الله نحن مؤمنون بالله ومُصدِّقون برسوله، ونحن على منْ وراءنا من قَوْمنا، وقد ضَربنا إلَيْكَ آباط الإبِل، وركبْنا حُزُونَ الأرض وسهُولَـها، والـمِنَّةُ لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك. فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا ما ذَكَرْتُم من مسِيركم إلَيَّ فإنَّ لكم بكُلِّ خَطْوة خَطَاها بَعِيرُ أحَدِكم حَسَنةً، وأمَّا قوْلُكم زَائِرين لَك فإنه مَنْ زارني بالمدينة كان في جِوَارِي يَوْمَ القيامة». فقالوا: يا رسول الله هذا السَّفَر الذي لا تَوىَ عليه. ثم قال رسول الله ﷺ: «ما فعل عَمُّ أَنَس؟» وهو صنَم خَوْلاَن الذي كانوا يعبدونه. قالوا: بِشَرٍّ وعَرّ، أبدلنا الله به ما جِئْتَ به، ولو قد رجعنا إليه لَهَدَمْناه، وبَقِيَتْ منا بعد بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قد قَدِمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة. فقال لهم رسول الله ﷺ: «وما أعظم ما رأيتم من فتنته؟» قالوا: لقد رأيْتُنَا وأسنتنا حتى أكلنا الرِّمَّة، فجمعنا ما قَدِرنا عليه وابتعنا مائة ثَوْر ونحرناها لِعَمّ أنَس قُرْبَاناً في غداةٍ واحدة، وتركناها تَرِدُها السِّبَاع ونحن أحْوج إليها من السِّبَاع، فجاءنا الغَيْث من ساعتنا، ولقد رأينا العُشْبَ يواري الرجل، فيقول قائلنا: أنْعَم علينا عَمُّ أنَس.

وذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يَقْسِمون لِصنَمِهم هذا من أنعامهم وحروثهم وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جُزْءاً له وجُزْءاً لله بزعمهم. قالوا: كنا نزرع الزَّرْع فنجعل له وَسَطَه، فنُسَمِّيه له، ونَسَمِّي زرعاً أخر حَجْرَةً لله، فإذا مالت الريح فالذي سميناه لله جعلناه لِعَمّ أنس، وإذا مالت الريح فالذي سميناه لعم أنس جعلناه لله. فذكر لهم رسول الله ﷺ أن الله عزَّ وَجَلّ قد أنزل عليه في ذلك: **﴿وجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لشُرَكَائِنَا فما كان لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾** [الأنعام ١٣٦].

قالوا: وكنَّا نتحاكم إليه فنَكَلَّم. فقال رسول الله ﷺ:«تِلْك الشياطين تكَلِّمُكم». قالوا: إنا أصبحنا يا رسول الله وقلوبنا تعرف أنه كان لا يضرّ ولا ينفع، ولا يدْري مَنْ عبدَهُ مِمَّن لم يَعْبُدْهُ. فقال رسول الله ﷺ:«الحمد لله الذي هَدَاكم وأكرمكم بمحمد ﷺ». وسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء من أمْر دينهم، فجعل يُخْبِرهم بها وأمر مَنْ يُعَلِّمهم القرآن والسُّنَنَ، وأمرهم بالوفاء بالعَهْد وأداء الأمانة وحُسْن الجِوَار وألاَّ يَظْلِموا أحداً. قال: قال رسول الله ﷺ: «الظُّلْمُ ظُلُمات يوم القيامة[(١)]». وأُنْزِلوا دارَ رمْلَة بنت الحدث، وأمَر بضيافة، فَأُجرِيَتْ عليهم، ثم جاءوا بعد أيَّام يُوَدِّعُونه، فأمر لهم بجوائز باثنتي عشرة أوقية ونَشّاً، وَرَجَعُوا إلى قومهم فلم يَحُلُّوا عُقْدَةً حتى هَدَمُوا عَمّ أنَس وحَرَّموا ما حرَّم عليهم رسول الله ﷺ وأحَلُّوا ما أحَلَّ لهم.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

خَوْلاَن: بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو.

مَنْ وراءنا: بفتح الميم.

آباط الإبل: بهمزة مفتوحة فألف فموحدة فألف فطاء مهملة: جمع إبْط.

الحُزُون: بضم الحاء المهملة والزاي جمع حَزْن بفتح الحاء وسكون الزاي: ما غَلُظَ من الأرض.

الخُطْوة: بضم الخاء المعجمة وفتحها، فبالأول ما بين القدمين ـ وجمع القلّة خُطُوَات وَالكثرة خِطَاء ـ وبالثاني المَرَّة الواحدة.

الجِوَار: بكسر الجيم وضمها: الذِّمام والعَهْد والتأمين.

(١) أخرجه البخاري ١٦٩/٣ والترمذي (٢٠٣٠) وأحمد في المسند ١٣٧/٢ والبيهقي ٩٣/٦.

التَّوَى: بفوقية فواو مفتوحتين فألف مقصورة: هلاك المال، يُقال تَوِيَ المالُ بالكسر يَتْوَى بالفتح تَوًى وأَتْوَاه، غَيْرهُ.

رأَيْتُنَا: بضم الفوقية.

أَسْنَتْنَا: بهمزة قطع مفتوحة فسين مهملة ساكنة فنون مفتوحة ففوقية فنون: أَجْدبْنَا بإصَابة السَّنَة يقال أَسْنَتَ فهو مُسْنِت إذا أَجْدَب.

الرِّمَّة: بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة فتاء التأنيث: العِظام البالية.

الزُّعْم: بتثليث الزاي.

وَسْطُه: بفتح السين المهملة وسكونها.

الحَجْرَة: بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم: الناحية.

فنُكَلَّم: بضم النون وفتح اللام المُشَدَّدة مبني للمفعول أي يُكَلِّمُنَا.

الباب الثالث والأربعون

في وفود خشين إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن محمد بن عُمَر قال أخبرنا عبد الرحمن بن صالح عن مِحْجَن بن وَهْب قال: قَدِمَ أبو ثعلبة الخُشَني على رسول الله ﷺ وهو يَتَجَّهز إلى خَيْبَر فأسلم وخرج معه فشَهِد خَيْبَر، ثم قَدِم بعد ذلك سَبْعَةُ نفَر من خُشَيْن فنزلوا على أبي ثعلبة فأسلموا وبايعوا ورَجَعوا إلى قومهم.

الباب الرابع والأربعون

في وفود الداريين إليه صلى الله عليه وسلم

قالوا: قَدِم وفْدُ الداريين على رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَهُ من تَبُوك وهم عَشْرَةَ نَفَر منهم تَمِيم ونُعَيْم ابنا أوس بن خارجة بن سَوَاد بن جَذِيمة بن دارع بن عَدِيّ بن الدَّار بن هانئ بن حبيب بن نُمَارة بن لَخْم، ويزيد بن قَيْس بن خارجة، والفاكِه بن النُّعْمَان بن جَبَلة وأبو هِنْد، والطَّيِّب ابنا ذَرّ، وهو عبد الله بن رزين، وهانئ بن حبيب، وعَزيز، ومُرَّة ابنا مالك بن سواد بن جَذِيمة.

فأسلموا، وسَمَّى رسول الله ﷺ الطَّيِّب: عَبْدَ الله، وسَمَّى عَزِيزاً: عبد الرحمن. وأهْدَى هانئ بن حبيب لرسول الله ﷺ أفْراساً وقبَاءً مُخَوَّصاً بالذهب، فقَبِل الأفراس والقَبَاء [وأعطاه العبَّاس بن عبد المطلب] فقال: «ما أصْنَعُ به؟» قال: انْتَزِعْ الذَّهَب فتُحَلِّيه نِساءك أو تَسْتَنْفِقُه ثم تبيع الدِّيباج فتَأْخُذ ثَمَنَه. فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف دِرْهَم.

وقال تميم: لنا جِيرةٌ من الرُّوم لهم قريتان يقال لإحداهما حِبْرَى والأُخرى بَيْت عَيْنُون، فإنْ فَتَح اللهُ عليك الشَّامَ فَهَبْهُمَا لي. قال: «فَهُمَا لَكَ». فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك وكتب له به كتاباً(١).

وأقام وَفْدُ الداريِّين حتى توفي رسول الله ﷺ، وأوْصَى لهم بجَادّ مائة وَسْق أي من خَيْبَر.

تنبيه: في بيان غريب ماسبق:.

الدَّاريِّين: بدال مهملة فألف فراء فمُثَنَّاتَيْن تحتيتيْن فنون.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠٧/٢.

أَوْس: بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فسين مهملة.

خارجة: بخاء معجمة فألف فراء فجيم.

سَوَاد: بسين مهملة مفتوحة فواو فألف فدال مهملة.

جَذِيمة: بجيم مفتوحة فذال معجمة فمثناة تحتية فميم.

دَارِع: بدال مهملة فألف فراء فعين مهملة.

عَدِيّ: بعين مفتوحة فدال مكسورة مهملتين فمثناة تحتية.

حَبِيب: بحاء مهملة مفتوحة فموحدة فمثناة فموحدة.

نُمارة: بنون مضمومة فميم فألف فراء فتاء تأنيث.

لَخْم: بلام مفتوحة فخاء معجمة ساكنة فميم.

الفَاكِه: بفاء فألف فكاف فهاء.

جَبَلة: بجيم فموحدة فلام مفتوحات.

مُرَّة: بميم مضمومة فراء فتاء تأنيث.

مُخَوَّصاً بالذهب: بميم مضمومة فخاء معجمة مفتوحة فواو مُشَدَّدَة فصاد مهملة أي منسوجاً به كخوص النخل.

الدِيباج: بدال مهملة مكسورة فمثناة تحتية فموحدة فألف فجيم، وهو الثياب المتخذة من الإبرِيْسَم، فارسي مُعَرَّب..

حِبْرَى: بكسر الحاء المهملة وإسكان الموحدة وفتح الراء.

بيت عَيْنُون: بعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فنونين بينهما واو.

جاد مائة وَسْق: بجيم فألف مهملة بمعنى المجدود أي نَخْل يُجَدّ منه ما يبلغ مائة وَسْق.

الباب الخامس والأربعون

في وفود دوس إليه صلى الله عليه وسلم

قال: قَدِم على رسول الله ﷺ أربعمائة من دَوس فقال رسول الله ﷺ: «مَرْحَباً أحْسَن الناس وجوهاً وأطيبهم أفواهاً وأعظمهم أمانة[1]» رواه الطبراني بسَنَد ضعيف.

قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: كان الطُّفَيْل بن عَمْرو والدَّوْسِي[2] يُحدِّث أنه قَدِم مكة ورسول الله ﷺ بها. فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطُّفَيْل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً فقالوا له: يا طُفَيْل إنك قَدِمْتَ بِلادَنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرّق جماعتَنا وشَتّتَ أمْرَنا، وإنما قَوْلُه كالسِّحرِ يُفَرِّق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه وبين الرجل وزَوْجه، وإنا نَخْشَى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تُكَلِّمْه ولا تَسْمَعْ منه. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجْمَعْتُ ألاَّ أسمع منه شيئاً ولا أُكَلِّمه حتى حَشَوْتُ في أُذُنَيَّ حين غَدَوْتُ إلى المسجد كُرْسُفاً فَرَقاً من أن يَبْلُغَنِي شيء من قوله.

قال: فغَدَوْتُ إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يُصلِّي عند الكعبة، فَقُمْتُ قريباً منه، فأبَى الله إلا أن يُسْمِعَني بَعْضَ قوله، فسَمِعْتُ كلاماً حسناً فقُلْتُ في نفسي واثُكل أُمِّيَاه، والله إني لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شاعر ما يَخْفَى عَلَيَّ الحَسَن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإنْ كان ما يقول حَسَناً قَبِلْتُ وإن كان قبيحاً تركْتُ.

قال: فمكَثْتُ حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فتبِعْتُه حتى إذا دخل بيْتَه، دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحُوا يُخَوِّفُوني أمْرك حتى سددْتُ أُذُنَيَّ بكُرْسُف لِئلاَّ أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسْمِعَنيه فسمِعْتُ قولاً حسَناً فاعْرض عَلَيَّ أمْرك. فعرضَ عَلَيَّ رسول الله ﷺ الإسلام وتَلاَ عَلَيَّ القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قَط أحْسنَ منه ولا أمراً أعْدل منه فأسلمت وشَهدْتُ شهادة الحق وقلت: يا نَبِيَّ الله إني امرؤ مُطاع في قومي وإني راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادْعُ الله لي أن يجعل لي آية تكون عوْناً لي عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: «اللهم اجعل له آية».

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تُطْلِعني على الحاضر وقع نُورٌ بين عيْنَيَّ مثل المصباح قلت: اللهم في غير وجهي، إني أخْشَى أن يظُنُوا أنها مُثْلَة وقعت في وجهي

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢٢/١٢ وذكره الهيثمي في المجمع ٥٠/١٠.

(٢) (الطفيل) بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي.. وقيل هو ابن عبد عمرو ابن عبد الله بن مالك بن عمرو بن فهم لقبه ذو النور قيل استشهد باليمامة قاله ابن سعد تبعاً لابن الكلبي وقيل باليموك قاله ابن حبان وقيل بأجنادين قاله موسى بن عقبة بن شهاب وأبو الأسود عن عروة. الإصابة ٢٨٦/٣، ٢٨٨.

لِفِراقي دينهم. قال: فتَحَوَّل فوقع في رأس سَوْطي كالقِنْديل المُعلَّق، وأنا أنْهَبِط إليهم من الثَّنِيَّة حتى جئتُهم وأصبحت فيهم.

فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً. فقلت: إلَيْكَ عَنِّي يا أبَتِ فَلَسْتُ منك ولَسْتَ مِنِّي. قال: ولِم يا بُنَيَّ، بأبي أنت وأُمِّي. قلت: فَرق الإسلام بيني وبينك فقد أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ. قال: يا بُنَيَّ فَدِيني دِيْنُك. قال: فقلت: اذْهَبْ فاغْتَسِلْ وطَهِّرْ ثيابك، ثم تَعَال حتى أُعَلِّمَك ما عَلِمْتُ. قال: فذهب فاغتسل وطهَّر ثِيَابَه. ثم جاء فعرضْتُ عليه الإسلام فأسلم.

ثم أتتني صاحبتي فقلت لها: إلَيْكِ عَنِّي فَلَسْتُ مِنْكِ ولَسْتِ مِنِّي. قالت: لِمَ بأبي أنت وأمي؟ قلت: فرق الإسلام بيني وبينك أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ. قالت: فَدِينِي دِيْنُك فقلت: اذهبي فاغتسلي ففعلت، ثم جاءت فعَرَضْتُ عليها الإسلام فأسلمت.

ثم دَعَوْتُ دَوْساً إلى الإسلام فأبطأوا عَلَيَّ فأتيت رسول الله ﷺ. فقلت: يا نبيَّ الله إنه قد غلبني على دَوْس الزنا فَادْعُ الله عليهم. فقال: «اللهم اهْدِ دَوْساً» ثم قال: «ارجع إلى قومك فَادْعُهم إلى الله وارفق بهم». فرجعت إليهم فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الله. ثم قدمتُ على رسول الله ﷺ بخَيْبَر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس. ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخَيْبَر، فأسهم لنا مع المسلمين.

قال ابن إسحاق: فلما قُبِض رسول الله ﷺ وارْتَدَّت العرب خرج الطُّفَيْل مع المسلمين حتى فرغوا من طُلَيْحَة، ثم سار مع المسلمين إلى اليَمَامة، ومعه ابنه عمرو بن الطُّفَيْل، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رُؤْيا فاعْبُرُوها لي: رأيت أن رأسي قد حُلِق وأنه قد خرج من فمي طائر، وأن امرأةً لَقِيَتْني فأدخلتني في فرجها، ورأيت أن ابني يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيته حُبِس عَنِّي.

قالوا: خيراً رأيت. قال: أما والله إني قد أوَّلْتها. قالوا: وما أَوَّلْتَها؟ قال: أمَّا حَلْقُ رأسي فَوَضْعُه، وأمَّا الطائر الذي خرج من فمي فرُوحي، وأمَّا المرأة التي أدخلتني في فَرْجها فالأرض، تُحْفَر فأُغَيَّب فيها، وأما طلب ابني إيَّاي وحَبْسه عَنِّي فإني أراه سَيَجْهَد لأن يُصِيبَه من الشهادة ما أصابني. فقُتِل الطُّفَيْل شهيداً باليمامة، وجُرح ابنه جَرْحاً شديداً ثم قُتِل عام اليرموك شهيداً في زمن عمر رضي الله تعالى عنهم.

الباب السادس والأربعون

في قدوم ذباب بن الحارث عليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن عبد الرحمن بن أبي سَبْرَة الجُعْفِيّ قال: لما سمعوا بخروج النبي ﷺ وَثَب ذُبَاب - رجل من بني أَنَس الله بن سعد العشيرة - إلى صَنَم كان لسعد العشيرة يقال له فَرَّاض فحطمه ثم وفد إلى النبي ﷺ وقال:

تَبِعْتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالهُدَى ... وَخَلَّفْتُ فَرَّاضاً بِدَارِ هَوَانِ
شَدَدْتُ عَلَيْهِ شَدَّةً فَتَرَكْتُهُ ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَالدَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ ... أَجَبْتُ رَسُولَ اللهِ حِينَ دَعَانِي
فَأَصْبَحْتُ لِلإِسْلَامِ مَا عِشْتُ نَاصِراً ... وَأَلْقَيْتُ فِيهِ كَلْكَلِي وَجِرَانِي
فَمَنْ مُبْلِغٌ سَعْدَ العَشِيرَةِ أَنَّنِي ... شَرَيْتُ الَّذِي يَبْقَى بِآخَرَ فَانِي

وروى ابن سعد عن مسلم بن عبد الله بن شَرِيك النَّخَعِي عن أبيه قال: كان عبد الله بن ذُبَاب الأَنَسِيّ مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بصِفِّين فكان له غَنَاء.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

ذُبَاب: [بذال معجمة فموحدتين بينهما ألف].

فَرَّاض: [بفاء،فراء مشددة فألف فضاد معجمة].

حَطَمَهُ: بحاء فطاء مهملتين مفتوحتين فميم فهاء.

الكَلْكَل: [بكافين مفتوحتين بينهما لام ساكنة فلام أخرى: الصَّدْر أو ما بين التَّرْقُوتَيْن].

الجران: بجيم مكسورة فراء فألف فنون: باطن العُنُق.

الباب السابع والأربعون

في وفود الرهاويين إليه صلى الله عليه وسلم

روى الطبراني برجال ثقات عن قتادة الرَّهاوي رضي الله تعالى عنه قال: «لما عقد لي رسول الله ﷺ على قومي، أخذْتُ بيده فودَّعْتُه فقال رسول الله ﷺ: «جعل الله التَّقوى زادك، وغفر لك ذنبك ووجَّهَك للخَيْر حيثما تكون»[1]. وروى ابن سعد عن زيد بن طلحة التَّيْمِي قال: قدم خمسة عشر رجلاً من الرَّهَاوِيِّين وهم حَيٌّ من مَذْحِج على رسول الله ﷺ سنة عشر، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحدث، فأتاهم رسول الله ﷺ، فتحدث عندهم طويلاً وأهدوا لرسول الله ﷺ هدايا منها فرس يقال له المِرْوَاح فأمر فَشُورَ بين يديه فأعجبه. فأسلموا وتعلَّموا القرآن والفرائض، وأجازهم كما يجيز الوافد: أرفعهم اثني عشرة أوقية ونَشَّاً وأخفضهم خمس أواقٍ ثم رجعوا إلى بلادهم.

ثم قدم منهم نفر فحَجُّوا مع رسول الله ﷺ من المدينة وأقاموا حتى توفي رسول الله ﷺ فأوصى لهم بِجَادّ مائة وَسْق بخَيْبَر في الكتيبة جارية عليهم وكتب لهم كتاباً فباعوا ذلك في زمن معاوية.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

النَّشّ: بالنون والشين المعجمة: نصف الأوقية وقيل النصف من كل شيء.

الوَسْق: بفتح الواو وسكون السين المهملة وبالقاف: سِتُّون صاعاً وقيل حِمْلُ بعير.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٥/١٩ والبخاري في التاريخ ١٨٥/٧ وذكره الهيثمي في المجمع ١٣١/١٠ والسيوطي في الدر ٢٢١/١.

الباب الثامن والأربعون

في وفود بنـي الرؤاس بن كلاب إليـه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(١) عن أبي نُفَيْع طارق بن عَلْقَمَة الرُّؤاسي قال: قدم رجل منا يقال له عمرو بن مالك بن قَيْس على رسول الله ﷺ، فأسلم ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: حتى نُصِيب من بني عقيل بن كعب مثلما أصابوا منا. فخرجوا يريدونهم، وخرج معهم عمرو ابن مالك فأصابوا منهم.

ثم خرجوا يسوقون النَّعَم فأدركهم فارس من بني عقيل يقال له ربيعة بن الـمُنْتَفِق بن عقيل وهو يقول:

أَقْسَمْتُ لاَ أَطْعَنُ إلاَّ فَارِساً ... إِذَا الكُمَاةُ أُلْبِسُوا القَلاَنِسَا

قال أبو نُفَيْع: فقلت نَجَوْتُم يا معشر الرَّجَّالة سائر اليوم. فأدرك العُقَيْلِيُّ رجلاً من بني عُبَيْد بن رُؤَاس يقال له الـمُحْرِس بن عبد الله [بن عمرو بن عُبَيْد بن رُؤَاس] فطعنه في عَضُدِه فَاخْتَلَّها، فاعتنق الـمُحْرِس فرسه وقال: يا آلَ رُؤَاس. فقال ربيعة: رُؤَاس خَيْل أو أُنَاس؟ فعطف على ربيعة عمرو بن مالك فطعنه فقتله.

قال: ثم خرجنا نسوق النَّعَم، وأقبل بنو عقيل في طلبنا حتى انتهينا إلى تُرَبَة فقطع ما بيننا وبينهم وادي تُرَبَة، فجعلت بنو عقيل ينظرون إلينا ولا يَصِلون إلى شيء فمضينا.

.قال عمرو بن مالك: فأُسْقِط في يدي وقلت قتلتُ رجلاً وقد أسلمت وبايعت النبي ﷺ فشدَدْتُ يَدَيَّ في غُلٍّ إلى عُنُقي، ثم خرجت أريد رسول الله ﷺ وقد بلغه ذلك. فقال: «لَئِنْ أتاني لأَضْرِبَنَّ ما فوق الغُلِّ من يده». فأَطْلَقْتُ يديَّ ثم أتيته فسَلَّمتُ عليه فأعرض عني، فأتيته عن يمينه فأعرض عني فأتيته عن يساره فأعرض عني فأتيته من قِبَل وجهه فقلت: «يا رسول الله إن الرَّبَّ ليُتَرَضَّى فَيَرْضَى فَارْضَ عنِّي رَضِيَ اللهُ عنك». قال: «قد رضيتُ عنك»(٢).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

بنو الرؤَاس: [براء مضمومة فواو مهموزة فألف فسين مهملة].

نُفَيْع: بنون مضمومة ففاء مفتوحة فمثناة تحتية فعين مهملة.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦٥/٢.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤٥/٢/١.

عَقِيل: بعين مهملة مفتوحة فقاف فمثناة تحتية فلام.

المُنْتَفِق: بميم مضمومة فنون ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة ففاء مكسورة فقاف.

الكُمَاة: جمع كَمِيّ كَغَنِيّ لابس السلاح من أكمَى نفسه سترها بالدِّرْع والبَيْضَة.

القَلاَنِس: جمع قَلَنْسُوَة بفتح القاف واللام: ما يُلْبَس على الرأس.

المُحْرِس: [بضم الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الراء فسين مهملة].

الغُلّ: بغين معجمة مضمومة فلام مشددة: الحديدة التي تجمع يَدَيّ الأسير إلى عنقه.

اخْتَلَّه: بخاء معجمة فمثناة فوقية أي أَنْفَذ الطعنة من الجانب الآخر.

تُرَبَة: [بمثناة فوقية مضمومة فراء فموحدة مفتوحتين فتاء تأنيث].

الباب التاسع والأربعون

في وفود زبيد إليه صلى الله عليه وسلم

ولما كانت السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ، رأت زُبَيْد قبائل اليمن تُقْدِم على رسول الله ﷺ مُقِرِّين بالإسلام مُصَدِّقين برسول الله ﷺ، يرجع راجعهم إلى بلادهم وهم على ما هم عليه. وكان رسول الله ﷺ استعمل خالد بن سعيد بن العاص على صدقاتهم وأرسله مع فَرْوَة بن مُسَيْك كما سيأتي فقال خالد: «والله لقد دخلنا فيما دخل فيه الناس. وصَدَّقنا بمحمد ﷺ، وخَلَّينا بينك وبين صدقات أموالنا، وكنا لك عَوْناً على من خالفك من قومنا».

قال خالد: قد فعلتم. قالوا: فَأَوْفِدْ منّا نفراً يقدمون على رسول الله ﷺ ويُخبرونه بإسلامنا ويُقْبِسونا منه خيراً. فقال خالد: ما أَحسَن ما عُدْتُم إليه وإنا أُجيبكم، ولم يمنعني أن أقول لكم هذا إلا أني رأيت وفود العرب تَمُرّ بكم فلا يَهِيَجنّكم ذلك على الخروج فسيأتي ذلك منكم حتى ساء ظَنّي فيكم وكنتم على ما كنتم عليه من حداثة عهدكم بالشِّرْك فحَسِبْتُ أن يكون الإسلام راسخاً في قلوبكم.

الباب الخمسون

في وفود بني سحيم إليه صلى الله عليه وسلم

روى المرشاطي عن أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه أن الأسود بن سلمة قدم على رسول الله ﷺ في وفد بني سحيم فأسلم فَرَدَّهم إلى قومهم وأمرهم أن يدعوهم إلى الإسلام وأعطاهم إداوة ماء قد تَفَل فيها أو مَجَّ وقال: «فَلْيَنْضَحوا بهذه الإداوة مَسْجِدَهم وليرفعوا رؤوسهم» إذا رفعها الله تعالى فما تَبع مُسَيْلِمة منهم رجل ولا خرج منهم خارجيّ قط.

الباب الحادي والخمسون

في وفود بني سدوس إليه صلى الله عليه وسلم

روى البزار عن عبد الله بن الأسود رضي الله تعالى عنه قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ في وفد بني سَدُوس فأهدينا له تَمْراً فنثرناه إليه على نِطْع فأخذ حِفْنَةً من التَّمْر فقال: «أيُّ تَمْر هذا؟» فجعلنا نُسَمِّي حتى ذكرنا تمراً فقلنا: هذا الجُذَامِي، فقال: «بارك الله في الجُذَامِيّ وفي حَدِيقةٍ يَخْرُج هذا منها أو جَنَّة خرج هذا منها»(١).

الباب الثاني والخمسون

في وفود بني سعد هذيم إليه صلى الله عليه وسلم

روى محمد بن عمر الأسلمي عن ابن النعمان عن أبيه قال: قدمت على رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد غَلَبَةً وأَذَاخَ العرب، والناس صِنْفَان: إما داخلٌ في الإسلام راغِبٌ فيه، وإما خائفٌ من السَّيف، فنزلنا ناحيةً من المدينة ثم خرجنا نَؤُمّ المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فنجد رسول الله ﷺ يُصَلِّي على جنازة في المسجد فقمنا خَلْفَه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى نَلْقَى رسول الله ﷺ ونُبَايِعه، ثم انصرف ﷺ فنظر إلينا فدعا بنا فقال: «مِمَّنْ أنتم؟» قلنا: من بني سعد هُذَيْم فقال: «أَمُسْلِمُون أنتم؟» قلنا: نعم. قال: «فَهَلاَّ صَلَّيْتُم على أخيكم؟» قلنا: يا رسول الله ظَنَنا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال ﷺ: «أَيْنَما أَسْلَمْتُم فأنتم مسلمون».

قال: فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ بأيدينا على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خَلَّفْنا عليها أصغرنا. فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا فأُتِيَ بنا إليه، فتقدَّم صاحبنا فبايعه على الإسلام. فقلنا: يا رسول الله إنه أصغرنا وإنه خادمنا، فقال: «أَصْغَرُ القوم خادمهم، بارك الله عليه». قال: فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لِدُعاء رسول الله ﷺ له، ثم أَمَّرَه رسول الله ﷺ علينا، فكان يَؤُمُّنا. ولما أردنا الانصراف أمرَ بلالاً فأجازنا بأَوَاقِيّ من فِضَّة لكل رجل منا فرجعنا إلى قومنا فرزقهم الله عز وجل الإسلام.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

أَوْطأ: بفتح الهمزة في أوله وآخره وسكون الواو وبالطاء المهملة: أي قهرهم وجعلهم يُوطَأُون قَهْراً وغَلَبة.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٤٣/٥ وعزاه للبزار والطبراني بنحوه وقال: وفيه جماعة لم يعرفهم العلائي ولم أعرفهم.

أَذَاخَ البلاد: بفتح الهمزة والذال المعجمة وبعد الألف خاء معجمة يُذِيخُها إذا قهرها واستولى عليها وكذلك دوَّخ البلاد.

إِمَّا: بكسر الهمزة وتشديد الميم وكذا الثانية الآتية.

نَؤُمّ: بفتح النون وضم الهمزة وتشديد الميم: نَؤُم المسجد أي نَقْصِدُه.

يُصَلِّي على جنازة في المسجد: قال في النور: يُحْتَمَل أن صاحب الجنازة سُهيل ابن بيضاء فإن قدوم هذا الوفد كان في سنة تسع وسُهَيْل توفي فيها في مقدمه من تبوك ولا أَعْلَمُه صَلى في جنازة في المسجد إلا عليه. ووقع في صحيح مسلم أنه صلى على سُهَيْل وأخيه في المسجد ففيه أنه إن كان المراد به سَهْلاً فلا يصح لأنه مات بعد النبي ﷺ كما قاله محمد بن عمر [الواقدي] وكَوْنُه صَفْوَاناً فيه نظر أيضاً لأُنه استُشْهِد ببدر، والصواب حديث عُبادة في مسلم الذي فيه إفراد سهيل لا الحديث الذي بعده. هذا في المسجد النبوي. وقد صلى رسول الله ﷺ في مسجد بني معاوية على أبي الربيع عبيد الله بن عبد الله بن ثابت بن قيس وكان قد شَهِد أُحُداً.

خَلَّفْنا: بتشديد اللام.

أُتِي بنا: بالبناء للمفعول.

أَمَّره: بتشديد الميم من التأمير.

أَوَاقِيّ: بتشديد التحتية وتُخَفَّف.

الباب الثالث والخمسون

في وفود بني سلامان إليه صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن عمر رحمه الله تعالى: كان مَقْدَمهم في شوال سنة عشر. وروى ابن سعد عن حبيب بن عمر والسَلاَماني كان يُحدِّث قال: قدمنا وفد سلامان على رسول الله ﷺ ونحن سبعة فصادفنا رسول الله ﷺ خارجاً من المسجد إلى جنازة دُعِيَ إليها فقلنا: السلام عليك يا رسول الله. فقال: «وعليكم من أنتم؟» فقلنا: نحن من سَلاَمان قدمنا إليك، لنبايعك على الإسلام ونحن على مَنْ وراءنا من قومنا. فالتفت إلى ثَوْبَان غُلاَمِه فقال: «أَنْزِل هؤلاء الوفد حيث يَنْزِل الوفد». فلما صلى الظهر جلس بين المنبر وبيته فتقدمنا إليه فسألناه عن أشياء من أمر الصلاة وشرائع الإسلام وعن الرُقَى، وأسلمنا وأعطى كل رجل منا خمس أواقيّ ورجعنا إلى بلادنا وذلك في شوال سنة عشر.

وروى أبو نُعَيْم من طريق محمد بن عمر عن شيوخه أن وفد سلامان قدموا في شوال سنة عشر فقال لهم رسول الله ﷺ: «كيف البلاد عندكم؟» قالوا: مُجْدِبة فَادْعُ الله أن يسقينا في موطننا. فقال: «اللهم اسقِهم الغَيْثَ في دارهم». فقالوا: يا نبيّ الله ارفع يديْك فإنه أكثر وأَطْيَب، فتبسَّم ورفع يديْه حتى يُرَى بياض إِبْطَيْه، ثم رجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد مُطِرَت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ في تلك الساعة[1].

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

سلامان: بفتح السين المهملة وتخفيف اللام.

حبيب: بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة.

أسقهم: يجوز جعله ثلاثياً ورُباعياً فعلى الأول تُوصَل الهمزة وعلى الثاني تُقْطَع.

ما أكثر هذا: منصوب على التعجب.

وأَطْيَبَه: معطوف عليه.

مُطِرَت: يجوز بناؤه للفاعل والمفعول أيضاً.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل (١٦٠) وابن سعد في الطبقات ٤٣/٢/١.

الباب الرابع والخمسون

في وفود بني سليم إليه صلى الله عليه وسلم

قالوا: وقدم على رسول الله ﷺ رجل من بني سُلَيْم يقال له قيْس بن نُسَيْبَة فسمع كلامه وسأله عن أشياء فأجابه وَوَعَى ذلك كله ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ورجع إلى قومه بني سُلَيْم فقال: قد سمعت بَرْجَمَة الروم وهَيْنَمَة فارس وأشعار العرب وكهانة الكاهن وكلام مَقَاوِل حِمْيَر فما يُشْبِه كلام محمد شيئاً من كلامهم فأطيعوني وخذوا نَصِيبكم منه.

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سُلَيْم إلى رسول الله ﷺ فلقوه بقُدَيْد وهم سبعمائة. ويقال كانوا ألفاً وفيهم العَبَّاس بن مِرْدَاس، وأنس بن عَبَّاس بن رِعْل، وراشد بن عبد ربه فأسلموا وقالوا: اجعلنا في مُقَدَّمتك واجعل لواءنا أحمر وشعارنا مُقَدَّماً. ففعل ذلك بهم فشَهِدوا معه الفتح والطائف وحُنَيْناً وأعطى رسول الله ﷺ راشِدَ بن عبد ربه رُهَاطاً وفيها عَيْن يقال لها عَيْن الرسول. وكان راشد يَسْدُنُ لبني سُلَيْم فرأى يوماً ثَعْلَبَيْن يبولان عليه فقال:

أَرَبٌّ يَبُولُ الثَّعْلَبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ[1]

ثم شَدَّ عليه فكسره. ثم أتى النبي ﷺ فقال له: «ما اسمك؟» قال: غَاوِي بن عبد العُزَّى قال: «أنت راشد بن عبد ربه». فأسلم وحَسُن إسلامه وشَهِد الفتح مع النبي ﷺ وقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ قُرَى عَرَبِيَّة خَيْبَر وخَيْرُ بني سُلَيْم راشد»[2]. وعَقَد له على قومه.

وروى ابن سعد عن رجل من بني سُلَيْم من بني الشريد قالوا: وفد رجل منا يقال له قُدَد بن عَمَّار على النبي ﷺ بالمدينة فأسلم وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل.

ثم أتى قومه فأخبرهم الخبر فخرج معه تسعمائة وخَلَّف في الحَيِّ مائة فأقبل بهم يريد النبي ﷺ فنزل به الموت فأوصى إلى ثلاثة رَهْط من قومه: إلى عباس بن مِرْدَاس وأَمَّره على ثلاثمائة، وإلى جَبَّار بن الحَكَم وهو الفَرَّار الشَّرِيدي وأَمَّره على ثلاثمائة، وإلى الأَخْنَس بن يزيد وأَمَّره على ثلاثمائة وقال: ائتوا هذا الرجل حتى تَقْضوا العهد الذي في عُنُقي، ثم مات. فمضوا حتى قدموا على النبي ﷺ فقال: «أين الرجل الحسن الوجه الطويل اللسان الصادق الإيمان؟» قالوا: يا رسول الله دعاه الله فأجابه وأخبروه خبره فقال: «أين تكملة الألف الذين عاهدني

---

(١) البيت للعباس بن مرداس انظر ملحق ديوانه ١٥١ ونسب أبي ذر انظر اللسان (ثعلب) وغيرهما انظر الدرر ١٠٤/٤ جمهرة اللغة (١١٨١) الهمع ٢٢/٢.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١٤١/٣.

عليهم؟» قالوا: قد خَلَّف مائةً بالحيّ مخافة حَرْبٍ كانت بيننا وبين كنانة قال: «ابعثوا إليها فإنه لا يأْتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه». فبعثوا إليها فأتته بالهدّة وهي مائة عليها المُنْقِع بن مالك بن أمية، فلما سمعوا وئيد الخيل قالوا: يا رسول الله أُتينا قال: «لا بل لكم لا عليكم هذه سُلَيْم بن منصور قد جاءت». فشهدوا مع رسول الله ﷺ الفتح وحُنَيْناً[١].

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

سُلَيْم: [بضم السين المهملة وفتح اللام وسكون المثناة التحتية فميم].

نُسَيْبَة: [بضم النون وفتح السين المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الموحدة فتاء تأنيث].

تَرْجَمة: بمثناة فوقية مفتوحة فراء ساكنة فجيم فميم: نقل لغة إلى لغة أخرى.

هَيْنَمَة: بهاء مفتوحة ساكنة فنون فميم فتاء تأنيث: كلام خَفيّ لا يُفْهَم والياء زائدة.

رُهَاط: [بضم أوله قرية على ثلاثة أميال من مكة].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢٣٤/١.

الباب الخامس والخمسون

في وفد بني شيبان إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن قَيْلَة بنت مَخْرَمة قالت: قدمت على رسول الله ﷺ مع وفد شَيْبَان، وهو قاعد القُرْفُصَاء، فلما رأيت رسول الله ﷺ مُتَخَشِّعاً في الجِلْسَة أُرْعِدْتُ من الفَرَق. فقال جَلِيسُه: يا رسول الله أُرْعِدَتْ المسكينة. فقال رسول الله ﷺ ولم يَنْظُر إليّ وأنا عِنْد ظَهْره: «يا مسكينة عليك السَّكِينَة». فلما قالها أَذْهَب الله ما كان أدخل قلبي من الرعب.

وتقدَّم صاحبي أوَّلُ رجل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه، ثم قال: يا رسول الله اكتُبْ بيننا وبين بني تميم بالدَّهْنَاء لا يُجَاوِزُنا إلينا منهم إلا مُسَافِر أو مُجَاوِر. فقال: «يا غلام اكتب له بالدهناء».

فلما رأيته أمر له بأن يكتب له بها شُخِصَ بي وهي وَطَنِي وداري، فقلت: يا رسول الله إنه لم يسألك السَّوِيَّة من الأرض إذ سألك، إنما هذه الدهناء عندك مُقَيَّدُ الجَمَل ومَرْعَى الغنم، ونساء تميم وأبناؤها وراء ذلك. فقال: «أَمْسِكْ يا غلام، صدقت المسكينة المُسْلِم أخو المُسْلِم يَسَعُهما الماء والشَّجَر، ويتعاونان على الفَتَّان». فلما رأى حُرَيْث أنْ قد حِيلَ دون كتابه ضَرَب بإحدى يَدَيْهْ على الأخرى وقال: كنت أنا وأنت كما قيل: «حَتْفَها تَحْمِل ضَأْنٌ بِأَظْلاَفِها». فقلت: أما والله إنْ كنت لدليلاً في الظَّلْمَاء، جواداً بذي الرَّحْل عفيفاً عن الرفيقة حتى قدمت على رسول الله ﷺ ولكن لا تَلُمْني على حَظِّي إذ سألت حَظَّك. فقال: وما حَظُّك في الدهناء لا أباً لك؟ فقلت: مقيَّد جَمَلي تسأله لِجَمَل امرأتك.

فقال: لا جَرَم إني أُشْهِد رسول الله ﷺ أنيّ لكَ أخٌ ما حَيِيت، إذ أَثْنَيْتِ هذا عليّ عنده. فقلت: إذ بدأتها فلن أُضِيعَها. فقال رسول الله ﷺ: «أَيلاَم ابن ذِهِ أن يَفْصِلَ الخطَّة ويَنْتَصِر من وراء الحجْرَة»، فبكَيْت ثم قلت: والله كنت ولَدْته يا رسول الله حازماً فقاتل معك يَوْمَ الرَّبَذَة، ثم ذهب يَحيرُني من خَيْبَر فأصابته حمَّاها وترك عليّ النساء. فقال: «والذي نفس محمدٍ بيده لو لم تكوني مسكينة لَجَرَرْنَاكِ اليوم على وَجْهِك أو لَجُرِرْتِ على وجهك» شَكَّ عبد الله، «أَيغْلَب أُحَيْدكم أن يصَاحِبَ صوَيْحَبَة في الدنيا معروفاً فإذا حال بينه وبينه مَنْ هو أولى به منه استرجع». ثم قال: «ربِّ أَنْسني ما أَمْضَيْتُ وأَعِنّي على ما أَبْقَيتَ، والذي نفس محمد بيده إن أُحَيْدَكُم لَيَبْكي فَيَسْتَعْبِرُ إليه صُوَيْحبه فيا عباد الله لا تُعَذِّبوا إِخْوَانكم» وكتب لها في قِطْعَة من أَدِيم أحمر لِقَيْلَة وللنّسوة بنات قيلة: «أَلاَّ يُظْلَمْنَ حقًّا ولا يُكْرَهْنَ على مَنْكَح، وكل مؤمن مسلم لَهُنَّ نَصِير أَحْسِنَّ وَلاَ تُسِئْنَ»[1].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥٨/٢/١ وذكره الهيثمي في المجمع ١٤/٦، ١٥ .

الباب السادس والخمسون

في وفود صداء إليه صلى الله عليه وسلم

روى البغوي والبيهقي وابن عساكر وحَسَّنه عن زياد بن الحارث الصدائي رضي الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام فأُخْبِرْتُ أنه قد بعث جيشاً إلى قومي.

قال ابن سعد رحمه الله تعالى: «لما انصرف رسول الله ﷺ من الجِعْرَانة سنة ثمان بعث قيس بن سعد بن عُبَادة إلى ناحية اليمن وأمره أن يطأ صُدَاء، فعسكر بناحية قَنَاة في أربعمائة من المسلمين» انتهى.

قال زياد بن الحارث الصُدَائي فقلت: يا رسول الله قد جئتُكَ وافداً على مَنْ ورائي فَارْدُدْ الجيش وأنا لك بإسلامي قومي وطاعتهم. فقال لي: «اذهب فَرُدُّهم». فقلت: يا رسول الله إن راحلتي قد كَلَّتْ. فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فردَّهم من صدر قناة قال زياد: وكتب إلى قومي كتاباً فقَدِم وفدهم بإسلامهم. وعند ابن سعد: فقدم منهم بعد ذلك على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً منهم. فقال سعد بن عُبَادة: يا رسول الله دعهم ينزلوا عليَّ فنزلوا عليه فَحَبَاهم وأكرمهم وكساهم ثم راح بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ على من وراءهم من قومهم انتهى.

قال زياد: فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أخا صُدَاء إنك لَمُطَاعٌ في قومك». قال: فقلت: بل الله هَدَاهم للإسلام. فقال لي رسول الله ﷺ: «أَفَلاَ أُؤَمِّرك عليهم؟» فقلت: بلى يا رسول الله. فكتب لي كتاباً أَمَّرني فيه. فقلت: يا رسول الله مُرْ لي بشيء من صدقاتهم. قال: «نعم» فكتب لي كتاباً آخر. قال زياد: وكان ذلك في بعض أسفاره. ونزل رسول الله ﷺ منزلاً فأتاه أهل ذلك المنزل يَشْكون عاملهم ويقولون: أَخَذَنا بكل شيء بيننا وبين قومه في الجاهلية. فقال النبي ﷺ: «أَفَعَل ذلك؟» قالوا: نعم. فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأنا فيهم فقال: «لا خَيْرَ في الإمارة لرجل مُؤْمِن».

قال زياد: فدخل قوله في قلبي. ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله أعطني فقال رسول الله ﷺ: «من يسأل الناس عن غِنىً فَصُدَاعٌ في الرأس وداء في البطن». فقال السائل: اعطني من الصَّدَقة. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل لم يَرْضَ فيها بحكْم نَبيّ ولا غيره في الصدقات حتى حَكَمَ فيها فَجَزَّأَها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك وإن كنت غَنِيّاً عنها فإنما هي صُدَاعٌ في الرأس وداءٌ في البطن».

قال زياد: فدخل في نفسي أني سألته من الصدقات وأني غَنِيّ. ثم إن رسول الله ﷺ اعتشى من أوّل الليل فلزمت [غَرْزَه] وكنت قريباً منه فكان أصحابه ينقطعون عنه ويستأخرون عنه حتى إذا لم يبق معه أحد غيري فلما كان أذان صلاة الصبح أمرني فأذَّنت فجعلت أقول أقم الصلاة يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ ينظر ناحية المشرق إلى الفجر ويقول لا، حتى إذا طلع الفجر نزل رسول الله ﷺ فذهب لحاجته، ثم انصرف إليّ وتلاحق أصحابه فقال: «هل من ماء يا أخا صُدَاء؟» فقلت: لا إلا شيء قليل لا يكفيك. فقال رسول الله ﷺ: «اجعله في إناء ثم ائتني به». ففعلت، فوضع كَفَّه في الماء. فقال زياد: فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عيناً تَفُور. ثم قال لي رسول الله ﷺ: «يا أخا صُدَاء لولا أني استحي من ربِّي عز وجل لسقينا واستقينا ناد في أصحابي من له حاجة في الماء». فناديت فيهم. فأخذ من أراد منهم شيئاً.

ثم قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة فأراد بلال أن يقيم فقال له رسول الله ﷺ: «إن أخا صُدَاء هذا أَذَّن فهو يُقِيم». قال الصُّدائي: فأقمت الصلاة. فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة أتيته بالكتابين فقلت: يا رسول الله اعفني من هذين الكتابين. فقال رسول الله ﷺ: «ما بدا لك؟» فقلت: سمعتك يا رسول الله تقول: «لا خير في الإمارة لرجل مؤمن» وأنا مؤمن بالله تعالى ورسوله، وسمعتك تقول للسائل: «من سأل الناس عن غِنىً فَصُدَاع في الرأس وداء في البطن» وقد سألتك وأنا غَنِي.

فقال رسول الله ﷺ: «هو ذاك فإن شئت فاقبل وإن شئت فدع». فقلت: أَدَع. فقال لي رسول الله ﷺ: «فَدُلَّنِي على رجل أُؤَمِّره عليكم». فدللته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه فأَمَّرَه عليهم.

ثم قلنا: يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء كفانا ماؤها واجتمعنا عليها وإذا كان الصيف قَلَّ ماؤها فتفرقنا على المياه حولنا، وكلُّ مَنْ حولنا لنا عدوّ فادْعُ الله لنا في بئرنا أن يسعنا ماؤها فنجتمع عليها ولا نتفرّق. فدعا بسبع حُصَيَّات ففركَهُنَّ بيده ودعا فيهن ثم قال: «اذهبوا بهذه الحُصَيَّات فإذا أتيتم البئر فالقوا واحدة واحدة واذكروا اسم الله تعالى»[1]. قال زياد الصُّدَائي: ففعلنا ما قال فما استطعنا بعد ذلك أن ننظر إلى قعرها.

وعند ابن سعد: ورجعوا أي الخمسة عشر إلى بلادهم ففشا فيهم الإسلام فوافى النبي ﷺ مائة رجل منهم في حجة الوداع.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦٣/٢/١ والطبراني في الكبير ٣٠٣/٥ والبيهقي في الدلائل ٣٥٥/٥ وذكره الهيثمي في المجمع ٢٠٦/٥ والمتقي الهندي في الكنز (٣٧٠٧٥).

تنبيــه: فـي بـيان غريب ما سبق:.

صُدَاء: بضم الصاد وفتح الدال المهملتين والـمَدّ: حَيٌّ من العرب، باليمن.

الجِعْرَانة وقَنَاة: تقدم الكلام عليهما.

فَشَا فيهم الإسلام: ظهر وذاع.

الغَرْز: بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وبالزاي: ركاب كُور البعير إن كان من خشب أو جلد.

الأدَاوَى: جمع إدَاوَة إناء صغير من جِلْد يُتَّخذ للماء كالسَّطِيْحَة ونحوها.

القَعب: بفتح القاف وسكون العين المهملة وبالموحدة: وهو القَدَح الضخم.

الوَضُوء: بفتح الواو الماء وبالضم الفعل الذي هو المصدر ويجوز العكس، والله أعلم.

الباب السابع والخمسون

في وفود الصدف إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن جماعة من الصَّدِف قالوا: قدم وفدنا على رسول الله ﷺ وهم بضعة عشر رجلاً، على قَلَايِصَ لهم في أُزُرٍ وأَرْدِيَة فصادفوا رسول الله ﷺ فيما بين بيته وبين المنبر فجلسوا ولم يُسَلِّموا. فقال: «أَمُسْلِمون أنتم؟» قالوا: نعم. قال: «فَهَلاً سَلَّمْتُم؟» فقاموا قِيَاماً، فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فقال: «وعليكم السلام، اجلسوا». فجلسوا وسألوا رسول الله ﷺ عن أوقات الصلاة فأخبرهم بها[١].

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

الصَّدِف: [بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين ففاء].

الباب الثامن والخمسون

في وفود أبي صفرة إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن مَنْدَه، وابن عساكر، والدَّيْلَمِي عن محمد بن غالب بن عبد الرحمن بن يزيد بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة قال: حدثني أبي عن آبائه أن أبا صُفْرَة قدم على رسول الله ﷺ على أن يُبَايعه، وعليه حُلَّة صفراء وله طول ومنظر وجمال وفصاحة لسان [فلما رآه أعجبه ما رأى من جماله] فقال له: «من أنت؟» قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم بن عمر بن شهاب بن مُرَّة بن الهِقَام بن الجلند بن المستكبر الذي كان يأخذ كل سفينة غَصْباً، أنا ملك ابن ملك. فقال له النبي ﷺ: «أنت أبو صُفْرَة دَعْ عنك سارقاً وظالماً». فقال: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله حقاً حقاً يا رسول الله، وإن لي ثمانية عشر ذكراً وقد رُزِقْتُ بأخرة بنتاً سَمَّيْتُها صُفْرَة. فقال له رسول الله ﷺ: «فأنت أبو صُفْرَة»[٢].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢٤٨/١.

(٢) ذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٧٥٧٣).

الباب التاسع والخمسون

في وفود ضمام بن ثعلبة إليه صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد والشيخان والترمذي والنسائي رحمهم الله تعالى من طريق سليمان ابن المغيرة عن ثابت، والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن شريك بن عبد الله كلاهما عن أنس وأبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي عن الزهري، والإمام أحمد وابن سعد وأبو داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم، قال أنس في رواية ثابت: «نُهِينا في القرآن أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء كان يعجبنا أن نجد الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع». وفي رواية شريك: «بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «بينا النبي ﷺ مع أصحابه مُتَّكئاً، أو قال جالساً في المسجد إذ جاء رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله» وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «بعث بنو سعد بن بكر، ضِمَامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضِمام رجلاً جَلْداً أَشْعَر ذا غَدِيرَتَيْن فأقْبَل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ» قال أنس في رواية شريك: «فقال: أيُّكم محمد؟» وفي حديث ابن عباس: «أَيُّكم ابن عبد المطلب؟» والنبي ﷺ مُتَّكِئٌ بين ظَهْرَانَيْهِم، فقلنا له: هذا الأبيض المتكئ».

وفي رواية: «جاءهم رجل من أهل البادية فقال: أَيُّكُم ابن عبد المطلب؟ قالوا: هذا الأَمْغَر المُرْتَفِق. قال: فدنا منه وقال: إني سائِلُك فَمُشَدِّد عليك - وفي لفظ - فَمُغْلِظ عليك - في المسألة، فلا تجد عليّ في نفسك، قال: «لا أجد في نفسي فسلْ عَمَّا بدا لك» قال أنس في رواية ثابت: فقال: يا محمد أتانا رسولك فقال لنا إنك تزعم أن الله تعالى أرسلك؟ قال: «صدق». قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله». قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله».

وقال أبو هريرة وأنس في رواية شريك، فقال: «أسألك بِرَبِّك وربِّ من قَبْلك»، وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «فأَنْشُدُك الله إلَهَكَ وإلَهَ مَنْ قَبْلَكَ وإله من هو كائن بعدك»، وفي رواية عن أنس فقال: «فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال»، قال ابن عباس في حديثه: «آلله أمرك أن نَعْبُدَه وحده ولا نُشْرِك به شيئاً وأن نَدَع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟ قال: «اللهم نعم».

وفي رواية ثابت عن أنس فقال: «فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال» وفي حديث أبي هريرة ورواية شريك عن أنس: «أسألك بربِّك وربِّ مَنْ قبلك ورب من بعدك آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟» فقال رسول الله ﷺ: «اللهم نعم».

وفي رواية ثابت عن أنس قال: «وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا». قال: «صدق». قال: «فبالذي أرسلك»، وفي رواية شريك عن أنس قال: «أَنْشُدُك بالله». وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «فَأَنْشُدُك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تُصَلِّي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم».

وفي رواية ثابت عن أنس قال: «وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا». قال: «صدق». وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «أَنْشُدُك بالله آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فترده على فقرائنا؟» فقال: «اللهم نعم». قال: «فبالذي أرسلك»، وفي رواية شريك: «أنشدك الله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟» فقال رسول الله ﷺ: «اللهم نعم».

وفي رواية ثابت: «وزعم رسولك أن علينا صوم شهر في سنتنا». قال: «صدق». قال: «فبالذي أرسلك»، وفي رواية شريك: «وأنشدك الله آلله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟» وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «من اثني عشر شهراً؟» فقال رسول الله ﷺ: «اللهم نعم».

وفي رواية ثابت قال: «وزعم رسولك أن علينا حجَّ البيت من استطاع إليه سبيلاً». قال: «نعم». وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يَنْشُدُه عن كل فريضة منها كما ينشده عن التي قبلها حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وَسَأُؤَدِّي هذه الفرائض وأَجتنب ما تَنْهيني عنه ثم لا أَزِيد ولا أنقص».

وفي رواية شريك: «آمنتُ بما جئتَ به وأنا رسول مَنْ ورائي من قومي، وأنا ضِمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر». وفي حديث أبي هريرة: «وأمَّا هذه الهَنَاة فوالله إن كُنَّا لَنَتَنَزَّهُ عنها في الجاهلية».

وفي رواية ثابت: «ثم وَلَّى فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهم ولا أُنْقِص منهن شيئاً». فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صَدَق لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّة». وفي حديث ابن عباس: «إنْ صَدَق ذو العَقِيصَتَيْنِ دخل الجنة». وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «فلما أن وَلَّى قال

رسول الله ﷺ: «فَقِهَ الرجل». وقال: «فكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: «ما رأيتُ أحداً أحسن مسألة ولا أَوْجَزَ من ضِمام بن ثَعْلَبة». فأتى بعيره فأَطْلَق عِقَالَهُ ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أوَّل ما تَكَلَّم به: بِئْسَت اللَّات والعُزَّى. فقالوا: مَهْ يا ضِمام! اتَّقِ البَرَص، اتَّقِ الجُذَام، اتَّق الجنون. فقال: «وَيْلَكُم»! إنهما والله لا يَضُرَّان ولا يَنْفَعَان، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً فأستنقذكم به مما كنتم فيه وإني أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمَرَكم به وما نهاكم عنه». قال: «فوالله ما أَمْسَى من ذلك اليوم في حاضِرِه رجلٌ أو امرأة إلا مُسْلِماً». زاد ابن سعد: «وبَنوا المساجد وأَذَّنوا بالصلوات». قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة.

تنبيهات

الأول: قال في البداية: وفي سياق حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما يَدُلّ على أنه رجع إلى قومه قبل الفتح لأن العُزَّى هدمها خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه أيام الفتح.

الثاني: قال أبو الربيع: اخْتُلِف في الوقت الذي وفد فيه ضِمام هذا على رسول الله ﷺ، فقيل سنة خمس ذكره الواقدي وغيره، وقيل سنة تسع، والله أعلم أي ذلك كان.

الثالث: قوله: «أن يَحُجَّ هذا البيت من استطاع إليه سبيلاً»، قال في الهدي: ذِكْرُ الحج في هذه القصة يَدُلّ على أن قدوم ضِمام كان بعد فَرْض الحجّ، وهذا بعيد، والظاهر أن هذه اللفظة مُدْرَجَة من كلام بعض الرواة.

الرابع: في بيان غريب ما سبق:.

ضِمام: بضاد معجمة مكسورة فميمين بينهما ألف، وهو الذي قال فيه طلحة بن عُبَيْد الله: جاءنا أعرابي من أهل نجد ثَائِر الرأس يُسْمَعُ دَوِيُّ صوته ولا يُفْقَهُ ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام». الحديث رواه مالك في المُوَطَّأ عن عَمّه عن جدّه عن طلحة.

الجِلْد: بجيم مفتوحة فلام ساكنة فدال مهملة: صُلْب حديد.

الغَدِيرة: بغين معجمة مفتوحة فدال مهملة مكسورة فتحتية ساكنة فراء فتاء تأنيث.

الأَمْغَر: بفتح الهمزة وسكون الميم وفتح الغين المعجمة وبالراء: الأبيض المُشْرَب بِحُمْرَة.

المُرْتَفِق: بميم مضمومة فراء ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة ففاء مكسورة فقاف: المُتَّكِئ، بهمزة في آخره.

بَدَا لك: غير مهموز، أي ظهر لك.

أَنْشُدك: بفتح الهمزة وسكون النون وضم الشين المعجمة: أي أسألك.

آلله: بمدّ الهمزة على الاستفهام، وكذا ما بعده.

الهنَاة: بفتح الهاء وتخفيف النون في آخره تاء: الفَوَاحِش.

العَقِيصَة: بعين مهملة مفتوحة فقاف مكسورة فتحتية ساكنة فصاد مهملة: الشَّعْر المعقوص، أي المُلْتَوِي.

فَقُه: الرجل بضم القاف وكسرها صار فقيهاً، والله أعلم.

الباب الستون

في وفود طارق بن عبد الله إليه صلى الله عليه وسلم

روى البيهقي رحمه الله عن طارق بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: «إني لَقَائِم» بسوق ذي المجاز إذ أقبل رجل عليه جُبَّة له وهو يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفْلِحوا، ورجل يَتْبَعُه برميه بالحجارة يقول: أيها الناس إنه كَذَّاب فلا تُصَدِّقوه. فقلت: مَنْ هذا؟ فقالوا: هذا غلام من بني هاشم يزعم أنه رسول الله. قال: فقلت: مَنْ ذا الذي يفعل به هذا؟ قالوا: عَمُّه عبد العُزَّى. قال: فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الرَّبَذَة نريد المدينة نَمْتَار من تَمْرِها. فلما دنونا من حيطانها ونَخْلِها قلنا لو نزلنا فلبِسْنا ثياباً غير هذه، فإذا رجل في طِمْرَيْنِ له فسَلَّم وقال: مَنْ أيْنَ أَقْبَلَ القوم؟ قلنا من الرَّبَذَة. قال: وأَيْنَ تريدون؟ قلنا: نريد المدينة. قال: ما حاجتكم فيها؟ قلنا: نمتار من تمرها. قال: معنا ظعينة لنا ومعنا جَمَل أحمر مَخْطُوم، فقال: أتبيعوني جملكم هذا؟ قالوا: نعم بكذا وكذا صاعاً من تَمْر. قال: فما استوفينا مما قلنا شيئاً حتى أخذ بخِطَام الجمل وانطلق به، فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونَخْلِها قلنا ما صنعنا والله ما بِعْنَا جملنا مِمَّنْ نعرف ولا أخذنا له ثَمَناً. فقالت المرأة التي معنا: لا تَلاَوَموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم، والله لقد رأيت رجلاً كأن وجهه شِقَّة القمر ليلة البدر، أنا ضامِنة لِثَمن جملكم، إذ أَقْبَلَ رجل فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم، هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا، فأكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا، ثم دخلنا المدينة، فلما دخلنا المسجد فإذا هو قائم على المنبر يَخْطُب الناس فأدركنا من خطبته وهو يقول: «تَصَدَّقوا فإن الصدقة خير لكم، اليد العليا خير من اليد السفلى وَابْدَأْ بمن تعول أُمَّك وأباك وأُخْتَكَ وأَخَاكَ وأدناك أدناك». فأقبل رجل في نفر من بني يَرْبُوع، أو قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله إن لنا في هؤلاء دَماً في الجاهلية فقال: «لا تجني أم على ولد» ثلاث مرات(١).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

ذو المجاز، والرَّبَذَة، والظعينة: تقدم الكلام عليها.

بنو يربوع: [بمثناة تحتية مفتوحة فراءٍ ساكنة فموحدة فواو فعين مهملة].

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٥/٦ وعزاه للطبراني وقال فيه أبو حباب الكلبي وهو مدلس وقد وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح.

الباب الحادي والستون

في وفود طيئ مع زيد الخيل إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد عن أبي عُمَيْر الطائي، وكان يَتِيم الزُّهْري، وعن عُبَادة الطائي عن أشياخهم قالوا: قدم وفد طَيِّئ على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً، رأسُهم وسيِّدُهم زَيْد الخَيْر، وهو زَيْد الخَيْل بن مُهَلْهل من بني نَبْهَان، وفيهم وَزَر بن جابر بن سدُوس، وقبيصة بن الأسود بن عامر من جَرْم طيئ، ومالك بن عبد الله بن خَيْبَرِي من بني مَعْن، وقُعَيْن بن خُلَيْف من جَدِيلة، ورجل من بني بَوْلاَن فدخلوا المدينة ورسول الله ﷺ في المسجد، فعَقَلوا رَوَاحِلَهم بفِنَاء المسجد ثم دخلوا فدنَوْا من رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم وأجازهم بخمس أواق فضة كل رجل منهم وأُعْطِيَ زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونَشًّا، وقال رسول الله ﷺ: «ما ذُكِر رجلٌ من العرب إلا رأَيْتُه دون ما ذُكِر لي إلا ما كان من زَيْد الخَيْل فإنه لم يبلغ كُل ما فيه». وسَمَّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له فَيْد وأرضين وكتب له بذلك كتاباً ورجع مع قومه، وفي لفظ: فخرج به من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله ﷺ: «إن يُنْجِ زَيْد من حُمَّى المدينة فإنه»، قال بعض الشراح إن جواب إن ينج محذوف والتقدير فإنه لا يعاب. قال في زاد المعاد، وفي العيون، لما أَحَسَّ بالموت أنشد يقول:

أَمُرْتَحِلٌ قَوْمِي المَشَارِقَ غُدْوَةً وأُتْرَكُ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةَ مُنْجِدِ

أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لم يَبْرَ مِنْهُنَّ بَجَهْدِ

فلما انتهى من بلد نَجْد إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدَة - وفي لفظ فرد - أصابته الحُمَّى بها فمات هناك وعَمَدتْ امرأته بجهلها وقلة عقلها إلى ما كان رسول الله ﷺ، كتب له به فحرقته بالنار.

وذكر ابن دُرَيْد عن أبي مُحْسن أن زيداً أقام بِفَرْدَة ثلاثة أيام ومات، فأقام عليه قُبَيْصة بن الأسود المَنَاحة سنة، ثم وجَّه براحِلَتِه ورَحْلِه وفيها كتاب النبي ﷺ، فلما رأت امرأته الراحلة ليس عليها زَيْد ضَرَّمَتْها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب.

وروى الشيخان عن أبي سعيد [الخُدْرِيّ] رضي الله تعالى عنه أن علياً كَرَّم الله وجهه «بعث إلى رسول الله ﷺ من اليمن بِذُهَيْبة في أديم مَقْرُوظ لم تُحَصَّل من تُرَابها فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر: بين عُيَيْنَة بن بَدْر، وأَقْرَع بن حابس وزَيْد الخَيْل وعلقمة بن غَيْلاَن»(١).

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ٣٢٦(٤٣٥١) ومسلم ٢/ ٧٤٢(١٤٤/١٠٦٤).

وروى شاهين وابن عَدِيّ، وقال مُنْكَر، وابن عساكر واللفظ لهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل راكب فأناخ فقال: يا رسول الله إني أَتَيْتُكَ من مسيرة تسع أَنْضَيْتُ راحلتي وأَسْهَرْتُ لَيْلِي وأَظْمَأْتُ نَهاري لأسألك عن خَصْلَتَيْن أَسْهَرَتَاني فقال رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» فقال: أنا زَيْد الخيل. قال: «بَل أنت زَيْد الخَيْر، فسلْ، فَرُبَّ مُعْضِلَةٍ قد سُئِل عنها». فقال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعن علامته فيمن لا يريد. فقال له النبي ﷺ: «كيف أصبحت؟» فقال: أصبحت أُحِبُّ الخير وأهله ومَنْ يعمل به وإِنْ عَمِلْتُ به أَيْقَنْتُ بثوابه، وإن فاتني منه شيء حَنَنْتُ إليه. فقال له النبي ﷺ: «هذه علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد، ولو أرادك بالأهدى هَيَّأَ لك لها ثم لا تُبَالي من أي وادٍ هلكت» وفي لفظ «سَلَكْت»[(١)].

وروى أبو نُعَيْم في الحِلْيَة عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أسألك عن علامة الله فيمن يريد، وعلامته فيمن لا يريد[(٢)]. وروى ابن سعد عن أشياخ من طَيِّئ قالوا: قدم عَمْرو بن المُسَبِّح بن كعب بن طريف بن عَصَر الطائي على النبي ﷺ وهو يومئذ بن مائة وخمسين سنة فسأله عن الصَّيْد فقال له: «كُلْ ما أَصْمَيْت ودَعْ ما أَنْمَيْتَ»[(٣)]، وكان من أَرْمَى العرب.

تنبيهان

الأول: ذكر ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد أن زيداً توفي في حياة النبي ﷺ كما سبق، وحَكَى أبو عمر أنه مات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وأنشد له وَثِيمة بن موسى في الرِّدَّة قال وبعث بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه. قال الحافظ: وهذا إن ثَبَت يَدُلّ على أنه تَأَخَّرَت وفاته حتى مات النبي ﷺ.

الثاني: في بيان غريب ما سبق:.

زَيْدُ الخَيْل: قل له زيد الخيل لخمسة أفراس كانت لديه.

سَدُوس: بسين مفتوحة فدال مضمومة فواو فسين مهملات.

قُبَيْصَة: بقاف مفتوحة فموحدة فمثناة تحتية فصاد مهملة.

بنو مَعْن: بميم مفتوحة فعين مهملة فنون.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠٩/٤ وذكره الهيثمي في المجمع ١٩٧/٧ وعزاه للطبراني وقال وفيه عون بن عمارة وهو ضعيف وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٠٨٠٩) وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٣٧/٦.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣٧٦/١.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦٠/٢/١ والطبراني في الكبير ٢٧/١٢ وذكره الهيثمي في المجمع ١٦٢/٤.

لـم يُبْلَغ: بضم التحتية وسكون الموحدة وفتح اللام فغين معجمة.

فَيْد: بفتح الفاء وإسكان التحتية وبالدال المهملة: اسم مكان.

أَرْضَين: بفتح الراء وتسكن في لغة.

إنْ يُنْج: بضم التحتية وسكون النون وفتح الجيم، مبني للمفعول.

أُمّ مِلْدَم: بكسر الميم وفتحها وسكون اللام وفتح الدال المهملة وأعجمها بعضهم: الاسم الذي للحُمّى وتفسير الراوي أُمّ كَلْبَة كما نُقِل عن كتاب معارك الفُرْسان لأبي عُبَيْدة وقيل سَبَاط بسين مهملة فموحدة فألف فطاء مهملة. ذكره أبو عبيد البكري في إعجامه، وهو من اللَّدْم وهو شِدَّة الضَّرْب. ويُحْتَمل أن تكون أم كَلْبَة مُغَيَّرة عن كُلْبَة بضم الكاف [أي] شدة الرِّعْدة وكَلَب البَرْد شَدِيدُه، وأُم كَلْبَة بالهاء هي الحُمَّى، وأَمَّا أُمّ كَلْب فَشُجَيْرَة لها أَرزٌ حسن، وهي إذا حُرِّكَتْ انثنى شَوْكُها.

عَمَدَتْ: بفتح الميم في الماضي وكسرها في المستقبل، ويجوز العكس.

أَصْمَيْتُ: بهمزة مفتوحة فصاد ساكنة مهملة فميم مفتوحة فياء ساكنة فتاء: قَتَلْتَ مكانه فزهقت روحه بِسُرْعَة.

مُكْنِف: بضم الميم وسكون الكاف وكسر النون وبالفاء.

الفَرْدَة: بفتح الفاء وسكون الراء وبالدال المهملة وتاء تأنيث.

المَنَاحة: [النُّوَاح أو مَوْضِع النَّوْح].

ضَرَّمَتْها: بضاد معجمة مفتوحة فراء مشددة مفتوحة فميم ففوقية فهاء أي أوقدتها من أضرم النار إذا أوقدها.

الباب الثاني والستون

في وفود بني عامر بن صعصعة إليه صلى الله عليه وسلم وقصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس.

روى ابن المنذر، وابن حاتم، وأبو نعيم، وابن مَرْدَويه، والبيهقي عن موله بن [كثيف] ابن حمل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، والحاكم عن سَلَمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه، وأبو نُعَيْم عن عُرْوَة، والبيهقي عن ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: قَدِم على رسول الله ﷺ وَفْدُ بني عامر، فيهم عامر بن الطُّفَيْل، وأَرْبَد ابن قيس، وجَبَّار بن سلمى، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم [فقدم عامر بن الطُّفَيْل عَدُوّ الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الغَدْرَ به] - قلت وجَبَّار بن سلمى هذا هو قاتل عامر بن فُهَيْرَة ببئر مَعُونة وأسلم مع من أسلم من بني عامر والله أعلم - وقد قال لعامر بن الطُّفَيْل قَوْمُه: يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسْلِمْ. قال: والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تَتْبَعَ العربُ عَقِبِي، أَفَأَتْبَعُ عَقِبَ هذا الفتى من قريش؟ ثم قال الأَرْبَد: إذا قَدِمنا على الرجل فَسَأَشْغَلُ عَنْكَ وَجْهَه، فإذا فَعَلتُ ذلك فَاعْلُهُ بالسَّيْف.

وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فإن الناس إذا قتلت محمداً لم تزد على أن تلتزم بالدِّيَة وتكره الحرب فسنعطيهم الدية، قال أربد: افعل. فلما قَدِموا على رسول الله ﷺ، قال ابن عباس: وانتهى إليه عامر وأربد، فجلسا بين يديه. قال ابن إسحاق. قال عامر بن الطفيل: يامحمد خَالِّنِي. قال:«لا والله حتى تُؤْمِنَ بالله وحده لا شريك له» قال: يا محمد خَالِّنِي، وجعل يُكَلِّمُه وينتظر من أربد ما كان أَمَرَه به. لعل أَرْبَد لا يُحِير شيئاً. وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إن يَدَ أَرْبَد يَبِسَتْ على السيف فلم يستطع سَلَّه. قال ابن إسحاق: فلما رأى عامر أَرْبَدَ ما يصنع شيئاً قال: يا محمد خَالِّنِي. قال:«لا والله حتى تُؤمِنَ بالله وحده لا شريك له». وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فقال عامر: ما تجعل لي يا محمد إن أسلمت؟ فقال رسول الله ﷺ:«لَكَ ما للمسلمين وعَلَيْكَ ما عليهم». قال عامر: أتجعل لي الأَمْرَ بعدك إن أسلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك لك ولا لِقَومِك ولكن لك أَعِنَّةُ الخَيْل». قال: أنا الآن في أَعِنَّة خَيْل نجد، أتَجْعَل لي الوَبَرَ ولك المدَرَ؟ قال رسول الله ﷺ:«لا». فلما قاما عنه قال عامر: أَمَا والله لأملأنَّها عليك خَيْلاً ورجالاً. فقال رسول الله ﷺ:«يَمْنَعُكَ الله عز وجل[1]».

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣١٩/٥ وذكره ابن كثير في البداية ٥٧/٥ والهيثمي في المجمع ٤٤/٧ وعزاه للطبراني في الأوسط والكبير بنحوه.

وفي حديث موله بن [كثيف] بن حمل: والله يا محمد لأَمْلأَنَّها عليك خيلاً جُرْداً ورجالاً مُرْداً وَلأَرْبطَنَّ بكل نَخْلَة فرساً. فقال رسول الله ﷺ:«اللَّهُمَّ اكْفِني عَامِراً»(١). زاد موله: «واهْدِ قَوْمه».

قال ابن إسحاق: فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأَرْبَد: ويْلَكَ يا أَرْبَد: أين ما كنت أمَرْتُكَ به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخْوَفُ عندي على نفسي منك وأيم الله لا أخافُك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبَالَك لا تَعْجَل عَلَيّ، والله ما هَمَمْتُ بالذي أمرتني به من أمْرِه إلا دَخَلتَ بيني وبين الرجل حتى ما أرَى غَيْرَك، أفأَضْرِبُكَ بالسيف؟.

وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فلما خرج أرْبَد وعامر من عند رسول الله ﷺ حتى إذا كان بِحَرّة وأقم نَزَلا فخرج إليهما سعد بن مُعَاذ وأُسَيْد بن الحُضَيْر فقالا: أشْخِصَا يا عَدُوَّا الله عز وجل لعنكما الله. فقال عامر: مَنْ هذا يا أرْبَد؟ قال: هذا أُسَيْد ين الحُضَيْر، فخرجا.

وروى البيهقي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة رحمه الله، قال: مكث رسول الله ﷺ يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً:«اللهم اكْفِنِي عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه داءً يقتله». حتى إذا كان بالرَّقَم بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عُنُقه فقتله الله في بيت امرأة من بني سَلُول. فجعل يَمَسُّ قُرْحَته في حَلْقه ويقول يا بني عامر أغُدَّة كغُدَّة البَكْر في بيت امرأة من بني سَلُول(٢)؟.

زاد ابن عباس: يرغب أن يموت في بيتها. ثم ركب فَرَسَه فأحضرها وأخذ رُمْحَه وأقبل يَجُول، فلم تزل تلك حَالُه حتى سقط فَرَسَه ميتاً. قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قَدِموا أرض بني عامر شاتِّين. فلما قَدِموا أتاهم قَوْمُهم فقالوا: ما وراءك يا أرْبَد؟ قال: لا شيء والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنَّبْل حتى أقتله. فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جَمَل له يَتْبَعُه، فأرسل الله عز وجل عليه وعلى جَمَله صَاعِقَة فأحرقتهما. وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: حتى إذا كان بالرَّقَم أرسل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته.

قال ابن عباس وابن إسحاق: وأنزل الله عزوجل في عامر وأرْبَد: ﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى**﴾ [الرعد ٨] من ذَكَر وأنثى وواحِدٍ ومُتَعدِّد ﴿**وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ**﴾ أي ما

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٢١/٥ والطبراني في الكبير ١٥٥/٦ وذكره الهيثمي في المجمع ١٢٦/٦ وابن كثير في البداية ٥٧/٥.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣١٩/٥.

تنقص الأرحام من عدة الحمل وما تزداد منه. ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ أي بمقدار واحد لا يتجاوزه. ﴿عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شَهِد ﴿الكَبِيرُ﴾ العظيم ﴿المُتَعَالِ﴾ على خَلْقِه بالقهر - بياءٍ ودونها - ﴿سَوَاءٌ مِنْكُم مَنْ أَسَرَ القَوْلَ وَمَنْ جَهَر بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ أي مستتر بِظُلْمَة الليل وسارب أي ظاهر بذهابه في سِرْبِه أي طريقه بالنهار. ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ له أي للإنسان، مُعَقِّبَات ملائكة تَعْتَقِبُه بين يَدَيْه: قُدَّامه، ومن خلفِهِ: ورائه، يحفظونه من أمر الله أي بأمره من الجِنّ وغيره. ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يَسْلُبُهم نِعْمَتَه ﴿حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية. ﴿وإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سوءاً﴾ عذاباً ﴿فلا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المُعَقِّبَات وغيرها. ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ أي إنْ أراد الله بهم سوءاً ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي غير الله ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿والٍ﴾ يمنعه عنهم. ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البرْقَ خَوْفاً﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وطَمَعاً﴾ للمُقِيم في المَطَر ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ أي يخلق السحاب الثقال بالمَطَر. ﴿ويُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ الرَّعْد هو مَلَك مُوَكَّل بالسحاب يسوقه يقول سبحان الله وبحمده يُسَبِّح. ﴿والمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي من خَشْيَةِ الله تعالى. ﴿ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نَارٌ تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشَاءُ﴾ فَيُحْرِقُه، نزل في رجل بعث إليه رسول الله ﷺ من يَدْعوه فقال: مَنْ رسول الله؟ ومَنْ الله؟ أمِنْ ذَهَبٍ هو أم من فِضَّةٍ أو نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقِحْفِ رأسِه. ﴿وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللهِ﴾ وهم أي الكُفَّار، يجادلون أي يخاصمون النبي ﷺ في الله ﴿وهُوَ شَدِيدُ المحَالِ﴾ أي القُوَّة والأخذ.

تنبيهات

الأول: قد اختُلِف في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ وقوله: ﴿ويُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وغير ذلك مما مَحَلُّه كُتُب التفسير.

الثاني: قال في البداية: والظاهر أن قصة عامر بن الطفيل متقدمة على الفتح وإن كان ابن إسحاق والبيهقي قد ذكراها بعد الفتح.

الثالث: من العجائب والغرائب ذِكْرُ الحافظ المُسْتَغْفِري أن عامر بن الطفيل هذا في الصحابة وغَلَّطُوه في ذلك، والموقع له فيه ما رواه من طريق القاسم عن أبي أُمَامَة عن عامر بن الطُّفَيْل أنه قال: يا رسول الله زَوِّدْنِي كلمات [أعيش بهن] قال: «يا عامر افْشِ السلام وأَطْعِمْ الطعام واسْتَحِي من الله كما تَسْتَحِي رجلاً من أَهْلِك، وإذا أَسَأْتَ فأَحْسِنْ فإن الحَسَنَات يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات» فَعَامِر هذا أَسْلَمي لا عامِرِيّ. فقد روى البغوي عن عبد الله بن بُرَيْدَة الأسلمي قال: حدثني عَمِّي عامر بن الطُّفَيْل فذكر حديثاً فَعُرِفَ أن الصحابي أسلمي وافق اسمُه واسمُ أبيه

العامري فكان ذلك سبب وَهْم المستغفري فساق في نَسَب الصحابي نَسَب عامر بن الطُّفَيْل العامري. وعن أبي جُحَيْفَة رضي الله تعالى عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ بالأبْطَح وهو قُبَّةٍ له حمراء فقال:«مَنْ أنْتُمْ» قلنا: بنو عامر فقال:«مَرْحَباً أنتم مِنِّي»، وفي رواية:«مَرْحَباً بكم»، وفي رواية «فأنا منكم». رواه الطبراني أبو يَعْلَى ورجاله رجال الصحيح غير الحَجَّاج بن أرطاة فهو مُدَلِّس(١).

الرابع: في بيان غريب ما سبق:

أرْبَد: بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الموحدة وبالدال المهملة: مات كافراً كما سيأتي.

جَبَّار بن سلمى: جَبَّار بفتح الجيم وتشديد الموحدة وبالراء، سُلْمَى بضم السين وسكون اللام. وقال في الإملاء يُرْوَى هنا بفتح السين وضمها والصواب بفتح السين قال كذا في النور، والذي أعرفه الضَّمّ.

أَسْلِمْ: بفتح أوله وسكون الميم فِعْل أمْر.

آلَيْتُ: بِمَدّ الهمزة أقسمت وحلفت.

خَالِّنِي: بخاء معجمة وبعد الألف لام مشددة مكسورة من المُخَالَّة وهي المُصَادَقة أي اتخذني خليلاً وصاحباً وَرُوِيَ بتخفيف اللام أي تفرد لي خالياً حتى اتخذك معي.

لا يحير: بفتح التحتية وبحاء مهملة أي لا يصنع شيئاً مما وعَدَ به.

في بيت مرأة من بني سُلُول بن صَعْصَعَة: وكان عامر بن الطفيل من بني عامر بن صَعْصَعَة فلذلك اختَصَّها لقُرْب النَّسب بينهما حتى مات في بيتها قاله السُّهَيْلي. وفي الاملاء ما سبق عامر على موته لأن بني سلول موصوفون عندهم باللؤم وليس ذلك في أصولهم.

أغُدَّةً بالنَّصْب أي أَغَدَّ غُدَّةً.

وَدِدْتُ: بكسر الدال المهملة.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥٤/١٠ وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى وقال: فيه الحجاج بن أرطأة وهو مدلس وبقية رجاله رجال الصحيح.

الباب الثالث والستون

في وفود عبد الرحمن بن أبي عقيل إليه صلى الله عليه وسلم

روى البخاري رحمه الله تعالى في التاريخ، والحارث بن أبي أسَامة، وابن مَنْدَه، والطبراني، والبزار، والبيهقي، برجال ثقات عن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي رضي الله تعالى عنه قال: انطلقت في وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ فأتيناه فأنَخْنَا بالباب وما في الناس رجل أبغض إلينا من رجل نَلِجُ عليه فلما خرجنا بعد دخولنا عليه فخرجنا وما في الناس أحَبُّ إلينا من رجل دخلنا عليه قال: فقال قائل منا: يا رسول الله ألاَ سألْتَ رَبَّك مُلْكاً كَمُلْكِ سليمان؟ قال: فَضَحِكَ رسول الله ﷺ، ثم قال: «فَلَعَل لصاحبكم عند الله أفضل من مُلْك سليمان عليه السلام، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوةً فمنهم من اتخذ بها دُنْيَا فأُعْطِيَها، ومنهم من دَعَا بها على قَوْمِه إذ عَصَوْه فأُهْلِكُوا بها، وإن الله عز وجل أعطاني دَعْوَةً فَاخْتَبَأْتُهَا عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة[(١)]».

الباب الرابع والستون

في وفود بني عبد بن عدي إليه صلى الله عليه وسلم

روى المدائني، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وغيره قال: قَدِم وفْد بني عبْد بن عَدِيّ فيهم الحارث بن وَهْبَان وعُوَيْمِر بن الأخرم، وحبيب وربيعة ابنا ملَّة ومعهم رهط من قومهم.

فقالوا: يا محمد نحن أهل الحَرَم وساكنيه وأعَزُّ مَنْ به، ونحن لا نريد قتالك، ولو قاتلك غير قريش قاتلنا معك، ولكنا لا نقاتل قريشاً، وإنا لَنُحِبُّك ومَنْ أنت منه، وقد أتيناك فإن أصَبْتَ منا أحداً خطأً فعليك دِيَّتُه، وإن أصبنا أحداً من أصحابك فعلينا دِيَّتُه إلا رجلاً منا قد هَرَب فإن أصَبْتَه أو أصابه أحَدٌ من أصحابك فليس علينا ولا عليك. فقال عويمر بن الأخرم: دعوني آخذ عليه.

قالوا: لا، محمد لا يَغْدِر ولا يريد أن يُغْدَر به. فقال حبيب وربيعة: يا رسول الله إن أُسَيْد بن أبي أُنَاس هو الذي هرب وتبرأنا إليك منه وقد نال منك. فأباح رسول الله ﷺ دَمَه، وبلغ أُسِيد أقوالهما لرسول الله ﷺ، فأتى الطائف فأقام به. فلما كان عام الفتح كان أُسِيد بن أبي أُنَاس فيمن أُهْدِر دَمُه. فخرج سارية بن زُنَيْم إلى الطائف فقال له أسيد: ما وراءك؟ قال:

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣٧٤/١٠ وعزاه للطبراني والبزار وقال: ورجالهما ثقات.

أظهر الله تعالى نَبِيَّه ونصره على عَدُوه فاخرج يا بن أخي إليه فإنه لا يقتل من أتاه.

فحَمَل أسيد إمرأته وخرج وهي حامل تنتظر، وألْقَتْ غلاماً عند قَرْن الثعالب وأتى أسيد أهْلَه فلبس قميصاً واعْتَمّ ثم أتى رسول الله ﷺ، وسارية قائم بالسيف عند رأسه يحرسه. فأقبل أسيد حتى جلس بين يدَيّ رسول الله ﷺ وقال: يا محمد أهْدَرْتَ دَمَ أسيد؟ قال:«نعم» قال: أتقبلُ منه إن جاء مؤمناً؟ قال:«نعم». فوضع يَدَه في يد رسول الله ﷺ فقال: هذه يدي في يدك أشهد أنك رسول الله وألا إله إلا الله. فأمر رسول الله ﷺ رجلاً يصرخ أن أسيد بن أبي أُنَاس قد آمن وأمَّنَهُ رسول الله ﷺ ومَسَح وَجْهَه وألْقَى يَدَه على صَدْرِه. ويقال إن أسيد كان يدخل البيت المظلم فيُضِيء. وقال أسيد بن أبي أُنَاس:

أأَنْتَ الَّذِي تَهْدِي مَعَدّاً لِدِينِهَا ... بَلِ اللهُ يَهْدِيْهَا وَقَالَ لَكَ أشْهَدِ
فَمَا حَمَلتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ كُورِهَا ... أبَرَّ وأوْفَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدِ
وأكْسَى لِبُرْدِ الحَالِ قَبْلَ ابْتِذَالِهِ ... وأعْطَى لِرَأسِ السَّابِقِ المُتَجَرِّدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أنَّكَ قَادِرٌ ... عَلَى كُلِّ حَيٍّ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ
تَعَلَّمْ بِأنَّ الرَّكْبَ رَكْبُ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكَاذِبُونَ المُخْلِفُو كُلِّ مَوْعِدِ
أنْبُوا رَسُولَ اللهِ أنْ قَدْ هَجَوْتُهُ ... فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيَّ إذَنْ يَدِي
سِوَى أنَّنِي قَدْ قُلْتُ وَيْلُ أمِّ فِتْيَةٍ ... أصِيبُوا بِنَحْسٍ لا يُطَاقُ وَأسْعَدِ
أصَابَهُم مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ ... كَفِيئاً فَعَزَّتْ حَسْرَتِي وتَنَكُّدِي
ذُوَيْبٌ وكُلْثُومٌ وَسَلْمَى تَتَابَعُوا ... جَمِيعاً فَإنْ لاَ تَدْمَعِ العَيْنُ تَكْمَدِ

فلما أنشده: أأَنتَ الذي يَهْدِي مَعَدّاً لدينها، قال رسول الله ﷺ:«بل الله يَهْدِيها». فقال الشاعر: «بل الله يَهْدِيها وَقَالَ لَكَ اشْهَدِ».

الباب الخامس والستون

في وفود عبد القيس إليه صلى الله عليه وسلم
وإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلوعهم قبل قدومهم.

روى أبو يَعْلَى، والطبراني بسند جَيِّد، والبيهقي عن مَزِيدَة بن مالك العَصَرِيّ، وأبو يَعْلَى عن الأَشَجّ العَبْدي رضي الله تعالى عنهما[1]، قال الأول: بينما رسول الله ﷺ يُحدِّث أصحابه إذ قال لهم: «سَيَطْلَع عليكم من هاهنا رَكْبٌ هم خَيْرُ أهلِ المَشْرِق». فقام عمر رضي الله تعالى عنه فتوجَّه نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكباً فقال: «من القوم؟» فقالوا: من بني عبد القَيْس. قال: «فما أَقْدَمَكُمْ أَلِتِجَارة؟» قالوا: لا. قال: أَمَا أن النبي ﷺ قد ذكركم آنفاً فقال خيراً.

ثم مشوا معه حتى أتوا النبي ﷺ. فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدون، فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم فمنهم مَنْ مَشَى ومنهم مَنْ هَرْوَل ومنهم مَنْ سَعَى حتى أتوا النبي ﷺ، فابتدره القوم ولم يَلْبَسوا إلا ثياب سفرهم، فأخذوا بيده فَقَبَّلُوها، وتَخَلَّف الأَشَجّ وهو أصغر القوم في الرِّكَاب حتى أَنَاخَها، وجمع مَتَاع القوم وذلك بِعَيْنِ رسول الله ﷺ.

وفي حديث الزَّارِعي بن عامر العَبْدِي عند البيهقي: فجعلنا نَتَبَادَرُ من رواحلنا فَنُقَبِّل يد رسول الله ورِجْلَه، وانتظر المُنْذر الأَشَجّ حتى أتى عَيْبَتَه فلبس ثوبيه. وفي حديث عند الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه: فأَخْرَج ثوبين أَبْيضين من ثيابه فلبسهما ثم جاء يَمْشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقَبَّلَها، وكان رجلاً دَمِيماً، فلما نظر ﷺ إلى دَمَامته قال: يا رسول الله إنه لا يُسْتَقَى في مُسُوكِ الرجال إنما يُحْتَاج من الرجل إلى أَصْغَرَيْه لسانه وقلبه. فقال له رسول الله ﷺ: «إن فيك خَصْلَتَيْن يُحِبُّهما الله ورسوله الحِلْم والأَنَاة». قال: يا رسول الله أنا أَتَخَلَّق بهما أم الله جَبَلَني عليهما؟ قال: «بل الله تعالى جَبَلَك عليهما». قال: الحمد لله الذي جبلني على خَلَّتَيْن يُحبُّهما الله تعالى ورسوله. قال: «يا معشر عبد القيس مالي أرى وجوهكم قد تَغَيَّرت؟» قالوا: يا نبيّ الله نحن بأرض وَخِمَة وكنا نتخذ من هذه الأنبذة ما يقطع من بطونها، فلما نَهَيْتَنَا عن الظروف فذلك الذي ترى في وجوهنا.

فقال رسول الله ﷺ: «إن الظروف لا تُحِلُّ لا تُحَرِّم ولكن كل مُسْكِر حرام وليس أن تجلسوا فتشربوا حتى إذا ثملت العروق تفاخرتم فوثب الرجل على ابن عمِّه بالسيف فتركه أعرج». قال: وهو يومئذ في القوم الأعرج الذي أصابه ذلك. وأقبل القوم على تمرات لهم

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٢٧/٥ وانظر البداية والنهاية ٤٧/٥.

يأكلونها، فجعل رسول الله ﷺ يسمي لهم هذا كذا وهذا كذا، قالوا: أجل يا رسول الله ما نحن بأعْلَم بأسمائها منك. وقالوا لرجل منهم: أَطْعِمْنا من بقية الذي بَقِي في نَوْطِك فقام وجاءه بالبَرْنِيّ. فقال رسول الله ﷺ: «هذا البَرْنِيّ أَمْسَى من خير ثمراتكم».

وروى ابن سعد(١) عن عُرْوَة بن الزبير رحمه الله تعالى قال: وحدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قالا: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل البحرين أن يَقْدَمَ عليه عشرون رجلاً منهم، فقدم عليه عشرون رجلاً رأسهم عبد الله بن عوف الأشَجّ، وفيهم الجارود، ومُنْقِذ بن حَيّان، وهو ابن أخت الأشَجّ، وكان قدومهم عام الفتح، فقيل: يا رسول الله هؤلاء وفد عبد القيس. قال: «مرحباً بهم نِعْمَ القوم عبد القَيْس». قال: ونظر رسول الله ﷺ إلى الأُفُق صبيحة ليلة قدموا وقال: «لِيَأتِيَنَّ رَكْبٌ من المشرق لم يُكْرَهوا على الإسلام قد أَنْضَوْا الرِّكَاب وأَفْنَوا الزاد بصاحبهم علامة، اللهم اغْفِرْ لعبد القَيْس، أَتَوْني لا يَسْأَلوني مالاً، هم خَيْرُ أهل المَشْرِق». قال: فجاءوا عشرين رجلاً ورأسهم عبد الله بن عوف الأشَجّ، ورسول الله ﷺ في المسجد، فسَلَّموا عليه، وسألهم رسول الله ﷺ: «أيُّكُم عبد الله الأشَجّ؟» فقال: أنا يا رسول الله، وكان رجلاً دَمِيماً، فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «إنه لا يُسْتَقَى في مسوك الرجال، إنما يُحْتَاج من الرجال إلى أَصْغَرَيْه لِسَانِهِ وقَلْبِه».

وذكر نحو ما سبق. وروى الإمام أحمد عن الزَّارِع بن عامر أنه قال: يا رسول الله إن معي رجلاً خالاً لي، مُصَاباً فادْعُ الله تعالى له. فقال: «أين هو؟ ائتني به». قال: فصنعتُ مِثْلَ ما صنع الأشَجّ، أَلْبَسْتُه ثوبيه وأَتَيْتُه به، فأخذ طائفة من ردائه فرفعها حتى بان بياض إِبْطِه، ثم ضرب ظَهْرَه وقال: «اخْرُجْ عَدُوّ الله». فأقبل ينظر نظر الصحيح ليس بنظره الأول، ثم أقعده بين يَدَيْه فدعا له وشَجّ وَجْهه، فلم يكن في الوفد أحد بعد دعوة رسول الله ﷺ يَفْضُل عليه.

وروى الشيخان(٢) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم وفد عبد القَيْس على رسول الله ﷺ فقال: «من القوم؟» قالوا: من ربيعة. قال: «مرحباً بالقوم غير خَزَايا ولا نَدَامَى». فقالوا: يا رسول الله إنا نأتيك من شُقَّة بعيدة وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحيّ من كُفَّار مُضَر وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، وفي رواية: لا نستطيع أن نأتيك إلا في الأشهر الحرم فمُرْنا بأمرٍ فَصْل إن عملنا به دخلنا الجَنَّة. قال: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع» قال: أَمَرَهم بالإيمان بالله وحدَه وقال: «هل تَدْرون ما الإيمان بالله؟». [قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:]«شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصَوْم رمضان وأن تُعْطُوا

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٥٤/٢/١.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٦٦) ومسلم ١/ ٤٧(٢٤-١٧).

الخُمُس من المَغْنَم، وأنهاكم عن أربع: عن الدُّبّاء والحَنْتَم والمُزَفَّت والنَّقِير - وربما قال المُقَيَّر - فاحْفَظُوهُنَّ وادْعوا إليهن من وراءكم». قالوا: يا نَبيّ الله ما عِلْمُكَ بالنَّقِير؟ قال: «بَلَى جِذْعٌ تَنْقُرُونَه فَتَقْذِفون فيه من القُطَيْعَاء» - أو قال: «من التمر - ثم تَصُبُّون فيه من الماء حتى إذا سكن غَلَيَانُه شربتموه حتى أن أحدكم لَيَضْرِبُ ابن عمّه بالسيف». قال: وفي القوم رجلٌ أصابته جِرَاحة كذلك. قال: وكنت أَخْبَأُها حياءً من رسول الله ﷺ. قالوا: فَفِيم نَشْرَبُ يا رسول الله؟ قال: «في أَسْقِيَةِ الأُدُم التي يُلاثُ على أفواهها». فقالوا: يا رسول الله إن أَرْضَنَا كثيرة الجِرْذَان ولا تَبْقَى بها أَسْقِيَةُ الأُدُم [فقال نبي الله ﷺ]: «وإِنْ أَكَلَتْهَا الجِرْذَان»، مرتين أو ثلاثاً.

ثم قال رسول الله ﷺ لأَشَجّ عبد القيس: «إنَّ فيك لَخَصْلَتَيْن يُحِبُّهما الله ورسوله الحلم والأناة».

وروى الإمام أحمد(١) عن شهاب بن عَبّاد أنه سمع بعض وفد عبد القيس يقول: قال الأشج: يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة وَخِمَة وإنا إذا لم نشرب هذه الأشربة هيجت أَلواننا وعَظُمَت بطوننا فَرَخِّص لنا في هذه وأَوماً بِكَفَّيْه. فقال: «يا أَشَجّ إني إن رَخَّصْتُ لك في مثل هذه» - وقال بفكيه هكذا -«شربته في مثل هذه» - وَفَرَّج يديه وبسطهما يعني أعظم منها - «حتى إذا ثَمِلَ أحدكم من شرابه قام إلى ابن عمّه فهَزَرَ سَاقَه بالسيف».

وكان في القوم رجل يقال له الحارث قد هُزِرَتْ ساقُه في شراب لهم في بيت من الشِعْر تَمَثَّلِ به في امرأة منهم، فقال الحارث: لما سمعتها من رسول الله ﷺ جعلت أُسْدِل ثوبي فأُغَطِّي الضربة بساقي وقد أبداها الله تعالى لنبيه ﷺ.

وروى الحاكم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن وفد عبد القيس من أهل هَجَر قدموا على رسول الله ﷺ، فبينما هم عنده إذ أقبل عليهم فقال: «لكم تمرة تَدْعونها كذا، وتمرة تدعونها كذا». حتى عَدّ ألوان تمرهم أجمع. فقال له رجل من القوم: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، لو كنت وُلِدْتُ في هَجَر ما كنت بأعلم منك الساعة، أشهد أنك رسول الله فقال: «إنَّ أَرْضَكُمْ رُفِعَتْ لي منذ قعدتم إلَيّ فنظرت من أدناها إلى أقصاها، فَخَيْرُ تمركم البَرْني الذي يَذْهَبُ بالداء ولا داء معه»(٢).

وروى البخاري(٣) رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «إن أَوّل

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢٠٧/٤ وذكره المتقي الهندي في الكنز (١٣٢٥٢).
(٢) أخرجه الحاكم ٢٠٤/٤ وذكره المتقي في الكنز (٣٥٣١٥).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة (٨٩٢).

جُمُعَة جُمِّعَتْ بعد جُمُعَة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بِجُوَاثَى من البحرين». ورُوِيَ أيضاً عن أُمّ سلمة أن رسول الله ﷺ أَخَّر الرَّكْعتين بعد الظُّهْر بسبب اشتغاله بوفد عبد القيس حتى صَلاَّهما بعد الظهر في بيتها. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ أَهْلِ المشرق عبد القيس»، رواه البزار، والطبراني برجال ثقات غير وَهْب بن يحيى. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خير أهل المشرق عبد القيس»، رواه الطبراني برجال ثقات.

وعن نوح بن مخلد رضي الله تعالى عنه أنه أتى رسول الله ﷺ وهو بمكة فسأله: «مِمَّنْ أنت؟» فقال: أنا من بني ضُبَيْعَة بن ربيعة. فقال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ ربيعة عبد القيس ثم الحَيّ الذي أنت منهم». رواه الطبراني وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أنا حَجِيج مَنْ ظَلَمَ عبد القيس»، رواه الطبراني(١).

تنبيهات

الأول: قال في البداية في سياق حديث ابن عباس ما يدل على أن قدوم وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة لقولهم: وبيننا وبينك هذا الحَيّ من مُضَر ولا نَصِل إليك إلا في شهر حَرَام. قال الحافظ: هذا الحديث دليل على تقدم إسلام عبد القيس على قبائل مُضَر الذين كانوا بينه وبين المدينة، وكانت مساكن عبد القيس بالبحرين وما والاها من أطراف العِرَاق، ولهذا قالوا كما في رواية شُعْبَة عن أبي جَمرَة في العِلْم: وإنَّا نأتيك من شُقَّة بعيدة. ودَلَّ على سَبقِهِم في الإسلام أيضاً ما رواه العَقَدِيّ في الجمعة من طريق أبي جَمْرَة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «أن أوَّل جُمُعة جُمِّعَتْ بعد جُمُعَة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بِجُوَاثَى من البحرين» - وجُوَاثَى بضم الجيم فواو وبعد الألف مثلثة مفتوحة - وإنما جَمَّعوا بعد رجوع وفدهم إليهم، فَدَلَّ على أنهم سبقوا جميع القُرَى إلى الإسلام.

الثاني: قال النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم: «إن وفد عبد القيس كانوا أربعة عشر راكباً: الأَشَجّ العَصَرِي رئيسهم، واسمه المُنْذِر بن عائذ، بالذال المعجمة، وقيل: عائذ بن المُنْذِر، وقيل: ابن عُبَيْد. والعَصَرِي بفتح العين والصاد المهملتين وبالراء. ومُنْقِذ ابن حِبَّان. ومَزِيدَة بن مالك المُحَارِبي. وعُبَيْدة بن هُمَام المُحَارِبي. وصُحَار بن عَبَّاس ألْمُرِّي صُحَار بصاد وحاء مهملتين - وعمرو بن مَرْجُوم العَصَرِي. والحارث بن شُعَيْب العصَرِي. والحارث بن جُنْدَب من بني عائِش. ولم نَعْثُر بعد طول التَّتَبُّع على أكثر من أسماء هؤلاء».

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/٥٢ وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط وقال: وفيه من لم أعرفهم.

وقال الحافظ: «ومنهم عُقْبَة بن جَرْوَة، وجُوَيْرِية العَبْدِي، والجَهْم بن قُثَم، ورَسِيم العَبْدِي». وما ذكره من الوفد كانوا أربعة عشر راكباً، لم يذكر دليلهم.

وفي المعرفة لابن مَنْدَة من طريق هود [بن عبد الله] العَصَرِي - بعين وصاد مهملتين مفتوحتين نِسْبَةً إلى عَصَر بطن من عبد القيس - عن جدّه لأمّه مَزِيدة قال: فبينما رسول الله ﷺ يحدّث أصحابه إذ قال لهم: «سيطْلُع لكم من هذا الوجه رَكْبٌ هم خير أهل المشرق». فقام عمر رضي الله تعالى عنه فلقي ثلاثة عشر راكباً فرحب وقرب وقال: من القوم؟ قالوا: وفد عبد القيس. فيمكن أن يكون أحد المذكورين كان غير راكب أو مردوفاً. وأما ما رواه الدُّولاَبي وغيره من طريق أبي خَيْرَة - بفتح الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية وبعد الراء هاء - الصُّبَاحِي - وهو بضم الصاد المهملة بعدها مُوَحّدة خفيفة وبعد الألف حاء مهملة - قال: «كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله ﷺ - من وفد عبد القيس - وكُنَّا أربعين راكباً». فيمكن الجمع بينه وبين الرواية الأخرى، وبأن الثلاثة عشر كانوا رؤوس الوفد فلهذا كانوا رُكْبَاناً وكان الباقون أتباعاً، ومنهم أخو الزارع، واسمه مَطَر، وابن أُخته لم يُسَمّ، وجابر بن الحارث، وخُزَيْمَة بن عَبْد عمرو، وجارية بن جَابِر، وهُمَام بن ربيعة، ونوح بن مُخَلَّد جدّ أبي جَمْرَة. وإنما أَطَلْتُ في هذا الفصل لقول صاحب المُحَرَّر إنه لم يظفر بعد طول التَّتَبُّع على غير ما ذكره، وما ذكره ابن سعد من أنهم عشرون مُجْمَعٌ عليه وليس ثلاثة عشر، فإن البقية أتباع.

الثالث: قولهم: إلاَّ في شهر حَرَام، وفي لفظ: الشهر الحرام، والمراد به شهر رجب وكانت مُضَر تبالغ في تعظيمه ولذا أُضيف إليهم في حديث أبي بُكْرَة حيث قال: رجب مُضَر. والظاهر أنهم كانوا يَخُصُّونَه بمزيد التعظيم مع تحريمهم القتال في الأشهر الثلاثة الأُخر، ولذا ورد في بعض الروايات: الأشهر الحُرُم، وفي بعضها: إلاَّ في كل شهر حرام.

الرابع: قال الحافظ: كيف قال آمركم بأربع؟ والمذكورة خمس. وقد أجاب عنه القاضي عِياض تَبَعاً لابن بَطَّال: كان الأربع ما عدا أداء الخُمُس. قال: وكأنه أراد إعلامهم بقواعد الإيمان وفروض الأعيان، ثم أعلمهم بما يلزمهم إخراجه إذا وقع لهم جهاد، لأنهم كانوا بصدد محاربة كُفَّار مُضَر، ولم يقصد إلى ذكرها بعينها لأنها مُسَبَّبَة عن الجهاد، ولكن الجهاد إذ ذاك كان فَرْضَ عَيْن. قال: وكذلك لم يذكر الحجّ لأنه لم يكن فُرِض. ثم قال بعد أن ذكر غير ذلك، وما ذكره القاضي عِيَاض رحمه الله تعالى المُعْتَمَد، والمراد شهادة ألا إله إلا الله، أي مع وأن محمداً رسول الله، كما صَرَّح به في رواية عَبَّاد بن عَبَّاد في المواقيت.

الخامس: قال الحافظ: إنما أخبرهم ببعض الأوامر لكونهم سألوه أن يخبرهم بما يدخلون بفعله الجَنَّة، فاقتصر لهم على ما يمكنهم فعله في الحال، ولم يقصد إعلامهم بجميع

الأحكام التي تجب عليهم فِعْلاً وتَرْكاً، ويدُلّ على ذلك اقتصاره في المَنَاهي على الانتباذ في الأوعية، مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم من الانتباذ لكن اقتصر منها عليها لكثرة تعاطيهم لهذا.

السادس: قوله: «وأنهاكم عن أربع» جواباً عن الأشربة من إطلاق المَحَلّ وإرادة الحال، أي ما في الحَنْتَم ونحوه. قال الحافظ: وصَرَّح بالمراد في رواية النَّسَائي من طريق قُرَّة فقال: «وأنْهاكم عن أربع ما يُنْبَذ في الختم». الحديث.

السابع: سبب وفودهم أن مُنْقِذ بن حِبَّان أحد بني غَنْم بن وديعة كان مَتْجَرُه إلى يَثْرِب في الجاهلية، فَشَخَصَ إلى يَثْرِب بمَلاَحِفَ وتَمْر من هَجَر بعد هجرة النبي ﷺ إليها. فبينا مُنْقِذ قَاعِد إذ مَرَّ به النبي ﷺ، فنهض مُنْقِذ إليه فقال النبي ﷺ: «أَمُنْقِذ بن حبان كيف جميع هَيْأَتِك وقَوْمِك؟» ثم سأله عن أشرافهم رجل رجل، يُسَمِّيهم بأسمائهم. فأسلم مُنْقِذ وتعلَّم سورة الفاتحة واقرأ باسم ربِّك، ثم رحل قِبَل هَجَر. فكتب النبي ﷺ معه إلى جماعة عبد القَيْس كتاباً، فذهب به وكَتَمه أياماً، ثم اطَّلَعت عليه امرأته وهي بنت المنذر بن عائذ ـ بالذال المعجمة ـ ابن الحارث، والمنذر هو الأشَجّ سَمَّاه النبي به لأثَرٍ كان في وجهه.

وكان مُنْقِذ رضي الله تعالى عنه يُصَلِّي ويقرأ، فأنكرت امرأته ذلك، وذكرته لأبيها المنذر، فقالت: «أَنْكَرْتُ بَعْلِيَ منذ قدم من يَثْرِب، إنه يَغْسِل أطرافه ويستقبل الجهة تَعْنِي القِبْلَة، فَيُحْنِي ظَهْرَه مَرَّة، ويَضَع جَبِينَه مرَّة، ذلك دَيْدَنُه منذ قدم». فتلاَقَيا فتجَارَيَا ذلك. فوقع الإسلام في قلبه.

ثم سار الأشَجّ إلى قومه عَصَرَ ومُحَارَب بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه عليهم فوقع الإسلام في قلوبهم وأجمعوا على المسير إلى رسول الله ﷺ فسار الوفد فلما دنوا من المدينة قال النبي ﷺ لجلسائه: «أتاكم وفد عبد القيس خير أهل المشرق [وفيهم الأشَجّ العَصَري غير ناكثين ولا مُبَدِّلِين ولا مُرْتَابين إذ لم يُسْلِم قوم حتى وتروا]».

الثامن: في بيان غريب ما سبق:.

الأشَجّ: بهمزة فشين معجمة مفتوحتين فجيم.

عبد القَيْس: بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة فسين مهملة.

ابن أَفْصَى: بفتح الهمزة وبالفاء والصاد المهملة. ابن دُعْمِيّ بن جَدِيلَة بن أَسَد بن ربيعة بن نِزَار، وكانوا ينزلون البَحْرَيْن: الخَطّ والقَطِيف والسَّفَار والظَّهْرَان إلى الرَّمْلَة ما بين هَجَر إلى حد أطراف الدهناء.

الرِّكَاب: تقدم الكلام عليها غير مَرَّة.

هَرْوَلَ: بهاء مفتوحة فراء ساكنة فواو فلام مفتوحتين: أي أسرع إسراعاً بين المشي والعَدْو.

العَيْبَة: تقدم الكلام عليها.

يُشتَقَى: بضم المثناة التحتية وسكون السين المهملة فمثناة فوقية فقاف.

المسوك: بميم مضمومة فسين مهملة فواو فكاف جمع مَسْك وهو الجلْد.

الخُلَّة: بخاء معجمة مضمومة فلام مفتوحة فتاء تأنيث: الصداقة.

الحِلْم: بحاء مهملة مكسورة فلام ساكنة فميم العَقْل.

الأَنَاة: بهمزة فنون مفتوحتين فألف فتاء تأنيث: التَّثَبُّت وتَرْك العَجَلة.

جَبَلَنِي: بجيم فموحدة فلام مفتوحات: خَلَقَنِي.

ثَمِلَتْ العُرُوق: بمثلثة مفتوحة فميم مكسورة فلام فمثناة فوقية: أي امتلأت.

النَّوْط: بنون مضمومة فواو ساكنة فطاء مهملة: الجُلَّة الصغيرة التي يكون فيها التَّمْر.

البَرْنِيّ: [بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فنون مكسورة فمثناة تحتية: ضَرْبٌ من.

أَنْضُوا: بهمزة مفتوحة فنون ساكنة فضاد معجمة فواو].

الحَيّ: اسم لمنزل القبيلة لأن بعضهم يَحْيَا ببعض ربيعة: فيه التعبير بالبعض عن الكُلّ لأنهم بعض ربيعة.

مَرْحَباً: منصوب بفعل مُضْمَر أي صَادَفْتَ رُحْباً بضم الراء أي سَعَة والرَّحْب بالفتح الشيء الواسع، وأوَّل من قالها سيف بن ذي يَزَن.

غَيْرَ خَزَايا: نُصِبَ على الحال، وخَزَايَا بخاء معجمة وزاي جمع خَزْيَان وهو الذي أصابه خِزْي، والمعنى أنهم أسلموا طَوْعاً من غير حرب أو شيء يُخْزِيهم ويَفْضَحهم، ولا ندامى: أصله نادمين جمع نادم لأن ندامى جمع ندمان خرج على الإتباع وحكى الفراء والجوهري وغيرهما من أهل اللغة أنه يقال نادم وندمان بمعنى فعلي هذا فهو على الأَصْل ولا إِتْبَاع فيه.

الوَازِع: بواو فألف فزاي فعين مهملة.

الشُّقَّة: بشين معجمة مضمومة فقاف مفتوحة مُشَدَّدة فتاء تأنيث أي المسافة البعيدة، والسَّفَر الطويل أيضاً.

الدبَّاء: بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة وبالمدّ: القرع.

الحَنْتَم: بحاء مهملة مفتوحة فنون ساكنة ففوقية مفتوحة فميم: جرَار خُضْر مَطْلِيَّة الواحدة حَنْتَمة.

النَّقِير: بنون مفتوحة وقاف: أصل النخلة يُنْقَر ويُنْبَذُ فيه.

المُزَفَّت: بزاي وفاء مشددة وِعاءٍ يُطْلَى بالزِّفْت.

المُقَيَّر: بميم مضمومة فقاف مفتوحة ومثناة تحتية مشددة مفتوحة وراء: طُلِيَ بالقير وهو نبت يُحْرَق وَيُطْلَى به السِّقَاء وغيره كما يُطْلَى بالزِّفْت. قال الحافظ: وفي مُسند أبي داود الطيالسي عن أبي بكرة قال عن أبي بكرة قال: «أما الدُّبَّاء فإن أهل الطائف كانوا يأخذون القَرْع فيخْلِطون فيه العنب حتى يَهْدُر ثم يُمْرَث، وأما الحَنْتم فَجِرَار كانت تُحْمَل إلينا فيها الخَمْر، وأما المُزَفَّت فهذه الأوعية التي طُلِيَتْ بالزِّفْت». انتهى. وتعبير الصحابي أَوْلَى أن يُعْتَمَد عليه من تعبير غيره فإنه أعلم بالمُرَاد، ومعنى النَّهْي عن الانتباذ في هذه الأوعية بخصوصها لأنه يسْرِع إليها الإسْكَار، فربما شَرِب منها من لا يشعر بذلك.

الجَذَع: بجيم فذال معجمة مفتوحتين فعين مهملة: الشاب.

القُطَيْعَاء: بقاف مضمومة فطاء مهملة مفتوحة فتحتية فعين مهملة فألف نوع من التَّمْر صِغَار يقال له الشهريز بالشين المعجمة والمهملة وبضمهما وبكسرهما.

هَجَر: بهاء فجيم فراء مفتوحات قرية من قُرَى المدينة تنسَب إليها القِلاَل الهِجْرِيَّة، واسم بلد بالبحرين، وهو مُذَكَّر مَصْروف.

الأُدُم: بهمزة فدال مهملة مضمومتين جمع أديم وهو الجِلْد الذي تَمَّ دِبَاغُه.

يُلاَث: بتحتية مضمومة فلام مفتوحة فألف فمثلثة أي يُلَفّ الخَيْط على أفواهها ويُرْبَط به. وضَبَطه العَبْدِري بالفوقية أي تُلَفّ الأسقية على أفواهها.

الجِرْذَان: بجيم مكسورة فراء ساكنة فذال معجمة: جمع جُرَذ كصُرَد نوع من الفأر وقيل الذَّكَر منه.

جُوَاثى: بجيم مضمومة فواو مفتوحة وبعدها ألف فثاء مثلثة: قرية بالبحرين.

الباب السابع والستون

في وفود عدي بن حاتم إليه صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه عن عَبَّاد بن حُبَيْش، والبيهقي عن أبي عُبَيْدة بن حُذَيْفَة عن رجل، والطبراني عن الشَّعْبِي، والبيهقي عن عليّ، كُلُّهم عن عَدِيّ بن حاتم، والبيهقي عن ابن إسحاق واللفظ له. قال عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه: بُعِث رسول الله ﷺ بالنُّبُوَّة ولا أعلم أحداً من العرب كان أَشَدَّ كراهِيةً لرسول الله ﷺ حين سمع به مِنِّي، أما أنا فكنت أمرأً شريفاً وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمِرْبَاع، وكنت في نفسي على دين وكنت ملكاً في قومي لما كان يُصْنَع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كَرِهْتُه أشد ما كرهت شيئاً، فقلت لغلام كان لي عَرَبي وكان راعياً لإبِلِي: لا أبالك أَعْدِدْ لي من إِبلي أَجْمَالاً ذُلُلاً سِمَاناً فَاحْتَبِسْها قريباً مِنّي، فإذا سمعتَ بجَيْش لمحمد قد وَطِئ هذه البلاد فآذِنّي. ففعل. ثم إنه أتاني ذات غداةٍ فقال: يا عَدِيّ ما كنتَ صانعاً إذا غَشِيتْكَ خَيْلُ محمد فَاصْنَعْه الآن، فإني رأيت راياتٍ فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد، فقلت: قَرِّبْ إِلَيَّ أَجْمَالي، فقَرَّبها فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: أَلْحَقُ بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الجُوشِيَّة.

وفي حديث أبي عُبَيْدة رضي الله تعالى عنه: فخرجتُ إلى أقصى العرب مما يلي الروم، ثم كَرِهْتُ مكاني أَشَد ما كَرِهْتُ مكاني الأول. وعند ابن إسحاق قال عَدِيّ: وخَلَّفْتُ بنتاً لحاتم في الحاضر. وفي حديث: جاءت خَيْل رسول الله ﷺ فأخذوا عَمِّي وناساً. قال: فلما قدمتُ الشام أَقَمْتُ بها وتُخَالِفني خيلٌ لرسول الله ﷺ فَتُصِيب ابنة حاتم فيمن أصابت، فقُدِمَ بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طَيِّئ، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام. قال: فجعلتْ ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تُحْبَس فيها، فمرَّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأةً جَزْلَة. وفي حديث عليّ رضي الله تعالى عنه: لـمَّا أُتِي بسبايا طَيِّئ وقفتْ جاريةٌ جَمَّاء حَمْرَاء، لَعْسَاء، ذَلْفَاء، عَيْطَاء، شَمَّاء الأنف، معتدلة القامة والهامة، دَرْماء الكَعْبَيْن، خَدَلَّجَة السَّاقَيْن، لَفَّاء الفَخْذَيْن، خَمِيصة الخَصْرَيْن، ضَامِرة الكَشْحَيْن، مَصْقولة المَتْنَيْن. قال: فلما رأيتها أعجبت بها وقلت: لأَطْلُبَنَّ إلى رسول الله ﷺ أن يجعلها في فَيْئي. فلما تكلَّمَتْ أُنْسِيتُ جمالها لما سمعت من فصاحتها.

فقالت: يا محمد إن رأيتَ أن تُخَلِّي عنا ولا تُشْمِت بنا أحياء العرب فإني ابنة سَيِّد قومي، وإنَّ أبي كان يَحْمِي الذِّمَار ويَفُك العاني ويُشْبع الجائع ويَكْسُو العاري ويُقْرِي الضَّيْف ويُطْعِم الطعام ويُفْشِي السلام ولم يَرُدّ طالبَ حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيئ. فقال النبي ﷺ:

«يا جارية هذه صِفَة المؤمنين حقاً، لو كان أبوك مسلماً لتَرَحَّمنا عليه خَلُّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يُحِبُّ مكارم الأخلاق». وفي حديث ابن إسحاق: فقالت: يا رسول الله، هَلَكَ الوالد، وغاب الوافد فَامْنُنْ عليَّ مَنَّ الله عليك. قال: «مَنْ وَافِدُكِ؟» قالت: عَدِيّ بن حاتم. قال: «الفَارُّ من الله ورسوله». قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرَّ بي فقلت له مثل ذلك وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان الغد مرَّ بي وقد يَئِسْتُ منه فأشار إليَّ رجلٌ من خَلْفِه أنْ قُومِي فكلِّمِيه. قالت: فقُمْتُ إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فَامْنُنْ عليَّ مَنَّ الله عليك. فقال ﷺ: «قد فعلْتُ فلا تَعْجَلي بخروج حتى تَجِدي من قومك مَنْ يكون لَكِ ثِقَةً حتى يُبَلِّغَكِ إلى بلادك ثم آذنيني». فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أُكَلِّمَه فقيل عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

وأقمْتُ حتى قدم ركبٌ من بَلِي أو قُضَاعة. قلت: وإنما أُريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجئتُ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد قدم رَهْطٌ من قومي لي فيهم ثقة وبَلاَغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نَفَقة، فخرجت معهم حتى قدمتُ الشام.

قال عَدِيّ: فوالله إني لَقَاعِدٌ في أهلي إذ نظرت إلى ظَعينة تُصَوِّب إليّ تَؤُمُّنا. قال: فقلت: ابنة حاتم قال: فإذا هي هي. قال: فلمّا وقفتْ عليَّ انسَلَحَتْ تقول: القاطع الظالم، احْتَمَلْتَ بأهلك وولدك وتَرَكْتَ بقيَّة والدك عَوْرَتَك. قال: قلت: أيْ أُخَيَّة لا تقولي إلا خيراً فوالله ما لي من عُذْر، لقد صنعتُ ما ذكرتِ. قال: ثم نزلت فأقامت عندي. فقلت لها، وكانت امرأة حازمة: ماذا ترَيْن في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تَلْحَقَ به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً فللسابق إليه فَضْلُه، فقد أتاه فُلاَن فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه، وإن يكن مَلِكاً فلن تَذِلَّ في عِزِّ اليمن وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا للرَّأي. وفي حديث الشَّعْبِي: قال: فلما بلغني ما يدعو إليه من الأخلاق الحَسَنة وما قد اجتمع إليه من الناس خرجتُ حتى أَقْدَم على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده وعنده امرأة وصِبْيَان أو صَبِيّ. وذكر قُرْبَهم من رسول الله ﷺ. قال: فعرفْتُ أنه ليس بِمُلْكِ كِسْرَى ولا قَيْصَر، فسلَّمْتُ عليه فقال: «من الرجل؟» فقلت: عَدِيّ بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لَعَامِدٌ بي إليه إذ لَقِيتهُ امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً فكلَّمَتْه في حاجتها فقلت في نفسي: والله ما هذا بمَلِك.

قال: ثم مَضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وِسَادةً من أَدَم مَحْشُوَّةً لِيفاً فقدَّمها إليّ فقال: «اجْلِسْ على هذه». قال: قلت: يا رسول بل أنت فاجلس عليها، قال: «بل

أنت» فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ بالأرض. فقال: «يا عَدِيّ أُخْبرك ألا إله إلا الله، فهل من إله إلا الله؟ وأُخبِرك أن الله تعالى أكبر، فهل من شيء هو أكبر من الله عز وجل؟» ثم قال: «يا عَدِيّ اسلمْ تَسْلَم». فقلت: إني على ديني. فقال: «أنا أَعْلَم منك بدينك». فقلت: أنت أعلم مِنّي بديني؟ قال: «نعم» يقولها ثلاثاً. «أَلَسْتَ رَكُوسِيّا؟» فقلت: بَلَى. قال: «أَلَسْتَ تَرَأَس قَوْمَك؟» قلت: بَلَى. قال: «أَوَ لـم تَكُنْ تَسِير في قَوْمِك بالمِرْبَاع؟» قلت: بَلَى والله، وعرفْتُ أنه نبيٌ مُرْسَل يعلم ما يُجْهَل. قال: «فإن ذلك لـم يكن يَحِلُّ لك في دينك». ثم قال: «يا عَدِيّ لعَلَّك إنما يَمْنَعُك من الدخول في هذا الدِّين أن رَأَيْتَ خصاصة من عندنا، فوالله لَيُوشِكَنَّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عَدُوِّهم وقِلَّة عَدَدِهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف».

وفي رواية قال: «هل رَأَيتَ الحيرة؟» قلت: لم أرها وقد علمت مكانها. قال: «فإن الظعينة سترحل من الحيرة تَطُوف بالبيت في غير جِوَار لا تخاف أحداً إلا الله عز وجل والذئب على غَنَمها». قال: فقلت في نفسي فأين ذعار طيئ الذين سعروا البلاد؟ قال: «فَلَعَلَّك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى المُلْكَ والسلطان في غيرهم والله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ عليهم». وفي رواية: «لَتُفْتَحنَّ عليهم كنوز كِسْرَى بن هُرْمَز». قلت: كنوز كسرى بن هرمز. قال: «كنوز كسرى بن هرمز».

وفي رواية: «ولئن طالت بك حياة لَتَرَيَّن الرجل يخرج بِمِلْءِ كَفِّه من ذهب أو فِضَّة يطلب مَنْ يقبله منه فلا يجد أحداً يَقْبَلُه منه، ولَيَلْقَيَنَّ الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه تَرْجُمَان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنَّم وينظر عن شِمَاله فلا يرى إلا جهنم، فاتَّقوا النار ولو بِشِقِّ تَمْرَة فإن لم تجدوا شِقَّ تَمْرَةٍ فبكلمة طَيِّبة». قال عَدِيّ رضي الله تعالى عنه: فأسلمت فرأيت وجه رسول الله ﷺ قد استبشر فقد رأيت الظعينة ترحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله عز وجل، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم ﷺ.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

عَدِيّ بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَج بن امرئ القيس بن عَدِيّ [بن أَخْزَم بن أبي أَخْزَم] بن ربيعة بن جَرْوَل ـ بفتح الجيم وسكون الراء ـ ابن ثُعَل ـ بضم الثاء المثلثة وفتح العين المهملة ـ ابن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّئ الطائي، قدم على رسول الله ﷺ في شهر شعبان سنة تسع كما ذكره الماوردي في حاويه، شهد مع علي رضي الله تعالى عنه حروبه، مات

بالكوفة سنة تسع أو ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين أو مائة وثمانين. قال ابن قُتَيْبَة رحمه الله تعالى: «ولم يَبْقَ له عَقِب إلا من جهة ابنتيه [أَسَدة] وعَمْرَة، وإنما عقب حاتم الطائي من وَلَدِه عبد الله بن حاتم».

المِرْبَاع: بكسر الميم وسكون الراء: رُبْع الغنيمة كان سادات الجاهلية يأخذونه.

لا أَبَالك: بهمزة فموحدة مفتوحتين، أكثر ما يستعمل في المدح، وقد يُذْكَر في مَعْرِض الذّمّ والتعجب، وبمعنى جِدّ في أَمْرِك وشَمِّرْ لأن مَنْ له أب اتَّكل عليه في بعض شأنه، وقد تحْذَف اللام فيقال: أباك.

ذُلُلاً: بضم الذال المعجمة واللام جمع ذَلُول بفتح الذال المعجمة فلامين بينهما واو من الذِّلّ بكسر الذال المعجمة: اللَّيِّن ضد الصَّعْب.

آذِنِّي: بمدّ الهمزة: أَعْلِمْني.

أَلْحَق: بفتح الهمزة والحاء المهملة مرفوع، فِعْل مضارع.

خَلَّفْتُ: بتشديد اللام.

بنتاً لحاتم: اسمها سَفَّانة بفتح السين المهملة وتشديد الفاء وبعد الألف نون مفتوحة فتاء تأنيث.

الحاضِر: بالحاء المهملة والضاد المعجمة: الجماعة النزول على الماء.

قُدِمَ بها: بضم القاف وكسر الدال المهملة: مبني للمفعول.

فجُعِلَتْ ابنة حاتم: بالبناء للمفعول.

الحَظِيرة: بحاء مهملة وظاء معجمة مُشَالة: شيء يعمل للإبل من شجر ليقيها البرد والحر والريح.

تُحْبَس: بالبناء للمفعول.

جَزْلَة: بفتح الجيم وسكون الزاي: عاقلة.

جَمَّاء: بجيم فميم مشددة مفتوحتين: التي لا قَرْن لها.

حَمْرَاء: بحاء مهملة مفتوحة فميم ساكنة فراء: بيضاء.

لَعْسَاء: بلام مفتوحة فعين مهملة ساكنة فسين مهملة فهمزة ممدودة: في لَوْنِها سَوَاد ومُشْرَبَة بالحُمْرَة، ويقال أيضاً لمن في شفتها سَوَاد، وللرجل أَلْعَس.

ذَلْفَاء: بذال معجمة مفتوحة فلام ساكنة ففاء فألف: من الذَّلَف وهو بالتحريك صِغَر الأنف واستواء الأَرْنَبة وقيل ارتفاع في طَرَفِه مع صِغَر أرنبته.

عَيْطَاء: بعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فطاء مهملة فهمز ممدود: أي طويلة العُنُق في اعتدال.

شَمَّاء الأنف: بشين معجمة فميم فألف: أي مرتفعة قصبة الأنف مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً.

دَرْمَاء الكَفَّيْن: بدال مهملة مفتوحة فراء ساكنة فميم فألف: لا حَجْم لِعِظَامها.

خَدَلَّجَة الساقين: بخاء معجمة فدال مهملة مفتوحتين فلامٌ مشددة مفتوحة فجيم: متدانيتهما من السِّمَن.

لَفَّاء الفخذين: بلام ففاء مشددة مفتوحتين فهمز ممدود: متدانيتهما من السِّمَن.

خَمِيصَة الخَصْرَين: بخاء معجمة مفتوحة فميم مكسورة فمثناة تحتية فصاد مهملة فتاء: أي ضامرتهما.

ضامرة الكَشْحَيْن: بضاد معجمة فألف فميم فراء فتاء تأنيث: أي قليلة لحمها غير مُرَهَّلَة.

مصقولة المَتْنَيْن: بميم فصاد مهملة فقاف فواو فلام أي مُضْمَرتهما.

الدَّمَار: بدال مهملة فميم مفتوحتين فألف فراء: الهَلاَك.

عاب الوَافِد: بالواو والفاء، قال في العيون: وقال بعض الناس لا مَعْنًى له إلا على وجه بعيد، ووجدت الوَقَّار بفتح الواو وبالقاف، وهو ذكره في كتابه بالراء وهو أَشْبَه.

الفارّ: بتشديد الراء.

وأشار إلى رجل من خَلْفِه: هو عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

من بَلِيّ: بوزن عليّ.

الرَّهْط: ما دون العشرة من الرجال.

الظَّعِينة: بفتح الظاء المعجمة المُشَالة وكسر العين المهملة المرأة، والراحلة التي يُرْحَل عليها ويُظْعِن أي يُسَار.

تَؤُمُّنا: أي تَقْصِدُنا.

ابنة حاتم: بالرفع خبر مُبْتَدَأ محذوف أي هذه ابنة حاتم.

انْسَحَلَتْ: تقول إن كانت هذه اللفظة بالجيم فيقال أَسْجَلْتُ الكلام أي أرسلته، وإن

كانت بالحاء المهملة يقال انْسَحَلَ الخطيب بالكلام إذا جرى به وركب مِسْحَلَه إذا مَضى في خُطْبَتِه، قاله في الصحاح. وقال أبو ذر في الإملاء قال في النور: ينبغي أن يُحَرّر هذه اللفظة، والظاهر أنها بالجيم يقال سَجَلْتُ الماء فانسجل أي صَبَبْتُه فانْصَبَّ ويحتمل أن يكون من أسجلت الكلام إذا أرسلته.

الرَّكُوسِيّ: بفتح الراء وضم الكاف وتشديد التحتية نسبة إلى فرقة من النصارى والصابئين.

تَرْأَسُ: بفتح المثناة الفوقية وسكون الراء وهمزة فسين مهملة أي تصير رئيساً.

خَصَاصة: بخاء معجمة وصادين مهملتين بينهما ألف: أي حاجة وفقر، وأصل الخِصاص الخَلَل والفُرَج ومنه خِصاص الأصابع وهي الفُرَج بينها.

القاطِعُ الظَّالِم: بالرفع أي أنت القاطِعُ أنت الظَّالِم.

عَوْرَتَك: بالنَّصْب بدل من «بَقِيَّة»، وهو منصوب على أنه مفعول: «تَرَكْتَ»، والعَوْرَة كل ما يُسْتَحَى منه. وقول سَفَّانَة أخته: «فإن لم يكن نبيّاً»، قالته على سبيل العَرْض والتَّنَزُّل لتُحَرِّضَه على مجيئه إلى النبي ﷺ لأنها قد أسلمت، ثم أطلقت.

إِيهِ إِيهِ: اسم سُمِّيَ به تقول للرجل إذا اسْتَزَدْتَه من حديث أو عمل: إِيهِ بكَسر الهاء. قال ابن السِّكّيت فإن وَصَلت نَوَّنْتَ فقلت: إِيهٍ حدِّثْنا. قال الزَّجّاج رحمه الله: إذا قلتَ إيه يا رجل فإنما تأمره أن يَزِيدك من الحديث المعهود بينكما كأنك قلت: هات الحديث، وإن قلتَ إيه كأنك قلتَ هات حديثاً إما لأن التنوين تنكير، قال في النور: والظاهر أن إيهٍ في هذا المكان بالتنوين. قلتُ وكذلك هو في نُسَخ السِّيرة.

أجل: كنعم وزناً ومعنى.

لم يُجْهَل: بالبناء للمفعول.

القَادِسِيَّة: بالقاف وبعد الألف دال فسين مكسورتين مهملتين فتحتية مشددة فتاء تأنيث: بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين.

الحِيرَة: بكسر الحاء المهملة: البلد القديم بظَهْر الكوفة ومَحَلَّة معروفة بنيسابور.

دُعَّار: بذال معجمة مضمومة فعين مهملة فألف فراء: الذين يُفْزِعُونهم.

سَعَروا: بفتح السين والعين المهملتين: أَوْقَدوا.

بَابِل: بموحدتين الثانية مكسورة.

فتِحتْ: بالبناء للمفعول وكذلك ما بعده [لَتُفْتَحَن].

الباب الثامن والستون

في وفود بنـي عذرة إليه صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن عمر، وابن سعد رحمهما الله تعالى: قالوا: قدم على رسول الله ﷺ في صفر سنة تسع وفد بني عُذْرَة اثنا عشر رجلاً فيهم جَمْرَة بن النعمان العُذْري، وسُلَيْم، وسعد ابنا مالك، ومالك بن أبي رِبَاح، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحدث النَّجّارية. ثم جاؤوا إلى النبي ﷺ، فسلّموا بسلام أهل الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «من القوم؟» فقال متكلمهم: مَنْ لا نُنْكِر، نحن بنو عُذْرَة إخوة قُصَي لأُمِّه، [نحن الذين عَضَدوا قُصَيًّا] وأزاحوا من بَطْن مكة خُزَاعة وبني بكر ولنا قرابات وأَرْحَام. فقال رسول الله ﷺ: «مرحباً بكم وأهلاً، ما أَعْرَفَنِي بكم فما يمنعكم من تحية الإسلام؟» قالوا: كُنّا على ما كان عليه آباؤنا، فقدمنا مُرْتَادين لأنفسنا ولقومنا. وقالوا: إلام تدعو؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَدْعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا أني رسول الله إلى الناس جميعاً» أو قال: «كافَّة». فقال متكلمهم: فما وراء ذلك من الفرائض؟ فقال رسول الله ﷺ: «أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تشهدوا الصلوات تحسن طهورهن وتصليهن إلى مواقيتهن فإنه أفضل العمل». ثم ذكر لهم سائر الفرائض من الصيام والزكاة والحج. فقال المتكلم: الله أكبر، نشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله، قد أجبناك إلى ما دعوتَ إليه ونحن أعوانك وأنصارك، يا رسول الله إن متجرنا الشام وبه هِرَقْل فهل أَوْحَى إليك في أمره بشيء؟ فقال: «أَبْشِروا فإن الشام سَتُفْتح عليكم ويهرب هِرَقْل إلى مُمْتَنَع بلاده». ونهاهم ﷺ عن سؤال الكاهنة. فقد قالوا: يا رسول الله إن فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون إليها فنسألها عن أمور. فقال ﷺ: «لا تسألوها عن شيء». فقال متكلمهم: الله أكبر، ثم سأله عن الذَّبح الذي كانوا يذبحون في الجاهلية لأصنامهم. فنهاهم رسول الله ﷺ عنها. وقال: «لا ذبيحة لغير الله عز وجل، ولا ذبيحة عليكم في سنتكم إلا واحدة». قال: وما هي؟ قال: «الأَضْحيَّة ضحية العاشر من ذي الحجة، تذبح شاةً عنك وعن أهلك». وسألوا النبي ﷺ عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها. وأقاموا أياماً. ثم انصرفوا إلى أهليهم وأمر لهم بجوائز كما كان يُجِيز الوفد، وكسا أحدهم بُرْداً. وروى ابن سعد رحمه الله تعالى عن مُدْلِج بن المِقْداد بن زَمِل العُذْريّ وغيره قالوا: وفد زَمِل بن عَمْرو العُذْرِيّ على النبي ﷺ فعقد له لواءً على قومه وأنشأ يقول حين وفد على النبي ﷺ:

إِلَيْكَ رَسُولَ اللهِ أَعْمَلْتُ نَصَّهَا ... أُكَلِّفُهَا حَزْناً وَقَوْزاً مِنَ الرَّمْلِ

لأَنْصُرَ خَيْرَ النَّاسِ نَصْراً مُؤَزَّراً ... وَأَعْقِدَ حَبْلاً مِنْ حِبَالِكَ فِي حَبْلِي

وَأَشْهَدَ أَنَّ اللهَ لاَ شَيْءَ غَيْرَهُ ... أَدِينُ لَهُ مَا أَثْقَلَتْ قَدَمِي نَعْلِي

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

عُذْرَة: بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة وبالراء: قبيلة من اليمن.

جَمْرَة بن النُّعْمَان: بفتح الجيم والراء.

قُصَيّ: بضم القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد التحتية: وهو أحد أجداد النبي ﷺ.

أَزَاحوا: بالزاي بعدها ألف وحاء مهملة وواو: أذهبوا.

مرحباً بكم وأهلاً: أَتَيْتُم سَعَةً وأَهْلاً فَاسْتَأْنِسوا ولا تَسْتَوْحِشوا.

الذِّبْح: بكسر الذال المعجمة، ما يُذْبَح مَصْدر بمعنى اسم المفعول.

الحزْن: بحاء مهملة مفتوحة فزاي ساكنة فنون: المكان الغليظ الخَشِن.

القَوز: بقاف مفتوحة فواو ساكنة فزاي: العالي من الرَّمْل كأنه جبل.

الباب التاسع والستون

في وفود بني عقيل بن كعب إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد[١] رحمه الله تعالى عن رجل من بني عقيل عن أشياخ قومه قالوا: وفد منا من بني عقيل على رسول الله ﷺ ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومُطَرِّف بن عبد الله بن الأعلم بن عمرو بن ربيعة بن عقيل، وأنس بن قَيْس بن المُنْتَفِق بن عامر بن عقيل، فبايعوا وأسلموا، وبايعوه على مَنْ وراءهم من قومهم، فأعطاهم النبي ﷺ العَقِيق، عَقيق بني عقيل، وهي أرض فيها عيون ونَخْل، وكتب لهم بذلك كتاباً في أَدِيم أحمر: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أَعْطى محمد رسول الله ﷺ ربيعاً ومُطَرِّفاً وأنساً، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا». ولم يُعْطِهم حقّاً لمُسْلِم [وكان الكتاب في يد مُطَرِّف].

قال: وقدم على رسول الله ﷺ أبو حَرْب بن خُوَيْلِد بن عامر بن عقيل فقرأ عليه رسول الله ﷺ القرآن وعرض عليه الإسلام. فقال: أما وَأَيْم الله لقد لَقِيتَ الله أو لَقِيتَ مَنْ لَقِيَه، وإنك لتقول قولاً لا نُحْسِنُ مِثْلَه، ولكني سوف أَضْرِب بقِدَاحي هذه على ما تدعوني إليه وعلى ديني الذي أنا عليه، وضرب بالقِدَاح فخرج عليه سَهْمُ الكُفْر، ثم أعاده فخرج عليه ثلاث مرات. فقال لرسول الله ﷺ: أَبَى هذا إلا ما تَرَى. ثم رجع إلى أخيه عِقَال بن خُوَيْلِد، فقال له: قَلَّ خِيسُك هَلْ لك في محمد بن عبد الله يدعو إلى دين الإسلام ويقرأ القرآن وقد أعطاني العَقِيق إن أنا أسلمت. فقال له عِقَال: أنا والله أَخُطُّك أكثر مِمَّا يَخُطُّك محمد. ثم ركب فرسه وجرَّ رُمْحه على أَسْفَل العَقِيق فأخذ أسفله وما فيه من عَيْن. ثم إن عِقَالاً قدم على رسول الله ﷺ، فعرض عليه الإسلام، وجعل يقول له: «أتشهد أن محمداً رسول الله؟» فيقول: أشهد أن هُبَيْرَة بن المُفَاضة نِعْمَ الفارس، يَوْم قَرْنَيْ لَبَان. ثم قال: «أتشهد أن محمداً رسول الله؟» قال: أشهد أن الصَّريح تحت الرَّغْوَة. ثم قال له الثالثة: «أتشهد؟» قال: فشهد وأسلم. قال: وابن المُفَاضة هُبَيْرَة بن معاوية بن عُبَادة بن عُقَيل، ومعاوية هو فارس الهَرَّار، والهَرَّار اسم فَرَسِه، ولبَان اسم موضع.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

خفَاجة: بخاء معجمة ففاء مفتوحتين فألف فجيم فتاء تأنيث.

المُنْتَفِق: بميم مضمومة فنون ساكنة ففاء فمثناة فوقية فقاف.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٦٦-٦٧.

قَلَّ خِيسُك: بقاف مفتوحة فلام مشددة وخِيسُك بخاء معجمة مكسورة فتحتية ساكنة فسين مهملة: أي قَلَّ خَيْرك.

أُحِظُّك: بهمزة فحاء مهملة فظاء معجمة مُشَالة.

الصَّريح تحت الرُّغْوَة: الصريح بصاد مهملة فراء فمثناة تحتية فحاء مهملة: اللَّبَن المَحْض الخالص، والرُّغْوَة براء مضمومة فغين معجمة ما يعلو اللَّبن من الزَّبَد، والله تعالى أعلم.

الباب السبعون

في وفود عمرو بن معدي كرب الزبيدي إليه صلى الله عليه وسلم

قدم عمرو بن مَعْدِي كَرِب في أُناس من بني زُبَيْد على رسول الله ﷺ فأسلم، وكان عمرو قد قال لِقَيْس بن مكشوح المُرَادِي ـ وقيس بن أخته ـ يا قَيْس إنك سيِّد قومك، وقد ذُكِر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول إنه نبيّ فانْطَلِقْ بنا إليه حتى نعلَم عِلْمَه، فإن كان نبيّاً كما يقول فإنه لن يَخْفَى عنك، إذا لَقِيناه اتَّبَعْناه، وإن كان غير ذلك عَلِمْنا عِلْمَه. فأبي عليه قَيْس ذلك وسَفَّه رأْيَه، فركب عمرو بن مَعْدِي كَرِب حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وصَدَّقه وآمن به فلما بلغ ذلك قَيْساً أَوْعَد عَمْراً [وتَحَطَّم عليه وقال خالفني وترك رأْيِي] فقال عمرو في ذلك شعراً أوَّله:

أَمَـرْتُـكَ يَـوْمَ ذِي صَـنْـعَـا ... ءَ أَمْـراً بَـادِيـاً رَشَـدُهْ

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: فأقام عمرو بن مَعْدِي كَرِب في قومه من بني زُبَيْد وعليهم فَرْوَة بن مُسَيْك، فلما توفي رسول الله ﷺ ارْتَدَّ عَمْرو. قال ابن سعد: ثم رجع إلى الإسلام وأَبْلَى يوم القادسية وغيرها.

وذكر أبو عمرو من طريق ابن عبد الحكم قال: حدثنا الشافعي قال: وجَّه رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب، وخالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن وقال: «إذا اجتمعتما فعليّ الأمير، وإذا افترقتما فكل واحد منكما أمير». فاجتمعا. وبلغ عمرو بن مَعْدِي كَرِب مكانهما، فأقبل في جماعة من قومه فلما دنا منهما قال: «دعوني حتى آتي هؤلاء القوم فإني لم أُسَمَّ لأحد قط إلا هابني. فلما دنا منهما نادى: أنا أبو ثَوْر أنا عَمرو بن مَعْدِي كَرِب.

فابتدره عليّ وخالد رضي الله تعالى عنهما، وكلاهما يقول لصاحبه: خَلِّني وإياه، ويَفْدِيه بأبيه وأمّه. فقال عمرو، إذ سمع قولهما: العرب تُفَزَّع بي وأراني لهؤلاء جَزْرَة. فانصرف عنهما. وكان عمرو فارس العرب مشهوراً بالشجاعة، وكان شاعراً مُحْسِناً فمما يُسْتَجاد من شعره قوله:

أَعَـاذِلَ عُـدَّتِـي يَـزَنِـي وَرُمْـحِـي ... وَكُـلُّ مُـقَـلِّـصٍ سَلِسِ الـقِـيَـادِ
أَعَـاذِلَ إِنَّـمَـا أَفْـنَـى شَـبَـابِـي ... إِجَابَتِيَ الصَّرِيخَ إِلَى الـمُـنَـادِي
مَعَ الأَبْطَالِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي ... وأَقْرَحَ عَـاتِـقِـي ثِـقَـلُ الـنِّـجَـادِ
ويَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ القَوْمِ حِلْمِي ... وَيَـفْـنَـى قَـبْـلَ زَادِ الـقَـوْمِ زَادِي
تَـمَـنَّـى أَنْ يُـلاَقِـيَنِي قُـيَـيْـسٌ ... وَدِدْتُ وَأَيْـنَـمَـا مِـنِّـي وِدَادِي
فَـمَـنْ ذَا عَـاذِرِي مِـنْ ذِي سِـفَـاهٍ ... يَـرُودُ بِـنَـفْـسِـهِ شَـرَّ الـمُـرَادِ

أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي   عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

يريد قَيْس بن مكشوح وأسلم قيس بعد ذلك، وله ذكر في الصحابة، وقيل كان إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان شجاعاً فارساً شاعراً وكان يُنَاقِض عمراً وهو القائل لعمرو:

فَلَوْ لاقَيْتَنِي لاقَيْتَ قِرْناً   وَوَدَّعْتَ الحَبَائِبَ بالسَّلامِ
لَعَلَّكَ مُوعِدِي بِبَنِي زُبَيْدٍ   وَمَا قَامَعْتُ مِنْ تِلْكَ اللِّقَامِ
وَمِثْلُكَ قَدْ قَرَنْتُ لَهُ يَدَيْهِ   إِلَى اللَّحْيَيْنِ يَمْشِي في الخِطَامِ

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

المَكْشُوح: بفتح الميم وسكون الكاف وضم الشين المعجمة وبالواو والحاء المهملة.

بنو زُبَيْد: بضم الزاي وفتح الموحدة.

لم أُسَمَّ: بضم الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الميم المفتوحة، مجزوم حُرِّكَ بالفتح طلباً للخِفَّة.

جَزْرَة: بفتح الجيم وسكون الزاي وبالراء فتاء تأنيث وهي الشاة المُسَمَّنة.

يُشتَجاد: بالبناء للمفعول.

يَزَنِيّ: أي بِرُمْح يَزَنِيّ نسبة إلى ذي يَزَن، وفي بعض نُسَخ العيون بَدَنِي، قال في النور: ولعلها الصواب والبَدَن الدِّرْع.

مُقَلِّص: بكسر اللام المشددة وبالصاد المهملة: مُشَمِّر طويل القوائم.

قُيَيْس: تصغير قَيْس وهو ابن المكشوح.

الوِدَاد: بكسر الواو.

حِبَاءهُ: بكسر الحاء المهملة وبالموحدة، وبالمدّ: العَطَاء.

عَذِيرَك من فلان: بعين مهملة مفتوحة فذال معجمة فياء تحتية وفتح الراء: مفعول بفعل مُقَدَّر أي هات من يَعْذِرُك، فعيل بمعنى فاعل.

القِرْن: بكسر القاف وسكون الراء وبالنون كف الشخص في الشجاعة.

الباب الحادي والسبعون

في وفود عنزة إليه صلى الله عليه وسلم

عن سلمة بن سعد رضي الله تعالى عنه أنه وفد على رسول الله ﷺ هو وجماعة من أهل بيته وولده فاستأذنوا على رسول الله ﷺ، فدخلوا فقال: «مَنْ هؤلاء؟». فقيل له: هذا وفد عَنَزَة. فقال: «بَخٍ بَخٍ بَخٍ بَخٍ» - أربعاً - «نِعْمَ الحَيّ عَنَزَة، مَبْغِيّ عليهم منصورون، مرحباً بقَوْم شُعَيْب وأَخْتَان موسى، سَل يا سلمة عن حاجتك». قال: جئت أسألك عما افْتَرَضْتَ عليّ في الإبل والغنم. فأخبره، ثم جلس عنده قريباً ثم استأذنه في الانصراف. فما عدا أن قام لينصرف فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارْزُقْ عَنَزَة كفافاً لا فوْت ولا إسراف». رواه الطبراني، والبزار، باختصار، وعنده: «اللهم ارْزُقْ عَنَزَة لا فَوْتَ ولا سَرَف فيه»(١). وعن حنظلة بن نُعَيْم رضي الله تعالى عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يذكر قَوْمَكَ عَنَزَة ذات يوم فقال أصحابه: وما عَنَزَة فأشار بيده نحو المشرق فقال: «حَيٌّ هَهُنا مَبْغِيٌّ عليهم منصورون». رواه أبو يَعْلَى برجال ثقات، والبزار، والطبراني والإمام أحمد رحمهم الله تعالى إلا أنه قال عن الغضبان بن حنظلة إن أباه وفد إلى عمر ولم يذكر حنظلة(٢).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

عَنَزَة: بفتحات: الحَرْبَة.

بخ: بموحدة فخاء معجمة. كلمة عند المَدْح والرِضا بالشيء وتُكَرَّر للمبالغة وفيها لغات: إسكان الخاء وكسرها ومُنَوَّنَة وبغير تنوين، وبتشديدها وساكناً ومُنَوَّناً واختار الخَطَّابي إذا كُرِّرَتْ تنوين الأولى وتسكين الثانية.

أَخْتَان: بهمزة مفتوحة فخاء معجمة ساكنة فمثناة فوقية فألف فنون: من قِبَل المرأة، والأُحماء من قِبَل الرجل، والصِّهْر يجمعهما.

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/٥٤ وعزاه للطبراني والبزار.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/٥٤ وعزاه لأبي يعلى في الكبير والبزار بنحوه باختصار عنه والطبراني في الأوسط وأحمد وقال: وأحد إسناده أبي يعلى رجاله ثقات كلهم.

الباب الثاني والسبعون

في وفود رجل من عنس إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد[١] [قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، أخبرنا أبو زُفَر الكلبي] عن رجل من عَنْس بن مالك من مَذْحج قال: كان منا رجل وفد على النبي ﷺ، فأتاه وهو يتعشَّى فدعاه إلى العشاء، فجلس. فلما تَعَشَّى أقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «أتشهد ألاَّ إله إلا الله وأن محمداً عبدُه ورسوله؟» فقال: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فقال: «أراغِباً جئتَ أم رَاهِباً؟» فقال: أمَّا الرَّغْبَة فوالله ما في يَدَيْك مال، وأمَّا الرَّهْبَة فوالله إني لَبِبَلَدٍ ما تَبْلُغُه جيوشك، ولكني خُوِّفْتُ فَخِفْتُ وقيل لي آمن بالله فآمنتُ. فأقبل رسول الله ﷺ على القوم فقال: «رُبَّ خَطِيبٍ من عَنْس». فمكث يختلف إلى رسول الله ﷺ، ثم جاء يودِّعه فقال له رسول الله ﷺ: «اخْرُج» وبَتَّه أي أعطاه شيئاً، وقال: «إنْ أَحْسَسْتَ شيئاً فَوَائِلْ إلى أَدْنَى قرية» فخرج فوعُكَ في بعض الطريق، فَوَأَلَ إلى أدنى قرية فمات رحمه الله واسمه ربيعة. ورواه الطبراني عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم رحمه الله، قال: إن ربيعة بن رُوَاء العَنْسِي قدم على رسول الله ﷺ فوجده يتعشَّى، الحديث.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

عَنْس: [بعين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فسين مهملة لقب زَيْد بن مالك بن أُدَد أبو قبيلة من اليمن ومِخْلاَفُ عَنْسٍ مُضَافٌ إليه وائِلْ إلى أدنى قرية: [بواو فألف فهمزة مكسورة فلام ساكنة أي أَلْجَأْ] وقد [وأَل] يَئِلُ فهو وائل أي التجأ إلى موضع ونجا].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠٦/٢.

الباب الثالث والسبعون

في وفود غامد إليه صلى الله عليه وسلم

قال في زاد المعاد: قال الواقدي رحمه الله تعالى: وقدم على رسول الله ﷺ وفد غامد سنة عشر، وهم عشرة فنزلوا ببَقِيع الغَرْقَد وهو يومئذ أَثْلٌ وطَرْفَاء ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ. وخلّفوا عند رَحْلِهم أَحْدَثهم سنّاً، فنام عنه، وأتى سارق فسرق عَيْبَةً لأحدهم فيها أثواب له. وانتهى القوم إلى رسول الله ﷺ، فسلّموا عليه وأقرّوا له بالإسلام وكتب لهم كتاباً فيه شرائع من شرائع الإسلام وقال لهم: «مَنْ خَلَّفْتُم في رحالكم؟» قالوا: أحدثنا سنًّا يا رسول الله. قال: «فإنَّه قد نام عن مَتَاعكم حتى أتى آت أخذ عَيْبَة أحَدكم» فقال رجل من القوم: يا رسول الله ما لأحد من القوم عَيْبَة غيري. فقال رسول الله ﷺ: «فقد أُخِذَتْ ورُدَّتْ إلى موضعها». فخرج القوم سِرَاعاً حتى أتوا رواحلهم، فوجدوا صاحبهم فسألوه عما أخبرهم رسول الله ﷺ. قال: فَزِعْتُ من نومي ففقدتُ العَيْبَة فقُمْتُ في طلبها، فإذا رجل قد كان قاعداً، فلما رآني صار يَعْدو مِنّي فانتهيْتُ إلى حيث انتهى فإذا أَثَرُ حَفْرٍ وإذا هو قد غَيَّب العَيْبَة فاستخرجتها. فقالوا: نشهد أنه رسول الله ﷺ فإنه قد أخبرنا بأخذها وأنها قد رُدَّتْ. فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه، وجاء الغلام الذي خَلَّفوه، فأسلم، وأمر النبي ﷺ أُبَيَّ بن كَعْب رضي الله تعالى عنه فعلّمهم قرآناً وأجازهم ﷺ كما كان يُجِيز الوفود وانصرفوا.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

غامد: بعين معجمة فألف فميم فدال مهملة.

العَيْبَة: تقدم تفسيرها.

الباب الرابع والسبعون

في وفود غافق إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد[1]: قالوا: وفد جُلَيْحَة بن شَجَّار بن صُحَار الغافِقي على رسول الله ﷺ في رجال من قومه فقالوا: يا رسول الله نحن الكَوَاهِل من قومنا، وقد أسلمنا وصدقاتنا محبوسة بأَفْنِيَتِنَا. فقال: «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم». فقال عَوْذ بن سُرَيْر الغافقي: آمنّا بالله واتَّبعْنا رسوله.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

غَافِق: بغيم معجمة فألف ففاء فقاف.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١١٥/٢.

الباب الخامس والسبعون

في وفود غسان إليه صلى الله عليه وسلم

قال في زاد المعاد: وقدم وفد غَسَّان على النبي ﷺ في شهر رمضان سنة عشر، وهم ثلاثة نفر، فأسلموا وقالوا: لا ندري أيَتَّبِعُنا قومنا أم لا، وهم يحبُّون بَقَاء مُلْكِهم وقُرْب قيصر، فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم وكتموا إسلامهم. حتى مات منهم رجلان على الإسلام وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عام اليرموك فَلَقِيَ أبا عُبَيْدة فأخبره بإسلامه، فكان يُكْرِمه.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

اليَرْموك: [واد بناحية الشام في طرف الغَوْر يَصُبّ في نهر الأردن].

الباب السادس والسبعون

في وفود فروة بن عمرو الجذامي صاحب بلاد معان بإسلامه على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: وبعث فَرْوَة بن عمرو الجُذَامي إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأَهْدَى له بَغْلَة بيضاء، وكان فروة عاملاً لقيصر ملك الروم على من يليه من العرب، وكان منزله مُعَان وما حولها من أرض الشام. فلما بلغ الروم ذلك من أمر إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم فقال في مَحْبِسه شعراً على قافية النون وهو ستة أبيات:

طَرَقَتْ سُلَيْمَى مَوْهِناً أَصْحَابِي ... والرُّومُ بَيْنَ البَابِ والقِرْوَانِ
صَدَّ الخَيَالُ وسَاءهُ مَا قَدْ رَأَى ... وهَمَمْتُ أَنْ أُغْفِي وَقَدْ أَبْكَانِي
لا تَكْحُلِنَّ العَيْنَ بَعْدِي إِثْمِداً ... سَلْمَى ولا تَدْنِنَّ لِلإِتْيَانِ
ولَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كُبَيْشَةَ أَنَّني ... وَسْطَ الأَعِزَّةِ لا يُحَصُّ لِسَانِي
فَلَئِنْ هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنَّ أَخَاكُمُ ... ولَئِنْ بَقِيتُ لَتَعْرِفُنَّ مَكَانِي
ولقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَّ مَا جَمَعَ الفتى ... مِنْ جَوْدَةٍ وشَجَاعَةٍ وبَيَانِ

فلما أجمعت الروم على صَلْبِه على ماء لهم بفلسطين يقال له عَفْراء قال:

أَلاَ هَلْ أَتَى سَلْمَى بِأَنَّ حَلِيلَهَا ... على مَاءِ عَفْرَى فَوْقَ إِحْدَى الرَّوَاحِلِ
على نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِب الفَحْلُ أُمَّها ... مُشَذَّبَةٍ أَطْرَافُها بالمَنَاجِلِ

فزعم الزُّهْرِيّ بن شِهَاب أنهم لما قدَّموه ليقتلوه قال:

أَبْلِغْ سَرَاةَ المسلمين بأَنَّني ... سِلْمٌ لِرَبِّي أَعْظُمِي ومَقَامِي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء، والله تعالى أعلم.

الباب السابع والسبعون

في وفود فروة بن مسيك إليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر رحمهما الله تعالى: قدم فَرْوَة بن مُسَيْك المُرَادِيّ رضي الله تعالى عنه وافداً على رسول الله ﷺ مُفَارِقاً لِمُلوك كِنْدَة ومُتَابِعاً للنبي ﷺ وقال في ذلك:

لَـمَّا رأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضَتْ ... كالرِّجْلِ خَانَ الرِّجْلَ عِرْقُ نَسَائِها

قَـرَّبْتُ راحِـلَتِـي أَؤُمُّ مُـحَـمَّـداً ... أَرْجو فَوَاضِلَـها وحُسْنَ ثَرَائِـها

ثم خرج حتى أتى المدينة، وكان رجلاً له شرف، فأنزله سعد بن عَبَادة عليه ثم غدا إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد فَسَلَّم عليه ثم قال: يا رسول الله أنا لمن ورائي من قومي. قال: «أَيْنَ نزلتَ يا فَرْوَة؟» قال: على سعد بن عُبَادة. وكان يحضر مجلس رسول الله ﷺ كلما جلس ويتعلَّم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه.

وكان بين مُرَاد وهَمْدَان قُبَيْل الإسلام وَقْعَة أصابت فيها هَمْدَان من مُرَاد ما أرادوا حتى أَثْخَنُوهم في يوم يقال له يوم الرَّدْم. وكان الذي قاد هَمْدَان إلى مُرَاد الأجْدَع بن مالك في ذلك اليوم. قال ابن هشام: الذي قاد هَمْدَان في ذلك اليوم ابن حَرِيم الهَمْدَاني.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «يا فَرْوَة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم؟» قال: يا رسول الله، مَنْ ذا يُصِيب قومه مِثْلُ ما أصاب قومي يوم الرَّدْم ولا يَسُوءه ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أمَا إنَّ ذلك لم يَزِدْ قومك في الإسلام إلا خيراً»(١). وفي ذلك اليوم يقول فَرْوَة بن مُسَيْك:

مَـرَرْنَ عَـلَـى لِـفَـاتَ وَهُـنَّ خُـوصٌ ... يُـنَـازِعْـنَ الأَعِـنَّـةَ يَـنْـتَـحِـينَا

فَـإِنْ نَـغْـلِـبْ فَـغَـلاَّبُـونَ قِـدْمـاً ... وَإِنْ نُـغْـلَـبْ فَـغَـيْـرُ مُـغَـلَّـبِـينَا

وَمَـا إِنْ طِـبُّـنَا جُـبْـنٌ وَلَـكِـنْ ... مَـنَـايَـانَـا ودَوْلَـةُ آخَـرِيـنَـا

كَـذَاكَ الـدَّهْـرُ دَوْلَـتُـهُ سِـجَـالٌ ... تَـكِـرُّ صُـرُوفُـهُ حِـيناً فَـحِـينا

فَـبَـيْنَا مَـا نُـسَـرُّ بِـهِ وَنَـرْضَـى ... وَلَـوْ لُـبِـسَـتْ غَـضَـارَتُـهُ سِـنِـينَا

إِذْ انْـقَـلَـبَـتْ بِـهِ كَـرَّاتُ دَهْـرٍ ... فَـأَلْـفَـيْـتَ الأُلَـى غُـبِـطُـوا طَحِـينَا

فَـمَـنْ يُـغْـبَطْ بِـرَيْـبِ الـدَّهْـرِ مِـنْـهُـمْ ... يَـجِـدْ رَيْـبَ الـزَّمَـانِ لَـهُ خَـؤُونَـا

فَـلَـوْ خَـلَـدَ الـمُـلُـوكُ إِذاً خَـلَـدْنَـا ... وَلَـوْ بَـقِـيَ الـكِـرَامُ إِذاً بَـقِـينَا

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧١/٥.

فَـأَفْـنَـى ذَلِـكُـمْ سَـرَوَاتِ قَـوْمِـي كَـمَـا أَفْـنَـى الـقُـرُونَ الأَوَّلِـينَا

واستعمل رسول الله ﷺ فَرْوَة بن مُسَيْك على مُرَاد وزُبَيْد ومَذْحِج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

فَرْوَة: بفاء مفتوحة فراء ساكنة فواو فتاء تأنيث.

مُسَيْك: بضم الميم وفتح السين المهملة وسكون التحتية وبالكاف.

النَّسَا: بفتح النون وبالسين المهملة، مَقْصُور، وجاء مَدُّه في الشِّعر، وأنكره بعضهم وربما صَحَّ في الحديث عِرْق النَّسَا، ويقول فروة بإن العِرْق أَعَمّ من نسا فهو من إضافة الشيء إلى مَحَلِّه ومَوْضِعه.

أَؤُمُّ محمداً: أي أَقْصِدُه.

أَزْجُو فَوَاضِلَها: يَعْنِي الرَّاحِلَة.

هَمْدَان: بفتح الهاء وسكون الميم وبالدال المهملة: قبيلة معروفة. وأما هَمَذَان بفتح الهاء والميم وبذال معجمة: قبيلة معروفة بالعجم. وقال الأئمة الحُفَّاظ رحمهم الله: ليس في الصحابة ولا تابعيهم ولا أتباع التابعين أحدٌ من هذه البلدة وأكثر المتأخرين منها.

الإثخان في الشيء: المبالغة فيه والإكثار منه والمُرَاد به المبالغة في القَتْل.

الرَّدْم: بفتح الراء وسكون الدال المهملة وبالميم.

الأَجْدَع بن مالك بن حَرِيم: حَرِيم بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين كما ذكره الأمير والزمخشري وغيرهما وليس هو جَدّ مَسْرُوق كما يذكره الوَقَشِي وخَطَّأَ مَنْ قال هو أبوه. وقول العيون: «قيل هو والد مَسْروق بن الأَجْدَع». وإنما قيل إنه جدُّه، والجَدّأب. [كما ورد في القرآن]: ﴿وَاتَّبَعْت مِلَّة آبَائِي﴾ [يوسف ٣٨] ﴿يا بَنِي آدم﴾ [الأعراف ٣٥].

نَاشِح: بنون وبعد الألف شين معجمة فحاء مهملة.

جُشَم بن خَيْوَان: خَيْوَان بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية.

بنو مَعْمَر: بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة.

مِثْلُ ما أصاب: فاعل يُصيب.

لاَ يَسُؤُهُ: بفتح التحتية فسين مهملة وهمزة مضمومة قبل الواو.

زُبَيْد: بضم الزاي: قبيلة معروفة.

مَذْحِج: بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وبالجيم: قبيلة معروفة والله تعالى أعلم.

الباب الثامن والسبعون

في وفود فزارة إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(١)،والبيهقي عن أبي وَجْزَة يزيد بن عُبَيْد السَّعْدِي رضي الله تعالى عنه قال: لما رجع رسول الله ﷺ من تَبُوك وكانت سنة تسع قدم عليه وفد بني فَزَارة، بِضْعة عشر رجلاً، فيهم خارجة بن حِصْن، والحُرّ بن قَيْس بن حِصْن وهو أصغرهم - وهم مُسْنِتُون - على رِكَاب عِجَاف، فجاءوا مُقِرِّين بالإسلام. فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحدث. وسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقال أحدهم: يا رسول الله، أَسْنَتَتْ بلادنا، وهلكت مواشينا، وأَجْدَب جَنَابُنَا، وغَرِث عِيَالُنا، فَادْعُ لنا رَبَّك يُغِيثُنا، واشْفَعْ لنا إلى رَبِّك، ولِيَشْفَع لنا رَبُّك إليك. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، ويْلَك، هذا أنا أَشْفَع إلى ربِّي عز وجل فمن ذا الذي يَشْفَع رَبُّنا إليه؟ لا إله إلا هو العَلِيّ العظيم وسِعَ كُرْسِيُّه السموات والأرض فهي تَئِطُّ من عظَمَتِه وجلاله كما يَئِطُّ الرَّحْلُ الجديد». وقال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل ليضحك من شَفَفِكم وأَزْلِكم وقُرْبِ غِيَاثِكم». فقال الأعرابي: يا رسول الله، ويَضْحَك رَبُّنا عز وجل؟ فقال: «نعم». فقال الأعرابي: لن نَعْدَمَك من رَبٍّ يضحك خيراً. فضحك رسول الله ﷺ من قوله، وصَعِدَ المنبر فتكلم بكلمات، وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء. فرفع يديه حتى رُئِيَ بَيَاض إِبْطَيْه وكان مما حُفِظ من دعائه: «اللهم اسْقِ بِلادَكَ وبهائمَكَ وانْشُرْ رحمتك وأَحْيِ بلدك المَيِّت، اللهم اسْقِنا غَيْثاً مُغِيثاً هنيئاً مريئاً طَبَقاً واسِعاً، عاجلاً غيرَ آجل، نافعاً غير ضَارّ، اللهم اسقنا رحمَةً ولا تَسْقِنا عذاباً ولا هَدْماً ولا غرقاً ولا مَحْقاً، اللهم اسْقِنا الغيث وانصرنا على الأعداء». فقام أبو لُبَابة بن عبد المُنْذِر الأنصاري رضي الله تعالى عنه فقال: يا رسول الله، التَّمْر في المِرْبَد، وفي لفظ المَرَابِد. فقال رسول الله ﷺ:«اللهم اسْقِنا» فعاد أبو لُبَابة لقوله، وعاد رسول الله ﷺ لدعائه. فعاد أبو لُبَابَة أيضاً فقال: التمر في المِرْبَد يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لُبَابَة عُرْيَاناً يَسُدّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِه بإزاره». قالوا: ولا والله ما نرى السماء من سَحَابٍ ولا قَزَعَة وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار، فطلعت من وراء سَلْع سحابة مِثْلُ التُّرْس، فلما تَوَسَّطَتْ السماء انتشرت ثم أَمْطَرَتْ. قال: فلا والله ما رأَيْنَا الشمس سَبْتاً. وقام أبو لُبَابَة عُرْيَاناً يَسُدّ ثَعْلَب مِرْبَده بإزاره لئلاً يخرج التمر منه. فجاء ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال وانقطعت السُّبُل فصعد رسول الله ﷺ المنبر فدعا ورفع يديه حتى رُئِيَ بياض إِبْطَيْه ثم قال: «اللهم حَوَالَيْنا ولا عَلَيْنا،

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ١٤٣/٦. وابن سعد في الطبقات ٩٢/٢ . وانظر البداية والنهاية ١٠٥/٦.

اللهم على الآكام والظِّرَاب وبطون الأودية ومَنَابِت الشَّجر فانجابت السحابة عن المدينة انجياب الثَّوْب».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

خارجة: بالخاء المعجمة وبعد الألف راء مكسورة فجيم.

ابن حِصْن: بالحاء والصاد المهملتين وَزن عِلْم - ابن بَدْر.

الحُرّ: بضم الحاء المهملة وتشديد الراء، ابن أخي عُيَيْنَة، بالرفع بدل من الجر، وهو مرفوع على معطوف على المُبْتَدأ قبله.

مُشْتُون: بميم مضمومة فشين معجمة فتاء أي دخلوا في الشتاء وقيل بسين مهملة ساكنة فنون مكسورة: مُسْنِتُون.

عجاف: بكسر العين المهملة وتخفيف الجيم، والعَجْفَاء هي التي بلغت في الهُزَال النهاية.

رَمْلَة بنت الحارث بن ثعلبة.

غَرِثَ: بفتح الغين المعجمة وكسر الراء وبالثاء المثلثة، يَغْرَثُ بفتح الراء فهو غَرْثَان إذا جاع، وقومٌ غَرْثَى وغَرَاثَى وامرأةٌ غَرْثَى ونُسْوَةٌ غِرَاث، والغَرَث بفتح أوله وثانيه الجُوع.

انْجَابَتْ: بفتح الجيم وبعد الألف موحدة.

الجَنَاب: ما قَرُب من مَحَلَّة القوم والجمع أَجْنِبَة يقال أَخْصَبَ جَنَابُ القوم وفلان خَصِيبُ الجَنَاب.

يَغِيثُنَا: بفتح أوله من الغَيْث، أو بِضَمّ التحتية من الإغاثة والإجابة.

شَفَعْت: بفتح الفاء خِلاَفاً لمن أخطأ فكسرها.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَواتِ والأرض: بَسَطْتُ الكلام على الكُرْسِيّ في كتاب: «الجواهر والنَّفَائِس في تكبير كتاب العرائس». بما يُرَاجَع منه. والصواب أن الكُرْسِي غير العِلْم خِلاَفاً لمن زعم أنه العِلْم.

تَئِطّ: بفتح الفوقية وكسر الهمزة وطاء مهملة مشددة، والأَطِيط صَوْت الرَّحْل والأَقْتَاب، يَعني أن الكرسي ليَعْجَز عن حَمْلِه وعِظَمِه، إذا كان معلوماً أن أَطِيطَ الرَّحْل بالرَّاكِب إنما يكون لِقُوَّة ما فَوْقه وعَجْزِه عن احتماله، وهذا مَثَل لِعَظَمَةِ الله تعالى وجلاله، وإنما لم يكن أَطِيط

وإنما هو كلام تقريب أُريد به تقرير عظمة الله تعالى، والرَّحْل بالحاء المهملة.

شَفَفكُم: بفتح الشين المعجمة والفاء: اسم من الشُّفّ، والشَّفَف هنا أَقْصى ما وجدوه من الضيق.

الأَزْل: بفتح الهمزة وسكون الزاي وباللام: الضيق، وقد أَزَلَ الرجل بفتح الزاي يَأْزِلُ بكسرها أَزْلاً بإسكانها صار في ضيقٍ وجَدْب.

لن نَعْدَمَك: بفتح النون وسكون العين وفتح الدال المهملتين.

صَعِد: بكسر العين المهملة في الماضي وفتحها في المستقبل.

وكان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلى آخره: قد بَسَطْتُ الكلام على ذلك في كتابي: «جامع الخيرات في الأذكار والدعوات». وخلاصة ذلك أن النبي ﷺ رفع يديه في الدعاء في الصحيحين أو أحدهما في نحو ثلاثين حديثاً، وأجاب العلماء رحمهم الله تعالى بأن المراد لا يرفع يديه الرفع البالغ أو أن المراد لم يره رفع، أو أنه ﷺ كان يرفع يديه في الاستسقاء، يعني ظهور كَفَّيْه إلى السماء، كما في مُسْلِم، فيكون الحديث لا يرفع هذا الرفع إلا في الاستسقاء.

حتى رِئَ بياض إِبْطَيْه: بكسر الراء وفتح الهمزة، ورُئِيَ بضم الراء وكسر الهمزة وعليها فهو مبني للمفعول.

الغَيْث: بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية فثاء مثلثة.

اسْقِ: يجوز فيه وصل الهمزة وقطعها أَسْقِ ثلاثي ورباعي، كذا ما بعده.

الرِيّ: [بكسر الراء وفتحها وتشديد التحتية].

مَرِيعاً: بفتح الميم وكسر الراء وسكون التحتية وبالعين المهملة من الرَّيْع وهو الخِصْب ورُوِي مُرْبِعاً بضم الميم وسكون الراء وبالموحدة المكسورة وبالعين المهملة. [ورُوِيَ] مُرْتِعاً بالمثناة الفوقية من رَتَعَتْ الدَّابَّة إذا أكلت ما شاءت.

طَبَقاً: بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبالقاف أي مُسْتَوْعِباً للأرض مُنْطَبِقاً عليها.

أبو لُبَابَة: بضم اللام وفتح الموحدتين بينهما ألف.

المِرْبَد: بكسر الميم وسكون الراء وفتح الموحدة وبالدال المهملة والجمع مَرَابد بفتح الميم، والمِرْبَد هو الموضع الذي يُجْعَل فيه التمر لِيَنْشَف كالبَيْدَر للحِنْطَة.

ثَعْلَب: بلفظ اسم الحيوان المعروف، وهو مَخْرَج ماء المطر من جَرِين التَمْر.

القَزَعة: بفتح القاف والزاي: القطعة الرقيقة من السحاب.

سَلْع: بفتح أوله وإسكان ثانيه: جَبَل بالمدينة.

ما رأينا الشمس سَبْتاً: قال في المطالع أي مُدَّة. قال قاسم بن ثابت: والناس يحملونه على أنه من سَبْتٍ إلى سَبْت، وإنما السَّبْت قطعة من الدهر. وقال في النهاية: قيل أراد أسبوعاً من السبت إلى السبت فأُطْلِق عليه اسم اليوم، وقيل أراد بالسبت مدة من الزمان قليلة كانت أو كثيرة.

فجاء ذلك الرجل أو غيره: قال في النور إنه هو، وذلك لأن في الصحيح ما يؤيده ويُرْشِد إلى أنه الرجل الأول، وقد سَمَّاه بعض حُفَّاظ هذا العصر خَارِجة بن حِصْن بن حُذَيْفَة، أخا عُيَيْنَة بن حِصْن.

الأَكَمَة: تَلّ وقيل شُرْفَة كالرابية وهو ما اجتمع من الحجارة في مكان واحد وربما غَلُظَ وربما لم يَغْلُظ والجمع أَكَم وأَكَمَات مثل قَصَبَة [وقَصَب] وقَصَبَات، وجمع الأَكَم إِكَام مثل جبل وجبال وجمع الإكام أُكُم بضمتين مثل كتاب وكُتُب، وجمع الأُكُم آكام مثل عُنُق وأَعناق.

الظِّرَاب: بكسر الظاء المعجمة المشالة جمع ظَرِب بفتح الظاء وكسر الراء وهي الروابي الصغيرة.

انجابت: انقطعت والجَوْب القَطْع.

الباب التاسع والسبعون

في وفود بني قشير إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(١) عن علي بن محمد القُرَشِيّ ورجل من بني عَقِيل قالا: وفد على رسول الله ﷺ نفر من بني قُشَيْر فيهم ثَوْر بن عَزْرَة بن عبد الله بن سلمة بن قُشَيْر فأسلم فأقطعه رسول الله ﷺ قُطَيْعَة وكتب له كتاباً، ومنهم حَيْدَة بن معاوية بن قُشَيْر، وذلك قبل حجة الوداع وبعد حُنَيْن، ومنهم قُرَّة بن هُبَيْرَة بن سَلَمَة الخَير بن قُشَيْر، فأسلم فأعطاه رسول الله ﷺ وكساه بُرْداً وأمره أن يتصدَّق على قومه أي يَلِي الصَّدقة فقال قُرَّة حين رجع:

حَبَاهَا رَسُولُ اللهِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ ... وَأَمْكَنَهَا مِن نَائِلٍ غَيْرِ مُنْفَدِ
فَأَضْحَتْ بِرَوْضِ الخَضْرِ وَهِيَ حَثِيثَةٌ ... وَقَدْ أُنْجِحَتْ حَاجَاتُهَا من مُحَمَّدِ
عَلَيْهَا فَتَىً لاَ يُرْدِفُ الذَّمُّ رَحْلَهُ ... تَرُوكٌ لأَمْرِ العَاجِزِ المُتَرَدِّدِ

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

قُشَيْر: بقاف مضمومة فشين معجمة مفتوحة فمثناة تحتية فراء.

عَزْرَة: [بعين مهملة مفتوحة فزاي ساكنة فراء فتاء تأنيث].

حَيْدَة: [بحاء مهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فدال مهملة].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/٦٧.

الباب الثمانون

في وفود قيس بن عاصم إليه صلى الله عليه وسلم

عن غالب بن أَبْجَر [المزني] قال: ذُكِرَتْ قيس عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ الله قَيْساً». قيل: يا رسول الله أتترحَّم على قيس قال: «نعم إنه كان على دين أبينا إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، إن قيساً فُرسان الله تعالى في الأرض، والذي نفسي بيده ليأتِيَنَّ على الناس زمان ليس لهذا الدين ناصر غير قيس، إن قيساً خير الله تعالى في الأرض»(١). يعني أَشَدُّ الله. رواه الطبراني برجال ثقات والبزار.

وروى الطبراني(٢) بسند جيِّد عن قيس بن عاصم رضي الله تعالى عنه قال: قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال: «هذا سيِّدُ أهل الوبَرِ». فلما نزلت أَتَيْتُه فجعلت أُحدِّثه، فقلت: يا رسول الله، ما المال الذي ليست عليَّ فيه تَبِعة من ضَيفٍ ضافني أو عِيَالٍ كثروا عليَّ؟ قال: «نِعْمَ المال الأربعون، والأكثر الستُّون، ووَيْلٌ لأصحاب المئين إلا من أعطى من رِسْلِها ونَجْدَتِها، وأَطْرقَ فَحْلَها، وأَفْقَر ظَهْرها [ومنح غزيرتها] ونحر سَمينَها وأَطْعمَ القَانِعَ والمُعْتَرّ». قال: يا رسول الله، ما أَكْرَمَ هذه وأَحْسَنها، إنه لا يُحَلُّ بالوادي الذي أنا فيه لكثرة إبِلِي. فقال: «فكيف تَصْنَعُ بالطَّروقة؟» قال: قلت تَغْدو الإبِلِ ويغدو الناس، فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به. قال: «فكيف تصنع في الإفْقَار؟ قلت: إني لأُفْقِر النَّابَ المُدْبِرَة والضَّرَع الصغير. قال: «فكيف تصنع في المنيحة؟» قلت: إني لأَمْنَحُ في كل سنة مائة. قال: «فمالُكَ أَحَب إليك أم مالُ مواليك؟» قلت: لا، بل مالي. قال: «إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفْنَيْتَ أو لَبِسْتَ فأَبْلَيْت أو أَعْطَيْتَ فأَمْضَيْت وسائره لمواليك». فقلت: والله لئن بَقِيت لأُقِلَّنَّ عَدَدَها.

قال الحسن البَصْري رحمه الله تعالى: فعل والله، فلما حضرت قيساً الوفاة جمع بَنِيه فقال: يا بنيَّ خذوا عنِّي فإنكم لن تأخذوا من أحدٍ هو أنْصح لكم مني. إذا أنا مِتُّ فسوِّدوا أكابركم ولا تُسَوِّدوا أصاغركم فَتُسَفِّهَكُم الناس وتهونوا عليهم وعليكم بإصلاح المال فإنه سعة للكريم ويُسْتَغْنَى به عن اللئيم، وإيَّاكم والمسألة فإنها آخِرُ كَسْب المَرْء، وإذا أنا مِتُّ فلا تنوحوا عليَّ فإن رسول الله ﷺ لم يُنَحْ عليه وقد سمعته ينْهَى عن النِّيَاحة، وكَفِّنوني في ثيابي التي كنت أُصَلِّي فيها وأصوم وإذا دفنتموني فلا تدفنوني في موضع يَطَّلِعُ عليه أحد، فإنه قد كان بيني وبين بني بكر بن وائل حماسات في الجاهلية فأخاف أن يَنْبُشُوني فيصيبون في ذلك ما

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٥٢/١٠ وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٣٩/١٨.

يذهب فيه دينكم ودنياكم. قال الحسن رحمه الله تعالى: نصح لهم في الحياة ونصح لهم في الممات.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق.

الوَبَر: بواو فموحدة مفتوحتين فراء: شعر الإبل، وأهل الوَبَر أهلُ البوادي لأن بيوتهم يتخذونها منه.

رِسْلها: براء مكسورة فسين مهملة ساكنة فلام: اللّبن، والهِينَة والرِّفْق.

نَجْدَتها ورِسْلها: بنون فجيم فدال مهملة ففوقية أي الشدة والرخاء، يقول: يُعْطِي وهي سِمَانٌ حِسَان يشتدّ عليه إخراجها فتلك نَجْدَتُها، ويُعْطي في رِسْلِها وهي مهازيل مُقَارِبة، قاله في النهاية. والأحْسَن أن يكون المُرَاد بالنَّجْدَة: الشِّدَّة والجَدْب، وبالرِّسْل الرَّخاء والخِصْب، لأن الرِّسْل اللّبن وإنما يكثُرُ في حال الرَّخاء والخِصْب فيكون المعنى أنه يُخْرِج حقَّ الله تعالى في حال الضِّيق والسّعَة، والجَدْب والخِصْب.

أَفقر ظَهْرَها: بهمزة مفتوحة ففاء ساكنة فقاف فراء.

القانع: بقاف ثم نون: هو السائل.

المُعْتَر: بضم الميم وسكون العين المهملة وفتح الفوقية: الذي يعتريك أي يُلِم بك لتعطيه ولا يسأل.

الدبرة: بفتح الدال المهملة والموحدة وتسكن فراء مفتوحة فتاء تأنيث: الدولة والظفر والعزيمة ويقال على من الدبرة أي الهزيمة.

سَوِّدوا: بسين مهملة فواو مكسورة مشددة فدال مهملة أي اجعلوه سيّداً.

حَمَاسَات: بحاء مهملة مفتوحة فميم فألف فسين مهملة فتاء حماسة وهي الشدة والشجاعة.

الباب الحادي والثمانون

في وفود بني كلاب إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد في الطبقات(١) عن خارجة بن عبد الله بن كعب قال: قدم وفد بني كلاب في سنة تسع على رسول الله ﷺ، وهم ثلاثة عشر رجلاً فيهم لَبِيد بن ربيعة، وجَبَّار بن سَلْمَى فأنزلهم دار رَمْلَة بنت الحدَث، وكان بين جَبَّار وكعب بن مالك خُلَّة، فبلغ كعباً قدومهم فرحَّب بهم وأهدى لِجَبَّار وأكرمه، وخرجوا مع كعب فدخلوا على رسول الله ﷺ فسلَّموا عليه بسلام الإسلام، وقالوا: إن الضَّحَّاك بن سُفْيَان سار فينا بكتاب الله وبِسُنَّتك التي أمرت بها، وإنه دعانا إلى الله فاستجبنا لله ولرسوله وإنه أخذ الصَّدقة من أغنيائنا فرَدَّها على فقرائنا.

الباب الثاني والثمانون

في وفود بني كلب إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(٢) عن رجل من بني ماويَّة من كَلْب عن أبي لَيْلَى بن عطية الكلبي عن عمه قالا: قال عبد عمرو بن جَبَلَة بن وائل بن الجُلاَح الكلبي: شَخَصْتُ أنا وعاصم - رجل من بني رقاش من بني عامر - حتى أتينا النبي ﷺ فعرض علينا الإسلام فأسلمنا وقال: «أنا النبيّ الأمِّيّ الصادق الزَّكِيّ، والوَيْلُ كُلّ الوَيْل لمن كذَّبني وتَوَلَّى عنِّي وقاتلني، والخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ لمن آواني ونصرني، وآمن بي وصدَّق قولي، وجاهد معي». قالا: فنحن نؤمن بك ونصدِّق قولك، وأنشأ عبد عمرو ويقول:

أَجَبْتُ رسول الله إِذْ جَاءَ بالهُدى ... وأَصْبَحْتُ بَعْدَ الجَحْدِ بالله أَوْجَرَا

وَوَدَّعْتُ لَذَّاتِ القِدَاحِ وقد أُرَى ... بها سَدِكاً عُمْرِي وَلِلَّهْوِ أَهْدَرَا

وآمَنْتُ بالله العَلِيِّ مَكَانُهُ ... وأَصْبَحْتُ لِلأَوْثَانِ مَا عِشْتُ مُنْكِرَا.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

أَوْجَر: بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فجيم فراء، يقال وَجَرْتُه بالسيف وَجْراً أي طَعَنْتُه. قال في النهاية: والمعروف في الطَّعْن أَوْجَرْتُه الرُّمْحَ ولعله لغة فيه.

القِدَاح: بقاف مكسورة فدال مهملة فألف فحاء مهملة جمع قِدْح بكسرها أيضاً وهو السهم الذي كانوا يستقسمون به وهو المراد هنا وهو السهم الذي يُرْمَى به عن القَوْس.

سَدِكاً: بسين فدال مهملتين فكاف أي مُوَلَعاً.

أَهْدَر: بهمزة مفتوحة فهاء ساكنة فدال مهملة فراء: أي أَبْطَل.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦٤/٢.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٩٨/٢.

الباب الثاني والثمانون
في وفود بني كنانة إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد[١] في الطبقات عن خالد الحذَّاء عن أبي قِلابة، في رجال آخرين من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض فيما ذكروا من وفود العرب على رسول الله ﷺ، قالوا: وفد واثلة بن الأسقع الليثي على رسول الله ﷺ، فقدم المدينة ورسول الله ﷺ، يتجهّز إلى تبوك فصلّى معه الصبح، فقال له: «ما أنت وما جاء بك وما حاجتك؟» فأخبره عن نسبه وقال: أتيتك لأؤمن بالله ورسوله، قال: «فبايع على ما أحببتُ وكرهتُ»، فبايعه ورجع إلى أهله فأخبرهم، فقال له أبوه: والله لا أكلمك كلمة أبداً، وسمعت أخته كلامه فأسلمت وجهزته، فخرج راجعاً إلى رسول الله ﷺ، فوجده قد صار إلى تبوك، فقال: من يحملني عُقبه وله سهمي؟ فحمله كعب بن عُجرة حتى لحق برسول الله ﷺ، وشهد معه تبوك، وبعثه رسول الله ﷺ، مع خالد بن الوليد إلى أكيدر، فغنم فجاء بسهمه إلى كعب بن عجرة، فأبى أن يقبله وسوّغه إيّاه وقال: إنما حملتك لله.

الباب الثالث والثمانون
في وفود كندة إليه صلى الله عليه وسلم منهم الأشعث بن قيس.

قال في زاد المعاد: قال ابن إسحاق: حدثني الزُّهْرِي قال: قدم الأشعث بن قيس على رسول الله ﷺ في ثمانين أو ستين راكباً من كندة، فدخلوا عليه مسجده، قد رَجَّلوا جُمَمَهُم واكتحلوا ولبسوا جِبَاب الحِبَرَات مُكَفَّفَةً بالحرير. فلما دخلوا قال رسول الله ﷺ: «أَوَ لَمْ تُسْلِموا؟» قالوا: بلى. قال: «فما هذا الحرير في أعناقكم؟» فشقُّوه ونزعوه وألقوه. ثم قال الأشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو آكل المُرَار وأنت ابن آكل المُرَار. فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «ناسِبْ بهذا النَّسَب ربيعة بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب». قال الزهري وابن إسحاق: كانا تاجرين، وكانا إذا سارا في أرض العرب فسُئِلا: من أنتما؟ قالا: نحن بنو آكل المُرَار، يَتَعَزَّزان بذلك في العرب ويدفعان به عن نفسيهما لأن بني آكل المُرَار من كِنْدَة كانوا ملوكاً. قال رسول الله ﷺ: «لا، بل نحن بنو النَّضْر بن كِنَانة لا نَقْفوا أُمَّنا ولا نَنْتَفِي من أبينا». وفي المسند من حديث حمَّاد بن سَلَمة، عن عَقِيل بن طلحة، عن مُسْلِم بن مُسْلِم عن الأشعث بن قيس قال: قدمنا على رسول الله ﷺ وفد كِنْدَة ولا يَرَوْن إلا أنّي أَفْضَلهم، قلت: يا رسول الله، أَلَسْتُم منَّا؟ قال: «لا، نحن بنو النَّضْر بن كِنَانة لا نَقْفوا أُمَّنا ولا نَنْتَفِي من أبينا». فكان الأشعث يقول: لا أُوتَى برجل نَفَى رجلاً من قريش من النَّضْر بن كنانة

إلا جَلَدْتُه الحَدّ. وروى الإمام أحمد، وابن مَاجَة، والحارث، والبَارَوَرْدِيّ، ويُسَمُّونه، وابن سعد، والطبراني في الكبير، وأبو نُعَيْم، والضياء عن الأشعث بن قيس الكِنْدِي قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كِنْدَة فقال لي النبي ﷺ: «هل لك من ولد؟». قلت: غلام وُلِد مَخْرَجِي إليك من ابنة فلان وَلَوَدِدْتُ أن يَشْبَع القوم. فقال: «لا تقولنَّ ذا فإن فيهم قُرَّةَ عَيْن وَأَجْراً إذا قُبِضوا». ثم قال: «إنهم لَمَجْبَنَة مَبْخَلَة»(١). وروى العسكري عنه قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقال لي: «ما فعلت بنت عمِّك؟» قلت: نُفِسَتْ بغُلاَم والله لَوَدِدْتُ أن لي سَبيَّة. فقال: «إنهم لَمَجْبَنَةٌ مَبْخَلَة وإنهم لَقُرَّةُ العَيْن وثَمَرَةُ الفؤاد».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

رَجَّلوا: بالجيم أن سَرَّحوا ونَظَّفوا شعورهم.

الجُمَم: جمع جُمَّة وهي من شعر الرأس ما سقط من المَنْكِبين.

الحِبَرَة: بالحاء المهملة والموحدة وزن عِنَبة وهي من البرود وما كان مُوَشَّى مُخَطَّطاً يقال له حِبَرَة، وبُرْد حِبَرة على الوصف والإضافة، وهو بُرْدٌ يمانِيّ.

كَفَّفُوها بالحرير: أي جعلوا لكل جُبَّة كُفَّة من حرير وهي بضم الكاف وتشديد الفاء فتاء تأنيث وهي السِّجَاف.

بنو آكل المُرَار: وهو الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية من كندة ولقب بذلك لأكله المُرَار هو وأصحابه، والمُرَار شجر معروف. وللنبي ﷺ جَدَّة من كِنْدَة وهي أُمّ كلاب بن مُرَّة واسمها دَعْد بنت شَرِيد بن ثعلبة بن الحارث الكِنْدي، وقيل بل هي جَدَّة كلاب أُمّ أُمِّه هِنْد.

لا نَقْفوا أُمَّنا ولا نَنْتَفِي من أبينا: أي لا نَتَّهِمَها ولا نقذفها وقيل معناه: لا نترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات.

القادسية: قرية قرب الكوفة(١).

جَلُولاَءُ: بفتح الجيم وضم اللام وبالمد نَهَاوَنْد: [بفتح أوله ورابعه مدينة عظيمة في قِبْلَة هَمَذَان].

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ١٥٨/٨ وعزاه لأحمد والطبراني وقال: وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

الباب الرابع والثمانون

في وفادة أبي رزين لقيط بن عامر العقيلي إليه صلى الله عليه وسلم

روى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند، والطبراني عن لَقِيط بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: خرجت أنا وصاحبي نَهِيك بن عاصم [بن مالك بن المُنْتَفِق] حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فَوَافَيْنَاه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال: «يا أيها الناس، ألا إني قد خَبَأْت لكم صَوْتي منذ أربعة أيام لتسمعوا الآن، ألا فهلْ من امرئ قد بعثه قومه؟» فقالوا: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ: «ألا ثم رجل لعلَّه أن يُلْهِيَه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يُلْهِيه ضَالّ، ألا وإني مسؤول هل بَلَّغْت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا». فجلس الناس، وقمتُ أنا وصاحبي، حتى إذا فرغ لنا فُؤَادُه وبصره قلت: يا رسول الله، ما عندك من عِلْم الغَيْب؟ فضحك فقال: «لَعَمْرُ الله» وهَزَّ رأسه وعلِمَ أني أَبْتَغِي سَقَطَه، فقال: «ضَنَّ ربُّك عز وجل بمفاتيح خمسة من الغيب لا يعلمها إلا الله». وأشار بيده، فقلت: وما هي يا رسول الله؟ فقال: «علم المنية، قد علم متى مَنِيَّة أحدكم ولا تعلمونه، وعِلْم ما في غَدٍ، وما أنت طَاعِمٌ غداً ولا تعلمه، وعِلْمُ المَنيِّ حين يكون في الرَّحِم قد عَلِمَه ولا تعلمونه، وعِلْمُ الغَيْث يُشْرِف عليكم آزلين مُشْنِتِين، فَيَظَلّ يضحك قد عَلِمَ أن غَوْثَكم قريب». قال لَقِيط: قلت: لن نَعْدَم من رَبٍّ يضحك خيراً يا رسول الله قال: «وعِلْمُ يوم الساعة». قلت: يا رسول الله، إني سائِلُك عن حاجتي فلا تُعْجِلْني، قال: «سَلْ عَمَّا شئت». قال: قلت يا رسول الله، عَلِّمْنا مِمَّا لا يَعْلَم الناس ومِمَّا تَعْلَم فإنَّا من قَبِيلٍ لا يُصَدِّقُون تصديقنا أحداً، من مَذْحِج التي تدنو إلينا، وخَثْعَم التي توالينا وعشيرتنا التي نحن منها.

قال رسول الله ﷺ: «ثم تَلْبَثُون ما لَبِثْتُم، يُتَوَفَّى نَبِيُّكم، ثم تُبْعَث الصَّائِحة، فَلَعَمْرُ إلهك ما تدع على ظَهْرِها من شيء إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فيَصْبِح ربُّك عز وجل يَطُوف في الأرض قد خَلَتْ عليه البلاد، فَيَرْسِل ربُّك السماء تَهْضِب من عند العَرْش، فَلَعَمْرُ إلهك ما تدع على ظهرها من مَصْرَعِ قتيل ولا مَدْفَنِ مَيِّت إلا شَقَّتْ القَبْر عنه حتى تَخْلُفَه من قِبَل رأسه، فيَسْتَوِي جالساً، فيقول ربُّك: مَهْيَم ـ لما كان فيه ـ فيقول: يا ربِّ، أمس اليوم ولعهده بالحياة يَحْسَبُه حديث عهد بأهله».

فقلت: يا رسول الله، فكيف يَجْمَعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبِلِيَ والسباع؟ فقال: «أُنَبِّئك بِمِثْل ذلك في آلاء الله، أَشْرَفْتَ على الأرض وهي مَدِرَة بالية، فقلت لا تَحْيَا هذه أبداً، ثم أَرْسَل ربُّك عليها فلم تَلْبَث إلا أَيَّاماً حتى أَشْرَفْتَ عليها وهي شَرَبة واحدة، وَلَعَمْرُ إلهك لَهُوَ أَقْدَر على

أن يجمعكم من الماء على أن يَجْمَع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء، ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم».

قال: قلت: يا رسول الله، كيف ونحن مِلْءُ الأرض وهو عز وجل شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: «أُنبئك بمثل ذلك في آلاء الله عز وجل: الشمس والقمر آية منه صغيرة تَرَوْنَهُمَا ويريانكم ساعةً واحدة [ولَعَمْرُ إلهك أَقدر على أن يراكم وتَرَوْنَه من أن تَرَوْنَهُمَا ويريانكم] لا تُضَارُّون - وفي لفظ: لا تَضَامّون - في رؤيتهما». قلت: يا رسول الله، فما يفعل بنا رَبُّنا إذا لَقِينَاه؟ قال: «تُعْرَضُون عليه بادِيَةً له صفحاتكم لا تَخْفَى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غَرْفَةً من الماء فَيَنضح بها قُبلكم، فَلَعَمْرُ إلهك ما تُخْطِئُ وجه أحد منكم قَطْرَة، فأما المسلم فتدع وجهه مِثْلَ الرَّيْطَة البيضاء. وأما الكافر فتنضحه أو قال: فتحطمه بمثل الحُمَم الأسود، ثم ينصرف نَبِيُّكم ويَتَفَرَّق على أَثَرِه الصالحون فتسلكون جسراً من النار، فَيَطَأُ أحدكم الجَمْر فيقول: حِسّ، فيقول ربُّك عز وجل: أَو إنَّه أَلاَ فتطلعون على حَوْض نبيِّكم لا يَظْمَأ والله ناهِلُه قط فَلَعَمْرُ إلهك ما يَبْسُط أحدٌ منكم يده إلا وَقَع عليها قَدَح يُطَهِّرُه من الطَّوْف والبَوْل والأَذَى، وتُحْبَس الشمس والقمر فلا تَرَوْن منهما واحداً».

قال: قلت يا رسول الله، فَبِمَ نُبْصِر يومئذ؟ قال: «بِمِثْلِ بَصَرك ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال». قال: قلت: يا رسول الله، فَبِمَ نُجْزَى من سيئاتنا وحسناتنا؟ قال: «الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثالها، والسَّيِّئَة بِمِثْلِها إلا أن يَعْفو». قال: قلت: يا رسول الله، فما الجنة وما النار؟ قال: «لَعَمْرُ إلهك إن النار لها سبعة أبواب، ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وإن للجَنَّة ثمانية أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً». قال: قلت: يا رسول الله، فعلام نَطَّلِع من الجنة؟ قال: «على أنهار من عسل مُصَفًّى وأنهار من خَمْر ما بها من صُدَاع ولا نَدَامة، وأنهار من لبن لم يَتَغَيَّر طَعْمُه، وماءٍ غيرِ آسن، وفاكهة، ولَعَمْرُ إلهك ما تَعْلَمون، وخيرٌ من مِثْله معه أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَة». قال: قلت: يا رسول الله، أَوْ لنا فيها أزواج أو مِنْهُنَّ صالحات قال: «المصلحات للصالحين»، وفي لفظ: «الصالحات للصالحين تَلَذُّونَ بهن مثل لَذَّاتكم في الدنيا ويلْذَذْنَ بكم غيرَ أن لا تَوَالُد».

قال لقيط: قلت: يا رسول الله، أَقْصَى ما نحن بالغون ومُنْتَهُون إليه. فلم يُجِبْه النبي ﷺ. قال: قلت: يا رسول الله، علام أُبَايِعُك؟ قال: فبسط رسول الله ﷺ يده وقال: «على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وزيال الشِّرْك فلا تُشْرِك بالله إلهاً غَيْرَه». قال: فقلت: يا رسول الله، وإن لنا ما بين المَشْرِق والمَغْرِب؟ فقَبَض النبي ﷺ يده وظَنَّ أني أشترط عليه شيئاً لا يُعطِينه.

قال: قلت: نَحُلُّ منها حيث شئنا ولا يَجْنِي على امرئ إلا نفسه؟ فبسط إليَّ يده وقال: «ذلك لك، تَحُلّ حيث شئت ولا يَجْزِي عنك إلا نفسك». قال: فانصرفنا عنه. فقال: «ها إن ذين ها إن ذين، مرّتين، من أَتْقَى الناس في الأولى والآخرة». فقال له كعب بن الخُدَّارِيَّة، أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: «بنو المُنْتَفِق أهلُ ذلك منهم». قال: فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت: يا رسول الله، هل لأحد مِمَّن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال رجل من عُرْض قريش: والله إن أباك المُنْتَفِق لفي النار، قال: فَلَكَأنَّه وقع حَرٌّ بين جِلْدَةِ وجهي ولَحْمِه مِمَّا قال لأبي، على رؤوس الناس، فَهَمَمْتُ أن أقول وأبوك يا رسول الله، ثم إذا الأخرى أجمل، فقلت: يا رسول الله وأهلك. قال: «وأهلي لَعَمْرُ الله حيث ما أتيت على قبر عامري أن قُرَشي أو دَوْسِيّ قل أرسلني إليك محمد فأبشر بما يسؤك تُجَرّ على وجهك وبَطْنِك في النار».

قال: قلت: يا رسول الله وما فعل بهم ذلك؟ وقد كانوا على عمل لا يُحْسِنون إلا إياه وكانوا يَحْسَبون أنهم مُصْلِحون. قال ﷺ: «ذلك بأن الله تعالى بعث في آخر كل سبع أُمَم نبياً، فمن عَصَى نَبِيَّه كان من الضالّين ومن أطاع نَبِيَّه كان من المهتدين».

رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند، والطبراني. وقال الحافظ أبو الحسن الهيثمي رحمه الله تعالى: أَسْنَادها متصلة ورجالها ثقات. وإسناد الطبراني مُرْسَل عن عاصم بن لَقِيط. وقال في زاد المعاد: «هذا حديث كبير جليل تُنَادى جلالته وفَخَامَتُه وعظمته على أنه خرج من مشكاة النُّبُوَّة، رواه أئمة السُّنَّة في كتبهم وتلقوه بالقَبُول وقابلوه بالتسليم والانقياد، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رُوَاته». وسرد [ابن القَيِّم] مَنْ رواه من الأئمة، منهم البيهقي في كتاب البعث.

تنبيهات

الأول: قال في زاد المعاد: «قوله عليه الصلاة والسلام: «فيظَلّ يَضْحَك»، هذا من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته، وقد وردت هذه القصة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى رَدِّها، كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها وكذلك قوله: «فأصبح رَبُّك يطوف في الأرض»، هو من صفات أفعاله كقوله تعالى: ﴿**وَجَاء رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الحجر ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ**﴾ [الأنعام ١٥٨]. ويَنْزِل ربُّنا كل ليلة إلى السماء الدنيا [ويدنو عَشِيَّة عَرَفة فَيُبَاهي بأهل المَوْقِف الملائكة]، والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم، إثباتٌ بلا تمثيل وتشبيه، وتنزيه بلا تحريف وتعطيل.

الثاني: قوله: «ما تدع على ظَهْرِها من شيء إلا مات والملائكة الذين مع ربِّك»، قال في زاد المعاد: لا أعلم مَوْتَ الملائكة جاء في حديث صريح إلا في هذا الحديث، وحديث إسماعيل بن رافع الطويل وهو حديث الصُّور، وقد يُسْتَدلُّ عليه بقوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ**﴾ [الزمر ٦٨].

الثالث: قوله: «فَلَعَمْرُ إلهك»، هو قَسَم بحياة الله تعالى، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته، وانعقاد اليمين بها وأنها قديمة وإنه يُطْلَق عليه منها أسماء المصادر، ويوصف بها، وذلك قَدْرٌ زائد على مُجَرَّد الأسماء وأن الأسماء الحُسْنَى مُشْتَقَّة من هذه المصادر دَالَّةٌ عليها.

الرابع: في بيان غريب ما سبق:

لَقِيط: بلام مفتوحة فقاف مكسورة فتحتية ساكنة فطاء مهملة.

نَهِيك: بفتح النون وكسر الهاء وسكون التحتية وكاف.

السَّقَط من القول بسين مهملة فقاف مفتوحتين فطاء مهملة: رَدِيئُه.

ضَنَّ رَبُّك: بضاد معجمة فنون مفتوحتين أي لم يَطَّلِع غيره عليها.

يشْرِف عليكم: بتحتية مضمومة فشين معجمة ساكنة فراء مكسورة ففاء.

آزلين: بهمزة مفتوحة فزاي مكسورة فلام فتحتية ساكنة فنون، من الأَزْل الشِّدة والضيق.

مُشْفِقِين: بميم مضمومة فشين معجمة ساكنة ففاء مكسورة فقاف فتحتية ساكنة فنون، أي خائفين من الإشفاق وهو الخَوْف.

إن غَوْثَكُم قريب: بغين معجمة مفتوحة فواو ساكنة فثاء مثلثة: أي إعانتكم.

خَثْعَم: بخاء معجمة مفتوحة فمثلثة ساكنة فعين مهملة مفتوحة فميم.

تَهْضِب: بمثناة فوقية مفتوحة فهاء ساكنة فضاد معجمة مكسورة فموحدة: مَطَرَتْ.

تَخْلُفُه من قِبَل رأسه: بفتح المثناة الفوقية وسكون الخاء المعجمة فلام مضمومة ففاء، أي تَبْقَى بعده، من الخَلْف بالتحريك والسكون وهو كل من يجيء بعد من مضى إلا أنه بالتحريك في الخير وبالتسكين في الشَّر.

مَهْيَم: بميم مفتوحة فهاء ساكنة فتحتية مفتوحة فميم، كلمة يمانية معناها ما الأمر وما الشأن؟.

أُنبِئكَ: بهمزة مضمومة فنون ساكنة فموحدة فهمزة: أُخبِرك.

آلاء الله: بألف فهمزة فلام مفتوحتين فهمزة أي نعَمُه.

مَذِرَة: بميم مفتوحة فذال معجمة مكسورة فراء فتاء تأنيث، أي فاسدة بالية.

شَرْبة واحدة: قال القُتَيْبِي: إن كان بالسكون فإنه أراد أن الماء قد كَثُر فمن حيث أَرَدَتَّ أن تَشْرَب شَرِبْت.

الأَصْوَاء: بالهمزة المفتوحة والصاد المهملة: القبور.

لا تَضَامُّون في رؤيتهما: بفتح المثناة الفوقية والضاد المعجمة فألف فميم فواو فنون.

صَفَحَاتكم: جمع صَفْحَة وهي أحد جانبي الوجه، وهي بصاد مهملة ففاء فحاء مهملة مفتوحات جمع صَفْحَة.

يَنْضَخ: بتحتية مفتوحة فنون ساكنة فضاد معجمة فخاء معجمة: أي يُرَشُّ قليلاً من الماء.

الرَّيْطَة: براء مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فطاء مهملة فتاء تأنيث: كل مُلاَءة ليست بِلِفْقَيْن وقيل: كل ثَوْب رقيق لَيِّن.

الحُمَم الأسود: دُخَان أسود.

الجِسْر: الصِّراط.

حِسّ: بحاء مكسورة فسين مشددة مهملتين: كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مَضَّهُ وأَحْرَقه غَفْلة كالجَمْرَة والضَّرْبَة ونحوهما.

فيقول رَبُّك عز وجل: أو إنه: [أي وإنَّه كذلك أو إنه على ما تقول وقيل إنَّ بمعنى نعم والهاء للوقف].

الباب الخامس والثمانون

في وفود محارب إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(١) رحمه الله تعالى عن أبي وَجْزَة السَّعْدِي قال: قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع، وهم عشرة نفر منهم سَوَاء بن الحارث، وابنه خُزَيمة بن سَوَاء، فأنزلوا دار رَمْلَة بنت الحَدَث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله ﷺ يوماً من الظهر إلى العصر، فأسلموا وقالوا: نحن على مَنْ وراءنا، ولم يكن أحد في تلك المواسم التي كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فيها على القبائل يدعوهم إلى الله ولينصروه، أَفَظَّ ولا أغلظ على رسول الله ﷺ منهم.

وكان في الوفد رجل منهم فعرفه رسول الله ﷺ فأَمَدَّه النظر، فلما رآه المُحَارِبي يُدِيم النظر إليه قال: كأنك يا رسول الله تَوَهَّمنِي، قال: «لقد رَأَيتكَ». قال المحاربي: أي والله لقد رأيتني وكلَّمتني وكلَّمتك بأقبح الكلام ورَدَدْتُ عليك بأقبح الرَّدِّ بعُكَاظ وأنت تطوف على الناس. فقال ﷺ: «نعم». فقال المحاربي: [يا رسول الله ما كان في أصحابي أشَدَّ عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني] فأحمد الله الذي أبقاني حتى صَدَّقْتُ بك، ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم. فقال ﷺ: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل». فقال: يا رسول الله، اسْتَغْفِر لي من مراجعتي إياك. فقال ﷺ: «إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قَبْلَه من الكُفْر». ومَسَح رسول الله ﷺ وجه خُزَيْمَة بن سواء فكانت له غُرَّة بيضاء، وأجازهم كما يجيز الوفد وانصرفوا إلى أهليهم. وروى ابن شاهين وأبو نُعَيْم في معرفة الصحابة، وأبو بكر بن خَلاَّد النصيبي في الجزء الثاني من فوائده عن أَبَان المُحَاربي ويقال له أَبَان العَبْدِي قال: «كنت في الوفد فرأيت بياض إِبْط رسول الله ﷺ حين رفع يديه يستقبل بهما القِبْلَة».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

أَغْلَظُ العرب وأَفَظُّه: بالظاء المعجمة المُشَالة هما بمعنى شِدَّة الخُلُق وخشونة الجانب.

نائبين: بالنون في أوله من النيابة.

توهمني: حُذِف منه إحدى التاءين أي تَتَوَهَّمُني. رَأَيْتُكَ: بضم الفوقية.

ورَأَيْتَنِي وكَلَّمْتَني: بفتح الفوقية فيهما على الخِطَاب.

عُكَاظ: بعين مهملة مضمومة وكاف مُخَفَّفَة وبعد الألف ظاء معجمة مُشَالة.

فأَحْمَد الله: بفتح الهمزة والميم.

يَجُبّ: بفتح التحتية وضم الجيم وتشديد الموحدة يقطع.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٤٣٦/٢ .

الباب السادس والثمانون

في وفود مرة إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد(١) رحمه الله تعالى عن أشياخ من بني مرة قالوا: قدم وفد بني مُرَّة على رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك سنة تسع وهم ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، إنا قومك وعشيرتك، ونحن قوم من بني لُؤَيّ بن غالب.. فتبسَّم رسول الله ﷺ، ثم قال: «أين تركتَ أهلك؟» قال: بسلاح وما والاها. قال: «وكيف البلاد؟» قال: والله إنهم لمُسْنِتُون فادع الله لنا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اسقهم الغَيْثَ». فأقاموا أياماً ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم، فجاءوا رسول الله ﷺ مُوَدِّعِين له، وأمر بلالاً أن يجيزهم فأجازهم بعشر أواقٍ فِضَّة، وفَضَّل الحارث بن عوف فأعطاه اثنتي عشرة أوقية، ورجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد أُمْطِرَت. فسألوا متى مُطِرْتِم؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ. وقدم عليه وهو يتجهز لحجة الوداع قادم منهم فقال: يا رسول الله، رجعنا إلى بلادنا فوجدناها مصبوبة مطراً في ذلك اليوم الذي دعوتَ لنا فيه، ثم قَلَّدَتْنا أقلاد الزَّرْع في كل خمس عشرة [ليلة] مَطْرَة جوداً ولقد رأيت الإبل تأكل وهي بروك، وإن غنمنا ما تَوَارَى من أبياتنا فترجع فَتَقِيل في أهلنا. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هو صنع ذلك».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

مُرَّة: بميم مضمومة فراء مشددة فتاء تأنيث.

الحارث: بحاء مهملة فألف فراء فمثلثة.

ابن عوف: بعين مهملة فواو ففاء.

سِلاَح: بسين مهملة مكسورة فلام فألف فحاء مهملة: ما أَعْدَدْتَه للحرب من آلة الحديد مما يقاتل به، والسَّيْف وحده يسمى سلاحاً.

وما والاها: يقال رُبَاعِيّاً وثلاثياً.

الأُوقِيَّة: أربعون درهماً جمعها أَوَاقِيّ بالتشديد والتخفيف.

بُرُوك: بموحدة فراء مضمومة فواو فكاف أي باركة.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٦٣/٢.

الباب السابع والثمانون

في وفود مزينة إليه صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد[١]، والطبراني، والبيهقي، وأبو نُعَيْم عن النعمان بن مُقَرِّن رضي الله تعالى عنه قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مُزَيْنَة وجُهَيْنَة، فأمرنا بأمره، فقال القوم: يا رسول الله ما لنا من طعام نَتَزَوَّدُه. فقال النبي ﷺ لعُمَر رضي الله تعالى عنه: «زَوِّدْ القوم». فقال: يا رسول الله ما عندي إلا فَضْلَة من تمر وما أراها تُغْنِي عنهم شيئاً. قال: «انطلق فَزَوِّدْهم». فانطلق بنا إلى عُلِّيَّة فإذا تمرٌ مِثْلُ البَكْرِ الأَوْرَق. فقال: خذوا. فأخذ القوم حاجتهم. قال: وكنت في آخر القوم فالتفتُّ وما أَفْقِد موضع تمرة، وقد احتمل منه أربعمائة وكأنَّا لم نَرْزَأْهُ تَمْرَة. وفي لفظ: فنظرت وما أَفْقِد موضع تمرة من مكانها.

وروى ابن سعد[٢] عن كثير بن عبد الله المُزَني عن أبيه عن جدِّه قال: كان أول من وفد على رسول الله ﷺ من مضر أربعمائة من مزينة، وذلك في رجب سنة خمس فجعل لهم رسول الله ﷺ الهجرة في دارهم وقال: «أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم»، فرجعوا إلى بلادهم.

وقال [ابن سعد: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي أخبرنا أبو مسكين وأبو عبد الرحمن العَجْلاَني قالا]: قدم على رسول الله ﷺ نفر من مُزَيْنَة منهم خُزَاعِيّ بن عبد نُهْم، فبايعه على قومه مُزَيْنَة، وقدم معه عشرة منهم، فيهم بلال بن الحارث، والنّعمان بن مُقَرِّن، وأبو أسماء، وأسامة، وعبد الله بن بُرْدَة، وعبد الله بن درَّة وبِشْر بن المُحْتَفِز، وكان منهم دُكَيْن ابن سعيد، وعمرو بن عَوْف.

قال: وقال هشام في حديثه: ثم إن خُزَاعِيّاً خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظَنّ، فأقام، فدعا رسول الله ﷺ حسَّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه فقال: «اذكر خزاعياً ولا تَهْجُه»[٣] فقال حسان بن ثابت:

أَلاَ أَبْلِغْ خُزَاعِيّاً رَسُولاً ... بِأَنَّ الذَّمَّ يَغْسِلُهُ الوَفَاءُ

وَأَنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بنِ عَمْرٍو ... وأَسْنَاهَا إِذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ

وبَايَعْتَ الرَّسُولَ وَكَانَ خَيْراً ... إِلَى خَيْرٍ وَأَدَّاكَ الثَّرَاءُ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٤٥/٥.

(٢) أخرجه ابن سعد ٣٨/٢/١ وأحمد ٥٥/٤.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣٨/٢/١.

فَـمَـا يُـعْـجِـزْكَ أَوْ مَـا لاَ تُـطِـقْـهُ مِـنَ الأَشْـيَـاءِ لاَ تَـعْـجِـزْ عِـدَاءُ

قال: وَعِدَاء بَطْنُه الذي هو منه. قال: فقام خُزَاعِيّ فقال: يا قوم، قد خَصَّكُم شاعر الرجل، فأَنْشُدُكم الله. قالوا: فإنا لا نَنْبُو عليك. قال: وأسلموا ووفدوا على النبي ﷺ، فدفع رسول الله ﷺ لِوَاء مُزَيْنَة يوم الفتح إلى خُزَاعِيّ، وكانوا يومئذ ألف رجل وهو أخو المُغَفَّل أبي عبد الله بن المغفل، وأخو عبد الله ذي البِجَادَيْن.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

البَكْر: بموحدة مفتوحة وكاف ساكنة فراء: الفَتِيّ من الإبل.

الأَوْرَق: بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فراء فقاف هو الأسمر.

نَرْزَأه: بنون مفتوحة فراء ساكنة فزاي مفتوحة فهمزة فهاء أي نَنْقُصه.

الباب الثامن والثمانون

في وفود معاوية بن حيدة إليه صلى الله عليه وسلم

روى الإمام أحمد، والبيهقي(١) عن معاوية بن حَيْدَة رضي الله تعالى عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فلما دُفِعْتُ إليه قال: «أَمَا إني سألت الله عز وجل أن يُعِينَني عليكم بالسُّنَّة فتُحْفِيكم وبالرُّعب أن يجعله في قلوبكم». فقال معاوية بن حَيْدَة بيديه جميعاً: أمَا أنّي حُلِفْتُ هكذا وهكذا، أي لا أُؤمن بك ولا أَتَّبِعُك، فما زالت السُّنَّة تُحْفِيني، وما زال الرُّعبُ يَرْعَبُ في قلبي حتى وَقَفْتُ بين يديك فبالله الذي أرسلك بماذا بَعَثَكَ الله به عز وجل؟ قال: «بعثني بالإسلام». قال: وما الإسلام؟ قال: «شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله وتقيموا الصلاة وتُؤْتوا الزكاة، أخوان نَصِيران، لا يَقْبَلُ الله عز وجل من أحدٍ تَوْبَةً أَشْرَكَ بعد إسلامه». قال: قلت: يا رسول الله، ما حَقُّ زَوْجِ أحد منّا عليه؟ قال: «يُطْعِمُها إذا طَعِم ويَكْسُوها إذا اكْتَسَى ولا يَضْرِب الوجه ولا يُقَبِّح ولا تُهْجَر إلا في المبيت». وفي رواية: ما تقول: في نسائنا؟ قال: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لكم فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة ٢٢٣]. قال: فينظر أحدنا إلى عَوْرَة أخيه. قال: «لا». قال: فإذا تَفَرَّقا. قال: «فَضَمَّ رسول الله ﷺ إحدى فَخْذَيْه على الأخرى، ثم قال: «هَهُنا تُحْشَرُون هَهُنا تُحْشَرون ههنا تحشرون - ثلاثاً - يعني الشام - رُكْباناً ومُشاةً وعلى وجوهكم موفون يوم القيامة سبعين أُمَّة، أنتم آخرُ الأمُم وأَكْرَمَها على الله تعالى، وعلى أفواهكم الفِدَام، وأول ما يُعْرِب عن أحدكم فَخْذُه».

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

حَيْدَة: بحاء مهملة مفتوحة فتحتية ساكنة فدال مهملة فتاء تأنيث.

تُحْفِيكم: بفوقية مضمومة فحاء مهملة ساكنة ففاء فتحتية: تستأصلكم.

الفِدَام: بفاء مكسورة فدال مهملة فألف فميم: ما يُشَدُّ على فَمِ الإبريق والكوز من خِرْقَة لتَصْفِيَة الشَّرَاب الذي فيه، والمَعنى أنهم يُمْنَعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم فَشَبَّه ذلك بالفِدَام.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن ٧/٢٩٥ والدلائل ٥/٣٧٨ وأحمد في المسند ٥/٣.

الباب التاسع والثمانون

في وفود مهرة إليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن سعد(١) رحمه الله تعالى: قالوا: قدم وفد مَهْرَة عليهم مَهْرِيّ بن الأبيض فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام، فأسلموا ووصَلَهم وكتب لهم: «هذا كتاب من محمد رسول الله لمَهْرِي بن الأبْيَض على من آمن به من مَهْرَة ألاّ يُؤْكَلوا ولا يُعْرَكوا وعليهم إقامة شرائع الإسلام، فَمَنْ بَدَّل فقد حارب، ومن آمن به فله ذِمَّة الله وذمة رسوله، الُلقْطَة مُؤَدَّاة، والسَّارحة مُنَدَّاة، والثَّفَث السَّيِّئة، والرَّفَثُ الفُسُوق». وكتب محمد بن مَسْلَمة الأنصاري. وروى ابن سعد عن مَعْمَر بن عمران المَهْرِي عن أبيه قال: وفد إلى رسول الله ﷺ من مَهْرَة يقال له زُهَيْر ـ وفي لفظ: ذَهْبَن ـ ابن قِرْضَم بن العُجَيْل [ابن قِبَّات] فكان رسول الله ﷺ يُدْنِيه ويُكْرِمُه لِبُعْد مسافته، فلما أراد الانصراف بَتَّتَه وحَمَله، وكتب له كتاباً فكتابه عندهم [إلى اليوم].

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

مَهْرَة: [بميم مفتوحة فهاء ساكنة فراء فتاء تأنيث].

لا يُؤْكَلوا: أي لا يُغَار عليهم.

ولا يُعْركوا: [من عَرَكَتْ الماشية النبات أكلته أي يؤكل نباتهم].

السَّارحة: بسين مهملة مفتوحة فألف فراء فحاء مهملة فتاء تأنيث: الماشية تسرح إلى المَرْعَى.

مُنَدَّاة: [التَّنْدِية أن يورِد الرجل الإبل والخيل فتشرب قليلاًثم يَرُدُّها إلى المَرْعَى ساعة ثم تُعَاد إلى الماء].

زُهَيْر: [بضم الزاي وفتح الهاء فمثناة تحتية ساكنة فراء].

ذَهْبَن: [بذال معجمة مفتوحة فهاء ساكنة فموحدة مفتوحة فنون].

قِرْضِم: [بقاف مكسورة فراء ساكنة فضاد معجمة مكسورة فميم].

العُجَيْل: [بضم العين المهملة وفتح الجيم فمثناة تحتية ساكنة فلام].

---

(١) انظر الطبقات ١١٧/٢.

الباب التسعون

في قدوم نافع بن زيد الحميري عليه زاده الله تعالى فضلاً وشرفاً لديه.

ذكر ابن شاهين نافِعَ بن زيد الحَميري في الصحابة، وأخرج من طريق زكريا بن يحيى ابن سعيد الحَميري عن إياس بن عَمْرو الحَميري أن نافع بن زَيْد الحَمِيري قدم وافداً على النبي ﷺ في نفرٍ من حِمْيَر، فقالوا: أتيناك لنتفقَّه في الدين ونسأل عن أول هذا الأمر، قال: «كان الله ولا شيء غيره، وكان عَرْشُه على الماء، ثم خلق القلم فقال: اكتبْ ما هو كائن، ثم خلق السموات والأرض وما بينهما، واسْتَوَى على عَرْشِه».

الباب الحادي والتسعون

في وفود علماء نجران إليه صلى الله عليه وسلم وشهادتهم له بأنه النبي الذي كانوا ينتظرونه وامتناع من امتنع عن ملاعنته.

روى البيهقي عن يونس بن بكير [عن سلمة بن يَشُوع] عن أبيه عن جَدِّه - قال يونس وكان نصرانياً فأسلم - إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نَجْران قبل أن يَنْزِل عليه: ﴿طس﴾ [النمل ١] ﴿إنهُ من سُلَيْمَانَ وَإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل ٣]، يَعْنِي النمْل، «بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فإني أحْمَدُ إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عِبادة العِباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العِباد، فإن أبَيْتُم فالجِزْيَة، فإن أبَيْتُم فقد آذنتكم بحرب والسلام».

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه قُطِع به وذُعِراً شديداً، فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شُرَحبِيل بن وَدَاعة، وكان من هَمْدَان. ولم يكن أحَدٌ يُدْعَى إذا نزلت معضلة إلا الأيهم وهو السيِّد والعاقب. فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شُرَحْبِيل وقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مَرْيَمْ، ما رأيك؟ فقال شُرَحْبيل: قد عَلِمْتُ ما وَعَد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما تؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النُّبُوَّة رأي، ولو كان أمْراً من أمور الدنيا لأشَرْتُ عليك فيه برأي وجَهَدْتُ لك. فقال له الأسقف: تَنَحَّ فاجْلِسْ ناحيةً. فتنحَّى شُرَجْبِيل فجلس ناحية.

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نَجْرَان يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي أصبح من حِمْيَر، فأقرأه الكتاب وسأله ما الرأي؟ فقال نَحْواً من قول شرحبيل بن وداعة. فقال له الأسقف: تَنَحَّ فاجلس، فَتَنَحَّى فجلس ناحيةً. ثم بعث الأسقُف إلى رجل من أهل نَجْرَان يُدعى

جبَّار بن فَيْض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرجبيل، فأمره الأسقف فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضُرِبَ به، ورُفِعَت النيران السُّرُجِ في الصوامع وكذلك كانوا يفعلون إذا فَزِعُوا نهاراً فإن فَزِعُوا بالليل ضربوا بالناقوس ورفعوا النيران في الصوامع. فاجتمع حين ضُرِب بالناقوس ورُفِعت السُّرُج أَهْلُ الوادي أعلاه وأسفله، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية، ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم الأسقف كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأي فيه. فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وَدَاعَة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأَصْبَحِي، وجَبَّار بن فَيْض الحارثي فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ.

وقال ابن إسحاق: وقدِم على رسول الله ﷺ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَان، ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم منهم العاقب وهو عبد المسيح والسَّيِّد وهو الأَيْهَم، وأبو حارثة بن علْقَمَة أحد بني بكر بن وائل، وأَوْس، والحارث، وزَيْد، وقيس، ويزيد، وبنيه وخويلد، وعَمْرو، وخالد، وعبد الله، ويُحَنِّس، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمْرُهم: العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يَصْدُرُون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح والسَّيِّد ثِمَالُهُم وصاحب رَحْلِهم ومجتمعهم واسمه الأَيْهَم.

وأبو حارثة بن عَلْقَمة أَحَد بني بكر بن وائل أسْقُفهم وحَبْرُهم وإمامهم، وصاحب مِدْرَاسِهِم، وكان أبو حارثة قد شَرُفَ فيهم ودَرَسَ كتبهم حتى حَسُنَ عِلْمُه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شَرَّفُوه ومَوَّلُوه وأخدموه وبَنَوْا له الكنائس وبَسَطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من عِلْمه واجتهاده في دينهم. فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثيابَ السَّفَر عنهم ولَبِسُوا حُلَلاً لهم يَجُرُّونها من حِبَرة وتَخَتَّموا بالذهب. وفي لفظ: دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده [في المدينة] حين صلى العصر، عليهم ثياب الحِبَرات: جُبَب وأردية في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

فقال بعض من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ يَوْمَئِذ: ما رأينا وفداً مِثْلَهم. وقد حازت صلاتهم. فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يُصَلُّون نحو المشرق، فقال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُمْ». ثم أَتَوْا رسول الله ﷺ، فسَلَّموا عليه فلم يَرُدّ عليهم السلام، وتَصَدَّوْا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يُكَلِّمهم وعليهم تلك الحُلَل والخواتيم الذَّهَب.

فانطلقوا يَتَّبِعُون عثمان بن عَفَّان، وعبد الرحمن بن عَوْف رضي الله تعالى عنهما وكانوا

يعرفونهما، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا لهما: يا عثمان ويا عبد الرحمن، إن نَبِيَّكُمَا كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسَلَّمنا عليه فلم يَرُدّ سلامنا، وتَصَدَّيْنا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يُكَلِّمَنا فما الرأي منكما؟ أنعود إليه أم نرجع إلى بلادنا؟.

فقالا لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو في القوم: ما الرأي في هؤلاء القوم يا أبا الحَسَن؟ فقال لهما: أرى أن يضعوا حُلَلَهم هذه وخَوَاتِيمَهُم ويَلْبَسُوا ثياب سفرهم ثم يعودوا إليه. ففعل وفْدُ نجران ذلك ووضعوا حُللهم ونَزَعوا خواتيمهم ولَبِسُوا ثياب سَفَرهم ورَجَعوا إلى رسول الله ﷺ فسَلَّموا عليه فَرَدَّ عليهم سلاَمَهم ثم قال: «والذي بَعَثَني بالحق لقد أتَوْنِي المرة الأولى وأن إبليس لَمَعَهُمْ».

ذِكْرُ دُعَائه ﷺ وفْدَ نَجْرَان إلى الإسلام وما دار بينه وبينهم: روى الحاكم وصَحَّحه، وابن مَرْدَوِية، وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، وابن سعد، وعَبْد بن حُمَيْد عن الأزرق بن قيس رحمه الله تعالى أن رسول الله ﷺ دَعَا وفْدَ نجران إلى الإسلام فقال العاقب السيد، عبد المسيح، وأبو حارثة بن عَلْقَمة: قَد أسلمنا يا محمد، فقال: «إنكما لم تُسْلِما». قالا: بَلَى قد أسلمنا قبلك. قال: «كَذَبْتُمَا، يَمْنَعُكُما من الإسلام ثلاث فيكما: عبادتكما الصليب وأكْلُكُمَا الخِنْزِير وزعمكما أن للهِ وَلَداً». ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى ابن مريم؟ فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يَسُرُّنا إن كنت نبياً أن نعلم قَوْلَك فيه.

فقال رسول الله ﷺ: «ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقِيمُوا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى». وروى ابن جرير عن عبد الله بن الحارث بن جَزْءٍ الزُّبَيْدي رضي الله تعالى عنه أنه سَمِع رسول الله ﷺ يقول: «لَيْتَ بيني وبين أهل نجران حَجاب فلا أراهم ولا يَرَوْنِي»، من شِدَّة ما كانوا يُمارون رسول الله ﷺ، انتهى.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن سعد عن الأزرق بن قيس، وابن جرير عن السُّدِّي، وابن جرير، وابن المُنْذِر عن أبي جُرَيْج: أن نَصَارَى نجران قالوا: يا محمد، فيم تَشْتُم صاحبنا؟ قال: «مَنْ صاحبكم»؟ قالوا: عيسى ابن مريم تَزْعُم أنه عبد. قال: «أجلْ إنه عَبْدُ الله وَرُوحه وَكَلِمَتُه، ألقاها إلى مريم وَرَوْحٌ منه». فَغَضِبُوا وقالوا: لا ولكنه هو الله نَزَل من مُلْكِه فَدَخَل في جَوْف مَرْيَم ثم خرج منها فأرانا قُدْرَتَهُ وأمْرَه، فهل رأيْتَ قَط إنساناً خُلِق من غَيْر أبٍ؟.

فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَر الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللهَ هُو المَسِيحُ ابنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة ١٧]

وأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران ٥٩] أي في كَوْنِهِ خُلِق من غير أب كمثل آدم خلقه من تراب يابس فجعله بشراً: لَحْماً ودَماً ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ فمثلُ عيسى عند الله كمثل آدم أي شأنه الغريب كشأن آدم عليهما السلام. ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ جُمْلَةٌ مُفَسِّرة للتمثيل لما له من الشَّبَه وهو أنه تعالى خَلَقَ آدم من تُرَاب بلا أبٍ ولا أُمٍّ فَشَبَّه حالَه بما هو أغْرَب إفْحاماً للخَصْم وقَطْعاً لمواد الشبهة، والمعنى خَلَقَ قَالَبَهُ من تُراب ثم قال له: ﴿كُن﴾ أي أنشأه بَشَراً سَوِياً بقوله: ﴿كُن﴾ كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [المؤمنون ١٤]. ويجوز أن تكون «ثُمَّ» لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حالٍ ماضية.

﴿الحَقُّ مِن رَبِّكَ﴾ [آل عمران ٦٠] خبر محذوف أي الحقُّ من الله عزَّ وَجَل، ﴿فَلاَ تَكُن من المُمْتَرِين[٢]﴾ خِطَابٌ للنبي ﷺ لزيادة الثَّبَات أو لكل سامع. فلما أصبحوا عادوا فقرأ عليهم الآيات فأبَوْا أن يقرأوا. وفي ذِكْر طلبه ﷺ مُبَاهَلَةَ أهل نجران بأمر الله تعالى وامتناعهم من ذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ﴾ [آل عمران ٦١] أي جَادَلَكَ من النصارى في عيسى من بعد ما جاءك من البَيِّنات المُوجِبَة للعِلْم. ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ [آل عمران ٦١] هَلُمُّوا بالرَّأي والعَزْم ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وأَبْنَاءَكُم ونِسَاءَنَا ونِسَاءَكُمْ وأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران ٦١] أي يَدْعُ كُلٌّ مِنَّا ومنكم نَفْسَه وعِزَّةَ أَهْلِهِ وألْصَقهم بقلبه أي المُبَاهَلَة، وإنما قدَّم على النَّفْس لأن الرجل يُخاطر بنفسه لهم ويُحَارب دُونَهم، ثم نتباهل أي يُلْعَنُ الكاذبُ مِنَّا، والبَهْلَة بالضَّمّ [والفتح] اللَّعْنَة وأَصْلُه التَّرْك من قولهم بهلتُ الناقَةَ إذا تَرَكْتَهَا بلا صِرَار. ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران ٦١] عَطْف فيه بيان.

﴿إِنَّ هذا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ﴾ [آل عمران ٦٢] أي ما ذكره من شأن عيسى حقّ دون ما ذكروه وما بعده خَبَر، واللام لأنه أقرب إلى المُبْتَدأ من الخَبَر وأصلها أن تدخل على المُبْتَدأ. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ﴾ [آل عمران ٦٢] صَرَّح فيه«بِمَنْ» المَزِيدَة للاستقراء تأكيداً للرَّدّ على النصارى في تثنيتهم. ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ لا أحد يساويه في القُدْرَة الثابتة والحكمة البالغة ليشاركه في الأُلوهية. ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بالمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران ٦٣] وعَيد لهم وُضِعَ لهم مَوْضِعَ التميز ليدل على أن التَّوَلِّي عن الحجج والإعراض عن التوحيد إفساد للدِّين والاعتقاد المُؤدِّي إلى فَسَادِ العِلْم.

وروى الحاكم وصَحَّحَه، وابن مَرْدَوِيه، وأبو نعيم في الدلائل عن جابر، وأبو نُعَيْم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، والبيهقي عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جَدِّه والشيخ،

والترمذي، والنَّسائي عن حُذَيْفة، وابن سعد عن الأزرق بن قيس، وعَبْد بن حُمَيْد، وابن جرير، وأبو نُعَيْم عن ابن عباس في الدلائل عن قَتَادة، وابن أبي شَيْبَة، وسعيد بن منصور، وعَبْد بن حُمَيْد، وابن جرير، وأبو نُعَيم عن الشعبي رضي الله تعالى عنهم: أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآيات دعا وفْد نجران إلى المُبَاهَلَة فقال: «إن الله تعالى أمرني إن لم تَقْبَلوا هذا أن أُبَاهِلَكُمْ». فقالوا: يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا. وفي حديث ابن عباس عن أبي نُعَيْم في الدلائل: فقالوا: أخِّرْنَا ثلاثة أيام، فَخَلا بعضهم إلى بعض وتصادقوا. فقال السيد العاقب: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لَنَبِيٌّ مُرْسَل ولئن لاعنتموه لَيُخْسَفَنَّ بأحد الفريقين إنه لَلاِستئصال لكم، وما لاَعَنَ قِوْمٌ قَط نبياً فبَقِي كبيرُهُم ولا نَبَتَ صَغِيرِهم. وفي رواية: فقال شرحبيل: لئن كان هذا الرجل نَبِياً مُرْسلاً فلاعَنَّاه لا يَبْقَى على وجه الأرض مِنَّا شَعْر ولا ظُفُر إلا هَلَك. وفي رواية: لا نُفْلِح نحن ولا عَقِبنا من بَعْدنا، وفي رواية: لئن لاعنتموه لَيُخْسَفَنَّ بأحد الفريقين. قالوا: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: رأيي أن أُحَكِّمَهُ فإني أرى رجلاً لا يَحْكُم شَطَطاً أبداً.

فقال السَّيِّد: فإن كنتم قد أبيتم إلا إِلْفَ دِينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادِعُوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم. فلما انقضَت المدة أقبل رسول الله ﷺ مُشْتَمِلاً على الحَسَن والحُسَيْن في خميلة له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة. فقال ﷺ: «إن أنا دَعَوْتُ فأَمِّنُوا أنتم». وروى مُسْلِم، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم في السُّنَن عن سعد بن أبي وقَّاص عن علي بن أحمر قالا: لما نزلت آية المُبَاهَلَة دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحَسَناً وحُسَيْناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي[1]». انتهى.

فَتَلَقَّى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال: إني قد رأيت خيراً من مُلاَعَنَتِك. فقال: «وما هو؟» فقال: حكمك اليوم إلى الليل ولَيْلَتِكَ إلى الصباح فما حَكَمْتَ فينا فهو جائز. وأبَوْا أن يُلاَعِنُوه.

وروى عبد الرَّزَّاق، والبخاري، والترمذي، والنَّسائي، وابن جرير، وابن المُنْذِر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال: لو باهل أهْل نجران رسول الله ﷺ لَرَجَعُوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً. ورُوِي عن الشَّعْبِي مُرْسلاً أن رسول الله ﷺ قال: «لقد أراني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشَّجَر ولو تمُّوا على المُلاَعَنَة». ورُوِي عن قتادة مُرْسلاً قال رسول الله ﷺ: «إن كان العذاب لقد نزل على أهل نجران، إن لو فعلوا لاستؤصلوا من الأَرض».

(١) أخرجه الحاكم ٤/ ١٨٧١(٣٢-٤٢٤٠٤).

ذكر مصالحة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل نجران بَعْثِه معهم أبا عُبَيْدة:

رجع رسول الله ﷺ فلم يُلاعِنْهُم حتى إذا كان من الغد كتب لهم هذا الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لأهل نجران ـ إذا كان عليهم حُكْمُه ـ في كل ثَمَرةٍ وفي كل صفراءُ وبيضاءُ ورقيق فأفْضَلَ ذلك عليهم، وتُرِكَ ذلك كله [لهم] على ألْفَيْ حُلَّة من حُلَلِ الأوَاقي في كل رَجَب ألف حُلَّة، وفي كل صَفَر ألف حُلَّة، مع كل حُلَّة أوقِيَّة من الفِضَّة، فما زادت على الخراج أو نَقَصَتْ عن الأواقي فبالحِساب، وما قَضَوْا من دروع أو خَيْل أو رِكاب أو عُروض أُخِذَ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤنةُ رُسُلي ومُتْعَتُهم ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك، ولا تُحْبَس رُسُلي فوق شهر.

وعليهم عَارِية ثلاثين دِرْعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا كان كَيْدٌ وَمَعَرَّة، وما هَلَكَ مِمَّا أعاروا رُسُلِي من دروع أو خَيْل أو رِكاب [أو عروض] فهو ضَمِين على رُسُلي حتى يُؤَدُّوه إليهم. ولنجران وحاشيتها جِوَارُ الله وذِمَّةُ محمد النبي رسول الله على أنفسهم ومِلَّتِهِم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعِهِم [وصلواتهم] [وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير] وألا يُغَيِّروا مما كانوا عليه بغير حق من حقوقهم ولا مِلَّتِهِم، ولا يُغَيَّر أسْقُف عن أسْقُفِيَّته ولا راهب من رهبانيته، وليس عليهم دَنِيَّة ولا دَمَ جاهلية ولا يُحْشَرُون ولا يُعْشَرُون ولا يَطَأُ أرْضَهم جيْش، ومن سأل منهم حَقاً فبينهم النَّصَف غير ظالمين ولا مظلومين. [على ألا يأكلوا الربا] فمن أكل الربا من ذي قبل فذِمَّتي منه بريئة ولا يُؤْخَذَ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذِمَّة النبي محمد رسول الله أبداً حتى يأتي الله بأمره ما نَصَحوا وأصلحوا ما عليهم غير مُثْقَلِين بظلم». شَهِد أبو سفيان بن حرب، وغَيْلان بن عِمْرو، ومالك بن عوْف النَّضْري، والأقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة بن شُعْبَة.

وفي لفظ: أن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد العاقب ووجوه قومه وأقاموا عنده يستمعون ما يُنْزِل الله عز وجل فكتب للأسقُف هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده يقول فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله للأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وأهل بيعهم ورقيقهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يُغَيَّر أسقف من أسقفيته وراهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته، ولا يُغَيَّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا مما كانوا عليه، لهم على ذلك جِوار الله تعالى وسوله أبداً، ما نصحوا وأصلحوا غير مُثْقَلين بظلم ولا ظالمين». وكتب المغيرة بن شعبة. فلما قبض الأسقف الكتاب استأذن في الانصراف إلى قومه ومن معه فأَذِن لهم فانصرفوا.

وروى البيهقي بإسناد صحيح إلى ابن مسعود أن السيد العاقب وأبا الحارث بن علقمة أتيا رسول الله ﷺ فأرادا أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعِنْه فوالله لئن كان نبياً فلاعنته لا نُفْلِح نحن ولا عَقِبُنا من بعدنا. فقالا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال النبي ﷺ: «لأبْعَثَنَّ معكم رجلاً أميناً حَقَّ أمين» فاستشرف لها أصحابه. فقال: «قُمْ يا أبا عُبَيْدَة بن الجرَّاح». فلما قام قال: «هذا أمين هذه الأُمة». ورواه البخاري في صحيحه من حديث حُذَيْفَة بنحوه[1].

ذِكر مُحاجَّة أهل نجران ويهود المدينة في إبراهيم وما نَزَل في ذلك من الآيات

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً. فأنزل الله عزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إبْرَاهِيم وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ والإنْجِيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أفَلاَ تعْقِلُون هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيس لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ واللهُ يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لا تعْلَمُونَ. مَا كَان إبْرَاهِيمُ يهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِياً ولَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إنَّ أوْلَى النَّاسِ بِإبْرَاهِيم لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٦٥- ٦٨].

فقال رجل من الأحبار: أتُريد منا يا محمد أن نَعْبُدك كما تَعْبُدُ النصارَى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من نصارى نَجْرَان: أوَ ذلك تريد يا محمد وإليه تدعونا؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَعَاذَ الله أن أَعْبُدَ غير الله أو آمُر بعبادة غيره، ما بذلك بَعَثَني ولا أمرَني». فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلناسِ كُونُوا عِبَاداً لي من دون اللهِ وَلَكِنِ كُونوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكتابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذوا المَلاَئِكَةَ والنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ٧٩-٨٠]. ثم ذكر ما أخذ عليهم وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقه وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: ﴿وَإذَا أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وحِكْمَةٍ ثم جَاءَكُمْ

(١) أخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد (٧٢٥٤).

رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ به وَلَتَنصُرُنَّهُ قال أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنا قال فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران ٨١].

ذِكر رجوع وفد نَجْرَان إلى بلادهم وما وقع في ذلك من الآيات

ثم لما قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ومع الأسقف أخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له بِشْر بن معاوية وكنيته أبو عَلْقَمَة. فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف فبينا هو يقرأه، وأبو علقمة معه، وهما يسيران إذ كَبَتْ بِبِشْر ناقته فَتَعِسَ بِشْر غير أنه لا يُكَنِّي عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد والله تَعِسْتَ نَبِيّاً مُرْسَلاً. فقال له بِشْر: لا جَرَم والله لا أَحُلُّ عَقْداً حتى آتي رسول الله ﷺ فصرف وجه ناقته نحو المدينة وثنى الأسقف ناقته عليه. فقال له: افهم عَنِّي إنما قلت هذا ليبلغ عني العرب مَخَافَةَ أن يقولوا إنا أخذنا حَقَّهُ [أو رضينا بصوته] أو نَجَعْنا بما لم تَنْجَعْ به العرب، ونحن أَعَزُّهم وأَجْمَعُهُم داراً. فقال له بِشْر: لا والله لا أقبل ما خرج من رأسك أبداً، فضرب بِشْر ناقته، وهو مُوَلِّي الأسقف ظهره وارتجز يقول:

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلِقاً وَضِينُهَا ... مُعْتَرِضاً فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا
مُخَالِفاً دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

حتى أتى رسول الله ﷺ فأسلم ولم يزل معه حتى قُتِل بعد ذلك. قال: ودخل الوفد نجران فأتى الراهب لَيْثُ بن أبي شمر الزُّبَيْدِي وهو في رأس صومعته. فقال له: إن نبيّاً بُعِثَ بِتِهامَة، فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله ﷺ، وأنه عرض عليهم المُلاَعَنة فَأَبَوْا وإن بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم. فقال الراهب: أَنْزِلُونِي وإلا أَلْقَيْتُ نَفْسِي من هذه الصومعة. قال: فأنزلوه فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله ﷺ منها هذا البُرْد الذي يَلْبَسُه الخلفاء والقعب والعصا. فأقام الراهب مُدَّة بعد ذلك يسمع الوحي والسنن والفرائض والحدود، ثم رجع إلى قومه ولم يُقَدَّر له الإسلام ووعد أنه سيعود فلم يعد حتى قُبِض رسول الله ﷺ.

الباب الثاني والتسعون

في وفود النخع إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن سعد[١] عن أشياخ من النَّخَع قالوا: بعثت النَّخَع رجلين منهم إلى النبي ﷺ، وافِدَيْن بإسلامهم: أَرْطَأة بن شَرَاحِيل بن كعب من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النَّخَع، والـجُهَيْش واسمه الأَرْقَم من بني بكر بن عَوْف بن النَّخَع. فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبايعاه على قومهما، فأعجب رسول الله ﷺ شأنهما وحسن هيئتهما، فقال: «هل خَلَّفْتُما وراءكما قومكما مِثْلَكُما؟» فقالا: يا رسول الله، قد خَلَّفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً كُلُّهم أفضل منا، وكلُّهم يَقْطَع الأمر ويُنْفِذْ الأشياء ما يشاركوننا في الأمر إذا كان.

فدعا لهما رسول الله ﷺ ولقومهما بخير وقال: «اللهم بارك في النَّخَع». وعقد لأرطأة لواء على قومه، فكان في يده يوم الفتح، وشهد به القادسية، فقُتِلَ يومئذ فأخذه أخوه دُرَيْد فقُتِل رحمهما الله فأخذه سيف بن الحارث من بني جَذِيمة فدخل به الكوفة. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعو لهذا الحيّ من النَّخَع، أو قال: يُثْني عليهم، حتى تمنَّيت أني رجل منهم. رواه الإمام أحمد برجال ثقات، والبزار والطبراني.

قصة أخرى: قال محمد بن عمر الأسلمي: كان آخر من قدم من الوفد على رسول الله ﷺ وفد النَّخَع، وقدموا من اليمن للنِّصْف من الـمُحَرَّم سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحَدَث ثم جاءوا رسول الله ﷺ مُقِرِّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا مُعَاذ بن جبل باليمن، فكان فيهم زرَارَة بن عمرو. قال: أخبرنا هشام بن محمد هو زرَارَة بن قيس ابن الحارث بن عَدِيّ، وكان نصرانياً.

وروى ابن شاهين من طريق أبي الحسن المدائني عن شيوخه، ومن طريق ابن الكلبي قال: حدثني رجل من جَرْم عن رجل منهم قال: وفد رجل من النَّخَع يقال له زرَارَة بن عمرو على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رأيت في سفري هذا رُؤْيا هَالَتْني، وفي رواية: رَأَيت عَجَباً. قال: «وما رأيت؟» قال: رأيت أتاناً تركتها في الحَيّ كأنها ولدتْ جَدْياً أَسْفَع أَحْوَى. فقال له رسول الله ﷺ: «هَلْ لَكَ من أمة تَرَكْتها مُصِرَّةً حَمْلاً؟» قال: نعم تركت أمةً لي أَظنُّها قد حَمَلَتْ قال: «فإنها قد ولدتْ غلاماً وهو ابنك». فقال: يا رسول الله، ما باله أَسْفَع أَحْوَى؟ قال«ادْن مِنِّي» فدنا منه. فقال: «هل بك بَرَصٌ تكتمه؟» قال: والذي بعثك بالحقِّ نبيّاً

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠٩/٢.

ما عَلِمَ به أحد ولا اطَّلع عليه غيرك. قال: «فهو ذلك». قال: يا رسول الله، ورأيت النُّعْمان بن المنذر وعليه قُرْطان ودُمْلجَان ومَسَكَتَان. قال: «ذلك مُلْك العرب عاد إلى أَحْسَن زِيِّه وبَهْجَتِه». قال: يا رسول الله، ورأيت عجوزاً شمطاء خرجت من الأرض قال: «تلك بَقِيَّة الدنيا». قال: ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو، ورأيتها تقول: لَظَى لَظَى، بَصِير وَأَعْمى، أَطْعِموني آكلكم آكلكم، أُهْلِككم وما لَكُم. فقال النبي ﷺ: «تلك فِتْنَةٌ في آخر الزمان». قال: وما الفتنة يا رسول الله؟ قال: «يَقْتُلُ الناس إمامهم ثم يَشْتَجِرون اشتجار أطباق الرأس وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه - يَحْسَبُ المُسِيء أنه مُحْسِنٌ ودَمُ المؤمن عند المؤمن أَحْلَى من شُرْب الماء، إن مات ابنك أَدْرَكْتَ الفتنة وإن مِتُّ أنت أدركها ابنك». فقال: يا رسول الله، ادْعُ الله ألا أُدْرِكها. فقال له رسول الله ﷺ: «اللهم لا يدركها». فمات وبقي ابنه، وكان ممن خَلَع عثمان رضي الله تعالى عنه.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

النَّخَع: بفتح النون والخاء المعجمة وبالعين المهملة.

أَرْطاة: بهمزة مفتوحة فراء ساكنة فطاء مهملة فألف فتاء تأنيث.

الأَتَان: بفتح الهمزة ففوقية فألف فنون: الأُنْثَى من الحُمُر.

المَسَكَة: بفتح الميم والسين المهملة والكاف فتاء تأنيث: السِّوَار والخلاخيل من الذَّبْل وهي قرون الأوعال قاله ابن سِيَدَهْ.

الباب الثالث والتسعون

في وفود بني هلال بن عامر إليه صلى الله عليه وسلم

قالوا: وفد زياد بن عبد الله بن مالك على النبي ﷺ، فلما دخل المدينة توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ وكانت خالة زياد ـ أمُّه عَزَّة بنت الحارث ـ وهو يومئذ شاب. فدخل النبي ﷺ وهو عندها. فلما رآه رسول الله ﷺ غضب فرجع فقالت: يا رسول الله هذا ابن أختي فدخل إليها ثم خرج حتى أتى المسجد ومعه زياد، فصلَّى الظهر ثم أدْنَى زياداً فدعا له ووضع يده على رأسه ثم حَدَّرها على طرف أنفه فكانت بنو هلال تقول ما زلنا نعرف البركة في وجه زياد وقال الشاعر لعلي بن زياد:

يَا بْنَ الذي مَسَحَ النبيُّ بِرَأْسِهِ ودَعَا لهُ بالخَيْرِ عِنْدَ المَسْجِدِ
أَعْنِي زِيَاداً لا أُرِيدُ سِوَاءَهُ مِنْ غَائِرٍ أَوْ مُتْهِمٍ أَوْ مُنْجِدِ
مَا زَالَ ذَاكَ النُّورُ فِي عِرْنِينِهِ حَتَّى تَبَوَّأَ بَيْتَهُ فِي المَلْحَدِ

وروى ابن سعد عن علي بن محمد القُرَشِي قال: قالوا: وقدم على رسول الله ﷺ نفر من بني هلال فيه عبد عوف بن أَصْرَم بن عمرو، فسأله عن اسمه فأخبره فقال: «أنت عبد الله»، فأسلم، ومنهم قَبِيصَة بن المُخَارِق قال: يا رسول الله، إني حَمَلْتُ عن قومي حَمَالَة فَأَعِنِّي فيها قال: «هي لك في الصَّدقة إذا جاءت»(١).

وروى مسلم عن قَبِيصَة بن مُخَارِق الهلالي رضي الله تعالى عنه قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها فقال: «أقم حتى تأتينا الصَّدقة فنأمر لك بها» قال: ثم قال: «يا قَبِيصَة إنَّ المسألة لا تَحِلُّ إلا لأحدِ ثلاثة: رجلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَة فَحَلَّتْ له المسألة حتى يُصِيبها ثم يُمْسِك، ورجلٌ أصابته جائحة اجتاحت ماله فَحَلَّتْ له المسألة حتى يُصِيبَ قِوَاماً من عَيْش ـ أو قال سِدَاداً من عَيْش ـ ورجلٌ أصابته فَاقَةٌ حتى يَقُومَ ثلاثة من ذَوِي الحِجَى من قومه لقد أصابت فلاناً فاقة فَحَلَّتْ له المسألة حتى يُصِيبَ قِوَاماً من عَيْش ـ أو قال: سِدَاداً من عَيْش ـ فما سِوَاهُنَّ [من المسألة] يا قَبِيصَة سُحْتاً يأكُلها صاحبها سُحْتاً»(٢).

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

عَزَّة: بعين مهملة مفتوحة فزاي مشددة فتاء تأنيث.

مُتْهِم: بميم مضمومة فمثناة فوقية ساكنة فهاء مكسورة فميم: يقال للذي أتى تِهامة.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٧٤/٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة (١٠٩) وأبو داود (١٦٤٠) والنسائي ٨٩/٥.

غَائِر: [بغين معجمة فألف فهمزة مكسورة فراء يقال للذي أتى الغَوْر].

مُنْجِد: بميم مضمومة فنون ساكنة فجيم مكسورة فدال مهملة: من أَنْجَدَ أتى نجداً أو خرج إليه.

العِرْنين: بعين مهملة مكسورة فراء ساكنة فنونين بينهما تحتية: العِرْنين الأنف وقيل رأسه.

المَلْحَد: [بميم مفتوحة فلام ساكنة فحاء مفتوحة فدال مهملتين: المُلْتَجأ].

المُخَارِق: [بميم مضمومة فخاء معجمة فألف فراء ساكنة فقاف].

الحَمَالَة: حاء مهملة فميم مفتوحتين فألف فلام فتاء تأنيث: ما يتحمّله الإنسان عن غيره من دِيَةٍ أو غَرَامة مثل أن يقع حَرْب بين فريقين يُسْفَك فيها الدماء فيدخل بينهم رجل يتحمَّل دِيَات القَتْلى لِيُصْلِح ذات البَيْن، والتَّحَمُّل أن يَحْمِلَها عنهم على نفسه.

الفاقة: بفاء فقاف مفتوحتين بينهم ألف وآخرها تاء تأنيث: الفَقْر.

الحِجَى: بحاء مهملة مكسورة فجيم [فألف مَقْصُورَة] العَقْل لأنه يمنع الإنسان من الفساد ويحفظ من التَّعَرُّض للهلاك.

القِوَام من العَيْش: بقاف مكسورة فواو فألف فميم: ما يقوم بحاجته لضرورته.

السُّحْت: بسين مضمومة فحاء ساكنة مهملتين وبضَمِّهما أيضاً وآخره تاء مثناة فوقية: هو الحرام وقيل: الخبيث من المكاسب.

الباب الرابع والتسعون
في وفود همدان إليه صلى الله عليه وسلم

قالوا: قدم وفد هَمْدَان على رسول الله ﷺ وعليهم مُقَطَّعَات الحِبرات مُكَفَّفَة بالديباج، وفيهم حمزة بن مالك من ذي مِشْعَار، فقال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ الحَيُّ هَمْدَان ما أسرعها إلى النَّصْر وأَصْبَرَها على الجَهْد ومنهم أَبْدَال وأَوْتاد الإسلام». فأسلموا وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً بمِخْلاف خارف، ويَام، وشاكر، وأَهْل الهَضْب، وحِقَاف الرَّمْل من هَمْدَان لمن أَسْلَم منهم(١).

وفي زاد المعاد: «وقدم عليه وفد هَمْدَان منهم مالك بن النَّمَط، ومالك بن أَيْفَع، وضِمَام بن مالك، وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله ﷺ عند مُنْصَرفة من تَبُوك وعليهم مُقَطَّعَات الحِبَرات والعمائم العدنية برِحال المَيْس على الرواحل المَهْرِيَّة والأَرْحَبِيَّة، ومالك بن النَّمَط يَرْتَجِز بين رسول الله ﷺ ويقول:

إِلَيكَ جَاوَزْنَ سَوادَ الرِّيفِ فِي هَبَوَاتِ الصَّيْفِ والخَرِيفِ
مُخَطَّمَاتٍ بِحِبَالِ اللِّيفِ

وذكروا له كلاماً حسناً فصيحاً، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه وأَمَّر عليهم مالك بن النَّمَط واستعمله على مَنْ أَسْلَم من قومه، وأمره بقتال ثقيف وكان لا يَخْرُج لهم سَرْح إلا أغاروا عليه. وقد روى البيهقي بإسناد صحيح من حديث ابن إسحاق عن البَرَاء أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البَرَاء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يُجِيبُوه، ثم أن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأمره أن يُعَقِّب خالداً إلا رجلاً مِمَّن كان مع خالد أَحَبَّ أن يُعَقِّب مع عليّ فَلْيُعَقِّب معه. قال البَرَاء: فكنت فيمن عَقَّب مع عليّ. فلما دَنَوْنا من القوم خرجوا إلينا ـ فصلَّى بنا عليّ ثم صَفَّنا صَفّاً واحداً ثم تقدَّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت هَمْدَان جميعاً. فكتب عليّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خَرَّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال: «السلام على همدان السلام على همدان». وأصل الحديث في صحيح البخاري(٢) وهذا أَصَحّ مما تقدَّم. ولم تكن همدان أن تقاتل ثقيفاً ولا تُغِير على سَرْحِهم فإن هَمْدَان باليمن وثقيفاً بالطائف».

وقال ابن إسحاق: «فقام مالك بن نَمَط بين يديه فقال: يا رسول الله نَصِيَّةٌ من هَمْدَان

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٧٤/٢/١ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٤٤٠/٤ وذكره المتقي الهندي في الكنز (٣٤٠٣٠).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن ٣٦٦/٢ وفي الدلائل ٣٦٩/٥ وأصله في البخاري كتاب المغازي ٦٦٣/٧.

من كل حاضرٍ وباد، أَتَوْكَ على قُلُص نَوَاح [مُتَّصِلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لَوْمَة لائم من مِخْلاف خارفٍ، وَيَام] وشاكر، أهل السَّوَاد والقَوْد، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الآلهات والأنْصَاب، عهدهم لا يُنْقَض [عن سُنَّة ما حِل، ولا سوداءُ عَنْقَفِير] ما أقام لَعْلَع، وما جرى اليَعْفُور بِصَيْلَع».

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لِمِخْلاَف خارف، وأهل جِنَاب الهضْب، وحِقَاف الرَّمْل، مع وافدها ذي المِشْعَار مالك بن نَمَط، ومَنْ أَسْلَمَ من قومه أن لهم فِرَاعها وَوِهَاطَها وَعَزَازَها] ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون ظِلاَفَها، ويَرْعَوْن عَفَاءها [لنا من دِفْئِهم وصِرَامِهم ما سَلَّموا بالميثاق والأمانة ولهم من الصَّدقة الثِّلْب والنَّاب والفَصِيل والفَارِض والدَّاجِن والكَبْش الحَوَرِيّ وعليهم فيها الصَّالِغ والقَارِح] لكم بذلك عهد الله وذِمَام رسوله، وشاهِدُكم المهاجرون والأنصار». فقال في ذلك مالك بن نَمَط:

ذَكَرْتُ رسول الله فِي فَحْمَةِ الدُّجى ... ونحنُ بِأَعْلَى رَحْرَحَانَ وَصَلْدَدِ
وَهُنَّ بِنَا خُوصٌ طَلاَئِحُ تَغْتَلِي ... بِرُكْبَانِهَا فِي لاَحِبٍ مُتَمَدِّدِ
عَلَى كُلِّ فَتْلاَءِ الذِّرَاعَيْنِ جَسْرَةٍ ... تَمُرُّ بِنَا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنىً ... صَوَادِرَ بالرُّكْبَانِ مِنْ هَضْبِ قَرْدَدِ
بِأَنَّ رَسُول اللهِ فِينَا مُصَدَّقٌ ... رَسُولٌ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي العَرْشِ مُهْتَدِ
فَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ مُحَمَّدِ
وَأَعْطَى إِذَا مَا طَالِبُ العُرْفِ جَاءَهُ ... وَأَمْضَى بِحَدِّ المَشْرَفِيِّ المُهَنَّدِ

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

هَمْدَان: بفتح الهاء وسكون الميم وبالدال المهملة: قبيلة معروفة. وقال الأئمة الحُفَّاظ: ليس في الصحابة ولا تابعيهم ولا أتباع التابعين أحد من البلدة: [هَمَذَان] التي بفتح الميم وبالذال المعجمة.

المُقَطَّعَات: ثياب قِصَار لأنها قُطِعَتْ عن بلوغ التمام، وقيل المُقَطَّع من الثياب كل ما يُفَصَّل ويُخَاط من قميص وغيره وما لا يُقْطَع منها كالأُزُر والأَرْدِيَة.

الحِبَرَات: بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة وبالراء جمع مُصْبَغ باليمن.

الدِّيباج: بدال مهملة مكسورة: الثياب المُتَّخَذَة من الإبريسم فارسي مُعَرَّب وقد تفتح داله.

مِشْعَار: بميم مكسورة وشين معجمة ساكنة وعين مهملة أو معجمة.

مِخْلاَف: بميم مكسورة فخاء معجمة ساكنة فلام فألف ففاء، من اليمن كالرُّسْتَاق في العِرَاق.

خارِف: بخاء معجمة مفتوحة فألف فراء ففاء: قبيلة.

يَام: بمثناة تحتية فألف فميم: بطن من همدان.

شاكِر: [بطن من ولد مالك بن زيد بن كَهْلان].

حِفَاف: الرَّمْل بحاء مهملة مكسورة ففاءين بينهما ألف من أسماء بلادهم.

النَّمَط: بنون فميم مفتوحتين فطاء مهملة: نوع من البُسُط.

الخارفي واليامي: نسبة إلى خارف ويام.

الأَرْحَبي: بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الحاء المهملة وبالموحدة نسبة إلى قبيلة من هَمْدان.

أَيْفَع: بهمزة مفتوحة فتحتية ساكنة ففاء فعين مهملة.

النَّاعِطي: بنون وبعد الألف عين مهملة مكسورة فطاء مهملة.

السَّلْمَاني: بفتح السين المهملة وسكون اللام.

عَمِيرة: بفتح العين المهملة وكسر الميم فمثناة تحتية فراء فتاء تأنيث.

العَدَنِيَّة: بفتح العين والدال المهملتين: نسبة إلى عَدَن البلد المشهور.

الرَّوَاحِل: بفتح الراء وكسر الحاء المهملة وباللام جمع راحلة وهو البعير القويّ على الأحْمَال والأسْفَار والذي يختاره الرجل لِمَرْكَبِه ورَحْلِه علي النجابة وتمام الخَلْق وحسن المنظر، فإذا كانت في جماعة الإبل فَمَرْكب، والذكر والأُنثى فيه سواء، والهاء في راحلة للمبالغة.

المَهْرِيَّة: بفتح الميم وسكون الهاء وكسر الراء نسبة إلى مَهْرَة.

حَيْدَان بن عمرو بن الحافي بن قُضَاعة: حَيْدَان بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية وبالدال المهملة وبعدها ألف ونون.

الأَرْحَبِيَّة: نسبة إلى أَرْحَب بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الحاء المهملة وبالموحدة.

يَرْتَجِز: أي يقول الرَّجَز وهو شِعْر على الصحيح.

السَّوَاد: هنا القُرَى الكثيرة الشَّجَر.

الرِّيف: براء مكسورة فتحتية ساكنة وآخره فاء: ما قارب الماء في أرض العرب وقيل هو الأرض التي فيه الزَّرْع والخِصْب وقيل غير ذلك.

الهبَوَات: بفتح الهاء والموحدة: جمع هَبْوَة وهي الغَبْرَة.

مُخَطَّمَات: جُعِل لها خِطَام وهي الحِبَال التي تُشَدّ في رؤوس الإبل وتُمِيل أُنوفَها.

ليف النَّخْل: معروف.

سَرْح: بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات: المال السائم أي الراعي.

فَحْمَة: بفتح الفاء وسكون الحاء المهملة فميم مفتوحة فتاء تأنيث.

الدُّجَى: بدال مهملة مضمومة وجيم مفتوحة فألف مقصورة: ظُلْمَة الليل.

رَحْرَحَان: براءين مفتوحتين بعد كل منهما حاء مهملات الحاء الأولى ساكنة: جبل بقرب عُكَاظ.

صَلْدَد: بصاد مهملة مفتوحة فلام ساكنة فدالين مهملتين وزن جعفر: موضع باليمن.

خُوص: بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبالصاد المهملة.

قَلائِص: بقاف فلام فهمزة مكسورة فصاد مهملة: جمع قَلُوص وهو من النّوق الشّابّة وهي بمنزلة الجارية من النساء.

تَغْتَلِي: بغيم معجمة: تَشْتَدُّ في سَيْرِها، والاغتلاء الإسراع.

الّلاحِب: بتشديد اللام وكَسْر الحاء المهملة وبالموحدة، واللّحْب الطريق الواضح، والّلاحِب مِثْلُه وهو الأَعْلَم بمعنى مفعول أي ملحوب.

الفَتَل: بفاء ففوقية مفتوحتين فلام: تَبَاعُد ما بين المِرْفَقَيْن عن جَنْبَيْ البعير.

الجَسْر: بفتح الجيم وسكون السين المهملة وراء، العظيم من الإبل وغيرها والأُنثى جَسْرة، قاله الجوهري رحمه الله، وفي الإملاء الجَسْرَة الناقة القوية على السَّيْر.

الهِجَفّ: بكسر الهاء وفتح الجيم وبالفاء المشددة، وهو كما في الصحاح: الهِجَفّ من النَّعَام ومن الناس الجافي الثقيل.

الخَفَيْدَد: بفتح الخاء المعجمة، والفاء وسكون التحتية فدالين مهملتين الأولى مفتوحة: الخفيف من الظُّلْمَان.

الرَّاقِصَات: قال في الإملاء: هي الإبل تَرْقُص في سيرها أي تتحرك، والرَّقَصَان ضَرْب من المَشْي.

صَوَادِر: أي رواجع.

الهَضْب: بفتح الهاء وسكون الضاد المعجمة وبالموحدة وهضبات جمع هَضْبَة: الجَبَل المُنْبَسِط على وجه الأرض.

قَرْدَد: بفتح القاف وسكون الراء فدالين مهملتين الأولى مفتوحة: هو المكان الغليظ المرتفع من الأرض.

العُرْف: بضم العين المهملة وسكون الراء وبالفاء: ضِدّ النُّكْر.

المَشْرَفي: بفتح الميم.

المُهَنَّد: بفتح النون المشددة.

الظَّلِيم: بفتح الظاء المعجمة المشالة وكسر اللام: الذَّكَرِ من النعام والجمع ظُلْمَان.

الباب الخامس والتسعون

في قدوم وائل بن حجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى البخاري رحمه الله تعالى في التاريخ، والبزار، والطبراني[(١)]، والبيهقي عن وائل بن حُجْر رضي الله تعالى عنه قال: بلغنا ظهور رسول الله ﷺ وأنا في بلد عظيم ورفاهة عظيمة فرفَضْتُ ذلك، ورغِبْتُ إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ. فلما قدمتُ عليه أخبرني أصحابه أنه بشَّر بمقْدمي عليهم قبل أن أَقْدم بثلاث ليال. قال الطبراني: فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ سلَّمْتُ عليه فَرَدَّ عليَّ، وبسط لي رداءه وأجلسني عليه، ثم صعد مِنْبره وأقعدني معه ورفع يديه وحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ واجتمع الناس إليه فقال لهم: «يا أيها الناس، هذا وائِل بن حُجر قد أتاكم من أرض بعيدة، من حضْرموْت، طائعاً غير مُكْره، راغباً في الله وفي رسوله وفي دين بيْتِه، بقِيَّةُ أبناء الملوك». فقلت: يا رسول الله، ما هو إلا أن بلغنا ظهورك، ونحن في مُلْكٍ عظيم وطاعة، وأتيتك راغباً في دين الله. فقال: «صدقْتَ». وعن وائل بن حُجْر قال: جئت رسول الله ﷺ فقال: «هذا وائل بن حُجْر جاء حُباً لله ولرسوله» وبسط يده وأجلسه وضَمَّه إليه وأصعده المنبر، وخطب الناس فقال: «ارفقوا به فإنه حديث عهد بالمُلْك». فقلت إن أَهْلِي غَلَبوني على الذي لي فقال: «أنا أَعْطِيكَه وأُعْطيكَ ضِعْفَه». الحديث. وذكر ابن سعد، وأبو عمر رحمهما الله بأبسط من هذا، زاد أحدهما على الآخر.

قال أبو عمر: هو وائل بن حُجْر بن ربيعة بن وائل الحضرمي يُكْنَى أبا [هُنَيْدة، الحضرمي] وكان قَيْلاً من أَقْيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، وفد على رسول الله ﷺ، ويقال إنه بشَّر به أصحابه قبل قدومه فقال: «يأْتيكم وائل بن حُجْر من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً راغباً في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية أبناء الملوك». فلما دخل عليه رحَّب به وأدناه من نفسه على مقعده.

وروى الطبراني، وأبو نُعَيْم أن رسول الله ﷺ أَصْعده إليه على المنبر، ودعا له، ومسح رأسه وقال: «اللهم بارك في وائل وولد ولده»[(٢)]. ونُودِي: الصلاة جامعة، ليجتمع الناس سروراً بقدوم وائل بن حُجْر إلى رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان أن يُنْزله منزلاً بالحرَّة فمشى معه، ووائل راكب، فقال له معاوية: أَرْدِفْني خَلْفَك [وشكا إليه حرَّ

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣٧٨/٩ وعزاه للطبراني في الصغير والكبير وقال: وفيه محمد بن حجر وهو ضعيف.

(٢) ذكره ابن كثير في البداية ٧٩/٥.

الرَّمْضَاء] قال: لَسْت من أرداف الملوك. قال: فأَلْقِ إليَّ نَعْلَيْك. قال: لا، إني لم وقد لَبِسْتَهُما. قال: إن الرَّمْضَاء قد أَحْرَقت قَدَمَيَّ. قال: امْشِ في ظِلِّ ناقتي، كفال

فلما أراد الشخوص إلى بلاده كتب له رسول الله ﷺ كتاباً يأ مكاتباته ﷺ.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:.

وائل بن حُجْر: [حُجْر بتقديم الحاء المهملة المضمومة على الجيم السا

الرَّمْضَاء: بفتح الراء وسكون الميم، الأرض الشديدة الحرارة من وقع الشـ

الباب السادس والتسعون

في وفود واثلة بن الأسقع إليه صلى الله عليه وسلم

روى ابن جرير عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: خرجت من أهلي أريد الإسلام فقدمتُ على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فوقفت في آخر الصفوف وصلّيت بصلاتهم. فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة انتهى إليّ وأنا في آخر الصلاة. فقال: «ما حاجتك؟» قلت: الإسلام. قال: «هو خير لك» ثم قال: «وتهاجر» قلت: نعم. قال: «هجرة البادي أو هجرة البائي؟» قلت: أيهما خير. قال: «هجرة البائي أن يَثْبُتَ مع النبي وهجرة البادي أن يرجع إلى باديته». وقال: «عليك بالطاعة في عُسْرِك ويُسْرِك ومنْشَطك ومكْرهِك» قلت: نعم، فقدَّم يده وقدَّمتُ يدي. فلما رآني لا أستثني لنفسي شيئاً، قال: «فما استطعت». فقلت: فيما استطعت فضرب على يدي(١).

الباب السابع والتسعون

في وفود الجن إليه صلى الله عليه وسلم

قال الحافظ أبو نُعَيْم رحمه الله تعالى: كان إسلام الجِنّ ووفادتهم على النبي ﷺ كوفادة الإنس فَوْجاً بعد فوج وقبيلة بعد قبيلة بمكة وبعد الهجرة. وروى أبو نُعَيْم من طريق عمرو بن غَيْلاَن الثَّقَفي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن أهل الصُّفَّة أخذ كل رجل منهم رجلاً وتُرِكْتُ فأخذ بيدي رسول الله ﷺ ومضى إلى حجرة أم سلمة، ثم انطلق بي حتى أَتَيْنَا بقِيع الغَرْقَد، فَخَطَّ بعصاه خَطّاً ثم قال: «اجلس فيها ولا تَبْرحْ حتى آتيك». ثم انطلق يمشي وأنا انظر إليه من خلال الشَّجر، حتى إذا كان من حيث أراه ثارت مثل العجاجة السوداء، فقلت: أَلْحَقُ برسول الله ﷺ فإني أَظُن هذه هوازِن مكَروا برسول الله ﷺ ليقتلوه فأسعى إلى البيوت فأستغيث بالناس، فذكرتُ أن رسول الله ﷺ أمرني ألا أَبْرح مكاني الذي أنا فيه. فسمعت رسول الله ﷺ يقْرعُهم بعصاه ويقول: «اجلسوا». فجلسوا حتى كاد ينْشَقّ عمود الصُّبْح ثم ثاروا وذهبوا فأتى رسول الله ﷺ فقال: «أولئك وفد الجنّ سألوني المُتَاع والزّاد فمَتّعْتُهُم بكل عظْم حائل وروْثَة وبَعْرة فلا يجدون عَظْماً إلا وجدوا عليه لَحْمَه الذي كان عليه يوم أُكِل ولا رَوْثَة إلّا وجدوا عليها حَبَّها الذي كان يوم أُكِلَتْ»(٢).

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٥٥/٥ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) انظر نصب الراية ١٤٥/١ تفسير ابن كثير ٢٨٢/٧.

قصة أخرى: روى أبو نُعَيْم عن الزبير بن العوَّام رضي الله تعالى عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال: «أَيُّكُم يَتْبَعُني إلى وفد الجِنّ الليلة؟» فخرجت معه حتى خَنَسَتْ عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض فإذا رجال طوال كأنهم الرماح مُسْتَثْفِرين ثِيَابَهم من بين أَرْجُلِهِم. فلما رأيتهم غَشِيَتْنِي رِعْدَةٌ شديدة حتى ما تحملني رِجْلَاي من الفَرَق، فلما دَنَوْنا منهم خَطَّ لي رسول الله ﷺ بإبهام رجله خطّاً. فقال: «اقْعُدْ في وَسَطه» فلما جلست ذهب عني كل شيء كنت أجده من رِيبَة، ومضى رسول الله ﷺ بيني وبينهم، فَتَلاَ قرآناً وبقوا حتى طلع الفجر ثم أقبل. فقال: «الْحَقْنِي». فمشيتُ معه فمضينا غيرَ بعيد فقال لي: «الْتَفِتْ وانظر هل ترى حيث كان أولئك من أحد؟» فخفض رسول الله ﷺ إلى الأرض عَظْماً وَرَوْثَة ثم رَمَى بهما وقال: «إنهم سألوا الزاد فقلت لهم لكم كل عَظْم وروثة»(١).

قصة أخرى: روى الإمام أحمد والترمذي ومسلم عن علقمة قال: قلت لابن مسعود رضي الله تعالى عنه: هل صَحِب النبي ﷺ من أحد ليلة الجِنّ؟ قلت: ما صَحِبَه منا أحد ولكن فقدناه ذات ليلة فالتمسناه في الأَوْدِية وفي الشِّعَاب فقلنا: اغْتِيل؟ اسْتُطِير؟ ما فعل؟ فبِتْنَا بِشَرٍّ ليلة بات بها قوم. فلما أصبحنا إذا هو جاء من قِبَل حِرَاء. فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نَجِدْكَ فبتنا بشَرِّ ليلة بَات بها قوم، فقال: «إنه أتاني داعي الجِنّ فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن. قال: فانْطلَقَ فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. وسألوه الزَّاد فقال: «لكم كل عَظْم ذُكِر اسم الله عليه يقع في أيديكم أَوْفَر ما كان لَحْماً وكل بَعْرَة أو رَوْثة عَلَفٌ لِدَوَابِّكم»، قال: «فلا تَسْتَنْجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجِنّ» وقال الشعبي رحمه الله تعالى: وكانوا من جن الجزيرة.

وفي رواية ابن جرير عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بِتُّ الليلة أقرأ على الجِنّ واقفاً بالحَجُون»(٢). وقوله إنه لم يكن مع النبي ﷺ أَصَحّ مما رواه ابن جرير على الزهري قال: أخبرنا أبو عثمان بن سَنَّة ـ بفتح المهملة وتشديد النون ـ الخُزَاعي أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه وهو بمكة: «مَنْ أَحَبَّ منكم أن يَحْضُرَ الليلة أثر الجِنّ فليفعل». فلم يَحْضُر معهم أحد غيري. قال: فانطلقنا فإذا كنا بأعلى مكة خَطَّ لي برجله خَطّاً ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى إذا قام فافتتح القرآن

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٢١٥/١ وقال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن ليس فيه غير بقية وقد صرح بالتحديث.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ٢١/٢٦ وأحمد في المسند ٤١٦/١ وذكره ابن كثير في التفسير ٢٧٥/٧.

[فجعلت أرى امْثَالَ النُّسورِ تَهْوِي وتَمْشِي في رَفْرَفِها وسمعت لَغَطاً وغَمْغَمة حتى خِفْتُ على النبي ﷺ] وغَشِيَتْهُ أَسْوِدَة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صَوْتَه، ثم طَفِقوا يَتَقَطَّعون مثل قِطَع السحاب ذاهبين[1].

وقد تقدَّم بأَبْسَط من هذا في باب إسلام الجنّ في أوائل الكتاب قُبَيْل أبواب المعْراج والله أعلم.

الباب الثامن والتسعون

فيما روي عن اجتماع إلياس به إن صح الخبر، صلى الله عليه وسلم

قال أنس ـ واللفظ للحاكم ـ قال لي إلياس: من أنت؟ قلت: أنا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ. قال: فأين هو؟ قلت: هو يسمع كلامك. قال: «فَأْتِهِ فَأَقْرِئْهِ مني السلام وقل له أخوك إلياس يُقرئك السلام». قال: فَأَتَيْتُ رسول الله ﷺ فأخبرته. فجاء رسول الله ﷺ ودنا معه حتى إذا كنا قريباً منه تقدَّم رسول الله ﷺ وتأخرت. فتحدثا طويلاً.

ولفظ الحاكم: «حتى جاءه فعانقه وسلَّم عليه، ثم قعدا يتحدثان. فقال إلياس: «يا رسول الله، إني إنما آكل في السنة يوماً، وهذا يوم فِطْري، فآكل أنا وأنت». فنزل عليهم من السماء شبه السُّفْرَة. قال ابن أبي الدنيا. فيها كَمْأَة ورُمَّان وكرفس. وقال الحاكم: عليها خُبْز وحوت وكرفس. فأَكَلا وأطعماني وصَلَّيا، ثم وَدَّعه، وجاءت سحابة فاحتملته. وكنت انظر إلى بياض ثيابه تهوي به قِبَل الشام».

الحديث في سنده يزيد بن يزيد الموصلي التيمي [مَوْلى لهم]. قال ابن الجَوْزي والذهبي إنه حديث باطل واتهما به يزيد. قال الذهبي: إنما استحى الحاكم من الله تعالى أن يصحح مثل هذا الحديث، وقال في تلخيص المُسْتَدْرَك: هذا موضوع، قَبَّح الله من وضعه وما كنت أَحْسَبُ أن الجَهْل يبلغ بالحاكم أن يصحح مثل هذا، وهو مما افتراه يزيد المَوْصِلي.

قلت: كما أن البيهقي ذكره في الدلائل وقال: هذا الذي روي في هذا الحديث في قدرة الله جائز، وما خَصَّ الله به رسوله من المعجزات يثبته، إلا أن إسناد هذا الحديث ضعيف بما ذكرته ونبهت على حاله. ورواه ابن شاهين، وابن عساكر بسند فيه مجهول عن وَاثِلة بن الأسْقَع أطول مما هنا وفيه ألفاظ منكرة. وعلى كل حال لم يَصِح في هذا الباب شيء. قال الشيخ في النكت البديعات: أخرجه الحاكم، والبيهقي في الدلائل وقال إنه ضعيف.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٠٣/٢ وأبو نعيم في الدلائل (١٢٩).

الباب التاسع والتسعون

فيما ورد من اجتماع الخضر به إن صح الخبر، صلى الله عليهما وسلم.

روى ابن عَدِيّ والبيهقي عن كثير بن عبد الله بن عَمْرو بن عَوْف عن أبيه عن جَدِّه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان في المسجد، فسمع كلاماً من ورائه فإذا هو بقائل يقول: اللهم أعِنِّي على ما تُنَجِّيني مما خَوَّفْتني. فقال رسول الله ﷺ حين سَمِع ذلك: «ألا يَضُمّ إليها أُخْتَها» فقال الرجل: اللهم ارزقني شَوْقَ الصالحين إلى ما شَوَّقْتَهم إليه، فقال النبي ﷺ لأنس: «إذهب إليه فَقُلْ له: «يقول لك رسول الله - ﷺ - تستغفر له». فجاءه أنس فَبَلَّغَهُ. فقال الرجل: يا أنس، أنت رسول رسول الله ﷺ إلَيّ؟ قال: نعم. قال: ذْهَب له إن الله عزَّ وَجَلَّ فَضَّلك على الأنبياء بمثل ما فَضَّل رمضان على سائر الشهور، وفضَّل أُمَّتَك على سائر الأُمم بمثل ما فَضَّل يَوْم الجمعة على سائر الأيام، فذهب ينظر إليه فإذا هو الخِضْر عليه السلام[1].

وروى الدارقطني في الإفراد، والطبراني في الأوسط، وابن عساكر من ثلاث طُرُق عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: خرجت ليلة مع النبي ﷺ أحمل الطهور فسمع [مُنادياً ينادي فقال لي: «يا أنس صَهْ» فسكتّ، فاستَمَع فإذا هو] يقول: اللهم أعَنّي على ما يُنَجِّيني مما خَوَّفْتني منه. قال: فقال رسول الله ﷺ: «[لو قال أخْتَها معها». فكأن الرجل لُقّن ما أراد النبي ﷺ فقال: وارْزُقْني شَوْقَ الصالحين إلى ما شَوَّقْتَهم إليه] فقال النبي ﷺ: «يا أنس دَعْ الطهور وَائتِ هذا فقل له: إدْعُ لرسول الله أن يُعِينه على ما ابتعثه الله على ما ابتعته ه، وادعُ لأُمَّتِه أن يأخذوا ما آتاهم به نَبِيُّهم من الحقّ» قال: فأتيته [فقلت: رَحِمَك الله، ادْعُ الله لرسول الله أن يُعينه به وادْعُ لأمَّتِه أن يأخذوا ما آتاهم به نبيُّهم من الحق. فقال لي: ومَنْ أرْسَلَك؟ فكَرهْتُ أن أخْبِره ولم أستأمر رسول الله ﷺ. فقلت له: رَحِمَكَ الله ما يَضُرُّك من أرسلني؟ ادْع بما قلت لك. قال: لا، أو تخبرني من أرسلك. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله، أبى أن يَدْعُو لك بما قُلتُ له حتى أخبره بِمَنْ أرسلني. فقال: «ارجع إليه فقُل له أنا رسول رسول الله»] فرجعت إليه فقلت له فقال لي: «مرحباً برسول[رسول] الله أنا كنت أحَقّ أن آتيه، اقرأ على رسول الله مِنّي السلام وقل له: الخِضْر يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن الله تعالى فَضَّلَك على النَّبِيِّين كما فَضَّل شهر رمضان على سائر الشهور، وفَضَّل أُمَّتَك على الأمم كما فَضَّل يوم الجمعة على سائر الأيام» قال: فلما ولَّيتُ سمعته يقول: «اللهم اجعلني من هذه الأُمة المُرْشَدة المرحومة المُتَاب عليها[2]».

---

(١) ذكره السيوطي في اللآلئ ١/١٦٤ ووضعه.

(٢) ذكره السيوطي في الآلئ ١/٨٥ وابن الجوزي في الموضوعات ١/١٩٤.

قال الشيخ في النُّكت البديعات: أورده البيهقي من طريق عَمْرو بن عَوْف المُزَني وقال فيه بشير بن جبلة عن أبيه عن جَدِّهِ، نسخة موضوعة، وعبد الله بن نافع مَتْرُوك، ومن حديث أنس قال فيه الوَضَّاح بن عَبَّاد الكوفي مُتَكَلَّم فيه، قلت: حديث عَمْرو بن عَوْف أخرجه البيهقي في الدلائل وقال إنه ضعيف، وحديث أنس له طُرُق أخرى ليس فيها الوَضَّاح بن عَبَّاد، وقال رِيَاح [بن عبيدة]: رأيت رجلاً يُمَاشي عمر بن عبد العزيز [مُعْتَمِداً على يده فقلت في نفسي أن هذا الرجل جاف، فلما صَلَّى قلت: يا أبا حَفْص، منْ الرجل الذي كان معك مُعْتَمِداً على يدك آنفاً؟«قال وقد رأيتَه يا رِيَاح؟» قلت نَعَم. قال:«إني لأراك رجلاً صالحاً، ذاك أخي الخِضْر، بَشَّرني أني سَأَلِي فَأَعْدِل»]، حديث [رياح] كالرِّيح. قلت: قال الحافظ ابن حَجَر رحمه الله: هذه القضية أَصَحّ ما ورد في بقاء الخِضْر عليه السلام.

الباب الموفي المائة

فيما ورد من قدوم هامة بن أهيم بن لاقيس بن إبليس وإسلامه إن صخ الخبر.

روى عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد، والعقيلي في الضعفاء، وابن مرْدَويه في الفسير من طريق أبي سَلَمة محمد بن عبد الله الأنصاري أحد الضعفاء، عن محمد بن أبي مَعْشَر، عن عبد العزيز بن أبي بُجَيْر أحَد المتروكين، ثلاثتهم عن أبي مَعْشَر عن نافع عن ابن عمر، رضي الله تعالى عنهم، وأبو نُعيم في الحلية من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وأبي نُعَيْم، والبيهقي معاً في الدلائل، والمستغفري [في الصحابة وإسحاق بن إبراهيم] المنجنيقي من طريق أبي محصن الحَكم بن عَمَّار [عن الزهري عن سعيد بن المُسَيَّب] قال: عُمر بن الخطاب. وأخرجه الفاكهي في كتاب مكة من طريق عزيز الجُرَيْجي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان على جَبَل من جبال تِهامة خارج مكة إذ أقبل شَيْخٌ مُتَوَكِّئٌ على عَصَا ـ وفي لفظ: بيده عصا ـ فسلم على رسول الله ﷺ فَرَدَّ عليه السلام، وقال: «نَغْمة الجِنِّ ومشْيَتِهِم»ـ وفي رواية: «جِنِّيٌ وَنَغْمَتِه ـ مَنْ أنت؟» قال: أنا هامة بن الهَيْم بن لاقيس بن إبليس. قال رسول الله ﷺ: «ليس بَيْنَكَ وبين إبليس إلا أبَوَان» قال: نَعَم. قال: «فكم أتى عليك الدهر؟» قال: قد أفْنَتْ الدنيا عُمْرَها إلا قليلاً. كنتُ ليالي قتل قابيل هابيل غُلاَماً ابن أعْوَام، أفْهَمُ الكلام، وأمُرُّ على الآكام، وآمرُ بإفساد الطعام وقطيعة الأرحام وأُآرِّش بين الناس [وأُغْري بينهم] فقال رسول الله ﷺ: «بِئْس لَعَمْرُ الله عَمَل الشيخ المُتَوَسِّم والفَتى المُتَلَوِّم». قال: دعني من اللَّوْم، فقد جَرَتْ تَوْبَتي على يَدَيْ نوح عليه السلام، وكنت معه فيمن آمن به من قَوْمِه، فلم أزَلْ أُعَاتبه على دعوته على قومه حتى بَكَى عليهم وأبكاني، وقال: لا جَرَم، إني على ذلك من النَّادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وفي رواية عمر: قُلْتُ: يا نوح، إني مِمَّن شَرَك في دَم السعيد الشهيد هابيل ابن آدم فهل تجد لي من توبة؟ قال: يا هَام، هُمّ بالخيرْ وافْعَلْهُ قَبْلَ الحَسْرَة والندامة، إني قرأتُ فيما أنزل الله عزَّ وجَلّ عليّ أنه ليس من عبد تاب إلى الله بالغاً ذَنْبُه ما بلغ إلا تاب الله عليه، قُمْ فَتَوضَّأ واسْجُدْ لله سَجْدَتَيْن. قال: ففعلت من ساعتي ما أمَرني به، فناداني: ارْفَعْ رَأسَك فقد أُنْزِلَتْ تَوْبَتُك من السماء. فخَرَرْتُ لله ساجداً.

وكنت مع هود عليه السلام في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، فقال: لا جَرَم، إني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

وكنت أزور يعقوب، وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنتُ ألقى إلياس في الأودية

وأنا ألقاه الآن. وكنت مع إبراهيم خليل الرحمن لما أُلقِي في النار، فكنت بينه وبين المنجنيق حتى أخرجه الله منه، ولَقِيتُ موسى بن عمران فعَلَّمني من التوراة وقال لي: إن أنت لَقِيت عيسى ابن مَريم فأقرِئه مني السلام. وكنت مع عيسى فقال: إن لقيت محمداً فأقرئه مني السلام، وأنا يا رسول الله قد بَلَّغت وآمنت بك. فقال رسول الله ﷺ: «وعلى عيسى السلام» - وفي لفظ: - «وعليك يا هامة، ما حَاجتُك» فقال: موسى عَلَّمني من التوراة، وعيسى عَلَّمني من الإنجيل فَعَلِّمني من القرآن فعَلَّمَه رسول الله ﷺ سورة المرسلات وعَمَّ يتساءلون وإذا الشمس كوِّرتْ والمعوذتين وقل هو الله أحد وفي لفظ عمر رضي الله تعالى عنه: إذا وقَعَت الواقِعة. وفي رواية عَلَّمه عَشر سُوَر. وفي لفظ عُمَر:«وعليك يا هامة بأدائك الأمانة».

قال: يا رسول الله، افعل بي ما فعل موسى بن عِمْران فإنه عَلَّمني من التوراة. فعَلَّمه رسول الله ﷺ وقال:«ارْفَع إلينا حاجتك يا هامة ولا تَدَعْ زيارتنا». وقال عُمر بن الخطاب: فقُبِض رسول الله ﷺ ولم يَنْعَهُ إلينا ولسنا ندري أحَيٌّ هو أو مَيِّت.

وقال البيهقي بعد أن رواه من طريق محمد بن أبي معْشَر عن أبيه أبي مَعْشَر: «روى عنه الكِبَار إلا أن أهل الحديث ضَعَّفُوه». قال: «وقد رُوِي من وجه آخر أقوى منه». وقال شيخنا رحمه الله تعالى في الجامع الكبير: «طريق البيهقي أقواها وطريق العقيلي أوهاها». وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق العقيلي فلم يُصِبْ وله شواهد من غريب أنس، وابن عباس وغيرهما تأتي في محلها. وقد بُسِط الكلام عليه في اللآلئ المصنوعة. وقال في النُّكت البديعات: أورده من طريق عُمَر، وقال فيه إسحاق بن بشْر الكاهلي كَذَّاب، وقال فيه محمد بن عبد الله الأنصاري: لا يُحتَجّ به. قلت: أخرج البيهقي في الدلائل حديث عُمر من وجه آخر ليس فيه إسحاق بن بشر الكاهلي، وقال عُقْبَة في هذا الإسناد أبو مَعْشَر، روى عنه الكبار إلا أن أهل الحديث ضَعَّفُوه. قال: وقد رُوِيَ من وجه آخر أقوى منه، فأشار بذلك إلى طريق إسحاق، وله طريق ثالث عن عُمَر أخرجه أبو نُعَيْم في الدلائل، ولحديث أنس طريق ثان ليس فيه أبو سَلَمة، أخرجه أبو نُعَيْم. وبمجموع هذه الطُرُق يُعْلَم أن الحديث ضعيف لا موضوع.

الباب الحادي والمائة

في وفود السباع إليه صلى الله عليه وسلم

روى أبو سعيد بن منصور، والبزار، وأبو يعلى، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: جاء ذئب إلى رسول الله ﷺ فأقْعَى بين يديه وجعل يُبَصْبِصُ بذَنَبِه، فقال رسول الله ﷺ:«هذا وافِد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً». فقالوا: لا والله يا رسول الله، لا نجعل له من أموالنا شيئاً. فقام إليه رجل من الناس، ورَمَاه بحَجَر، فسار وله عوَاء[1].

وروى أبو نُعَيْم، والبيهقي من طريق الزُّهري عن حمزة بن أبي أُسَيْد قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل فإذا ذئب مُفْتَرِشاً ذراعيه على الطريق فقال رسول الله ﷺ:«هذا مُعْتَرِض فافْرِضوا له». قالوا: ما نرى يا رسول الله. قال:«من كل سائمة شاة في كل عام». قالوا: كثير فأشار إلى الذئب أن خَالِسْهُمْ، فانطلق الذئب.

وروى ابن سعد، وأبو نُعَيْم عن المُطَّلب بن عبد الله بن حَنطَب قال: بينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه إذ أقْبَل ذئب فوقف بين يدَي رسول الله ﷺ فَعَوى [بين يديه] فقال رسول الله ﷺ:«هذا وَافِد السِّباع إليكم، فإن أحبَبْتُم أن تَفْرِضوا له شيئاً يَعْدُوه إلى غَيْرِه، وإن أحْبَبْتُم تَرَكْتُموه وتَحَرَّزْتُم منه فما أخذ فهو رِزْقُه». فقالوا: يا رسول الله، ما تَطِيب أنْفُسُنا له بشيء. فأوْمأ إليه النبي ﷺ بأصابعه أن خَالِسْهُم فَوَلَّى وله عَسَلان[2].

وروى الدَّارِمي، وابن مَنيع في مُسْنَدِه. وأبو نعيم من طريق شَمر بن عطية عن رجل من مُزَيْنة أو جُهَيْنَة قال: صلَّى رسول الله ﷺ الفَجْر، فإذا هو بقَرِيب من مائة ذئب قد أقْعَيْن [وكانوا] وفود الذئاب فقال لهم رسول الله ﷺ:«هؤلاء وفود الذئاب سألتكم أن تَرْضَخُوا لهم شيئاً من فُضُول طَعامِكم وتأمنُوا على ما سوى ذلك» فَشَكَوْا إليه حاجة، قال:«فاذْنُوهُنّ». فخَرجْنَ ولهم عُواء.

وروى محمد بن عمر، وأبو نُعَيْم عن سليمان بن يسار مُرْسلاً قال: أشرف النبي ﷺ على الحرَّة فإذا ذئب واقف بين يديه فقال:«هذا يسأل من كل سائمة شاة». فأبوا فأومأ إليه بأصابعه، فولَّى.

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٦٦/٦.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨٦/٢/١ وأبو نعيم في الدلائل (١٣٣) وانظر البداية والنهاية ٩٥/٥.

تنبيه: في بيان غريب ما سبق:

أَقْعى: بهمزة مفتوحة فقاف ساكنة فعين مهملة وبالمدّ. هو إلْصاق الأَلْية بالأرض ونَصْب الساق والفخذ ووضْع اليديْن على الأرض.

يُبَصْبِص: بتحتية مضمومة فموحدة مفتوحة فصادين مهملتين بينهما موحدة مكسورة أي يُحرِّك ذَنَبه.

عُواء: بعين مهملة مضمومة فواو وبالمدّ، أي صوت السِّباع وكأنه بالذئب والكلب أخَصّ.

خَالسْهُم: بخاء معجمة فألف فلام فسين مهملة. أي اذْهبْ على غَفْلة.

عسلان: بعين فسين مهملتين فلام مفتوحة فألف فنون وهو سرعة المشي.

الحرَّة: بحاء وراء مهملتين مفتوحتين هي أرض ذات حجارة سود، والله أعلم.

تَجزَ الجزء الثاني يتلوه جُمّاع أبواب صفاته المعنوية، والصلاة والسلام على خَيْر البريَّة محمد النبي الأُمّي ﷺ وعلى آله وصحْبه وسلَّم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدِّين، آمين والحمد لله ربّ العالمين.

فهرس الجزء السادس
من
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد

جماع أبواب سراياه وبعوثه وبعض فتوحاته صلى الله عليه وسلم

جماع أبواب بعض الوفود إليه صلى الله عليه وسلم وبارك عليه